المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية اللغة العربية وآدابها
قسم الدراسات العليا
فرع الأدب

حركة الشِّعر في نجران

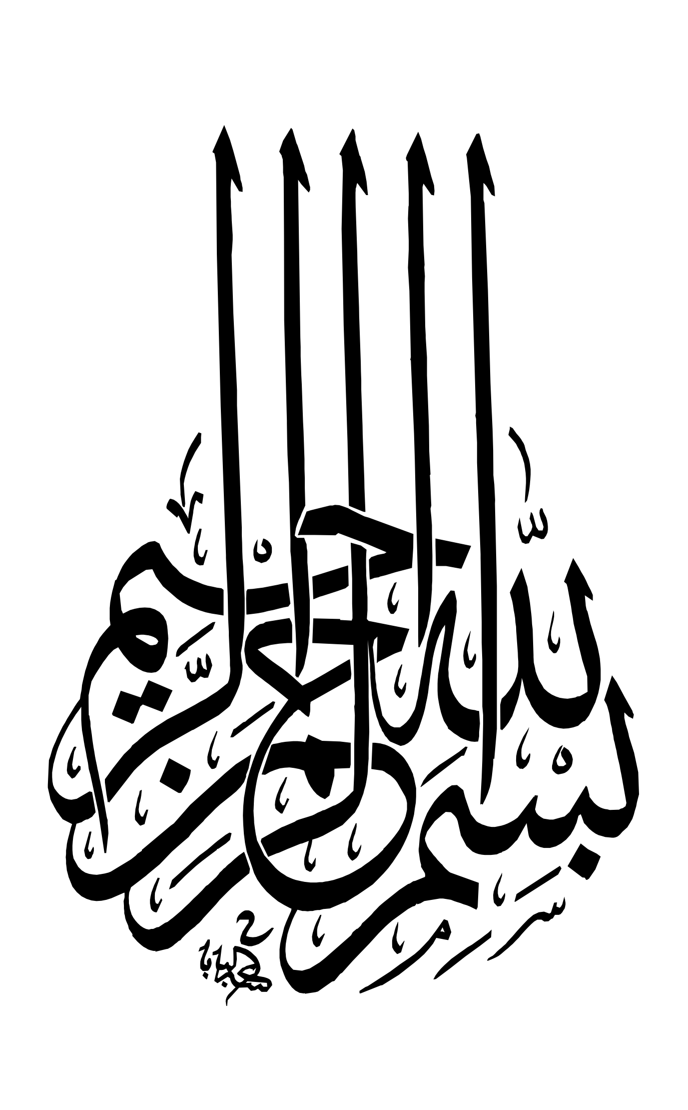
في الجاهلية وصدر الإسلام

رسالة مقدمة لإكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير في الأدب

إعداد الطالبة
فائزة رداد عزيز ضاوي العتيبي
(٤٢٤٨٠٠٢٦)

إشراف
أ.د. عبد الله إبراهيم الزهراني

الفصل الدراسي الثاني ١٤٢٩هـ



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ، صاحبِ الخُلق العظيم ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد ..

فموضوع هذا البحث هو : (حركة الشعر في نجران) في الجاهلية وصدر الإسلام .

وهذا الموضوع له أهميته من جوانب عدة ؛ فهو نوع أصيل من الدراسة الأدبية ، فقد اختصت القرى العربية في الجاهلية وصدر الإسلام بعطاءٍ شعري متميز ، وشعراء أغنوا ساحا ا بعطاءا م الشعرية التي لفتت الأنظار إلى بيئا م ، فنبه إليها نقادنا القدامى ، حيث حظيت هذه البيئات باهتمامهم ، فكان من أوائل هؤلاء النقاد الذين أشاروا إلى هذه القرى والبيئات الشعرية القديمة : ابن سلام الجمحي ، المتوفى سنة (٢٣١هـ) ، الذي رتب الشعراءَ في كتابه (طبقات فحول الشعراء) إلى طبقات خص فيها شعراء القرى العربية : المدينة ، ومكة ، والطائف ، واليمامة ، والبحرين بطبقة خاصة ، وفي ذلك ما يشعر بتميز شعراء هذه القرى والبيئات عن غيرهم من الشعراء . والغريب أن ابن سلام لم يلتفت إلى نجران ، حيث أغفل في هذه الطبقة التي خصها لشعراء القرى : شعراء نجران ، فعلى الرغم من ذكره للقرى القريبة منها ، كالطائف ومكة ، إلا أنه أغفل بيئة نجران من بين هذه البيئات ، فهو عند حديثه عن هذه الطبقة عد القرى بأ ا خمس ، فأهمل نجران تماما ، على الرغم من قدمها في التاريخ الذي يشهد به القرآن الكريم في ذكره لقصة أصحاب الأخدود ، وعلى الرغم - أيضاً - من معرفة الشعراء والنقاد ا ، بل وذكر اسمها في شعر كبار شعراء الجاهلية ، كامرئ القيس ، وطرفة بن العبد ، والمرقش الأكبر ، والأعشى[1] ، فهذا مما يشهد على معرفتهم ا ، فجاءت هذه الدراسة لإبراز الحركة الشعرية في نجران ، والتأكيد على وجود بيئة شعرية زاهرة فيها منذ عصرها الجاهلي والإسلامي ، وإن طالها الإهمال والتجاهل ، إلا أ ا تستحق ضمها إلى بيئات الشعر القديم ، فهذه الدراسة هي استمرار لهذا التقليد الأصيل الذي بدأه ابن سلام الجمحي .

ومن جانبٍ آخر تأتي أهمية هذا الموضوع لوقوفه على الحياة الشعرية في نجران ضمن إطارٍ زمني واسع يمتد من أواخر عصر الجاهلية إلى اية حكم بني أمية سنة (١٣٢هـ) تقريبا ، وهي فترة زمنية تعد من أخطر المراحل العمرية التي عاشتها نجران ضمن أطوار التغير والتحول ، هذا من جهة .

---

(١) ينظر دواوين هؤلاء الشعراء والمفضليات التي ورد ذكر نجران ا في شعر المرقش الأكبر .

ومن جهة أخرى ؛ فإن فترة (عصر الجاهلية وصدر الإسلام) وإن صح عليها التعبير بعدم الاستقرار وكثرة التحولات على كافة الأصعدة ، إلا أ ا تعد من أهم مراحل عمر الأدب العربي عامة ، والشعر على وجه الخصوص ، وبلوغه أقصى غايات الجودة والمتانة ، وبعده عن المؤثرات الأجنبية ، والتيارات الوافدة التي طالت الشعر العربي في عصوره المتأخرة ، بدءًا من العصر العباسي ثم ما تلاه من عصـورٍ أخـرى طالت فيها يد المؤثرات الأجنبية وثقافاتها المتعددة الكثير من معالم الشعر العربي ، فغيرته .

ومن جهة ثالثة تأتي أهمية هذا الموضوع في رصده لحركة الشعر في بيئة نجران ، وتعريفه بشـعراء هذه البيئة وإسهاما م الشعرية في سماء الشعر العربي ، فقد سكنت نجران قبيلة الحـارث بـن كعـب إحدى القبائل العربية ، التي نقلت لنا المصادر الموثوقة - ككتاب المختلف والمؤتلف للآمدي ، المتـوفى سنة (٣٧٠هـ) ، وكتاب الفهرست لابن النديم ، المتوفى سنة (٤٣٨هـ) - خبر ديـوا م الشـعري ضمن دواوين القبائل الشعرية التي فقدت[1]، ولا أدعي أني سأجمع في هذه الدراسة شعر جميع هـؤلاء الشعراء ، فليس هذا مما أتصدى له فيها ، إلا أنني سأحاول جاهدةً أن أُلقي الضوء على الكـثير مـن شعراء نجران الذين كان لهم دور بارز في إثراء حركتها الشعرية ، وهم - في الحقيقة – أكثـرهم مـن أبنائها ، كما ستقتضي هذه الدراسة عرض النتاجات الشعرية لشعراء آخرين ليسوا من قبيلة الحارث ابن كعب ، وهم الذين أقاموا فيها لأسباب مختلفة وفترات زمنية مختلفة ، فكان لهم تأثير ملموس في إثـراء هذه الحركة الشعرية في نجران .

فجاءت هذه الدراسة – كما أسلفت – للتأكيد على وجود حركة شعرية زاهرة في نجران منـذ عصرها الجاهلي وصدر الإسلامي ، وهي موضوع جديد لم يدرس من ذي قبل ، فلقد ملئت مكتبتنـا العربية قديما وحديثًا بالدراسات المنهجية ، والبحوث المختلفة لجميع ألوان الأدب وفنونه ، واتجاهاتـه ، وقضاياه المتعددة ، فتناول كثير من الدارسين قضايا الأدب وأجناسه ، ودواوين الشـعراء ، ودواويـن القبائل وأهمل الكثير منهم تناول نتاج البيئات المختلفة حتى وإن وجد البعض القليل من هذا التناول إلا أن الشعر في بيئة نجران في عصرها الجاهلي والإسلامي كان مما طالته يد النسيان .

وبعد جمع المادة وتصنيفها ستقتضي دراسة هذا البحث تقسيمه إلى : ميد ، وثلاثـة فصـول تتضمن عددا من المباحث ، وستقتضي المادة العلمية لهذه الدراسة استخدام المنهج الوصفي التحليلي تبعا لمتطلبات فصولها ومباحثها .

---

(١) فقيض الله من أبناء الأمة العربية والإسلامية من بارك في جهودهم لجمع شتا ا وما بقي منها ، فكان من أبرز هذه المؤلفـات الـتي جمعت كما من شعر هؤلاء الشعراء : كتاب (شعر قبيلة مذحج في الجاهلية والإسلام) ، جمع وتحقيق ودراسة : محمد بن عبد الله منور آل مبارك . وقد أورد فيه شعراء قبيلة الحارث بن كعب ، فقدم للبحث فائدة عظيمة .

● **التمهيد :** وسوف يكون على قسمين ، ففي القسم الأول سأتحدث عن أصل التسمية ، وموقع نجران وتضاريسها المختلفة ، وأهمية الموقع تاريخيا واقتصاديا ، ثم أعقب ذلك في القسم الثاني بالحديث عـن أهم العوامل التي أدت إلى ازدهار الشعر فيها ، حيث كانت تسكنها قبيلة الحارث بن كعب - أقوى قبائل مذحج - ، وكذلك كون سلطتها بيد بني عبد المدان ؛ مما زاد في إثراء حركتها الشعرية ، ولا شك أن هذا التمهيد سيكون مزيجا من الدراسة اللغوية والجغرافية والتاريخية ، وسأحاول فيه جاهدة - ما أمكن - ألا يطغى جانب منها على آخر ، حيث قد يتشعب القول في مثل هذا النوع من الدراسـة التي تتداخل فيها أنواع شتى من الأمور ، فيصعب حصرها ، وهذا أمر مهم سأستشـعره في كـلّ حديثي في هذا التمهيد .

● **الفصـل الأول :** وعنوانه (الشعراء في نجران) ويختص بتراجم الشعراء ، وقـد وجـدت أن الحديث عن هؤلاء الشعراء يتطلب تقسيما خاصا ، فرأيت أنّ أفضل طريقة لتقسيمهم هـي أن يـتم التقسيم على أساس الإقامة في المنطقة ؛ لأنني سأدرس حركة الشعر في داخـل هـذه المنطقـة ، وسيكون الحديث عن هؤلاء الشعراء في أربعة مباحث :

- الشعراء المقيمون : وهم في الغالب أبناء نجران الذين سكنوا في أرضها على اختلاف قبائلـهم التي عاشت تحت زعامة ورياسة بني الحارث بن كعب .

- الشعراء الوافدون : وهم من وفدوا إلى نجران لأسباب عدة ، أبرزها : التكسب .

- الشعراء اللاجئون : وهم من لَجؤوا لنجران خوفًا من مناطقهم التي فروا منها ، وطمعا بـالأمن والحماية في كنف سادة نجران .

- الشعراء اللصوص : وهم الذين حبسوا في سجن نجران .

● **الفصل الثاني :** وعنوانه (أبرز موضوعات الشعر في نجران) ويحتوي على ثمانيـة مباحـث ، سأتتبع فيها نتاج هؤلاء الشعراء ، وهذه المباحث هي : شعر الحماسة ، شـعر الفخـر ، شـعر الهجـاء والنقائض ، شعر المدح والتكسب ، شعر الحكمة ، شعر الغزل ، شعر المعاناة الشخصية ، شعر الوصـف . وسوف أعرض هذه الأشعار مع تحليل بعض منها ، وإضفاء تعليقات موجزة عن بعضها الآخر ، وضبط أبيا ا ، وشرح ما فيها من غريب .

● **الفصل الثالث :** وعنوانه (قضايا الشكل والخصائص الفنية) وسيكون لدراسة قضايا الشـكل والخصائص الفنية ، والوقوف على اللغة الشعرية عند شعراء نجران ، ومن ثَم دراسة الصورة الفنية الـتي تنوعت لديهم ؛ من صور هجائية ، وحربية ، وغزلية . ثُم أقف على بناء القصيدة ، وأعقّب بالحديث عن الموسيقى الخارجية والداخلية في شعر هؤلاء الشعراء .

● **أما الخاتمـة** فسأعرض فيها نتائج البحث ، وما يمكن أن يكون قد قدم من إضـافات لحقـل الدراسة الأدبية ، وكذلك أبرز التوصيات .

ثم ختمت الدراسة بملحق يحدد جغرافية المملكة العربية السعودية عامة ، وثاني يشـير إلى أبـرز أسواق العرب في الجاهلية والإسلام ، وآخر خاص بجغرافية نجران ، ثم مجموعة من الفهارس المنوعة وهي فهرس الآيات القرآنية ، وفهرس الأحاديث النبوية ، فهرس الأمثال ، فهرس المصادر والمراجع ، فهرس الموضوعات .

وفي الختام ، لا يسعني إلا أن أشكر المولى ﷻ الذي أعانني على إنجاز هذا البحث . وكذلك أتقدم بشكري وتقديري لجامعة أم القرى ممثلة في كلية اللغة العربية التي هيأت لي فرصة الـدرس والبحـث العلمي الثمين ، كما أشكر سعادة الأستاذ الدكتور : حمد الزايدي ؛ مشرفي السابق ، الذي خطا معـه البحث خطواته الأولى ، وكانت له فيه إسهامات وملاحظات أفدت منها فائدةً كبيرة ، فجزاه الله عني خير الجزاء .

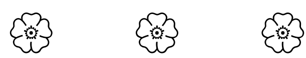
والشكر موصولٌ لمشرفي ؛ سعادة الأستاذ الدكتور : عبد الله الزهراني ، الذي أنجزت هذا البحث برعايته وتوجيهاته القيمة .

أما أُستاذي سعادة الأستاذ الدكتور: حسن باجودة ، وسعادة الأستاذ الدكتور : جميل عبد الغني فلهما جزيل شكري وتقديري كفاءًا على ما أنفقاه من وقت في قراءة هذا البحث ، وما تجشماه مـن جهد لمناقشة صاحبته ، وما سيسديانه من نصح وتوجيه ونقد سديد لتقويم ما قد يكون فيه من زلـلٍ وهنات ، واسأل الله العظيم أن ينفعني بعلمهما ويجزيهما عني خير الجزاء إنه على ذلك لعلي قدير .

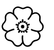
كما أتوجه بالشكر والتقدير عرفانا وامتنانا لوالدي الكريمين ؛ اللذَين غرسا في حب العلم منـذ الصغر ، وشملاني برعايتهما ، فجزاهما الله عني خير الجزاء .

كما أشكر إخوتي وأخواتي وجميع أفراد عائلتي الذين ساندوني وآزروني من أجل إخـراج هـذه الدراسة إلى حيز الوجود ، وأخص منهم بالشكر والتقدير : شقيقي حمدان ؛ الذي عاش معي في كـلّ تفاصيل هذا البحث ، منذ بدايته وحتى آخر مرحلة فيه .

بل إنني أشكر كلّ من مد لي يد العون لإنجاز هذا البحث ؛ من أساتذة وأستاذات وزمـيلات .. وكلّ من أعانني على إخراجه بصورته النهائية ، الذين لم يسع المجال لذكرهم ، أشـكرهم جميعـًا ، وجزاهم الله عني خير الجزاء .









التمهيد

أولاً : نجـران :

١- أصل التسمية .

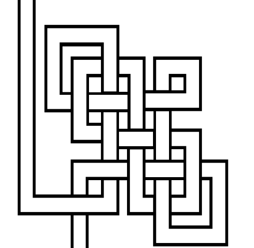
٢- الموقع والتضاريس .

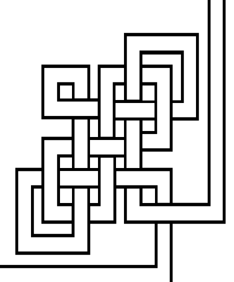
٣- الأهمية التاريخية والاقتصادية للموقع .

ثانيا : أهم العوامل المؤثرة في ازدهار الشعر في نجران :

١- قبيلة الحارث بن كعب .

٢- أسرة بني عبد المـدان .





التمهيد

أولاً : نجران :

١- أصل التسمية :

ورد اسم (نجران) في العديد من الروايات التاريخية والجغرافية القديمة والحديثة ، واختلف المؤرخون والجغرافيون في أصل هذه التسمية، فـ(نجران) - بالفتح ثم السكون ، وآخره ألف ونون - ورد لها عدة اشتقاقات ودلالات مختلفة ، فمن هذه الاشتقاقات التي ذهب إليها بعض هؤلاء المؤرخين والجغرافيين :

أ / الاشتقاق اللغوي :

وقد ورد هذا الاشتقاق عند ابن منظور تحت مادة (نجر) ، فذكر أن لهذه المادة عدة اشتقاقات ، منها :

النجر : هو القطع ، ومنها النجر ، وهو نحت الخشبة ، والنجار : صاحب النجر ، وحرفته النجارة، ومنها : النجران ، وهي الخشبة التي تدور فيها رجل الباب .

يقول الشاعر:

صببت الماء في النجران صبا تركت الباب ليس له صرير [1]

وليس ببعيد عن هذا الاشتقاق وهذه الدلالة ما نجده عند ياقوت الحموي في حديثه عن نجران ، فقد ذكر أن النجران : هي خشبة يدور عليها رتاج الباب ، واستشهد على ذلك بقول الشاعر[2]:

وصبيت الماء في النجران حتى تركت الباب ليس له صرير

ب/ الاشتقاق النسبي :

وعلى هذا الاشتقاق أجمع كثير من الجغرافيين والمؤرخين ، فقد ورد أن هذا الموضع من أرض شبه الجزيرة العربية قد سمي بهذا المسمى نسبة إلى نجران بن زيدان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ؛ لأنه كان أول من عمرها ونزلها ، ولقد صار إليها بعد أن رأى رؤيا فهالته ،

---

(١) لسان العرب ، للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري ، دار صادر - بيروت ، ط١ ، مادة (نجر) ١٤٣/٦ .

(٢) انظر : معجم البلدان ، للإمام شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي ، دار صادر ، ودار بيروت - بيروت ، ط : ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م ، رسم (نجران) ٢٦٦/٥ .

فخرج رائدا حتى انتهى إلى واد فـ ل به ، فسمي نجران به[1].

وأجد أن الأخذ بالاشتقاق النسبي والاعتبار به هو أقرب إلى الإقناع والورود ، حيث إن الجانـب اللغوي هو أقرب إلى ضبط الكلمة ، ولكن دونما توافق أو تقارب بين المعاني التي وردت فيها الكلمـة ومسمى هذه البقعة من الأرض .

بينما الاعتبار بالجانب النسبي هو اعتبار تنهض به عدة أدلة ، حيث إننا نجد أسماء مدن وأمصار عـدة حفظها لنا التاريخ بأسماء روادها ومكتشفيها الأول ؛ كمصر ، والتي أسسها مصر بن مصرايم بن حام بـن نوح عليه السلام [2]، والإسكندرية ، والتي أسسها الإسكندر المقدوني[3]، وغيرها الكثير من أسماء المدن والأمصار .

ولعل المدن اليمنية القديمة لم تشذ عن هذا الاعتبار ، بل نجد أن أكثر بلاد حمير وهمدان كانت قد سميت بأسماء متوطنيها الأوائل ، ولا زالت تحتفظ ـذه المسميات ؛ كحضرموت ، والـتي نسـبت إلى حضرموت بن حمير الأصغر ، وكذلك نجران[4].

كما أن كلمة نجران يوافقها في الميزان الصرفي كلمات عديدة ، كزيدان ، وريدان ، ورغـدان .. وهذه كلها أسماء حميرية قديمة عرفت جميعها بالألف والنون على عادة العربية الجنوبية الحميرية[5]، فهذا ينهض دليلاً آخر على أن هذه البقعة من الأرض قد سميت باسم رجل يماني قـديم عـرف بنجـران ، فامتدحه الفرزدق وأشاد بمنعة أرضه بقوله[6]:

سـمونا لنجـرانَ اليمـاني وأهلـه ونجـرانُ أرض لم تـدَيث مقاوِلُـه

---

(1) انظر : معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، لأبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي ، تحقيق وضبط : مصـطفى السقا ، مكتبة الخانجي - القاهرة ، ط٢ ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م ، رسم (نجران) ١٢٩٨/٤ ، وانظر : معجم البلدان ، للحمـوي ، رسم (نجران) ٢٦٦/٥ ، وانظر : جمهرة أنساب العرب ، لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي ، دار الكتـب العلمية - بيروت ، ط١ ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ، ص٣٢٩-٣٣٠ ، وانظر : فتوح البلدان ، أحمد بن يحيى بن جابر الـبلاذري ، تحقيق : رضوان محمد رضوان ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط : ١٤٠٣هـ ، ٧٨/١ ، وانظر : صبح الأعشى في صناعة الإنشـا ، أحمد بن علي القلقشندي ، شرح وتعليق : نبيل خالد الطيب ، دار الكتب العلمية - لبنان ، ط١ ، ٣٨/٥ ، وانظر : صفة جزيـرة العرب ، لسان اليمن الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني ، تحقيق : محمد بن علي الأكـوع ، دار الآفـاق العربيـة - القـاهرة ، ط : ١٤٣٢هـ - ٢٠٠٣م ، ص١٦٥-١٦٦ .

(2) انظر : معجم البلدان ، للحموي ، رسم (مصر) ١٣٧/٥ .

(3) انظر : المصدر السابق ، رسم (الإسكندرية) ١٨٢/١-١٨٩ ، وانظر : تاج العروس من جـواهر القـاموس ، للسـيد : محمـد مرتضى الحسيني الزبيدي ، تحقيق : مصطفى حجازي ، راجعه : عبد الستار أحمد فـراج ، طباعـة وزارة الإعـلام بالكويـت ، مادة (سكندر) ٦٩/١٦ .

(4) انظر : صفة جزيرة العرب ، للهمداني ، ص١٦٥-١٦٦ .

(5) انظر : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، جواد علي ، طباعة جامعة بغداد ، ط٢ ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م ، ٥٧٦/٨ .

(6) ديوان الفرزدق ، تقديم : كرم البستاني ، دار صادر - بيروت ، ط١ ، ١٦٩/٢ .

تديث : تذلل ، مقاوله : ملوكه ، وانظر : نجران في العصر الجاهلي وفي عصر النبوة ، فاطمة مصطفى عامر ، دار الاعتصام ، ط١ ، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م ، ص١٠ .

٢- الموقع والتضاريس :

وردت كلمة (نجران) دالة على أكثر من موضع في العالم العربي ، منها :

١- نجران من مخاليف اليمن قديما ، وهي موضع دراستنا ، وهي الأقدم والأشهر[(١)].

٢- نجران بين الكوفة وواسط ، وقد وجدت في عهد الإسلام ، حيث سكنها نصارى نجران اليمن بعد أن أجلاهم منها عمر بن الخطاب ﵁ ، فسموا موضعهم هذا باسم مدينتهم القديمة (نجران)[(٢)].

٣- نجران موضع بالبحرين[(٣)].

٤- نجران موضع بحورانَ من نواحي دمشق[(٤)].

أما (نجران) - موضع دراستنا - فهي تقع في جنوب شبه الجزيرة العربية ، في القسم الجبلي الذي اصطُلح على تسميته بمنطقة السروات الجبلية أو النجدية[(٥)].

وتتوسط بين عدة مدن :

١- صنعاء وصعدة وأجزاء من بلاد اليمن جنوبا[(٦)].

---

(١) تعددت الآراء قديما واختلفت في نجران ؛ إذ عدها بعض الجغرافيين والمؤرخين القدماء مخلافًا من مخاليف اليمن ، أي ناحية من نواحيها ، وعدها آخرون من مخاليف مكة ، بينما عدها البعض الآخر منهم صقع منفرد عنها ، ولا شك أن هذا التباين والاختلاف في الآراء يعلله كون نجران كانت تخضع لحكم إداري من قبل والي يخضع هو الآخر لسلطان خليفة المسلمين ، والذي يمتد نفوذه إليها ، أو ينكمش عنها بحسب مقر إقامته ، وكذلك امتداد نفوذه وسطوته إليها . أما في العصر الحديث ، ومنذ عام ١٣٥٣هـ أصبحت نجران جزءًا من هذا الكيان المترابط (المملكة العربية السعودية) بموجب معاهدة الطائف المؤرخة ٦ صفر عام ١٣٥٣هـ ، في عهد جلالة المغفور له الملك عبد العزيز بن سعود - رحمه الله - . انظر : تاريخ المخلاف السليماني ، محمد أحمد العقيلي ، دار اليمامة ، المملكة العربية السعودية ، ط٢ ، ١٣٠٢هـ - ١٩٨٢م ، ١١٤٢/٢ ، وانظر : البيان في تاريخ جازان وعسير ونجران ، عبد الواحد محمد راغب دلال ، القاهرة ، ط١ ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م ، ٢٨٤/٢ وما بعدها ، وانظر : نجران في أطوار التاريخ ، محمد بن أحمد العقيلي ، مطابع دار البلاد ، ط١ ، ١٤٠٤هـ ، ص١٣٥ ، وانظر : نجران دراسة تاريخية حضارية ، غيثان بن علي بن جريس ، مكتبة الملك فهد الوطنية - الرياض ، ط١ ، ١٤٢٥هـ ، ٢٧/١-٢٨-٢٩ .

(٢) معجم البلدان ، ياقوت الحموي ، رسم (نجران) ٢٦٩/٥ .

(٣) المصدر السابق ٢٧٠/٥ .

(٤) المصدر السابق .

(٥) انظر : نجران دراسة تاريخية حضارية ، غيثان بن علي بن جريس ، ٢٢/١-٢٣ ، تقع منطقة نجران في الجزء الجنوبي الغربي من المملكة المملكة العربية السعودية بين خطي طول ٤٣-٥٢ ، وخطي عرض ١٧-٢٠ ، وتبلغ مساحتها حوالي (٣٦.٥٠٠) كيلومتر مربع ، انظر : نجران منطلق القوافل ، عبد الرحمن الطيب الأنصاري ، وصالح بن محمد آل مريح ، دار القوافل للنشر - الرياض ، ط : ١٤٢٤هـ ، ص١١ .

(٦) نجران دراسة تاريخية حضارية ، غيثان بن جريس ٢٣/١ .

٢- بلاد اليمامة (نجد) وأجزاء من مخلاف جرش (عسير) شمالاً[١].

٣- البحرين وهجر (المنطقة الشرقية) ، والفلاة (الربع الخالي) شرقًا[٢].

وتضم منطقة نجران ثلاثة أنواع من التضاريس الطبيعية :

١- منطقة سهلية تقع على الضفتين الشرقية والغربية لوادي نجران وروافده ، وتنتشـر في هـذا النطاق المزارع ، وخاصة النخيل[٣].

٢- منطقة جبلية تتمثل في الجبال الشاهقة التي تحيط بنجران من ثلاث جهات ؛ هي : الشمال ، والجنوب ، والغرب ، وتتميز هذه المنطقة باعتدال مناخها[٤].

٣- منطقة صحراوية تقع في شرق نجران ، وتتمثل في صحراء الربع الخالي[٥].

وهكذا نجد أنه لتعدد أنواع التضاريس ا قد امتازت بتنوع المناخ ، وكثافة الغطاء النباتي ، والجو البارد الممطر ؛ نظرا لارتفاع بعض أجزائها عن سطح البحر[٦].

ولقد عدت نجران من كبريات المدن القديمة . وقد حاول كثيرون تقدير مساحتها ؛ من الجغرافيين ، والرحالة المسلمين الأوائل ؛ يقول الهمداني : " طول نجران من المشرق مائة وسبع عشرة درجة ، وخمسة أسداس درجة ، تطلع عليها الشمس قبل مطلعها على صعدة نحو من اثنين وعشرين جزءًا ونصف مـن ساعة ، وعرضها ست عشرة درجة "[٧].

كما يقول الإصطخري : " نجران وجرش مدينتان متقاربتان في الكبر ، ما نخيـل ، ويشـتملان على أحياء من اليمن "[٨].

---

(١) كانت بلاد نجد تسمى قديما باليمامة . انظر : المرجع السابق .

وكذلك عرفت معظم أجزاء عسير قديما باسم جرش . انظر : دراسة في تاريخ امة والسراة خلال القـرون الإسـلامية المبكـرة والوسيطة ، غيثان بن علي بن جريس ، مطابع العبيكان - الرياض ، ط : ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م ، ١١٣/١ .

(٢) كانت المنطقة الشرقية قديما تعرف بالبحرين وهجر ، كما أن الربع الخالي هو مصطلح حديث لمنطقة شاسعة من الرمال ، أطلق عليها الفلاة - أي الصحراء - وجزء منها رمله يبرين . انظر : جغرافية شبه الجزيرة العربية ، عمر رضا كحالة ، راجعه وعلق عليه : أحمد علـي ، مكتبة النهضة الحديثة - مصر ، ط٢ ، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م ، ص٢٣٢ ، وانظر : صفة جزيرة العرب ، للهمداني ، ص٢٩٦ .

(٣) نجران منطلق القوافل ، عبد الرحمن الأنصاري ، ص١١ .

(٤) المرجع السابق .

(٥) المرجع السابق .

(٦) انظر : جغرافية المملكة العربية السعودية ، إقليم جنوب غرب المملكة ، عبد الرحمن صادق الشـريف ، دار المـريخ - الريـاض ، ط : ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م ، ج٢ ، ص٤٠٠-٤٠٦ .

(٧) صفة جزيرة العرب ، للهمداني ، ص٨١ .

(٨) المسالك والممالك ، ابن اسحق إبراهيم بن محمد الفارسي الإصطخري ، مراجعة : محمد شفيق غربال ، تحقيق : محمد جابر عبد العال الحسيني ، وزارة الثقافة والإرشاد - الجمهورية العربية المصرية ، ط : ١٣٨١هـ - ١٩٦١م ، ص٢٦ .

ولقد ضمت في هذه المساحة الشاسعة الكثير من الثروات الطبيعية ، والتي جاء ذكرها في وصف بعضهم لنجران ، فقد وصفها القلقشندي بأ ا تقع بين جبال وقرى ، وتحوي موارد مائية[(1)] .

ولعل أبرز من وصف الثروات الطبيعية في نجران من الجغرافيين الأوائل : الهمداني ، حيث نجده قد وصف الموارد المائية وحددها بدقة ، وهي :

- وادي نجران وفروعه من ثلاث مناطق :

أ / من بلد حيف من وادعة .

ب/ من بلد بني جماعة .

ج/ من بلد شاكر[(2)] .

ويخترق وادي نجران هذا مدينة نجران من الغرب إلى الشرق ، ويمتد في أرض منبسطة ، ويبدأ هذا الوادي من قرية المفُوجة ، ثم قرية مذنب ، إلى أن يصب في صحراء الربع الخالي ، ويرتفع هذا الـوادي عن سطح البحر قرابة (٨٠٠٠) قدم[(3)] .

وتقع على جانبي ضفة هذا الوادي الكثير من القرى ، والتي أسهم في قيامها وازدهارها خصـوبة أراضي ضفتي الوادي ، ومن أبرز هذه القرى : قرية الأخدود ، تلك القرية التاريخية التي خـد[(4)] فيهـا الملك ذو نواس الأخدود العظيم ، فأضرم فيه النار ، وأحرق به نصارى نجران[(5)] . قال تعـالى : ﴿ قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ۝ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ ۝ إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا قُعُودٞ ۝ وَهُمۡ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ شُهُودٞ ۝ وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ۝ ﴾[(6)]، وقرية رعاش ، وسكا ا من يام ، وقد كانت مقرا لنصارى نجران ، إلى أن أجلاهم منها عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خلافته[(7)]، والقُرين أيضـًا ليام[(8)]، وشـوكان ،

---

(١) صبح الأعشى ، القلقشندي ٣٩/٥ .

(٢) صفة جزيرة العرب ، الهمداني ، ص١٦٢ .

(٣) انظر : جغرافية المملكة العربية السعودية ، إقليم جنوب غرب المملكة ، عبد الرحمن الشريف ، ج٢ ، ص٤٠٠-٤٠٦ ، وانظر : في بلاد عسير ، فؤاد حمزة ، مكتبة النصر الحديثة - المملكة العربية السعودية ، ط٢ ، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م ، ص١٨١ ، وانظـر : اليمن الخضراء مهد الحضارة ، محمد بن علي الأكوع ، مكتبة الجيل الجديد ، ط٢ ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م ، ص١٥١ .

(٤) الخد والأخدود : هو الشق المستطيل الغائص في الأرض . لسان العرب ، لابن منظور ، مادة (خد) ١٦٠/٣ .

(٥) انظر : معجم ما استعجم ، للبكري (الأخدود) ١٢١/١ ، وانظر : اليمن الخضراء مهد الحضارة ، الأكوع ، ص١٥٠ ، وانظر : الآثـار والتاريخ ، فلاح شيبان ، مؤسسة المدينة للصحافة - جدة ، المملكة العربية السعودية ، ط١ ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م ، ص٣٧ .

(٦) سورة البروج : الآيات (٤-٨) .

(٧) معجم ما استعجم ، للبكري ، رسم (رعاش) ٦٦٠/٢ .

(٨) المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية ، حمد الجاسر ، دار اليمامة - الرياض ، د.ت ، ص١١٤٩ .

والجوز ، والداران ، وسكا ا بنو وادعة من همدان[١]، والحَضن ، وسكا ا وائلة بن شاكر وجيران لهم من ثقيف[٢]، وسوحان ، ومينان ، وسكا ا بنو الحارث بن كعب ، وكذلك هجر ، و ا حصون بـ ـني الحارث بن كعب[٣]، والمفُوجة[٤]، وذات عبر ، وعكْمان ، والغبل[٥]، وقَرقَر[٦]، وسـ ـحبل ، وفي هـ ـذا الموضع دارت رحى يوم سحبل بين بني الحارث بن كعب وبني عقيل في عهد الدولة الأموية ، وقيد على إثر هذا اليوم الشاعر جعفر بن علبة ، وقتل صبرا ؛ لقتله أحد العقيليين[٧]، وبولس مركز التبشير بالدين النصراني[٨]، والقَايِل ، التي ا آثار كعبة نجران[٩].

ومن الأودية الأخرى التي أسهمت في ثراء أرض نجران وازدهار الزراعة ا : وادي حبونة ، ويقع هذا الوادي إلى الشمال من وادي نجران ، ويسير بالاتجاه الموازي له ، إلى أن يلتقي مع وادي نجران عند مصبهما معا في صحراء الربع الخالي[١٠].

أما الأودية الفرعية في نجران ، فأهمها : واديا العرض ، ودماج ، وكلاهما يصبان في وادي نجران ، فيزيدان بذلك من كمية منسوب المياه به[١١].

أما المرتفعات الجبلية فنجدها تكثر في نجران ، حيث إن هذه المنطقة تقع بين سلسـ ـلتين جبليـ ـتين تحيطان ا من الشمال إلى الجنوب ، وتمتد هاتان السلسلتان من الغرب من السراة ، ثم يقل ارتفاعهـ ـا تدريجيا كلما اتجهنا إلى الشرق ، حتى تغور في رمال الربع الخالي[١٢].

وأهم هذه المرتفعات الجبلية : أبو همدان ، وربر ، والأحمر ، والدريب ، والنِصـ ـال ، وزكـ ـم ، والقَهر .. وهذه تمتد من الجنوب الغربي إلى الجنوب الشرقي ؛ أما من الشمال الشرقي فصامح ، وجبل الصقور ، ويريم ، وتصلال[١٣].

---

(١) صفة جزيرة العرب ، الهمداني ، ص٢٨١ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) المصدر السابق .

(٤) انظر : المصدر السابق ، وانظر : بين مكة وحضرموت رحلات ومشاهد ، عاتق البلادي ، دار مكة للنشر ، ط١ ، ١٤٠٢هـ ـ ـ - ١٩٨٢م ، ص١٩٧ .

(٥) صفة جزيرة العرب ، الهمداني ، ص٢٨٣ .

(٦) انظر : المصدر السابق ، وانظر : المعجم الجغرافي ، حمد الجاسر ، ص١١٣٥ .

(٧) سحبل - بفتح أوله وسكون ثانيه ، ثم باء موحدة مفتوحة - : هو اسم موضع في ديار بني الحارث بن كعب . معجم ما استعجم ، للبكري ، رسم (سحبل) ٧٢٧/٣ ، ومعجم البلدان ، رسم (سحبل) ١٩٤/٣ ، وانظر : صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار ، محمد بن عبد الله بن بليهد ، دار عبد العزيز بن محمد آل حسين للنشر والتوزيع - الرياض ، ط١ ، ١٢٦/٥ وما بعدها .

(٨) انظر : اليمن الخضراء مهد الحضارة ، الأكوع ، ص١٥٠ .

(٩) انظر : المعجم الجغرافي ، حمد الجاسر ، ص١١٠٩ .

(١٠) انظر : في بلاد عسير ، فؤاد حمزة ، ص١٦٨ ، وانظر : اليمن الخضراء مهد الحضارة ، الأكوع ، ص١٥١ .

(١١) انظر : صفة جزيرة العرب ، الهمداني ، ص١٦٤ ، وانظر : بين مكة وحضرموت رحلات ومشاهد ، البلادي ، ص١٩١ .

(١٢) المرجع السابق . وانظر : جغرافية الجزيرة العربية ، عمر رضا كحالة ، ص٢٣١ .

(١٣) انظر : في بلاد عسير ، فؤاد حمزة ، ص١٦٨ ، وانظر : اليمن الخضراء مهد الحضارة ، الأكوع ، ص١٥١ .

٣- الأهمية التاريخية والاقتصادية للموقع :

بعد هذا الاستعراض الجغرافي ، والتضاريسي لهذه المنطقة ، لا يفوتني أن أنوه بالأهمية التاريخية لها ، حيث عدت نجران من أقدم المدن التي شهدت استقرارا بشريا على مر التاريخ ، فلهذه المنطقة تـاريخ موغل في القدم ، فقد عرفت من عهود ما قبل الميلاد ، حيث جاء ذكرها في أقدم النصوص التاريخيـة الخاصة بملوك سبأ المكربين(١) ، وهذا مما يدل على أن هذه المدينة كانت من المدن ذات الأهمية في ذلـك العصر ، والذي يرجع في التاريخ إلى ما قبل الميلاد(٢) .

وقد كشفت - كذلك - الكثير من المسوحات والدراسات الحديثة للآثار عن القدم التاريخي لهذه المنطقة ، بل إن البعض من آثار هذا التاريخ القديم لا زالت قائمة شامخة دالة على هذا العمـر القـديم للمنطقة(٣) ، ولقد لعبت هذه المنطقة دورا مهما وخطيرا من الناحية الاقتصادية ، والسياسية ، والدينية في في تاريخ شبه الجزيرة العربية منذ القدم ، حيث ساعدها على ذلك موقعها الإسـتراتيجي المميـز ؛ إذ كانت حلقة وصل بين العربية الشمالية ، والعربية الجنوبية ، كما كانت تطل على أخطر المعابر والطرق الرئيسة التي تربط شمال الجزيرة بجنو ا ، وأبرز هذه الطرق القديمة :

١- طريق يبدأ من قنا (حصن الغراب) بحضرموت ، ويتفرع منه فرعان : يتجه الأول شرقًا على امتداد وادي ميفعه ، ومنه إلى شبونة ومأرب ورداع ، ثم نجران ، ثم يسير شمالاً حتى يصـل مكة ، ويعد هذا الطريق من أبرز وأكثر الطرق التي سلكتها القوافل التجارية القديمة ، ولـه أهمية في التجارة العالمية منذ أقدم العصور(٤) ، ويتجه الثاني من قنا (حصن الغراب) إلى وادي حجر مارا بوادي أرماح ، فشبونة ثم عدن ، حتى يصل إلى نجران ، ثم منها شمالاً إلى قريـة الفاو ، فالأفلاج واليمامة التي يتفرع منها طريقان ؛ أحدهما : يتجه إلى الخلـيج العـربي ، والآخر : إلى بلاد الرافدين ، وبلاد الشام(٥) .

٢- طريق يبدأ من جنوب غرب شبه الجزيرة العربية ، حيث كان يمر بممالك سبأ ومعين وقتبـان

---

(١) انظر : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، جواد علي ٥٣٤/٣ .

(٢) انظر : المرجع السابق ، ونجران في العصر الجاهلي وفي عصر النبوة ، فاطمة مصطفى عامر ، ص١٠ .

(٣) انظر : نجران منطلق القوافل ، عبد الرحمن الأنصاري ، ص٣٥-٣٩ . وانظر : نجران الآثار والتاريخ ، فلاح شـبيان ، ص٢٩-٣٠-٣١ . وانظر : علم الآثار ، جمال عبد الهادي ووفاء محمد رفعت ، دار الشروق - جدة ، ط١ ، ص٥٦-٥٨ .

(٤) انظر : صفة جزيرة العرب ، الهمداني ، ص٣٠٤-٣٠٥ ، و نجران منطلق القوافل ، عبد الرحمن الأنصـاري ، ص١٨ ، وانظـر : النشاط التجاري في اليمن منذ مطلع القرن الثالث الهجري حتى اية العصر الأيوبي ، رسالة مقدمة من : علي بن علي بن حسين لنيل شهادة الدكتوراه في الحضارة والنظم الإسلامية - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية ، الفصل الأول : ١٤٢٣هـ ، جامعة أم القرى - مكة المكرمة ، ٢٦٢/١ .

(٥) انظر : المرجع السابق ٢٨٠/١ ، نجران منطلق القوافل ، عبد الرحمن الأنصاري ، ص١٨-١٩ .

وحمير ، ومن هناك إلى نجران ، ومنها إلى دادان (العلا) ، ثم مدين ، ومنها إلى إيلة (العقبة) ، ثم سلع (البتراء) ، ومنها يتفرع إلى فرعين : فرع يتجه إلى الشام ، والآخر إلى غزة ومصر[١].

٣- طريق يبدأ من حضرموت ثم إلى العبر ، ثم يتجه إلى نجران ، ومنها إلى واحة يبرين ، ثم القُرية (ميناء على قرية الفاو على الخليج العربي) ، ومنها إلى العراق ، أو من يبرين إلى اليمامة[٢].

٤- طريق يبدأ من صعدة ثم إلى نجران ، ومنها يتفرع إلى فرعين ؛ أحدهما : إلى تثليث ، ثم يتجه شرقًا إلى وادي الدواسر ، مارا بقرية الفاو ، ثم يعبر جبال طويق والخماسين ، ثم يتجـه إلى واحات ليلى ، ثم منها إلى الأفلاج ، فالخرج ، ثم اليمامة ، ثم إلى البصرة ، وغيرها من مدن العراق[٣]، والآخر : يتجه من صعدة ، ثم نجران وجرش (عسير) ، حتى يصل إلى الطـائف ، وهذا الطريق هو طريق الحج من اليمن إلى مكة . وقيل : إن هذا الطريق كان قد عبده الملك الحميري تبع ، فهو من الطرق التاريخية القديمة ، ولقد سلك هذا الطريق أبرهة الأشـرم (حاكم اليمن) في انطلاقته التاريخية المشؤومة على مكة[٤]، حيث شهدت نجران هذه الحملة التاريخية ، فقد سار أبرهة من صعدة في اليمن إلى أن وصل إلى نجران ، فجعلها قاعدة لحملته المشؤومة ، والتي خلدها القرآن الكريم كحادثة فريدة من نوعها ، كانت تهدف إلى طمـس ملة إبراهيم عليه السلام ، وإزالة أبرز معالم الدين الحنيفي بهدم الكعبة المشرفة ، فقد أقام أبرهـة في نجران متهيئًا إلى دخول مكة ، حيث مكث فيها بقصره حتى جمع العدة والعتـاد ، وتهيـأ للهجوم إلى مكة ، فسار منها بخيله ورجله وفيله ، سالكًا الطريق إلى مكة[٥] التي حمى الله بها بيته المعظم من كل جبار متكبر ، فأخلد الله العظة بأبرهة وفيله ؛ قال تعـالى : ﴿ أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصۡحَٰبِ ٱلۡفِيلِ ۝١ أَلَمۡ يَجۡعَلۡ كَيۡدَهُمۡ فِي تَضۡلِيلٖ ۝٢ وَأَرۡسَلَ عَلَيۡهِمۡ طَيۡرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرۡمِيهِم بِحِجَارَةٖ مِّن سِجِّيلٖ ۝٤ ﴾[٦].

---

(١) المرجع السابق .

(٢) المرجع السابق . وانظر : صفة جزيرة العرب ، الهمداني ، ص٣٠٤-٣٠٥ .

(٣) انظر : المسالك والممالك ، لأبي القاسم عبيد الله بن عبد الله المعروف بابن خرداذبه ، وضع مقدمته وهوامشه : محمد مخـزوم ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ط١ ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م ، ص١٣٠ ، وانظر : النشاط التجاري في اليمن منذ مطلـع القـرن الثالث الهجري حتى نهاية العصر الأيوبي ، علي بن علي بن حسين ٢٨١/١ .

(٤) انظر : لمحات من تاريخ الحجاز قبل الإسلام ، محمد علي المغربي ، مطبعة المدني - مصر ، والمؤسسة السعودية - المملكـة العربيـة السعودية ، ط١ ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م ، ص١٨٢-١٨٣ .

(٥) انظر : المنمق في أخبار قريش ، محمد بن حبيب البغدادي ، تصحيح وتعليق : خورشيد أحمد فارق ، طبع وزارة المعارف للحكومـة العالية الهندية ، ط١ ، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م ، ص٧٠ .

(٦) سورة الفيل : الآيات (١-٤) ، تفسير القرآن العظيم ، للإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ، قدم له : يوسف يوسف عبد الرحمن المرعشلي ، دار المعرفة - بيروت ، ط٦ ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م ، ٥٨٧/٤-٥٩٠ .

وهكذا نجد أن نجران كانت من أهم عقد الطرق المؤدية إلى العربية الجنوبية ، أو من العربية الجنوبية إلى شمالها ، أو غيرها من المواضع الأخرى في خارجها .

غير أن أبرز الطرق البرية التي أطلت عليها نجران فأثرت في تاريخها تأثيرا بالغا : (درب البخور) ، ذلك الطريق الذي لعب دورا خطيرا في الاقتصاد العالمي ، وفي السياسة الدولية لأعظم إمبراطوريتين في تلك الحقبة من التاريخ الفارسية والبيزنطية . فلقد لعب هذا الطريق دورا اقتصاديا بارزا في التجارة العالمية منذ القرن الألف الأول قبل الميلاد ، حيث عني هذا الطريق بنقل عروض التجارة ، وخاصة البخور ، والصموغ ، والتوابل ، والعقيق ، والأصباغ ، وهي أغلى عروض التجارة في ذلك الوقت من بلاد اليمن والحبشة إلى بلاد مصر والعراق وفارس ، وكان هذا الطريق يمر من بلاد اليمن إلى بلاد الشام ، سالكًا في بعض أجزائه الطريق الذي عبده الملك الحميري (تبع) ، وهو نفس الطريق الذي انطلقت منه حملة أبرهة الأشرم على مكة ، وهو طريق عرف بـ (طريق الفيل)[1] ، ويستمر هذا الدرب - درب البخور - إلى أن يصل إلى بلاد الشام ، ولقد تطلعت إلى هذا الطريق أطماع الإمبراطوريتين الفارسية والبيزنطية ، فكان من آثار هذه التطلعات والأطماع المتعددة : الحملات الغازية والمدمرة لنجران وما حولها من مدن أطلت على هذا الدرب . فقد كان من أقدم الحملات الطامعة التي غزت نجران فدمرتها : حملة القائد أوليوس غاليوس ، بأمر من القيصر الروماني أغسطس ، في حدود سنة (٢٤) قبل الميلاد ، فدمرت هذه الحملة نجران وكثيرا من المدن التي تقع على درب البخور ، بعد محاولات عدة للسيطرة على هذا الدرب ، وعلى العربية الجنوبية[2] .

كما تطلعت إلى نجران مطامع عدة من جهة الجنوب ، حيث عاشت في صراعات كثيرة مع اليمن والحبشة ، فخضعت زمنا طويلاً لحكم تبابعة اليمن ، إلى أن استولى على حكمها قبيلة مذحج .

ثم إن من الجدير بالذكر أنّ كثيرا من هذه الحملات الغازية لنجران كانت تأخذ في طريق محاولة سيطرتها على نجران الطابع العسكري طورا ، والطابع السلمي طورا آخر ، وذلك عن طريق بث ما تدين به من عقيدة على أرض نجران ، وذلك كنوع من إيجاد عصبية دينية تربطها روحيا بنجران وسكانها ، ويسمح لها بالتدخل في شؤون هؤلاء الإخوة لهم في الدين ، ومن هنا يتسنى لها مد نفوذها وسلطانها . ولعل هذا الاعتقاد هو الذي يفسر لنا تعدد الأديان في هذه البقعة من الأرض بالذات .

ومن أبرز الأمثلة على الغزو السلمي والفتح الديني لنجران ، والعربية الجنوبية عامة : حملات التبشير بالدين المسيحي ، التي جهدت الإمبراطورية الرومانية ، ومنذ عهد القيصر قسطنطين واعتناقه

---

(١) انظر : ذاكرة الأرض ، أحمد بن صالح السياري ، ط١ ، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م ، ص٧٤ .

(٢) انظر : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، جواد علي ، ٥٣٤/٣-٥٣٥ ، وانظر : نجران في أطوار التاريخ ، محمد أحمد العقيلي ، ص١٩-٢٠-٢١ ، وانظر : نجران الآثار والتاريخ ، فلاح شيبان ، ص٣٨ .

للديانة المسيحية في حدود سنة ثلاثمائة وثلاث عشرة للميلاد على نشرها في الكثير من البلاد ، وخاصة اليمن ونجران ، في محاولة للسيطرة عليها ، وبالفعل فقد جهدت هذه الإمبراطورية في إنشاء الكنائس ، وتم لها ذلك ، حيث أنشأت كنائس عدة في عدن ، وظفار ، وسقطرى ، ونجران ..

ولا شك أن الأسباب والعوامل السياسية والاقتصادية الدينية - إن صح التعبير - ، والتي أسهمت بشكل كبير في نشر الدين المسيحي في نجران وأجزاء من اليمن ، كانت قد التقت بدعوات دينية محضة آزرت مساعي الإمبراطورية الرومانية في نشر هذا الدين .

وقد كان من أبرز هذه الدعوات : ما قام به التجار النصارى من نشرٍ لهذا الدين . وكذلك المبشرون النصارى ، فلقد طالعتنا العديد من المصادر العربية بالعديد من الروايات التاريخية المختلفة عن أصل وجود الدين النصراني بنجران ، واتفقت العديد من هذه الروايات في جوهر الموضوع والقصة ، وهي أنه كان هناك رجلٌ صالحٌ زاهد متعبد يدين بدين المسيح ، يتجول بين القرى ، حتى قدم على نجران ، فنصب له خيمة فيها ، وكان يتعبد الله ا ، وكان أهل نجران أهل شرك وعبادة أصنام ، فكانوا يبعثون غلما م لتعلم السحر على يد أحد السحرة ، فبعث شخصا من أهل نجران يسمى (الثامر) ابنه عبد الله - على عاد م - إلى ذلك الساحر ، فمر عبد الله بن الثامر وهو في طريقه إلى الساحر ، فرأى هذا الرجل الصالح ، أو كما سمته بعض الروايات (فيمون) قائما يتعبد ويصلي لله ، فأعجب عبد الله بن الثامر مما رأى ، فما لبث أن جلس إلى (فيمون) واستمع إليه ، فأعجب بدينه فدخل فيه ، وقام بالتبشير ذا الدين ، وساعده في تصديق أهل نجران له ودخولهم في هذا الدين ، ما منحه الله له من كرامات عديدة[1] .

بينما هنالك رواية أخرى تذكر أن راهبا يدعى فيمون ، وأصله من بلاد الشام ، وهو من أسرة عريقة ، لها بعض النفوذ والسلطان . وقد آثر فيمون هذا بعد وفاة أبيه العبادةَ والسياحةَ بين البلدان ، وكان رجلاً صالحًا ، مجتهدا ، زاهدا في الدنيا ، فكان يتجول بين القرى ، ويعيش من كسب يده ، فقد عمل بالبناء والمهن الأخرى ، وحدث له من الكرامات الشيء الكثير ، فقد كان يدعو للمرضى فيبرؤون على يده ، فأعجب به رجلٌ من الشام يدعى صالح ، وتنقل معه بين القرى ، حتى بلغا جزيرة العرب ، فاختطفهما بعض الأعراب وباعوهما في نجران ، فكان فيمون من نصيب أحد سادة نجران وأشرافها ، فظل لديه يعمل ، وهو متمسك بدينه وعبادته وصلاته ، فكان يقوم الليل يصلي ويتعبد الله ؛ مما أثار إعجاب سيده ، فسأله عن أمره ، فأخبره فيمون عن دينه ، وسفه عبادة أهل نجران لنخلة كانوا يعبدو ا ، وذكر لسيده بأن هذه النخلة لا تضر ولا تنفع ، وبأنه لو دعا الله عليها لأهلكها الله ، فطلب منه سيده

---

(١) انظر : السيرة النبوية ، لابن هشام ، تحقيق وضبط وشرح : مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي ، دار المعرفة - بيروت ، ط٤ ، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م ، ٥٣/١-٥٤ ، وانظر : البداية والنهاية ، لأبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي ، دار المعارف - بيروت ، ط : ١٩٧٧م ، ١٢٩/٤-١٣٠ ، وانظر : معجم البلدان ، ياقوت الحموي ، رسم (نجران) ٢٦٧/٥ .

الدليل ، فدعا عليها فيمون ، فأهلكها الله بريح اجتثتها من أصولها ، فآمن بقوله سيده ، ودخل في دين المسيحية ، ودعا لهذا الدين قومه ، فدخلوا فيه[1]. لتصبح بعد ذلك نجران مركزا وموطنـًا أصيلاً مـن مواطن الديانة النصرانية بجزيرة العرب ، فلما علم الملك الحميري اليهودي (ذو نواس) حـاكم الـيمن بانتشار هذه الديانة المسيحية في نجران ، تعصب لدينه اليهودي ، كما رأى في ذلك زعزعة لملكه القديم في نجران ، فعمد إلى اضطهاد نصارى نجران ، بل وأحرقهم في أخدود عظيم خده لهم ، في محاولة ناقمة وقاسية منه لردهم إلى دين اليهودية ، وقد شهرت هذه الحادثة في التاريخ بحادثة الأخدود[2]، وقد أثنى الله على هؤلاء الشهداء ؛ قال تعالى : ﴿ قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ۝ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ ۝ إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا قُعُودٞ ۝ وَهُمۡ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ شُهُودٞ ۝ وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ۝ ﴾[3].

فعمد من بقي من نصارى نجران إلى الاستنجاد بنصارى الحبشة ، والذين أوعزت لهـم حكومـة بيزنطة الرومانية ، بل وأمد م بالمال للقضاء على ملك الملك الحميري ذي نواس ؛ انتقاما لشهداء نجران ، واستيلاء بعد ذلك على نجران . وبالفعل فقد قاد الأحباش حملة قوية قضت ا على سلطان الملـك ذي نواس ؛ لتصبح نجران بعد ذلك خاضعة لحكم جديد تابع للأحباش المسيحيين[4].

ولعلنا نستنتج من هذا كله أن الدعوات الدينية التي قامت على أرض نجـران مـن مسـيحية ويهودية ، لم تكن دف إلى توثيق عقيدة دينية فحسب ، بل كانت قد رمت إلى أبعد من ذلـك ، حيث تطلعت إلى تحقيق مكاسب سياسية واقتصادية تنالها حين تمد سلطا ا على هذه الأرض الـتي حباها الله بمميزات عدة .

كما أنه من العقائد التي عاشت في نجران واعتنقها الكثير من أهل نجران : الوثنية ، وهي العقيدة الغالبة على سكان الجزيرة العربية ، فكان من أصنام وأوثان أهل نجران التي عبدوها : يغوث[5]، وقد ورد ذكره في القرآن ؛ قـال تعـالى : ﴿ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ۝ ﴾[6].

---

(١) انظر : السيرة النبوية ، لابن هشام ، تحقيق وشرح وضبط : مصطفى السقا وآخرين ، ٥١/١-٥٢-٥٣ ، وانظر : البدء والتـاريخ ، للمطهر بن طاهر المقدسي ، مكتبة الثقافة الدينية - بور سـعيد ، د.ت ، ١٨٢/٣ ، وانظـر : معجـم البلـدان ، للحمـوي ، رسم (نجران) ٢٦٧/٥-٢٦٨ .

(٢) السيرة النبوية ، لابن هشام ، تحقيق : السقا وآخرين ٥٤/١ ، وانظر : المفصل في تاريخ العرب ، جواد علـي ، وانظـر : البـدء والتاريخ ، للمقدسي ١٨٢/٣-١٨٣ .

(٣) سورة البروج : الآيات (٤-٨) ، تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ٥٢٧/٤-٥٣١ .

(٤) انظر : تاريخ العرب القديم وعصر الرسول ، نبيه عاقل ، دار الفكر - بيروت ، ط٣ ، ١٩٧٥م ، ص١٠٤ .

(٥) الأصنام ، لأبي المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي ، تحقيق : أحمد زكي باشا ، مطبعة دار الكتب المصـرية - مصـر ، ط٢ ، ١٣٤٣هـ - ١٩٢٤م ، ص١٠-٣٢ .

(٦) سورة نوح : الآية (٢٣) .

ولقد اتخذه معظم مذحج ، وأهل جرش[1] ، حتى سمي بعضهم بعبده ، ومنهم الشاعر : عبد يغوث ابـن صلاءة الحارثي[2] ، وكذلك نسر ، وكان لحمير بنجران ، وذو الخلصة ، وقد كانت مروة بيضاء منقوش عليها كهيئة التاج ، وكانت بتبالة بين مكة والطائف ، وكان يحج إليها بعض من بني الحارث بن كعب ، بالإضافة إلى بعض الطوائف من العرب[3] .

وهكذا نجد أن نجران كانت موطنا خصبا لكافة الأديان والعقائد ، حيث عاشت فيها جنبـًا إلى جنب : الوثنية ، واليهودية ، والنصرانية .. إلى أن جاء الله بالإسلام خاتم الأديان لكافة الأنام ، فبعـث الرسول ﷺ في السنة العاشرة من الهجرة إلى أهل نجران : خالد بن الوليد ؛ ليدعوهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم ثلاث مرات ، فرضوا الإسلام دينا ، وقدموا إلى الرسول الكريم في المدينة المنورة في وفد مـن أشراف قومهم ، منهم : قيس بن الحصين ذي الغصة ، وعبد الله بن عبد المدان ، وكان اسمه عبد الحجر ، ويزيد بن عبد المدان ، ويزيد بن المحجل ، وعبد الله بن قُراد الزيادي ، وشداد بن عبـد الله القنـاني ، وعمرو بن عبد الله الضبابي[4] .

فلما قدم وفدهم على رسول الله ﷺ ، قال : « من هؤلاء القوم الذين كأنـم رجال من الهند » ؟. فقيل له عليه السلام : هؤلاء رجال من بني الحارث بن كعب ، ولما وقفوا بين يديه أعلنوا إسلامهم ، فـأثنى عليهم ، وأمر عليهم قيس بن الحصين[5] .

أما من كان من أهل نجران على دين النصرانية فقد احتفظوا بدينهم ، وقد كتب إليهم الرسول ﷺ : " بسم الله ، من محمد رسول الله ، إلى أسقفة نجران ، بسم الله ، فإني أحمد إليكم إله إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ، أما بعد ذلكم فإني أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد ، وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد ، فإن أبيتم فالجزية ، وإن أبيتم آذنتكم بحرب ، والسلام "[6]. فلما تسلّم الأسقف هذا الكتاب ذعر ذعرا شديدا ، ثم استشار كبار رجال نجران في الأمر ، فاستقر رأيهم على خـروج وفـد منهم للقاء رسول الله في المدينة[7] ، فقدموا إلى الرسول ﷺ في وفد من ستين راكبا ، فيهم أربعة عشـر

(١) الأصنام ، لابن الكلبي ، ص١٠ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) المصدر السابق ، ص٣٤ ، وانظر : صفة جزيرة العرب ، للهمداني ، ص٢٤٠ .

(٤) السيرة النبوية ، لابن هشام ٥٠١/٢ ، ٥٢٨/٥ ، الطبقات الكبرى ، محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله البصري الزهري ، دار صـادر - بيروت ، د.ت ، ٥٢٨/٥ .

(٥) المصدر السابق نفسه .

(٦) تاريخ اليعقوبي ، تاريخ أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح ، الكاتب العباسي المعروف بـاليعقوبي ، دار صـادر - بيروت ، د.ت ، ٨١/٢ .

(٧) انظر : البداية والنهاية ، لابن كثير ٥٣/٥ .

رجلاً من أشرافهم ، في الأربعة عشر منهم ثلاثة نفر إليهم يؤول أمرهم ؛ وهم : العاقب ، واسمه عبد المسيح ، والسيد ، واسمه الأيهم ، والأسقف ، أبو حارثة بن علقمة ، أحد بني بكر بن وائل ، وأوس ، والحارث ، فقدموا على الرسول ﷺ المدينة ، فدخلوا عليه في مسجده حين صلى العصر ، وعليهم ثياب الحبرات ، فدخلوا بهيئة لم يدخلها وفد آخر ، فقاموا في مسجد رسول الله وقد حانت صلاتهم ، فصلوا نحو المشرق ، فقال رسول الله ﷺ : « دعوهم »[1]. ثم إنهم بعد ذلك أخذوا يسألون الرسول ﷺ ، وحاجوه في أمر عيسى عليه السلام ، فأنزل الله فيهم صدر سورة آل عمران إلى بضعٍ وثمانين آية منها[2]، حيث نزه الله ﷻ نفسه فيها عما قالوا ؛ قال تعالى : ﴿ الٓمٓ ۝ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝ ﴾[3]، فدعاهم الرسول إلى الإسلام ، لكنهم رفضوا ، ثم دعاهم إلى المباهلة ، فرضوا بها ، وقدموا من الغد ، فلما رأوا الرسول ومعه ابنته والحسن والحسين وعلي بن أبي طالب ، وأيقنوا بصدق نبوته ، تشاوروا في أمرهم ، ثم اعتذروا منه ، وقالوا : يا أبا القاسم ، لا نباهلك ، ولكنا نعطيك الجزية ، فصالحهم الرسول على ألفي حلة من حلل الأواقي ، قيمة كل حلة أربعون درهمًا ، فما زاد أو نقص فعلى حساب ذلك[4].

وبقي منهم من بقي على دينه ، ورضوا بدفع الجزية للمسلمين ، فكانت أول جزية أخذت في الإسلام[5]، و كتب لهم كتابا للصلح ودفع الجزية ، واشترط عليهم في هذا الكتاب ألا يأكلوا الربا ، ثم أمر عليهم الرسول الكريم أبا عبيدة بن الجراح حكما وقاضيا فيهم[6]، وأشهد على هذا الكتاب كلا من من أبي سفيان بن حرب ، وغيلان بن عمرو ، ومالك بن عوف ، والأقرع بن حابس ، والمستورد بن عمرو ، والمغيرة بن شعبة ، وعامر مولى أبي بكر الصديق[7].. وقيل : إن بعض أعضاء هذا الوفد أسلم بعد ذلك ، فممن أسلم : كوز بن علقمة ، أخو الأسقف أبو حارثة[8]، وكذلك أسلم العاقب ، والأسقف[9]،

(١) انظر : السيرة النبوية ، لابن هشام ٥١١/١ ، وانظر : تاريخ اليعقوبي ٨٢/٢ .

(٢) السيرة النبوية ، لابن هشام ٥١٢/١ ، تفسير القرآن العظيم ٣٥١/١-٣٨٦ ، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب ، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي ١٠٧/٣١ وما بعدها .

(٣) سورة آل عمران : الآيتان (١-٢) .

(٤) فتوح البلدان ، للبلاذري ٧٥/١-٧٦ ، الطبقات الكبرى ، لابن سعد ٣٥٨/١ .

(٥) أحكام أهل الذمة ، لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزراعي الدمشقي (ابن قيم الجوزية) ، تحقيق : يوسف أحمد البكري ، شاكر توفيق العاروري ، دار رمادى للنشر - دار ابن حزم ، الدمام - بيروت ، ط١ ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م ، ٨٦/١ .

(٦) انظر : السيرة النبوية ، لابن هشام ٥١٨/١ .

(٧) انظر : الطبقات الكبرى ، لابن سعد ٣٨٧/١ ، وانظر : تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الطبري) ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، ، دار الكتب العلمية - بيروت ، د.ت ، ١٣٩/٣ ، وانظر : البداية والنهاية ، لابن كثير ٥٥/٥ .

(٨) السيرة النبوية ، لابن هشام ٥١٠/١ .

والأسقف[١]، وبقي من نصارى نجران من بقي على دينه فيها ، مقيمين على الصلح ودفع الجزية ، إلى أن أجلاهم عمر بن الخطاب ﷺ منها في خلافته ، واشترى منهم أرضهم وعقارهم . واختلفت الروايات حول الأسباب والدوافع التي أدت إلى سياسة عمر بن الخطاب هذه تجاه نصارى نجران ، برغم ما لهم من كتاب ومعاهدة مع الرسول ﷺ ، فقيل : إن من هذه الدوافع : أن عمر عمل على تنفيذ لحديث روي عن النبي ﷺ في مرضه الذي توفي به ، فإنه قال : « لئن عشت لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب ، حتى لا أدع فيها إلا مسلما »[٢]، وفي رواية : « لا يجتمع في جزيرة العرب دينان »[٣].

وقيل : لأنهم نكثوا الصلح وتعاملوا بالربا[٤]، وقيل : إن نصارى نجران كانوا قد تكاثروا ، وبدأ الشقاق والتحاسد بينهم ، فلجأوا إلى الخليفة عمر بن الخطاب ، وطلبوا منه أن يأذن لهم بالجلاء عن بلادهم إلى غيرها ، فوافق عمر ، إلا أنهم بعد ذلك ندموا ، وطلبوا من عمر العفو والعودة لديارهم ، لكنه رفض ذلك ، فتفرقوا في الشام والعراق[٥]. ولعل هذه الأسباب جميعا قد تضافرت ، فكانت سببا لجلائهم عن نجران .

ثانياً : أهم العوامل المؤثرة في ازدهار الشعر في نجران :

١- قبيلة الحارث بن كعب :

يشير العديد من الروايات إلى أن أقدم القبائل التي سكنت نجران هي قبيلة جرهم[٦]، وكان منهم : الأفعى بن الحصين بن غنم بن رهم بن الحارث الجرهمي[٧]، وفي رواية : الأفعى بن الأفعى الجرهمي[٨]،

---

(١) طبقات ابن سعد ١/ ٣٥٨ ، وابن خلدون ٥٧/٢ .

(٢) مسند أحمد بن حنبل ، أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني ، مؤسسة دار قرطبة - مصر ، د.ت ، ٣٢/١ ، والجامع الصحيح سنن الترمذي ، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ١٥٦/٤ .

(٣) سنن البيهقي الكبرى ، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي ، تحقيق : عبد الغفار سليمان البنداي ، وسيد كسروي حسن ، دار دار الكتب العلمية - بيروت ، ط١ ، ١٤١١هـ - ١٩٩١م ، ١١٥/٦ ، أحكام أهل الذمة ، لابن القيم ٥٩٢/١ ، الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الماوردي ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط : ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م ، ١٨٩/١ .

(٤) انظر : أحكام أهل الذمة ، لابن القيم ١٨١/١ .

(٥) انظر : فتوح البلدان ، للبلاذري ٧٨/١ ، انظر : الكامل في التاريخ ، عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني ، المعروف بابن الأثير ، تحقيق : عبد الله القاضي ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط٢ ، ١٤١٥هـ ، ٢٠٠/٢-٢٠١ .

(٦) تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر ، وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، للعلامة عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي المغربي ٣٥٥/٢ ، صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، للقلقشندي ٤٣/٥ ، وانظر : المفصل في التاريخ ، جواد علي ٥٣٦/٣ ، وانظر : نجران في أطوار التاريخ ، محمد العقيلي ، ص٤٠-٤١ .

(٧) المحبر ، أبو جعفر محمد بن حبيب ، رواية أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري ، عنيت بتصحيحه : ايلزة ليختن شتيتر ، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت ، د.ت ، ص١٣٢ .

الجرهمي[1]، حاكم نجران وكاهنها ، وهو الذي تحاكم إليه أبناء نزار بن معد بعد موت أبيهم ؛ إذ كان قد أوصاهم إذا تنازعوا في إرثه بعد موته أن يذهبوا إلى كاهن وحاكم نجران ليحكم بينهم[2]، ثم خلف على نجران بعد ذلك قوم من قحطان ، ثم قوم من حمير ، الذين كانوا ولاة للتبابعة ، وكان كل أمـير منهم يلقب بالأفعى تبعا لسنن من كان قبلهم من جرهم ، ومنهم : القلمس بن عمرو بن همدان بـن مالـــــــــــــــــــك بـــــــــــــــــــــــــــــن منتاب بن زيد بن وائل بن حمير بن سبأ الأكبر ، وقد كان واليـًا للملكة بلقيس على نجران ، فبعثته إلى نبي الله سليمان عليه السلام ، فلما تقابل معه آمن به وبدينه ، وبث الديانة اليهودية في نجران[3]، ثم استولى بعد بعد ذلك على نجران بنو مذحج[4]، وقد كانت مذحج من أكثر القبائل بطونا وفروعـًا ، فمن فروعها وبطو ا المتعددة : سعد العشيرة ، وزبيد ، والنخع ، وبنو صداء ، والحارث بن كعب ، وأود[5]، فجعل فجعل هذا المقام ا في أرض واحدة يضيق ا ومعائشها وحيا ا ، فاعتمدت على قو ا ومنعتها لتتخذ لفروعها وبطو ا المتعددة أوطانا أخرى ، فانتشرت وتفرقت في جنوب الجزيرة العربية شمالاً ، وشرقًا ، وجنوبا ، وغربا ، فكان لكل قبيلة منها وطن ومستقر خاص تحكمه .

وهكذا سيطرت مذحج بفروعها المتعددة على جنوب الجزيرة العربية ، وأصبح نصيب بني الحارث بن كعب من هذا الجنوب : نجران ، حيث غدت ديارهم الأصلية بالإضافة لما حولها من الأفراط التي بـين الجوف ونجران ، وفي جبال القهر ، إلا أن بعض البطون منهم قد تفرقت في بلاد مذحج الواسعة علـى شكل أقليات ، في براقش من أرض الجوف ، وريدة الصيعر ، وأرض الدثينة ، وسرو مذحج ، وفي بلاد

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢٥٨/١ .

(٢) المحبر ، لابن حبيب ، ص١٣٢ ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي ، تحقيق : محمد محـي الـدين عبد الحميد ، دار السعادة - مصر ، ط٤ ، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م ، ١١٣/٢-١١٤ ، بلوغ الأرب في معرفة أحـوال العـرب ، محمود شكري الألوسي ، شرح وتصحيح وضبط : محمد جة الأثري ، دار الكتب العلميـة ، بـيروت ، ط١ ، ١٣١٤هـ ، ٢٦٤/٣– ٢٦٥-٢٦٦ .

(٣) انظر : صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، للقلقشندي ٤٥/٥ ، وانظر : تاريخ ابن خلدون ٢٥٥/٢ ، وانظر : المفصل في تاريخ العرب العرب قبل الإسلام ، جواد علي ٥٣٦/٣ .

(٤) مذحج : واسمه مالك بن أدد بن زيد ، وهو من كهلان جد يماني جاهلي قديم ، ومذحج على وزن مسجد ، واختلف في أصل هذه التسمية ، فقيل : نسبة إلى أمه التي أذحجت ، أي أقامت عليه بعد موت والده ، وقيل : نسبة إلى أكمة حمراء ولد عليها مالـك هـذا . الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، خير الدين الزركلي ، دار العلـم للملايـن - بيروت ، ط٥ ، ١٩٨٠م ، ١٩٨/٧ ، وانظر : جمهرة أنساب العرب ، لابن حزم ، ص٤٠٥ ، وانظر : تاريخ ابن خلـدون ٢٥٥/٢ ، وانظر : التعريف في الأنساب والتنويه لذوي الأحساب ، محمد بن أحمد بن إبراهيم الأشعري ، تحقيق : سعيد عبد المقصود ظـلام ، نشر نادي أ ا الأدبي ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م ، ص١٦٩-١٧٠ .

(٥) جمهرة أنساب العرب ، لابن حزم ، ص٤٠٥-٤١٢-٤١٣ ، وانظر : شعر قبيلة مذحج في الجاهلية والإسلام ، محمد بن عبد الله بن مبارك ، نشر نادي جازان الأدبي ، ط١ ، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م ، ١٧/١-٢٤ .

همدان بين صنعاء وصعدة ، وفي فلاة صيهد[1] .

فأصبحت سلطة ورئاسة نجران بيد قبيلة الحارث بن كعب ، إلا أنه من الجدير بالذكر أن نجـران وبالرغم من استيلاء مذحج عليها ، ثم كون سلطتها أصبحت بعد ذلك لبني الحارث بن كعب ، إلا أنه قد عاشت على أرضها العديد من القبائل العربية ، وتعايشت ا جنبا إلى جنب ، ومن أبرز هـذه القبائل : قبيلة جرهم ، وهي الأقدم سكنى لنجران ، حيث إن استيلاء مذحج على نجـران كـان استيلاء على السلطة والرئاسة ، وليس إجلاء لهم ، وينهض على هذا دليل ما ورد من أن العاقـب والسيد من وفد نصارى نجران ، اللذين أرادا مباهلة الرسول ﷺ كانوا من أبناء الأفعى الجرهمـي[2] ، كما جاء أيضـًا في تاريخ الطبري من أنه لما وصل خبر وفاة الرسول ﷺ إلى نجران ، كان ا مـن بني الأفعى أربعون ألفًا[3] .

فلقد كانت الأكثرية في نجران لجرهم ، والتي وإن كان قد نضب معين عصبيتها ، إلا أ ـا قـد احتفظت بجوهر عنصرها العربي الخالص في نجران[4] ، وليس بدعا أن تكون السيادة في قـوم ، وهنـاك الأكثرية التي تحكم[5] ، كما كانت نجران كذلك ملتقى الهجرات القديمة من اليمن ، حيث مرت ـا العديد من القبائل اليمنية المهاجرة بعد سيل العرم في طريق هجر ا المتطلعة نحو الشمال العربي ، والباحثة عن أرض تجمع فلولهم المتفرقة ، فمرت هذه القبائل المهاجرة بزعامة عمرو بن عامر بن ماء السماء بـن الغطريف وأبنائه : وادعة ، وذهل ، وعمران ، وحارثة ، وجفنـة ، والحـارث ، وثعلبـة العنقـاء ، وأبي حارثة ، ومالك ، وكعب ، وهم جميعا من قبيلة الأزد ، وهي من أشهر وأكبر قبائـل الـيمن[6] . فمرو بنجران محاولين من ذلك اتخاذها أرضا لهم ، إلا أن قبيلة مذحج تصدت لهم وحاربتهم عليهـا ، فتفرقوا في البلاد[7] ، فبقي قسم منهم من بني ذهل في نجران واستقروا ا ، وكان منهم إيليـاء الـذي

---

(١) انظر : صفة جزيرة العرب ، للهمداني ، ص٩٠-٢٦٥ ، وانظر : معجم ما استعجم من أسماء الـبلاد ، للبكـري ١٣٨/١ ، ١١٠٠/٣ ، وشعر قبيلة مذحج في الجاهلية والإسلام ، محمد بن عبد الله ٣٠/١ .

(٢) المحبر ، لابن حبيب ، ص١٣٢ .

(٣) تاريخ الطبري ٢٩٥/٢ ، وانظر : نجران في أطوار التاريخ للعقيلي ، ص٤١ .

(٤) انظر : المرجع السابق ، ص٤٢ .

(٥) انظر : المرجع السابق .

(٦) انظر : السيرة النبوية ، لابن هشام ٣٥/١-٣٦ ، وانظر : جمهرة النسب ، لأبي المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي ، تحقيق : نـاجي حسن ، عالم الكتب - بيروت ، ط١ ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م ، ص٦١٥ ، وانظر : البدء والتاريخ ، للمقدسي ١٩٥/٣ ، وانظـر : قلائد الجمان في العريف بقبائل عرب الزمان ، لأبي العباس أحمد بن علي القلقشندي ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، دار الكتب الحديثـة - القاهرة ، ط١ ، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م ، ص٩١ ، وانظر : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، للمسعودي ١٩٠/٢-١٩١ .

(٧) انظر : جمهرة أنساب العرب ، لابن حزم ، ص٣٢٩-٣٣٠-٣١٣-٣٣٢ إلى ٤٥٤ ، وانظر : صبح الأعشى في صـناعة الإنشـا ، للقلقشندي ٣٧٠/١-٣٧١ ، وانظر : التعريف في الأحساب والتنويه لذوي الأنساب ، للأشعري ، ص١٢٤ وما بعدها .

شرف ا ، حتى أصبح أسقفًا من أساقفة نجران[1] ، كما أقام كذلك حارثة وعشيرته في نجـران بجـوار مذحج صلحا . ويذكر ابن خلدون أن هؤلاء من بني الأزد الذين أقاموا في نجران شاركوا المذحجين في حكمها[2] ، وتذهب رواية أخرى للمسعودي إلى أن بعض الأزديين استولوا على حكم نجران ، وأن بني الحارث بن كعب أهل سلطة نجران وحكامها هم أبناء أبي حارثة بن عمرو بن عامر بن مزيقياء[3] ، فهم بنو الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد ، وفي هذه الرواية ما أوهم بعض المؤرخين في قولهم : إن بني الحارث بن كعب أصحاب سلطة نجران هم من الأزد[4] ، وهذا - لا شك - خلاف لما روته العديد من المصادر التاريخية والتراثية ، التي ذكرت أن بني الحارث بن كعـب سـادة نجـران وأصحاب سلطتها هم من قبيلة مذحج[5] .

ولكن يبقى في اعتقادي صحة ما رواه المسعودي عن اندماج وانصهار بعض الأزديين الذين أقاموا في نجران صلحا بجوار مذحج بمرور الوقت ، حتى انتسبوا في هذه القبيلة ، بل تلاشوا فيها ، وهو رأي أصوب مما وهم فيه حين ذكر أن بني الحارث بن كعب سادة نجران هم من بني الأزد[6] ، كما يدعم صحة هذا الرأي عن انـدماج وانصهار الأزديين في بني الحارث بن كعب المذحجي ، استمرار سلطة ورئاسة نجران في يد قبيلة الحـارث بـن كعب المذحجي من خلال أسرة جديدة تنتمي لهم ، وهم بنو عبد المدان بن الديان الحارثي[7] .

كما سكنت نجران كذلك بعض الفروع الأخرى من مذحج ، كأود ، وسعد العشيرة ، وغيرهـا .. وسكنها أيضا بعض القبائل اليمنية الأخرى ، كيام ، وهمدان ، " ليام وطن بنجران نصف ما مع همدان "[8] . وهكذا نجد أن نجران اختلطت وعاشت على أرضها الكثير من القبائل العربية المختلفـة ، والـتي خضعت جميعا لسلطة وسيادة بني الحارث بن كعب ، هذه القبيلة التي فرضت نفسها على سلطان نجران ؛ لما تميزت به من قوة ومنعة استمد ا أولاً من عصبيتها المذحجية القوية ، ثم من تفوقها الأدبي ، والـذي اتسم به فرسا ا ورجالها ، فقد شهر منهم العديد من الخطباء والشعراء ، كما كانت قبيلتهم من أبرز القبائل التي كان لها ديوان شعر يجمع شعر قبيلتهم ، ذكر في العديد من المصادر باسم كتاب بـني الحـارث بـن

---

(1) انظر : جمهرة النسب ، للكلبي ، ص٦١٧ ، وانظر : جمهرة أنساب العرب ، لابن حزم ، ص٣٣١ .

(2) انظر : تاريخ ابن خلدون ٢٥٥/٢ .

(3) مروج الذهب ومعادن الجوهر ، للمسعودي ١٩٠/٢ .

(4) صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، للقلقشندي ٤٤/٥ ، نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب ، ابن سعيد الأندلسي ، تحقيق : نصرت نصرت عبد الرحمن ، مكتبة الأقصى - عمان ، الأردن ، ط١ ، ٢٣٨/١ .

(5) انظر : تاريخ ابن خلدون ٣٥٥/٢ .

(6) انظر : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، للمسعودي ١٩٠/٢ .

(7) تاريخ ابن خلدون ٢٥٦/٢ ، انظر : نجران في أطوار التاريخ ، محمد العقيلي ، ص٤٤ .

(8) صفة جزيرة العرب ، للهمداني ، ص٢٢٦-٢٣٧ .

كعب[1]، إلا أنه من المؤسف أن نعلم بأن عادية الدهر والإهمال كانت قد أتت على ديوا م هذا فيمـا أتت عليه من دواوين للقبائل الأخرى ، والتي لم تبق منها ولم تذر ، سوى ديوان هذيل ، تحت أسباب وعوامل لم يكشف عن كثير منها التاريخ والأيام .

وقبيلة الحارث بن كعب تنتمي في الأصل إلى جدها الأكبر الحارث بن كعب بن عمرو بن علة بن جلد بن مالك بن أُدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ ، (فهـم مـن مالـك المعروف بمذحج)[2]، ويقال لهم أحيانا بلحارث بن كعب[3].

ولقد كان لهذه القبيلة من المناقب والمآثر العظيمة ما جعلها بيت مذحج وعمادها ، فلهم الرئاسـة في جميع أيامها ، فقد أسهمت قبيلة بلحارث - لا شك - في قوة وسؤدد قبيلتها الأم (مذحج) ، حتى عرفها العرب بمذحج الطعان[4].

ومن أبرز الأيام التي شهد ا بلحارث بن كعب مع قبيلتها مذحج ، أو فيما بينها وبـين فـروع مذحج الأخرى :

يـوم البيـداء :

يعد هذا اليوم من أقدم أيام العرب ، وقيل في سببه : إن قبيلة مذحج كانت تبحث عن متسـع مـن الأرض لتقيم عليه ، فاصطدمت بقبائل معد النازلة في امة ؛ إذكانت بلادهم الأصلية ، فبرزت لمذحج قبيلة عدوان وعليها عامر بن الظرب العدواني ، فجمع لمذحج قبائل معد النازلة بتهامة ، فهاجمهم وانتصر عليهم ، ويقال : إن هذا اليوم أول يوم اجتمعت فيه معد تحت راية واحدة ؛ هي راية عامر بن الظرب[5].

---

(١) المؤتلف والمختلف ، لأبي القاسم الحسن بن بشر بن يحيى الآمدي ، تحقيق : عبد الستار أحمد فراج ، دار إحياء الكتب العربية - مصر ، ط : ١٣٨١هـ - ١٩٦١م ، ص٣ ، والفهرست ، لابن النديم ، محمد إسحاق النديم ، تحقيق : ناهد عثمان عباس ، دار قطري بن الفجاءة ، ط١ ، ١٩٨٥م ، ص٣٠٢ ، وانظر : مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية ، ناصر الدين الأسد ، دار المعارف - مصر ، ط٧ ، ١٩٨٨م ، ص٥٤٣-٥٤٦ .

(٢) انظر : جمهرة أنساب العرب ، لابن حزم ، ص٤١٦ و ٤٠٥ ، وانظر : صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، للقلقشندي ٣٨٠/١ .

(٣) المصدر السابق .

يعد قولنا بلحارث لبني الحارث بن كعب من شواذ الإدغام ؛ لأن النون واللام قريبتا المخرج ، فلما لم يمكنهم الإدغام بسكون اللام حذفت النون ، كما يقال في مست وظلت ، وكذا تفعل العرب في كل كلمة تظهر فيها لام المعرفة ، مثل بلعنبر ، وبلهجم ، فأمـا إذا لم تظهر اللام فلا يكون ذلك . انظر : لسان العرب ، لابن منظور ، مادة (حرث) ١٣٧/٢ .

(٤) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي ، تحقيق : محمد محيي الـدين عبـد الحميـد ، دار الجيل - بيروت ، ط٤ ، ١٦٢٧م ، ١٩٤/٢ ، وانظر : العقد الفريد ، لأبي عمر أحمد بن محمد بن عبـد ربـه الأندلسـي ، شرح وضبط : أحمد أمين وإبراهيم الأبياري وعبد السلام هارون ، قدم له : عمر عبد السلام تـدمري ، دار الكتـاب العـربي ، د.ت ، ٣٣٤/٣ .

(5) انظر : المحبر ، لابن حبيب ، ص٢٤٦ ، وانظر : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، جواد علي ، ص٣٤٥-٣٤٦ .

يـوم خـزاز[1] :

وهو كذلك من الأيام القديمة بين العدنانية والقحطانية ، ففي هذا اليوم تحالفت قبائل مضر وربيعة وقضاعة ، وساروا لقتال بعض ملوك اليمن الذين انضم إليهم بعد ذلك قبائل مذحج ، فدارت رحـى هذا اليوم في مكان يقال له خزاز[2] .

يـوم شراحيـل :

ينسب هذا اليوم إلى شراحيل بن الأصهب الجعفي ، من رؤساء مذحج ، وهو من الفرسان الجرارين ، ولا يسمى الفارس جرارا إلا إذا رأس ألفًا[3]، وقد كان شراحيل عقد حلفًا مع قبائل كعب بن عامر بأن يعبر بلادها ، فلا يتعرضون له ولا يتعرض لهم ، وفي إحدى غزواته اعتدى أتباعه على إبل لبني جعـدة أبناء عم بني عقيل[4]، فأخذوها ونحروها ، فاشتكت جعدة إلى شراحيل ، فقال : إن هؤلاء قوم مغيرون ، وهم راحلون عنكم ، وأرجو أن تصفحوا عن ذنبهم ، ولكن عذر شراحيل لم يرض جعدة ، فدبرت مكيدة لشراحيل وخاصته ، حيث عمل الورد بن ربيعة الجعدي طعاما لشراحيل ، بينما أرسـل أخـاه الرقاد يستنجد بقبائل كعب ، وقد قتل ورد الجعدي شراحيل عندما كان في طريقه إلى الطعام ، وقتـل خاصته الذين كانوا يرافقونه ، وعندما علمت مذحج بذلك دارت المعركة بينهم وبين قبائـل جعـدة وعقيل المتحالفة في عقيق بني عقيل[5] .

يـوم الكُـلاب الثـاني :

أردف هذا اليوم يوم الصفقة الذي أوقع فيه كسرى ببني تميم[6]، فلما بلغ مذحج ما أصاب تمـيم من هزيمة ، طمعوا فيهم ، وأرادوا اغتنام أموالهم ، وسبي نسائهم وذراريهم ، فمشى بعضهم إلى بعض ،

---

(1) ويقال أيضا لهذا اليوم : خزازى . انظر : العمدة ، لابن رشيق ٢١٢/٢-٢١٣ ، وانظر : مجمع الأمثال ، أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني النسابوري ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار المعرفة - بيروت ، د.ت ، ٤٣٣/٢ .

(2) انظر : كتاب أيام العرب قبل الإسلام ، لأبي عبيدة ، القسم الأول ، عادل جاسم البياتي ، مطبعة دار الجاحظ للطباعـة والنشـر - بغداد ، ط : ١٩٧٦م ، ص٣٧٩ وما بعدها ، معجم ما استعجم ، للبكري ، مادة (خزاز) ٤٩٦/٢ ، وانظر : العقد الفريد ، لابن عبد ربه ٢٣١/٥ .

(3) المحبر ، لابن حبيب ، ص٢٥١ .

(4) عقيل وجعدة هم أبناء كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بـن خصـفة بـن قيس عيلان . جمهرة النسب ، للكلبي ، ص٣٣٢ ، ٣٥٢ ، جمهرة أنساب العرب ، لابن حـزم ، ص٤٨٢ ، قلائـد الجمـان ، للقلقشندي ، ص١١٩ .

(5) انظر : الأغاني ، لأبي الفرج علي بن الحسين ، إعداد : مكتب تحقيق دار إحياء التراث العربي ، دار إحياء التراث العربي - لبنـان ، ط١ ، ١٦/٥-١٧ .

(6) انظر : كتاب أيام العرب قبل الإسلام ، لأبي عبيدة ، القسم الأول ، عادل البياتي ، ص٤٢٢ ومـا بعـدها ، وانظـر : الأغـاني ، للأصفهاني ، ٢٠٣/١٧ وما بعدها ، و ٤٨٧/١٦ .

وقالوا : اغتنموا تميم ، وبعثوا الرسل في قبائل اليمن وأحلافهم ، ثم إ م شاوروا المأمور الحارثي الكاهن في غزوهم ، إلا أنه اهم ، ولكنهم لم يطيعوه ، فساروا ومن لفهم من جموع كندة وهمدان ، فخرجوا في جيش عظيم بلغ اثني عشر ألف فارس ، فكان أعظم جيش أخرجته العرب ، فلا يعلم جيش أعظـم منه ، ومن جيش كسرى يوم ذي قار ، وجيش يوم جبلة[1]. فساروا ذا الجيش العظيم تحت رئاسـة عبد يغوث بن صلاءة الحارثي ، حتى أقبلوا على تميم ، فلما بلغ ذلك سعد والرباب ، انطلقوا أشـرافهم ، ومنهم : أكثم بن صيفي (قاضي العرب) ، والأغبر بن عصمة التميمي ، وغيرهم .. فأشار عليهم أكثم بالثبات وعدم الخلاف ، فانصرفوا من عندهم وقد استعدوا للقتال ، فدارت رحى الحرب بين الفريقين ، فدارت الدائرة على مذحج وحلفائها ، وكان النصر لبني تميم بعد أن كثر القتل في الفريقين ، وفي هذا اليوم أسر عبد يغوث قائد مذحج ، وقتل بدم فارس الرباب النعمان بن جساس ، وفي هذا اليوم أنشـد عبد يغوث مرثيته الشهيرة التي قالها قبل موته[2].

يـوم نجـران :

كان للأقرع بن حابس بن عقال وقومه بني تميم على قبائل مذحج بنجران ، حيث أغار على نجـران بجيش بلغ الألفي مقاتل . وقد اجتمعت في هذا اليوم قبائل نجران وحلفاؤها ، فدار القتال بين الفريقين ، ثم كان النصر حليفًا للأقرع وقومه[3].

يـوم فيـف الريـح :

وقع هذا اليوم بعد بعثة الرسول ﷺ ، وقد دار بين بني عامر بن صعصعة ، وبني الحارث بن كعب[4] ، وسببه أن بني عامر كانت تطلب بني الحارث بأوتار كثيرة ، فجمع بنو الحارث جموعهم بقيادة الحصين بن يزيد بن شداد الحارثي (ذو الغصة) ، فأقبل في جموع من بني الحارث ، وجعفى ، وزبيد ، وسعد العشيرة ، ومراد ، وصداء ، و د ، كما استعانوا كذلك بخثعم ، فخرجت شهران وناهس ، و أكلب ، وغيرها .. وعليهم أنس بن مدرك الخثعمي ، فأقبلوا جميعا يريدون بني عامر ، وهم مجتمعون في مكان يقال لـه :

---

(١) العقد الفريد ٢١٣/٥ .

(٢) وقد عر ف هذا اليوم بأسماء متعددة ، منها : يوم ثيتل . انظر : المحبر ، لابن حبيب ، ص٢٤٨، وكذلك يوم الشـعبة . انظـر : العمدة ، للقيرواني ٢٠٦/١ ، وانظر : العقد الفريد ، لابن عبد ربه ٢١١/٥ إلى ٢٢٠ . وكذلك حز الدوابر . كتاب أيام العرب ، لأبي عبيدة ، عادل البياتي ، ص٤٢٩ .

(٣) انظر : النقائض بين جرير والفرزدق ، لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي ، وقف على طبعها وتصحيحها : محمد إسماعيـل عبـد الله الصاوي ، مطبعة الصاوي ، د.ت ، ٤٤/١ ، مجمع الأمثال ، للميداني ٤٤٢/٢ .

(٤) العقد الفريد ، لابن عبد ربه ٢٢٢/٥ .

(فيف الريح) بين ديار عامر بن صعصعة وديار مذحج وخثعم[1]، فأخرجت مذحج معها النساء والذراري ؛ حتى لا يفروا ، فإما ظفروا ، وإما ماتوا جميعا . واستعدت لهم بنو عامر ، وكان عليهم عامر بن مالك (ملاعب الأسنة) ، وعامر بن الطفيل ، فالتقى الفريقان واقتتلوا قتالاً شديدا ، فأسرع القتل بين الفريقين ، إلا أنهم لم تغنم طائفة منهم الأخرى ، فتساوى الطرفان بلا نصر مبين لأحدهما على الآخر . وكان ممن أبلى بلاءً حسنا في هذا اليوم : عامر بن الطفيل (فارس بني عامر) ، حيث فقأ عينه مسهر بن يزيد الحارثي[2]، كما سمي هذا اليوم بحريجة الطعان ؛ لأنهم اجتمعوا برماحهم ، فصاروا بمنزلة الحرجة ، وهي الشجر المجتمع[3].

يوم الرزم :

وقع هذا اليوم بعد ظهور الدين الإسلامي ، فكان في السنة الثانية للهجرة النبوية ، وقد صادف يوم غزوة بدر[4]. وكان يوم الرزم بين مراد وهمدان ، حيث تنازعوا على الصنم (يغوث) ، فتحالفت همدان مع بني الحارث بن كعب ، والتقوا مع مراد في مكان يقال له (الرزم) جنوبي نجران ، واحتدم القتل بينهم ، حتى كان النصر لبني الحارث وهمدان ، فأنزلتا بمراد هزيمة منكرة ، وظفروا بالصنم يغوث ، فجعلوه عند بني عبد النار من الضباب ، وهم فرع من بني الحارث ، فظل الصنم لهم بنجران[5].

يوم سحبل[6]:

وقع هذا اليوم في أخريات عهد الدولة الأموية ، وكان بين بني الحارث بن كعب وبني عقيل ابن كعب[7]، وهذا اليوم وإن دارت أحداثه في عهد الإسلام ، إلا أن طبيعته كانت أقرب إلى الطبيعة

---

(1) انظر : معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، للبكري ، رسم (فيف) ١٠٣٨/٣ ، وانظر : معجم البلدان ، للحموي ، رسم (فيف) ٢٨٥/٤ ، وانظر : النقائض ، لأبي عبيدة ١٧٢/٢ ، ٢١٣/٢ ، وانظر : العمدة ، للقيرواني ٢١٣/١-٢١٤ .

(2) الكامل في التاريخ ، لابن الأثير ٥٠٢/١ .

(3) المصدر السابق ٥١٩/١ .

(4) انظر : الإكليل من أخبار اليمن وأنساب حمير ، الكتاب العاشر ، في معارف همدان وأنسابها وعيون أخبارها ، لسان اليمن أبي محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني ، الدار اليمنية للنشر والتوزيع ، ط٢ ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ، ص١٦٣ ، وانظر : معجم البلدان ، للحموي ، رسم (رزم) ٤٢/٣ ، السيرة النبوية ، لابن هشام ٤٩١/٤ .

(5) انظر : الإكليل من أخبار اليمن وأنساب حمير ، الكتاب العاشر ، للهمداني ، ص٨٦ ، وانظر : معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، للبكري ، رسم (رزم) ٦٤٩/٢/١ ، وانظر : خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، عبد القادر بن عمر البغدادي ، تحقيق وشرح : عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي - مصر ، ط٢ ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨١م ، ١١٠/٤ .

(6) سحبل - بفتح أوله وسكون ثانيه ، ثم باء موحدة مفتوحة - : هو اسم موضع في ديار بني الحارث بن كعب . معجم ما استعجم ، للبكري ، رسم (سحبل) ٧٢٧/٣ ، ومعجم البلدان ، رسم (سحبل) ١٩٤/٣ .

(7) بنو عقَيل هم قبيلة قيسية تنسب إلى عقَيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر ، وقد جاوروا بني الحارث بن كعب في مساكنهم . انظر : جمهرة أنساب العرب ، لابن حزم ، ص٤٨٢ ، وانظر : قلائد الجمان ، للقلقشندي ، ص١١٩ ، وانظر : شعراء بني عقَيل وشعرهم في الجاهلية والإسلام حتى

والروح الجاهلية المعتمدة على التعصب والحمية ، لذا نجد الميداني كان قد عده من بين أيام الجاهليـة ، وتبعه في ذلك محمد جاد وزميله في تتبعهم لأيام العرب[1] .

وكان سبب هذا اليوم أن جعفر بن علبة الحارثي ورجالاً من بني الحارث بن كعب كانوا يزورون نساء بني عقيل ويترددون على ديارهم ، فنذر بنو عقيل بجعفر ألا يفعلوا ذلك ، ثم إنهم قبضوا بعد ذلك على جعفر ، ثم كشفوا عن دبر قميصه وربطوه ، وجعلوا يضربونه بالسياط ويقبلون به ويدبرون أمـام النساء اللواتي كان يتحدث إليهن ، حتى فضحوه وهو يصرخ فيهم ، ويقول : يا قوم القتل خـير ممـا تصنعون ، فلما بلغوا منه مرادهم أطلقوه ، فمضت أيام على ذلك ، ثم أخذ جعفر أربعة من رجال قومه ، منهم : علي بن جعدب القناني الحارثي ، والنضر بن مضارب المعاوي[2] ، فرصدوا للعقيليين حتى ظفروا برجل منهم ممن فضح جعفر ، فقبضوا عليه وانتقموا منه بشر مما فعل بجعفر ، ثم أطلقوه ، فرجع العقيلي إلى قومه فأنذرهم ، فسار بسبعة عشر فارسا من بني عقيل حتى لحقوا بجعفر وأتباعه في مكان يقال لـه سحبل في ديار بني الحارث بن كعب[3] ، فاقتتل الفريقان هناك قتالاً عنيفًا ، فقتل جعفر بن علبة رجـلاً من بني عقيل يقال له خشينة ، فاستعدى العقيليون إبراهيم بن هشام المخزومي عامل مكـة ، فرفـع الحارثيون الأربعة من نجران إليه فحبسهم بمكة ، ثم إن علي بن جعدب فر من السـجن ، وقيـد مـن الحارثي الآخر ، وقيل : اسمه النضر بجراحة ، فاقتص منه ، أما جعفر بن علبة فقد أقامت عليه بنو عقيل قسامة ؛ أقسموا أنه قتل صاحبهم ، فقتل به قصاصا في عهد الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك[4] .

يـوم آل شـداد :

حدث هذا اليوم بين عقيل وآل شداد من بني الحارث بن كعب بعد يوم سحبل ، فقد أغـارت عقيل على آل شداد خاصة من بني الحارث بن كعب ، فأصابوا منهم أموالاً اغتنموها[5] .

هذا ، وقد خاضت كذلك قبيلة الحارث بن كعب الكثير من الأيام ، والتي وإن لم يصلنا الكـثير

آخر العصر الأموي ، جمعا وتحقيقًا ودراسة ، عبد العزيز بن محمد الفيصل ، طباعة شركة العبيكان للطباعة والنشـر - الريـاض ، ط١ ، ١٤٠٨هـ ، ص٤٣ وما بعدها .

(١) انظر : مجمع الأمثال ، للميداني ٤٤٣/٢ ، وانظر : أيام العرب في الجاهلية ، محمد أحمد جاد المولى بك و علي محمد البجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، ط١ ، ١٣٦١هـ - ١٩٤٢م ، ص٨٥ .

(٢) الأغاني ٣٤/١٣ .

(٣) معجم ما استعجم ، للبكري ، رسم (سحبل) ٧٢٧/٣-١٠٦٢ ، معجم البلدان ، للحموي ، رسم (سحبل) ١٩٤/٣-١٩٥ ، وانظـر : صفة جزيرة العرب ، للهمداني ، ص٢٨٥ ، وانظر : صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار ، محمد بن بليهد ١٢٦/٥ .

(٤) انظر : شرح ديوان الحماسة (أبو تمام) ، لأبي زكريا يحيى بن علي التبريزي ، الشهير بالخطيب ، دار عالم الكتب - بـيروت ، ط١ ، د.ت ، ٢٨/١-٢٩ ، وانظر : الأغاني ٣٦/١٣-٣٧ .

(٥) معجم الشعراء ، للمرزباني ، ص١٣٣ ، شعراء بني عقيل وشعرهم في الجاهلية والإسلام حتى آخر العصر الأموي ، عبد العزيز بـن محمد الفيصل ، ص٩٨ .

من تفاصيلها ، إلا أن أسماءها قد وصلت إلينا حين ذكرها شعراؤهم مفتخرين ا ، أو ورد ذكر لها في كتب التراث المختلفة دونما تفصيل لأحداثها ، ومن تلك الأيام : يوم القضيب بينهم وبين كندة ، وفي هذا اليوم أسر الأشعث بن قيس الكندي ، فكان النصر حليفًا لبني الحارث بن كعب[١]، ويوم أرم ـام ، ودار بينهم وبين باهلة ، وكان النصر فيه لباهلة ، وفي هذا اليوم قتل مرة بن عاهان ؛ سيد من أشراف بني الحارث بن كعب[٢]، ويوم الذهاب بينهم وبين بني عامر بن صعصعة[٣]، ويوم السلُف لهـم علـى هوازن ، وكان النصر فيه لهم[٤]، ويوم حلوم ، وفي هذا اليوم أغار دريد بن الصمة على إبل لهم ، فلحقـه يزيد بن عبد المدان واستعادها منه[٥]، ويوم حضن لهم على هوازن أيضا ، وكان لهم فيه النصر أيضا[٦]، أيضا[٦]، ويوم الكُديد ، وتحالفوا فيه مع النخع وزبيد وجعفى على بني سليم[٧]، ويوم غداة الأخرمين لهم لهم على أرحب[٨]، ويوم حراض ، وقد وقع بين بني مراد وبين بني الحارث بن كعب من جهة ، وبـين همدان عليهم من جهة أخرى[٩]، ويوم غداة الأرنب بين بني زياد من الحارث بن كعب وبين قبيلة زبيد من مذحج[١٠].

ولا شك أن هذه الأيام قد أنتجت لنا بمجموعها نتاجا شعريـا ضخما كشف لنا في مضمونه عن الحياة التي عاشتها هذه القبيلة المحاربة ، والتي عدت في فترة من فترات حيا ا جمرة من جمرات العـرب القوية[١١].

فالنتاج الشعري لهذه القبيلة صور لنا حيا ا من كافة جوانبها ، كما صور لنا علاقتها بقبيلتها الأم (مذحج) ، وما أضافته من مهابة زادت به من إعلاء شأ ا ، حتى عرفت بين العرب بمذحج الطعان[١٢]؛

---

(١) معجم البلدان ، للحموي ، رسم (القضيب) ٣٥٩/٤ ، صفة جزيرة العرب ، للهمداني ، ص٨٨ .

(٢) معجم البلدان ، رسم (أرمام) ١٥٤/١ ، وانظر : خزانة الأدب ، للبغدادي ١٨٩/١ وما بعدها .

(٣) مجمع الأمثال ، للميداني ٤٤٢/٢ .

(٤) الأغاني ، للأصفهاني ٢٧٥/١٢ .

(٥) شرح قصيدة الدامغة ، لأبي محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني ، تحقيق : محمد بن علـي الأكـوع ، المكتبـة اليمنيـة ، د.ت ، ص٢٦١ .

(٦) المصدر السابق ، ص١٧٦ .

(٧) المصدر السابق ، ص١٧٤ .

(٨) الإكليل ، للهمداني ١٩٠/١٠ .

(٩) الطرائف الأدبية ، جمع وتحقيق : عبد العزيز الميمني ، دار الكتب العلمية - لبنان ، ص٧ .

(١٠) سمط اللآلي ، للوزير أبي عبيد البكري ، تحقيق : عبد العزيز الميمني ، مطبعة لجنة التأليف والنشر ، ط : ١٣٥٤هـ - ١٩٣٦م ، ٣٦٦/١-٣٦٧ .

(١١) المحبر ، لابن حبيب ، ص٢٣٤ .

(١٢) العقد الفريد ، لابن عبد ربه ٣٣٤/٣ .

لما لفرسا ا من شجاعة وجسارة في المعارك ، كما صورت لنا هذه الأيام علاقة بني الحارث بن كعب مع غيرهم من القبائل ، حيث نجدها تعقد علاقات تحالف وتصادق مع بعض القبائل ، وخاصة القبائل التي تنتمي لقبيلتها الأم ، كهمدان ، وسعد العشيرة ، في حين أن هذه القبائل التي تنتمي لنفس قبيلتـها الأم ، نراها لا تسلَم أحيانا من الاكتواء بنار حر م ، كمراد ، وزبيد ، بينما نجد أن أكثر القبائل الـتي دارت بينهم وبين بني الحارث بن كعب الحرب سجالاً : قبيلة بني عامر بن صعصعة .

وهكذا نستطيع أن ندرك قوة هذه القبيلة التي سيطرت على سلطة نجران وسياد ا ، فعاشت نجران تحت كنف هذا الحكم ، لا تزعزعها قوة أخرى ؛ لمهابة هذه القبيلة وقو ا التي فرضت احترامها علـى القبائل الأخرى ، حتى ذاع صيتهم بين العرب ، حتى إن الرسول ﷺ سأل وفدهم حين قدموا عليـه في السنة العاشرة للهجرة مع خالد بن الوليد ، قائلا لهم : « أنتم الذين إذا زجروا استقدموا » ؟. فسـكتوا خجلاً ، ثم أعادها عليهم أربعا ، فرد عليه يزيد بن عبد المدان أربعا : نعم يا رسول الله ، نحن الذين إذا زجروا استقدموا . ثم إنه - عليه الصلاة والسلام - سألهم : « بِم كنتم تغلبون من قاتلكم في الجاهلية » ؟. فقالوا - ولعله استحياء منهم - : لم نكن نغلب أحدا ، فقال عليه السلام : « بلى ، قد كنتم تغلبـون مـن قاتلكم » ، فقالوا : كنا نغلب من قاتلنا يا رسول الله أنا كنا نجتمع ولا نفترق ، ولا نبدأ أحدا بظلم ، فقال عليه السلام : « صدقتم »[(١)] .

وقبيلة الحارث بن كعب هم بطن عظيم من مذحج ، وتنتمي إليهم العديد من الفـروع ، والـتي أسهمت بدورها في إعلاء شأن هذه القبيلة ، فمن فروعهم المتعددة : بنو الحماس ، ومنـهم الشـاعر النجاشي ، وبنو قُنان بن سلمة ، منهم : الحصين ذو الغصة ، و زعبل ، ومزاحم بن كعب[(٢)] ، الـذين منهم بيت عبد يغوث بن صلاءة ، ومنهم بنو الضباب - بفتح الضاد وتشديدها ؛ لأن هناك بنو الضـباب بكسر الضاد وتشديدها ، وهم من بني عامر بن صعصعة -[(٣)] ، ومنهم بنو المَعقل بن كعب ، الذين منـهم المَراثد ، ومنهم كذلك : بنو عبد المدان بن الديان بيت مذحج وعمادها[(٤)] ، وهم الذين امتدت إلـيهم سلطة نجران حتى المائة السادسة ، فكان منهم عبد القيس بن أبي الجود[(٥)] ، وكان لهذه الأسرة دور بارز في إثراء الحركة الشعرية في نجران .

٢- أسرة بني عبد المدان :

---

(١) السيرة النبوية ، لابن هشام ٥٠١/٤ .

(٢) العقد الفريد ، لابن عبد ربه ٣٩٩/٣ .

(٣) مختلف القبائل ومؤتلفها ، أبو جعفر محمد بن حبيب ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، دار الكتـب الإسـلامية ، ط : ١٤٠٠هـ ـ - ١٩٨٠م ، ص٧٤-٧٥ .

(٤) العقد الفريد ، لابن عبد ربه ٣٩٩/٣-٤٠٠ .

(٥) تاريخ ابن خلدون ٢٥٦/٢ .

تنتمي هذه الأسرة إلى نفس الأرومة المذحجية ، فهم ينحدرون من جدهم الأكبر (عبد المَـدان) - بفتح الميم والدال - ، وقد نص على ذلك ابن دريد في الاشتقاق[1] ، و ذا الضبط ورد في كثير من المصادر[2] . وذكر ابن دريد أن المدان هو اسم صنم عبدوه ، واشتقاقه من دان يدين[3] . وقد وافقه في هذا القول : الزبيدي[4] ، كما استدرك الأستاذ أحمد زكي محقق كتاب الأصنام لابن الكلبي اسم هذا الصنم (مدان) في آخر الكتاب ضمن التكملة لأسماء الأصنام والبيوت المعظمة عند العرب ، والتي لم يـذكرها ابـن الكلبي[5] .

وقد عرف بعبد المدان نفر غير قليل من العرب الوثنيين في الجاهلية ، منهم : عبد المدان بن عبد ياليل الجرهمي ، أحد حكام الحجاز[6] ، ولعل هذا مما يرجح لدي صحة ما ذهب إليه ابن دريد .

بينما هناك من يجعل المدان - بضم الميم - على وزن سحاب ، وليس بذلك[7] .

واسم عبد المدان : عمرو بن الديان - واسم الديان يزيد - بن قطن بن زياد بن الحارث بن مالك بن كعب بن الحارث بن كعب ، وينتهي إلى مذحج[8] ، وقد آل إلى بني عبد المدان بن الديان حكم نجران ، ، وظل فيهم حتى امتد منهم إلى بني أبي الجود ، فكان منهم في السنة المائة السادسة : عبد القيس بن أبي الجود[9] .

ويعد بيت بني عبد المدان من أبرز البيوت العربية التي امتد لها الشرف والعز والسيادة ؛ جاهليـة وإسلامية ، فقد عدوا من بيوتات العرب الثلاثة التي فاقت لها الشهرة والسيادة ، وهم : بيت زرارة بن عدس في تميم ، وبيت حذيفة بن بدر في فزارة ، وبيت عبد المدان في بني الحـارث[10] ، كمـا فاقـت شهر م شهرة قبيلتهم الأم (مذحج) ، وذاع صيتهم حتى غلب على مذحج ، وبلغ من إعجاب العـرب

---

(1) الاشتقاق ، لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد ، تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون ، مطبعـة السـنة المحمديـة - مصـر ، ط : ١٣٧٨هـ - ١٩٥٨م ، ص٣٩٨ .

(2) الأغاني ، للأصفهاني ٢٦٥/١٢-٢٦٨ ، خزانة الأدب ، للبغدادي ٧٦/٤ .

(3) انظر : الاشتقاق ، لابن دريد ، ص٣٩٨ .

(4) تاج العروس ، للزبيدي ، مادة (مدنَ) ١٥٩/٣٦ .

(5) الأصنام ، لابن الكلبي ، ص١١١ .

(6) الأعلام ، للزركلي ١٥٣/٤ .

(7) معجم الشعراء من العصر الجاهلي حتى اية العصر الأمـوي ، عفيـف عبـد الـرحمن ، دار المناهـل ، ط١ ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م ، ص٢٨٥ .

(8) جمهرة أنساب العرب ، لابن حزم ، ص٤٠٥-٤١٦ ، صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، للقلقشندي ٣٨٠/١ ، التعريف في الأنساب الأنساب والتنويه لذوي الأحساب ، محمد الأشعري ، ص١٧٠-١٧١ .

(9) تاريخ ابن خلدون ٢٥٦/٢ .

(10) الاشتقاق ، لابن دريد ، ص٣٩٩ .

بشجاعتهم أن مدحهم أحدهم بقوله[1]:

تلُوثُ عمامةً وتجرُّ رمحًا ... كأنك من بني عبد المدان

ولقد أصهر إليهم الملوك والخلفاء ، فقد كانوا خؤولة للملك الحميري ذي نواس ، فأمه سلمى ، وقيل : مسيكة بنت حزن بن زياد الحارثي[2]، وهم أيضا أخوال أبي العباس السفاح ، فأمه ريطة بنت عبيد الله بن عبد الله بن عبد المدان بن الديان[3]، وكذلك فهم صهر لعبيد الله بن العباس بن عبد المطلب ، ، فزوجه عائشة بنت عبد الله بن عبد المدان[4]، فقد أصهر إليهم الكثير من العرب طلبا لنجابة الأبناء ، والجمال ، حيث شهرت المرأة المدانية - بل ونساء بني الحارث عامة - بين نساء العرب بالجمال والحُسن ، حتى قلّ ندهن بين النساء ، وعز مهرهن وغلى ، فغدونَ مضربا للمثل في غلاء مهورهن ، فقد روي أن عمر بن الخطاب قال : " لا تزيدوا مهور النساء على أربعين أوقية ، وإن كانت بنت ذي الغصة "[5]، وفي هذا دليل على ما بلغته نساء سادة نجران من الجمال والحظوة لدى الرجال ، حتى غدت غدت غالية المهر ، ومضربا للأمثال .

وبنو عبد المدان هم قوم زادهم الله بسطة في البيان والأجسام ، فغدوا مضربا للمثل ، فقيل فيهم[6]:

وقَد كُنا نقُولُ إذَا رأينا ... لذي جِسمٍ يعدُّ وذي بيان

كأنك أيها المُعطى بيانًا ... وجِسما من بنِي عبد المَدان

ولقد بلغت نجران في عهد بني عبد المدان هؤلاء شأنًا عظيما من التطور ، وأسباب المدنية والحضارة ، حيث شيدوا بها العديد من الأبنية ، والتي من أهمها : بيعة نجران ، وقد كانت عبارة عن قبة من أدم من ثلاثمائة جلد ، وكانت على نهر بنجران ، وقد كانت من قبل لعبد المسيح بن دارس بن عدي ابن معقل ، وكان يستغل من ذلك النهر عشرة آلاف دينار ، وكانت القبة تستغرقها ، ثم إن عبد المسيح

---

(١) معجم البلدان ، للحموي ، رسم (نجران) ٢٦٨/٥ .

(٢) اليمن الخضراء مهد الحضارة ، محمد الأكوع ، ص١٥٥ .

(٣) نسب قريش ، لأبي عبد الله المصعب بن عبد الله بن المصعب الزبيري ، عني بنشره لأول مرة وتصحيحه والتعليق عليه : ليفاي بروفنيسال ، دار المعارف - مصر ، ط٣ ، ص٣٠ .

(٤) المصدر السابق ، ص٣١ .

(٥) مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي ، تحقيق : زينب إبراهيم القاروط ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط٣ ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ، ص١٤٩ ، وانظر : الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام ، لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أبي الحسن الخثعمي السهيلي ، تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد ، دار الفكر - بيروت ، ط : ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م ، ٢٢٨/٤ . وفيه : ورد قوله ﷺ : (لا تزاد امرأة في صداقها على كذا وكذا ، ولو كانت بنت ذي الغصة) .

(٦) ديوان حسان بن ثابت بشرح البرقوقي ، ص٢٦٧ ، خزانة الأدب ، للبغدادي ٧٥/٤-٧٦ ، الأخبار الموفقيات ، الزبير بن بكار ، تحقيق : سامي مكي العاني ، دار منشورات الشريف الرضي - إيران ، ط١ ، ١٤١٦هـ ، ص٢٥٠ .

هذا زوج ابنته دهيمة إلى يزيد بن عبد المدان بن الديان ، فولدت له دهيمة عبد الله ، فنقل إليه عبد المسيح ماله ، فلما توفي عبد الله انتقل ماله إلى يزيد ، وهكذا أصبح القائم على أمر هذه البيعة العظيمة[1]، فبالغ بنو عبد المدان في شأن هذه البيعة ، فشيدوا بناها على شكل مربع مستوي الأضلاع والأقطار ، وجعلوها مرتفعة عن الأرض ، يصعد إليها بدرجة على مثال بناء الكعبة ، ولقد بالغوا في تزيينها ، حيث عمدوا إلى إحاطتها بالمياه والأشجار ، وجعلوا في حيطا ا وسقوفها الفسافس والذهب ، ونافسوا في زينتها بيعة آل المنذر بالحيرة ، وبيعة آل غسان بالشام ، وخصوا بيعتهم هذه بالمزيد من الرعاية والاهتمام ، فحجوا إليها هم والعديد من طوائف العرب ممن يحلّون الأشهر الحرم[2]، فشهرت بيعتهم هذه بكعبة نجران ، ولعلهم التمسوا من هذه الكعبة نوعا من المضاهاة أو الاستقلالية عن كعبة مكة ، والتي يحج إليها العديد من طوائف العرب ، وكان أمرها بيد قريش . وقد كان على كعبة نجران أساقفة معتمون ، وهم الذين وفدوا على رسول الله ﷺ وأرادوا مباهلته ، وكان من عظم هذه الكعبة عندهم : أنه إذا جاءها خائف أمن ، أو طالب حاجة قُضيت له ، أو مسترفد أرفد ، فعظم أمرها عند كثير من العرب[3]، فأناخوا مطاياهم ببا ا ، والتمسوا منعة أو عطاء ساد ا .

وقد بالغ بنو عبد المدان في إعمار مدينتهم نجران ، والتي عرفت منذ القدم بأ ا من أزهى المدن القديمة ، وأمنعها على الأعداء ، حيث شيدوا ا الكثير من المساكن والملاجئ للاحتماء ا من الأعداء ، ولتمكين المدافعين عنها من صد هجمات الأعداء ، وهكذا كانت نجران من أشد المدن والمعاقل تحصينا[4]، وخاصة هجر - قرية آل عبد المدان -[5]، التي عرفت بالحصن ؛ لشدة مناعتها وتحصينها[6]. وتحصينها[6]. ولعل هذا ما جعلها من أهم المدن التي تطلعت إليها أعين من أراد اللجوء والحماية في كنف ساد ا بني عبد المدان .

وكما تميزت مدن اليمن القديمة بحضار ا الباسقة ، ومعاقلها المحصنة ، وبإنشائها للسجون والقلاع التي عرفتها مد م منذ أمد موغل في القدم[7]، فقد شهرت كذلك نجران من بين هذه الحواضر والمدن القديمة بسجنها العتيد الذي أودع به عديد من الجناة واللصوص ، فكان له الأثر الكبير في إيقاظ

---

(١) معجم البلدان ، لياقوت الحموي ، رسم (نجران) ٢٦٨/٥-٢٦٩ .

(٢) معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، للبكري ، رسم (نجران) ٦٠٣/٢ .

(٣) معجم البلدان ، لياقوت الحموي ، رسم (نجران) ٢٦٨/٥ .

(٤) انظر : المفصل في التاريخ ، جواد علي ٥٣٤/٣ ، وانظر : نجران في العصر الجاهلي وفي عصر النبوة ، فاطمة مصطفى ، ص١٠ .

(٥) صفة جزيرة العرب ، للهمداني ، ص٢١٦ .

(٦) المغازي ، محمد بن عمر بن واقد ، تحقيق : مارسدن جونس ، عالم الكتب ، ط٣ ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م ، ٨٤٧/٢ .

(٧) انظر : مروج الذهب ومعادن الجوهر ٢٢٧/١ ، وانظر : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، جواد علي ٥٨٧/٥ وما بعدها ، وانظر : الأسر والسجن في شعر العرب ، أحمد مختار البزرة ، مؤسسة علوم القرآن - دمشق ، ط١ ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م ، ص١٥-٢٠ .

ملكا م الشعرية ، وشحذ قرائحهم ؛ مما زاد في ثراء نتاجهم الشعري فيه ، وارتفاع قيمته[1] .

كما شهرت نجران كذلك بسوقها القديم ، والذي كان من أبرز أسواق شبه الجزيرة العربية .

" إن أسواق العرب القديمة : عدن ، ومكة ، والجُند ، ونجران ، وذُو المَجاز ، وعكاظ ، وبدر ، ومجنة ، وحجر اليمامة ، وهجر البحرين "[2] .

ولقد كان سوق نجران هذا من كبريات أسواق شبة الجزيرة العربية ؛ لوقوعه على مفترق الطرق القديمة ؛ وكذلك لكونه من الأسواق المستقرة ، والتي تحمل طابع الديمومة والمحلية ، فلم يكن هذا السوق من الأسواق الموسمية ، والتي تعقد في فترات محدودة من العام ، وتستقطب العديد من المرتادين من كافة الأقطار في وقت واحد معلوم ، بل كان سوقًا دائمة ، ولعل هذا الذي جعل بعض المهتمين بذكر أسواق العرب القديمة في الجزيرة يغفلون ذكر سوق نجران[3] ، أو يعدون هذا السوق من الأسواق الثانوية[4] .

إلا أنه - لا شك - كان هذا السوق من أقدم الأسواق وأكبرها ، بل عده البعض هو المعول عليه في البيع والشراء[5] ، ولا شك أن سوق نجران كان من الأسواق المهمة في شبه الجزيرة العربية ، والتي كانت تخرج عن المفهوم الحالي لكلمة السوق ، حيث قصدها الكثير من طلاب السلع والبضائع ، وكذلك كانت موطنًا خصبا للشعر وسائر فنون الأدب[6] .

وفي سوقها هذا الكبير يقول أحد مرتاديها ، والذين لم يقصدوا من طلا ا السلع والبضائع فقط ، بل التنزه و ادي الأشعار ، فيقول[7] :

إنْ تكُونوا فقد غبتم وحضرنا	**ونزلنا أرضا بها الأسواق**
واضعا في سراة نجرانَ رحلي	**ناعما غَير أنني مشتاق**

(1) انظر : معجم البلدان ، للحموي ، رسم (نجران) ٢٧٠/٥ ، وانظر : منتهى الطلب من أشعار العرب ، جمع : محمد بن المبارك بن محمد بن ميمون ، تحقيق وشرح : محمد نبيل طريفي ، دار صادر ، ط١ ، ١٩٩٩م ، ٢٤٥/٣ .

(2) صفة جزيرة العرب ، للهمداني ، ص٢٩٦ .

(3) انظر : المحبر ، لابن حبيب ، ص٢٦٣-٢٦٨ ، وانظر : تاريخ اليعقوبي ٢٧٠/١-٢٧١ ، وانظر : الأزمنة والأمكنة ، لأبي علي المرزوقي الأصفهاني ، دار الكتاب الإسلامي - القاهرة ، ط : د.ت ، ١٦١/٢-١٧٠ .

(4) أسواق العرب في الجاهلية والإسلام ، سعيد الأفغاني ، ط٢ ، ص٢١٦ .

(5) انظر : صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز ، المسماة : تأريخ المستبصر لابن ا اور ، راجعه ووضع هوامشه : ممدوح حسن محمد ، ، مكتبة الثقافة الدينية - مصر ، ط : ١٩٩٦م ، ص٢٣٨ .

(6) انظر : المفصل في تاريخ العرب ، جواد علي ٣٨٣/٧ .

(7) معجم البلدان ، لياقوت الحموي ، رسم (نجران) ٢٧٠/٥ ، ورد جزء من الشطر الأول من البيت الأول بالإضافة إلى البيت الثاني في ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس ، شرح وتعليق : محمد حسين ، مكتبة الآداب والمطبعة النموذجية - مصر ، د.ت ، ص٣٢ .

ولقد كانت نجران في عهد بني عبد المدان مستقلة بشؤونها ؛ إذ كان يديرها سادتها وأشـرافها ، والذين نيطت بهم مهام مختلفة لتنظيم هذه المدينة ، فقد كان لهم نظام إداري ، وسياسـي ، وروحـي خاص يمثل الجهة العليا في حكم هذه المدينة . ويتألف هذا النظام من :

١/ السيد : وهو من يتولى الشؤون المالية ؛ من جمع الإعانات والهبات للكنيسة ، والنذور ، وغير ذلك ، ويقوم بمشورته رجال معروفون بصرف المساعدات والديات الملزمة بها القبيلـة أو المعسر ، وما يلزم لإصلاح الكنائس ، وحياة رجال الدين ، والضيافات . كما أنه مسـؤول عن تسيير قوافلهم التجارية ، وتنظيمها ، وعلاقة قبيلته بالقبائل الأخرى(١).

٢/ العاقب : وعمله رئاستهم وتدبير أمورهم ، والإشراف على السياسة الداخلية والخارجية ، فهو أميرهم الذي لا يصدرون إلا عن رأيه(٢).

٣/ الأسقف : وهو حبرهم وإمامهم ، وصاحب مدارسهم ، فهو المرجع الديني لهم(٣).

ولقد حافظ هذا الثالوث على تنظيم شؤون نجران تحت رئاسة وحكم بني عبد المدان ، إلى أن جاء الله بالإسلام ، فخضعت كغيرها من مدن وأمصار العالم القديم إلى حكم الإسلام وتشريعاته ، حيث تنـاوب على حكمها عدد من أبناء القبيلة ، وكذا تناوب على أمر القضاء والحكم الإداري فيها عدد من الصـحابة - رضوان الله عليهم - ، ومن أبرزهم : عمرو بن حزم الخزرجي الأنصاري ، وأبو سفيان بن حـرب ، وراشد بن عبد ربه السلمي ، في زمن الرسول ﷺ(٤). وأبو جرير بن عبد الله البجلي على عهد أبي بكـر الصديق . وعمر بن الخطاب ، وعبيد الله بن العباس بن عبد المطلب في عهد علي بن أبي طالب(٥).

وكان من هؤلاء - لا شك - : شعراء فاضت قريحتهم الشعرية شعرا ، نظموه وهم في نجـران ، وهكذا نجد أن نجران في عهدها الجاهلي والإسلامي كانت أرضا تزدهر عليهـا شـتى أنـواع الأدب والحضارة ، حيث شهرت بتعدد الأديان والثقافات والأجناس ، ولعل هذا هو الذي ميز نتاجهـا الأدبي والشعري خاصة عن غيره من النتاجات الأخرى ، فلقد تنوعت بها الأهواء والمقاصد الشعرية ، فتباينت لذلك أغراض الشعر فيها ، وتعددت إيقاعاته ومضامينه ؛ لتعدد رجالاته ، وتباين مناحيهم الشـعرية ، حيث قصدها بعضهم طلبـًا للنوال والعطاء في بلاط سادتها وأشرافها ، بينما قصدها آخـرون ثنـاء وعرفانا لسادتها ،كما اتخذها بعض آخر من الشعراء حصنا وأمنا لهم من أوطانهم التي فـروا منـها .

(١) انظر : السيرة النبوية ، لابن هشام ٥١٠/١ .

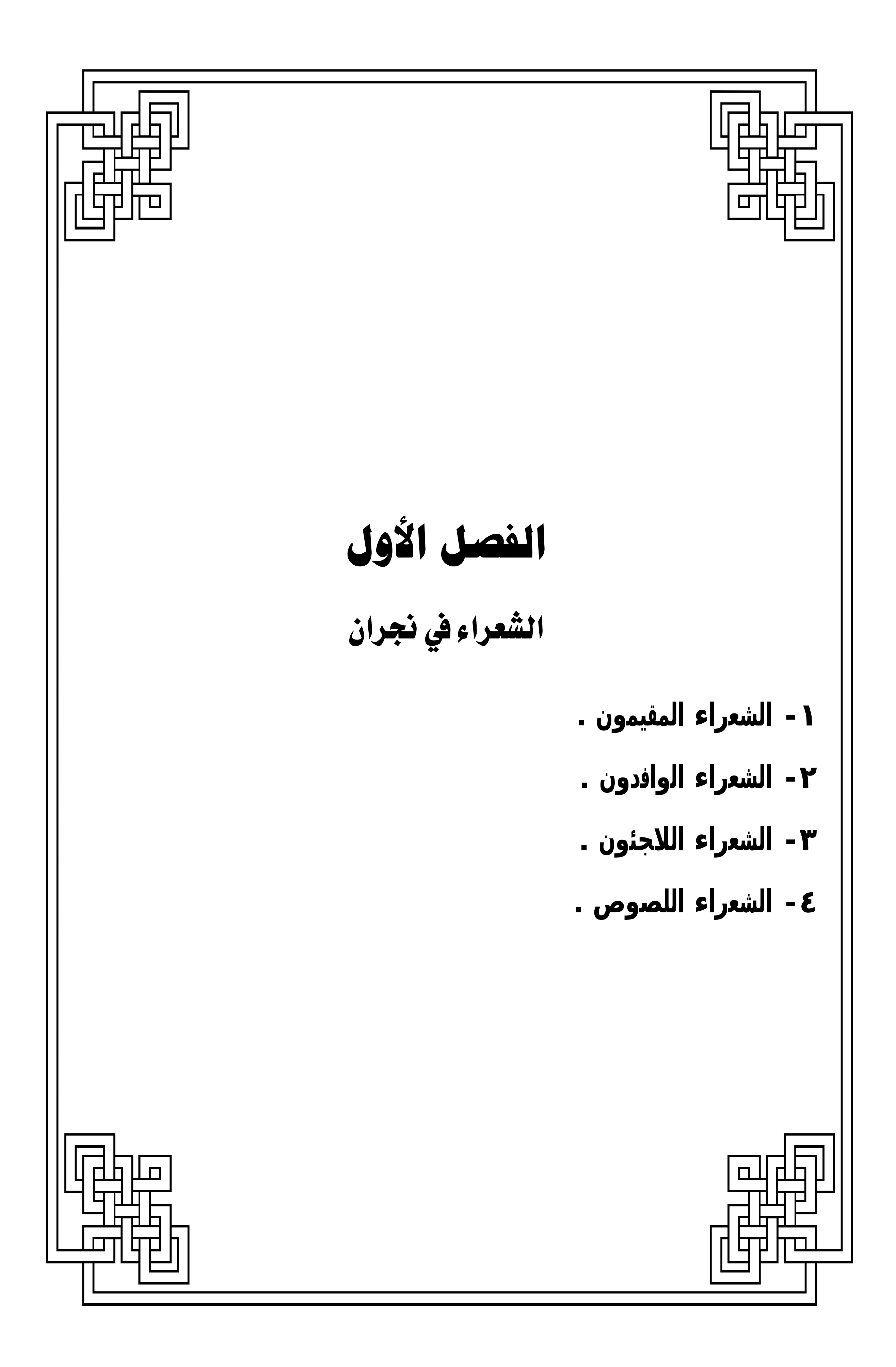
(٢) المصدر السابق .

(٣) المصدر السابق .

(٤) انظر : الروض الأنف ، للسهيلي ، تحقيق : طه عبد الرؤوف ٢١٨/٤ .

(٥) انظر : البيان في تاريخ جازان وعسير ونجران ، عبد الواحد دلال ٢٠٩/١ وما بعدها .

وهكذا نجد أن نجران كانت تعج بحركة شعرية زاهرة ، تنوعت وتباينت تبعا لمقاصد وأهداف وغايات شعرية متعددة ، جمعتها جميعا أرض واحدة ، كانت هي البيئة الخصبة التي احتضنت هذه الإبـداعات الشعرية جميعا .



الفصل الأول

الشعراء في نجران

١ - الشعراء المقيمون .

٢- الشعراء الوافدون .

٣- الشعراء اللاجئون .

٤ - الشعراء اللصوص .

الفصل الأول

الشعراء في نجران

١) الشـعراء المقيمـون :

وأعني ؤلاء الشعراء المقيمين : أي من كانت صلتهم بنجران الإقامة الدائمة ، أو قضاء شطر كبير من حيا م فيها ، أو كانت مسقطًا لرأسهم ، فعاشوا ا شطرا من عمرهم ، فلا شك أنّ بلاد نجـران كانت منذ عهدها الجاهلي والإسلامي وطنا ومستقرا للعديد من الشعراء ، حيث كانت مسقطًا لرأس العديد منهم ، حيث ولدوا ونشأوا ، ثم مات الكثير منهم على أرضها ، بينما نجد أن بعـض الشـعراء ولد ا ، ثم عاش على أرضها شطرا من حياته ، لينتقل بعد ذلك منها إلى آفـاق وبيئـات أخـرى . وفي هذا المبحث سأعنى بالترجمة للشعراء الذين ولدوا في نجران ، أو عاشوا فيها شطرا مـن حيـا م ، ولعل الغالب على هؤلاء الشعراء والرابط بين الكثير منهم هو الانتماء إلى القبيلة الساكنة في هذه البقعة من الأرض ، فكان جلّ هؤلاء الشعراء هم أبناء المنطقة . وينقسم هؤلاء الشعراء تبعـًا للعصر الـذي عاشوا فيه إلى مجموعتين زمنيتين :

١- الشعراء الجاهليون :

وهؤلاء الشعراء هم من عاشوا في عصر الجاهلية ، وإن أدرك بعضهم بداية ظهور الإسـلام ، إلا أ م ماتوا على دين الجاهلية ، فكان شعرهم في مجمله يتسم بصفات الشعر الجاهلي ، وبطبيعة الحيـاة الجاهلية التي عاشوها ، فأثرت في شعرهم .

- **الأفـوه الأودي :**

هو صلاءة بن عمرو بن مالك بن عوف بن الحارث بن عوف بن منبه[١]، وفي رواية : ابن ضبة[٢]، وهو من أود بن الصعب بن سعد العشيرة من مذحج[٣]، يكنى بأبي ربيعة ، ولقب بالأفوه ؛ لأنه كـان غليظ الشفتين ، ظاهر الأسنان[٤]، كما لقب أيضا بالأفكل ؛ لرعدة كانت به[٥]، وكان يقال لأبيـه :

---

(١) الأغاني للأصفهاني ٣٨٩/١٢ ، الشعر والشعراء ، لابن قتيبة ، تحقيق وشرح : أحمد محمد شاكر دار الحـديث - القـاهرة . ط٢ ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م ، ٢٢٣/١ ، الأعلام ، للزركلي ٢٠٦/٣- ٢٠٧ ، الطرائف الأدبية ن للميمني ، ص٣ .

(٢) شعراء النصرانية في الجاهلية ، جمعه ووقف على تصحيح طبعته الأولى : الأب لويس شيخو ، وضبة تحريف من الناسخ لمنبه ، مكتبة الآداب - القاهرة ، ط : ١٩٨٢م ، ٧٠/١ .

(٣) جمهرة أنساب العرب ، لابن حزم ، ص٤١١ ، التعريف في الأنساب والتنويه لذوي الأحساب ، ص١٨٤ .

(٤) الأغاني ، للأصفهاني ٣٨٩/١٢ ، نشوة الطرب في شعر جاهلية العرب ، ابن سعيد الأندلسي ٢٤٢/١ .

(٥) البصائر والذخائر ، لأبي حيان التوحيدي ، عني بتحقيقه والتعليق عليه : إبراهيم الكيلاني ، مكتبة أطلس ومطبعة الإنشاء - دمشق ، ط : ١٩٦٤م ، ٥٠١/٢ .

فارس الشوهاء ، وفي ذلك يقول[1]:

أبي فارس الشوهاء عمـرو بـن مالـكٍ غَـداةَ الـوغى إذْ مـالَ بالجـد عـاثر

وكان الأفوه سيد أود من مذحج في منطقة نجران[2]، وكان قائدهم في حروبهم ، فكانوا يصدرون عن رأيه ، فقاد قومه في غارات كثيرة على بني عامر بن صعصعة ؛ إذ كانت بينهم ثأرات عدة[3]، ويعد الأفوه من كبار الشعراء القدماء في الجاهلية ، وقد زعم أنه أول من قصد القصيد ، وأنه أقدم من المهلهل ومن امريء القيس[4]، بل ذكر بعض المؤرخين أنه أدرك المسيح عليه السلام[5].

ومما لا شك فيه أن هذا كله يعد من المبالغات والفرضيات التي لم يثبت لها بالعلم دليل ، حيث إن مسألة قدم الشعر الجاهلي ، وتقدير عمره هي من المسائل الشائكة ، والتي يكتنفها كثير من الغمـوض[6]، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى : فإن الأفوه الأودي ، وامرأ القيس ، والمهلهل .. وغيرهم ، من قدماء شعراء الجاهلية الذين ادعي لهم بالأقدمية في الشعر ، هم متقاربون في المدة الزمنية التي عاشوا فيها ، ولعل أقدمهم لم يسبق ظهور الإسلام بمائة سنة[7] أو نحوها ، وهي الفترة الزمنية التي نص البعض على افتراض تقريبي على أنها هي عمر الشعر الجاهلي وعصره ، حيث يقول الجاحظ : " وأما الشعر فحديث الميلاد ، صغير السن ، وأول من نهج سبيله ، وسهل الطريق إليه : امرؤ القيس ، ومهلهل بن ربيعـة ... فـإذا استظهرنا الشعر وجدنا له إلى أن جاء الله بالإسلام خمسين ومائة عام ، وإذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمائتي عام "[8].

وكذلك وإن كانت سنة ميلاد الأفوه الأودي غير معلومة ، إلا أننـا نجـد الكـثير مـن الروايات قد رجحت وفاته في حدود سـنة (٥٧٠)[9] أو (٥٦٠) ، أي في سـنة (٥٠) قبـل

---

(١) الطرائف الأدبية ، للميمني ، ص٣ ، الأغاني ٣٨٩/١٢ .

(٢) تاريخ التراث العربي ، فؤاد سزكين ، نقله للعربية محمود فهمي حجازي . راجع الترجمة عرفة مصطفى وسعيد عبد الرحيم ، أشرفت على طباعته ونشره : إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ط : ١٤١١هـ - ١٩٩١م ، ٧٣٣/٢/٢ .

(٣) الأغاني ، للأصفهاني ٣٨٩/١٢ .

(٤) المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، للعلامة عبد الرحمن جلال الدين السيوطي ، شرحه وضبطه وصححه : محمد أحمد جاد المولى وعلي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الجيل ودار الفكر - بيروت ، د.ت ، ٤٧٧/٢ .

(٥) سمط اللآلي ، للبكري ٣٦٥/١ .

(٦) انظر : قضايا الشعر الجاهلي ، علي العتوم ، طباعة جامعة اليرموك ، ط : ١٩٨٢م ، ص١٤-١٩ ، انظر : الشعر الجاهلي خصائصه خصائصه وفنونه ، يحيى الجبوري ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، ط٧ ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م ، ص١٢٧-١٢٨ .

(٧) المزهر ، للسيوطي ٤٧٧/٢ .

(٨) الحيوان ، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق وشرح : عبد السلام هـارون ، دار الجيـل - لبنـان ، ط : ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م ، ٧٤/١ .

(٩) شعراء النصرانية ، لويس شيخو ٧٠/١ .

الهجرة النبوية ، في أيام حكم عمرو بن هند[1].

وبذا نستشف هذه الفترة الزمنية التي عاش فيها ، وبأ ا ليست ذا القدم الموغل في التاريخ الذي ادعاه البعض له . وتعد العرب الأفوه من حكمائها البارزين ، وتعد قوله[2]:

إنمَــا نِعمَــةُ قَــومٍ متعــة وحيــاة المَــرءِ ثَــوب مسـتعار

من أجود الحكم ، ومما يتمثل به[3]، وللأفوه نتاج شعري جمع في ديوان مطبوع ، وكانت أكثـر قصائده في الحكمة ، والفخر ، والحماسة[4] هو موضع تقدير[5]، إلا أن بعض النقاد قد شكّك في بعض بعض ما نسب إليه من شعر ، حيث تعرض الأفوه للنحل والوضع في شعره ، حالـه كحـال قـدماء الشعراء ونوابغهم ، وتعد قصيدته الرائية - والتي أثبتها الميمني في ديوانه - من أبرز القصائد التي شكك النقاد في نسبتها إليه ، فذكروا أ ا من المنحول عليه ، ففي هذه القصيدة فخر وتعصب لليمن ، وهاجم فيها بني هاجر - أي العدنانيين - ، ولهذا ذكر الرواة أن النبي ﷺ ـى عـن روايتها ، وهي من موضوعات الصراع القحطاني النزاري المعروف ، فأرادت النزارية طمسها ، فروت أن النبي ﷺ ى عن روايتها ، والنهي والقصيدة من المصنوعات التي ظهرت بعد وفـاة النبي ﷺ ، وذلك واضح من أسلوب نظمها ، وكذلك في تعريضها لـبني نـزار ، وفخرهـا باليمنيين ، وهذه صورة من صور العصبية التي ظهرت في عصر بني أمية ، حيث برزت في ذلك مظاهر التعصب النزاري على ما سواه من أجناس أخرى[6]، فلم يخف ذلك على كثير من رواة ونقاد ذلك العصر ، حيث يقول الجاحظ : " وأما ما رويتم من شعر الأفوه الأودي ، فلعمري إنه لجاهلي ، وما وجدنا أحدا من الرواة يشك في أن القصيدة مصنوعة ، وبعد ؛ فمن أين علم الأفوه أن الشهب التي يراها إنما هي قذف ورجم ، وهو جاهلي ؟! "[7].

---

(1) تاريخ الأدب العربي ، عمر فروخ ، دار العلـم للملايـين - بـيروت ، ط٤ ، ١٩٨١م ، ١٣٣/١ ، تـاريخ التـراث العـربي ، فؤاد سزكين ٣٣٧/٢/٢ ، معجم الشعراء من العصر الجاهلي حتى اية العصر الأموي ، عفيف عبد الرحمن ، ص٢٧ .

(2) الطرائف الأدبية ، للميمني ، ص١١ .

(3) اية الأرب في فنون الأدب ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري ، نسخة مصورة عن دار الكتب مع استدراكات وفهارس وفهارس جامعة ، وزارة الثقافة والإرشاد - مصر . ط : ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م ، ٦٤/٣ .

(4) طبعه : عبد العزيز الميمني في الطرائف الأدبية ، ١٩٣٧م ، تاريخ الأدب العربي ، كارل بروكلمان ، دار المعـارف - مصـر ، ط : ١٩٥٩م ، ١١٧/١ .

(5) معاهد التنصيص على شواهد التلخيص ، الشيخ عبد الرحيم بن أحمد العباسي ، حققه وعلّق على حواشيه وصنع فهارسـه : محمـد محيي الدين عبد الحميد ، دار عالم الكتب - بيروت ، ١٠٩/٣ .

(6) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، جواد علي ٤٥١/٩ .

(7) الحيوان ، للجاحظ ٢٨٠/٦ .

● الحـارث بن كعـب :

هو الحارث بن كعب بن عمرو بن علة بن جلد بن مالك بن أدد بن المذحجي[1]، وهو جـد جاهلي قديم ، فهو جد القبيلة (بلحارث بن كعب) ، والتي تفرعت منها بطون وفروع عديـدة ، وكان لبنيه السيادة والرئاسة في نجران[2]، كان الحارث بن كعب من المعمرين[3]، كما كان من أهل أهل التدين في الجاهلية ، فقد قيل : إنه كان على دين شعيب عليه السلام ، وقيل : على دين عيسى عليه السلام [4]، كان شاعرا ، كما عد من أشهر خطباء الجاهلية وفصحائها ، وله خطب ومقطوعات شعرية في في الوعظ والوصايا[5].

● الديـان الحـارثي :

هو (الديان) ، واسمه يزيد بن قطن بن زياد بن الحارث بن مالك بن كعب بن الحارث بن كعب ، وينتهي نسبه إلى مذحج[6]، لُقب بالديان ، قيل : لأنه كان ذا دين يعبد ربه به ، فقد روي أن يزيد بن عبد المدان - وهو أحد أحفاده - قدم على ابن جفنة ، فسأله ابن جفنة عن قول الديان إذا أصـبح ، فقال يزيد : كان يقول : آمنت بالذي رفع هذه - يعني السماء - ، ووضع هذه - يعـني الأرض - ، وشق هذه - يعني أصابعه - ، ثم يخر ساجدا ، ويقول : سجد وجهي للذي خلقه وهو عاشم ، ومـا جشمني من شيء فإني جاشم . فإذا رفع رأسه قال :

إنْ تغفـر اللهـم تغفـر جمـا وأي عبـد لـك مـا ألمـا

فقال ابن جفنة : إن هذا لذو دين[7]، وقال ابن الكلبي : الديان هو الحاكم[8]، وعلى هذا يكون قد قد لقب ذا ؛ لسطوته وامتداد نفوذه ، والديان جد جاهلي قديم ، كان شاعرا شريفًا في قومه ، شهر بحسن الخلق والورع[9].

---

(1) جمهرة أنساب العرب ، لابن حزم ، ص٤١٦ .

(2) نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب ، لابن سعيد المغربي ٢٣٨/١ .

(3) المعمرون والوصايا ، لأبي حاتم السجستاني ، تحقيق : عبد المنعم عامر ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلـبي وشـركاه ، ط : ١٩٦١م ، ص١٢٢ .

(4) معجم الشعراء الجاهليين ، عزيزة فوال ، دار صـادر - بـيروت ، ط١ ، ١٩٩٨م ، ص٩٨ ، بلـوغ الأرب في معرفـة أحـوال العرب ١٦٤/٣ .

(5) معجم الشعراء الجاهليين ، ص٩٨ .

(6) جمهرة أنساب العرب ، لابن حزم ، ص٤١٦ .

(7) الأغاني ، للأصفهاني ٢٧١/١٢ .

(8) الطبقات الكبرى ، لابن سعد ٥٢٨/٥ .

(9) الأعلام ، للزركلي ٦/٣ .

● **عبـد المَـدان الحـارثي :**

هو عبد المَدان ، واسمه (عمرو) بن الديان (يزيد) بن قطن بن زياد بن الحارث بن مالك بن كعب بن الحارث بن كعب[(١)]، كان شاعرا شريفًا وسيدا في قومه[(٢)]، بلغ حدا كبيرا من الجاه والمنزلـة والشـأن العظيم ، حتى عدوه بمنزلة النعمان بن المنذر (ملك الحيرة) ، فقال فيه لقيط بن زرارة سيد بني تميم[(٣)]:

شـربت الكـأس حـتى خلـت أني ... أبـو قـابوس أو عبـد المَـدان

أُصهر إليه وإلى بنيه الكثير من ملوك العرب وساد بم في الجاهلية والإسلام ، وامتدت لبنيه سـلطة نجران وسيادا إلى المائة السادسة للهجرة[(٤)].

● **عبـد يغـوث بن صـلاءة الحـارثي :**

هو عبد يغوث بن صلاءة ، وقيل : هو عبد يغوث بن الحارث بن وقاص بن صلاءة بن المعقـل ، واسم المعقل (ربيعة) بن كعب بن الأرت بن ربيعة بن كعب بن الحارث بن عمرو بن علة ، وينتـهي نسبه إلى مذحج[(٥)].

ويغوث اسم صنم معروف في الجاهلية ، وقد ورد ذكره في القرآن الكريم ؛ قال تعـالى : ﴿ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ﴿٢٣﴾ ﴾[(٦)]، وكانت طوائف من العرب - ومنهم مذحج - تعبده ، فسموا بعضا من أبنائهم بعبده ، ومنهم : عبد يغوث هذا[(٧)]، وهو شاعر من شـعراء الجاهلية ، وهو من بيت شعر معرق لهم في الجاهلية والإسلام ، فنبغ من أهله غير شاعر ، كلهم فحـول ، منهم : اللجلاج ، ومسهر بن يزيد ، وجعفر بن علبة[(٨)].

كان فارسا وسيدا في قومه بني الحارث بن كعب[(٩)]، عد من الجرارين ، وكانت العرب لا تسمي الفارس جرارا حتى يقود ألف فارس فأكثر[(١٠)]، فقاد مذحج كلها في يوم الكُلاب الثاني إلى بني تمـيم ،

---

(١) جمهرة أنساب العرب ، لابن حزم ، ص٤١٦ .

(٢) الأغاني ، للأصفهاني ٢٧٥/١٢-٢٧٦ .

(٣) دائرة المعارف ، بطرس البستاني ، مؤسسة مطبوعاتي إسماعيليان - بيروت ، د.ت ٦٣٣/١١ ، الاشتقاق ، لابن دريـد ، ص٣٩٩ ، الأعلام ، للزركلي ١٥٣/٤ .

(٤) نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب ، لابن سعيد ٢٣٨/١ ، تاريخ ابن خلدون ٢٥٣/٢ .

(٥) الأغاني ، للأصفهاني ٤٨٧/١٦ ، جمهرة أنساب العرب ، لابن حزم ، ص٤١٧ ، الأعلام ، للزركلي ١٨٧/٤ .

(٦) سورة نوح : الآية (٢٣) .

(٧) الأصنام ، للكلبي ، ص١٠ .

(٨) الأغاني ، للأصفهاني ٤٨٧/١٦ .

(٩) المصدر السابق .

(١٠) المحبر ، لابن حبيب ، ص٢٥١ .

وفي هذا اليوم أُسر وقتل ، أسره عصمة بن أبير من بني تيم الرباب ، فأراد عبد يغوث أن يفتدي نفسه منهم بمائة من الإبل ، إلا أن بني تميم أبوا ذلك وقتلوه بالنعمان بن جساس ، ولم يكن قاتله ، وإنما عدلوه به ؛ إذ كان فارسا وسيدا شريفًا فيهم[1] ، وكان بنو تميم قد شدوا لسانه بنسعة ؛ مخافة أن يهجوهم ، ويبقى ذلك في أعقابهم ، فيسبون به[2] ، وعندما أعطاهم المواثيق على أن لا يهجوهم ، تركوه ، ثم إنه طلب منهم بعد أن أيقن هلاكه أن يقتلوه قتلة كريمة ، فسألوه عن تلك القتلة ، فطلب منهم أن يسقوه خمرا ، ويدعوه ينح على نفسه ، فسقوه خمرا وقطعوا عرقًا فيه يقال له الأكحل ، وتركوه في دمه ينزف حتى مات ، فأنشد قصيدته الشهيرة ، والتي رثى بها نفسه ، ومطلعها[3] :

ألا لا تلوماني كفى اللوم ما بيا وما لكما في اللوم نفع ولا ليا

فيا راكبا إما عرضت فبلغن ندماي من نجران أنْ لا تلاقيا

فعدت هذه القصيدة من عيون الشعر العربي[4] .

وكانت وفاته في حدود سنة (٥٤٨م) ، أي نحو سنة (٤٠) قبل الهجرة النبوية[5] ، وقيل : في حدود سنة (٦١٣م) ن أي : قبل الهجرة النبوية بنحو عشر سنين[6] .

ويعد عبد يغوث من الشعراء المقلّين من الشعر ، إلا أنّ نتاجه الشعري كان محل تقدير الأدباء والنقاد قديما وحديثًا ؛ يقول الجاحظ : " ما قرأت في الشعر كشعر عبد يغوث بن صلاءة الحارثي ، وطرفة بن العبد ، وهدبة هذا ، فإن شعرهم في الخوف لا يقصر عن شعرهم في الأمن ، وهذا قليل جدا "[7] .

● **المأمور الحارثي :**

يكنى بأبي كبشة[8] ، واختلف في اسمه ، فقيل : هو الحارث بن معاوية[9] ، وقيل : هو معاوية ابن

---

(١) الأغاني ، للأصفهاني ٤٨٧/١٦-٤٩٠ ، العقد الفريد ، لابن عبد ربه ٢١٦/٥ .

(٢) البيان والتبيين ، لأبي عثمان عمرو بن بحر الكناني ، تحقيق : عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط٧ ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م ، ٤٥/٤ .

(٣) ديوان المفضليات ، اختارها الراوية أبو العباس المفضل بن محمد الضبي ، شرح : أبي محمد القاسم بن محمد بن بشار الأنصاري ، مكتبة الثقافة الدينية - مصر ، ط١ ، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م ، ص٣١٥ .

(٤) المصدر السابق ، ص٣١٩ .

(٥) الأعلام ، للزركلي ١٨٧/٤ ، موسوعة الشعر العربي ، اختارها وشرحها وقدم لها : مطاع صفدي وايلياء حاوي ، أشرف عليها : خليل حاوي ، شركة خياط للكتب والنشر - لبنان ، ط : ١٩٧٤م ، ٢٢٩/٣ .

(٦) تاريخ الأدب العربي ، عمر فروخ ٢٠٥/١ .

(٧) الحيوان ، للجاحظ ١٥٧/٧ .

(٨) معجم الشعراء ، لأبي عبيد محمد بن عمران بن موسى المرزباني ، تحقيق : عبد الستار أحمد فراج ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ط : ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م ، ص٤٤٣ .

(٩) الاشتقاق ، لابن دريد ، ص٢٦٩ .

الحارث[١]، وقيل : هو المأمور بن تبراء[٢]، وقيل : هو المأمور بن زيد[٣]، وقيل : إن المأمور هو لقب له ، لا اسم[٤]، وينتهي نسبه إلى بني الحارث بن كعب ، ثم إلى مذحج[٥]. كان فارسا شاعرا[٦]، كما عُدَّ من خطباء مذحج[٧]، وكان كاهن القبيلة ، بل كانت مذحج كلها في أمره تتقدم وتتأخر[٨].

شهد الكُلاب الثاني مع مذحج ، وكان قد نهاهم عن قتال تميم ، وأشار عليهم بالعدول عن حربهم ، ولكنهم لم يصغوا إليه ، فدارت عليهم الدائرة ، فهزموا في ذلك اليوم[٩].

● الحُصين الحارثي :

هو الحُصين بن يزيد بن شداد بن قَنان بن سلمة بن وهب بن عبد الله بن ربيعة بن الحارث بن كعب من مذحج[١٠]، لقب بذي الغصة ؛ لأنه كانت بحلقه غُصة ، فلا يبين بها الكلام[١١].

كان الحصين شاعرا وفارسا من الجرارين[١٢]، قاد قومه في أيام عدة ، فكان عليهم في يوم فيف الريح ، كما قادهم في يوم الرزم على مراد ، قيل : إنه رأس بني الحارث بن كعب مائة سنة[١٣]. وكان يقال لبنيه : فوارس الأرباع ؛ إذ كانوا إذا نشبت الحرب ولي كل منهم ربعها ، قيل : قتلته همدان[١٤].

● هوبر الحارثي :

هو هوبر الحارثي من بني الحارث بن كعب المذحجي ، شاعر جاهلي مقلّ ، كان من سادة بني

---

(١) ذيل الأمالي والنوادر ، لأبي علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي ، دار الفكر ، د.ت ، ١٤٩/١ .

(٢) معجم الشعراء ، للمرزباني ، ص٤٧٢ .

(٣) ذيل الأمالي والنوادر ، للقالي ١٤٩/١ .

(٤) المصدر السابق ، والاشتقاق ، لابن دريد ، ص٤٠٠ ، خزانة الأدب ، للبغدادي ٣٧٠/٤ .

(٥) الاشتقاق ، لابن دريد ، ص٤٠٠ ، البيان والتبيين ، للجاحظ ٣٦٢/١ .

(٦) الاشتقاق ، ص٤٠٠ ، معجم الشعراء ، للمرزباني ، ص٤٤٣ .

(٧) انظر : جمهرة خطب العرب ٣٩/١ .

(٨) البيان والتبيين ، للجاحظ ٣٦٢/١ .

(٩) انظر : كتاب أيام العرب قبل الإسلام ، لأبي عبيدة ، ص٤٢٢ وما بعدها ، وانظر : الأغاني ، للأصفهاني ٤٨٧/١٦ .

(١٠) الاشتقاق ، لابن دريد ، ص٤٠٢ ، الإكليل ١٦١/١٠ ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر . تحقيق – علي محمد البجاوي ، دار الجيل – بيروت ، ط: الأولى : ١٤١٢ هـ . ١٢٦٦/٣ .

(١١) أُسد الغابة في معرفة الصحابة ، عز الدين بن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري ، تحقيق : عادل الرفاعي ، دار إحياء التراث العربي ، ط١ ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م ، ٤٤٣/٤ ، طبقات فحول الشعراء ، محمد بن سلام الجمحي ، قرأه وشرحه : محمود محمد شاكر ، دار المدني - جدة ، ط : د.ت ، ٧٨٣/٢ ، الاشتقاق ، لابن دريد ، ص٤٠٢ ، الإكليل ، للهمداني ١٦١/١٠ .

(١٢) المحبر ، لابن حبيب ، ص٢٥٢ .

(١٣) طبقات فحول الشعراء ، لابن سلام ٧٨٣/٢ ، الاشتقاق ، لابن دريد ، ص٤٠٢ ، الإكليل ، للهمداني ١٦١/١٠ .

(١٤) العقد الفريد ، لابن عبد ربه ٣٩٩/٣ .

الحارث بن كعب وفرسانها[1]، شهد ابنه يزيد وهو من فرسان بني الحارث - يوم الكُلاب - ، وقيـل : في هذا اليوم قتل[2]، وعاش هوبر إلى ما بعد يوم الكُلاب ، وأظنه لم يدرك الإسلام ، فليس له خبر فيه[3].

● مخـرم بن حـزن الحـارثي :

هو مخرم - بضم أوله ، وفتح ثانيه ، وكسر الراء وتشديدها - بن حزن بن زياد بن الحارث بن مالك بن ربيعة بن كعب بن الحارث بن كعب المذحجي[4]. وقد ضبط اسمه ابن دريد في الاشـتقاق[5]، والبغدادي في الخزانة[6]، والحموي في معجم البلدان[7].

واسمه مشتق من الخرم ، وهو خرمك الشيء ، وهو كثير التخريم ، وهو نفاذ الشـيء إلى شـيء آخر[8]، وهو شاعر وفارس جاهلي ، يعرف بأمه فكهة من بكر بن وائل ، وقد رأس في قومه ؛ إذ كان من الفرسان الجرارين[9] ، وقد نسبت إليه محلة المخرم ببغداد ، وقيل : نسبت إلى أحد أحفاده ، وهـو مخرم بن شريح بن مخرم بن حزن الحارثي ، وكان قد اقتطعها في الإسلام من عمر بن الخطاب ﷺ [10]، ومخرم بن حزن هو من بيت عريق الشاعرية ؛ إذ عرف منهم غير شاعر ، منهم : ابناه يزيد والمزلج .

● يزيـد بن مخـرم :

هو يزيد بن مخرم بن حزن الحارثي ، كان والده شاعرا وفارسا في بني الحارث أيضا[11]، ويكـنى يزيد بأبي الحارث ، وهو شاعر جاهلي كثير الشعر ، له مناقضات مع مالك بن حريم الهمداني[12]، كان من أشراف قومه بني الحارث بن كعب ومن فرسانها المرموقين ، شهد يوم الكُلاب الثاني مع قومـه[13]،

---

(١) القاموس المحيط ، محمد بـن يعقـوب الفيروزآبـادي ، مؤسسـة الرسـالة - بـيروت ، د.ت ، ٦٣٦/١ ، لسـان العـرب ، مادة (شظى) ٤٣٤/١٤ .
(٢) الأغاني ، للأصفهاني ٤٨٨/١٦ .
(٣) خزانة الأدب ، للبغدادي ٣٧١/٤ .
(٤) معجم الشعراء ، للمرزباني ، ص٤٤٢ ، الأعلام ، للزركلي ١٩٣/٧ .
(٥) الاشتقاق ، لابن دريد ، ص٣٩٩ .
(٦) خزانة الأدب ، للبغدادي ٣٧٣/١ .
(٧) معجم البلدان ، للحموي ، رسم (مخرم) ٧١/٥ .
(٨) الاشتقاق ، لابن دريد ، ص٣٩٩ ، معجم البلدان ، للحموي ، رسم (مخرم) ٧١/٥ .
(٩) الاشتقاق ، لابن دريد ، ص٣٩٩ ، المحبر ، لابن حبيب ، ص٢٥٢ ، معجم الشعراء ، للمرزباني ، ص٤٤٢ .
(١٠) المُخرم : هي محلة كانت ببغداد بين الرصافة و نهر المعلى . معجم البلدان ، للحموي ، رسم (مخـرم) ٧١/٥ ، فتـوح البلـدان ، للبلاذري ٢٥٠/١-٢٩٣ .
(١١) معجم الشعراء ، للمرزباني ، ص٤٧٩-٤٤٢ ، المؤتلف والمختلف ، للآمدي ، ص٣٠٥ .
(١٢) معجم الشعراء ، للمرزباني ، ص٤٧٩ .
(١٣) الأعلام ، للزركلي ١٨٨/٨ ، الأغاني ٤٨٨/١٦ .

وقيل : إنه في هذا اليوم قتل مع أشراف من مذحج[١]، لم يرد له ذكر بعد هذا اليوم ، كما لم نسمع له بوفادة على الرسول ﷺ ، كحال بعض معاصريه ، كيزيد بن عبد المدان .

● مـزلج الحـارثي :

هو عمرو بن مخرم بن حزن بن زياد من بني الحارث بن كعب المـذحجي[٢]، لقـب بـالمزلج ؛ لقوله[٣]:

أجـد لبانـات الهَـوى لـم تخلـج وساعةَ مـا اسـتودعت وصـلاً تُـزلج

ويشاركه في هذا اللقب شاعر آخر ؛ هو عبد الله بن مطر الجعفي[٤].

● نابغـة بني الديـان :

هو يزيد بن إبان بن عمرو بن حزن بن زياد بن الحارث بـن مالـك بـن كعـب بـن الحارث بن كعب المذحجي[٥]، وهو شاعر جاهلي محسن[٦]، ولعله لقـب بالنابغـة ؛ لكثـرة شعره وجودته ، إلا أن هذا الشعر قد ضاع في معظمه ، ولم يصلنا منه سوى قصيدة واحـدة ذكرها الآمدي[٧].

● نيـار بن شعثـم :

هو نيار بن شعثم من بني الحماس من الحارث بن كعب ، وقد ضاع معظم شعره[٨].

● مرسـوع بن الحـارث الحـارثي :

هو مرسوع بن الحارث بن يزيد ، وهو النار بن الحارث بن مالك بن ربيعة بن كعب ، وهو شاعر جاهلي مقلّ ، قتلته بنو أسد في الجاهلية[٩].

---

(١) تاريخ التراث العربي ٣٤٠/١/٢ .
(٢) معجم الشعراء ، للمرزباني ، ص٤٤ .
(٣) المصدر السابق .
(٤) الاشتقاق ، لابن دريد ، ص٤٠٨ .
(٥) الاشتقاق ، لابن دريد ، ص٤٠٠ ، المؤتلف والمختلف ، للآمدي ، ص٢٩٤ ، العقد الفريد ، لابـن عبـد ربـه ٣٩٩/٣ ، تـاج العروس ٥٧٦/٢٢ .
(٦) المختلف والمؤتلف ، للآمدي ، ص٢٩٤ .
(٧) المصدر السابق .
(٨) الإيناس في علم الأنساب ، للحسين بن علي بن الحسين الوزير المغربي ، إعداد : حمد الجاسـر ، النـادي الأدبي بالريـاض ، ط١ ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م ، ص٢٥٦ .
(٩) الاشتقاق ، لابن دريد ، ص٤٠٠ .

● **عمرو بن المنذر الحارثي :**

هو عمرو بن المنذر بن وقاص بن مشعر ، من بني النار من بني الحارث بن كعب المذحجي ، وهو شاعر جاهلي مقل(1) .

● **جندل بن المثنى الحارثي :**

هو جندل بن المثنى الحارثي ، من بني الحارث بن كعب المذحجي ، شاعر جاهلي(2) .

● **عتبة بن بجير الحارثي :**

هو عتبة بن بجير الحارثي ، من بني الحارث بن كعب المذحجي ، وهو شاعر جاهلي مقل(3) .

● **سويد المراثد الحارثي :**

هو سويد بن صميع المرثدي الحارثي ، وقد ورد اسمه بسويد المراثد ، وسويد الحارثي ، وهو من فرسان بني الحارث بن كعب ، ومن شعرائها الجاهليين(4) .

● **مارية بنت الديان الحارثي :**

هي مارية بنت الديان (يزيد) بن قطن بن زياد بن الحارث بن مالك بن كعب بن الحارث بن كعب المذحجي(5) ، من بيت شرف وسيادة ، فوالدها الديان ، وأخوها عبد المدان ، كان موطنها نجران ، وهي شاعرة جاهلية مقلة .

● **ابنة مرة بن عاهان :**

لم أجد لها في جميع المصادر التي اطّلعت عليها اسمًا صريحًا ؛ إذ لم يورد لها في هذه المصادر سوى ابنة مرة بن عاهان الحارثي(6) ، وقد ورد ذكرها عندما رثت والدها مرة الذي قتله المنتشر بن وهب الباهلي في يوم أرمام ، فأخذت ترثيه وتحرض قومها على الأخذ بثأره ، وقد أخذ قومها بنو الحارث بن كعب بثأرها ، فقتلوا المنتشر بن وهب الباهلي ، وابنة مرة هذه شاعرة جاهلية مقلّة(7) .

---

(1) شعر قبيلة مذحج ، محمد آل منور ٦٠٤/٢ .

(2) لسان العرب ، لابن منظور ، مادة (غزل) ٤٩١/١١ .

(3) حماسة أبي تمام ، شرح التبريزي ٥٨/٤ .

(٤) المصدر السابق ٦١/١ .

(5) بلاغات النساء وطرائف كلامهن وملح نوادرهن وأخبار ذوات الرأي منهن وأشعارهن في الجاهلية وصدر الإسلام ، لأبي الفضل أحمد بن أبي طاهر ، صححه وشرحه : أحمد الألفي ، مطبعة مدرسة والدة عباس الأول - القاهرة ، ط : ١٣٢٦هـ - ١٩٠٨م ، ص١٧٢ ، وانظر : شاعرات العرب ، جمع وتحقيق : عبد البديع صقر ، دار نشر المكتب الإسلامي ، ط١ ، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م ، ص٣٨٥ ، وانظر : خزانة الأدب ، للبغدادي ٣٩٩/١١ .

(٦) انظر : بلاغات النساء ، ص١٧٢ .

(٧) خزانة الأدب ١٨٨/١ ، الأعلام ، للزركلي ٢٩٠/٧ .

● المُحجـل بن حـزن الحـارثي :

اسمه معاوية بن حزن بن موألة بن معاوية بن الحارث ، من بني الحارث بن كعب المذحجي[١] ، سمي المُحجل ؛ لبرص كان به ، كان قد رأس في قومه[٢] .

● قُـس بن ساعـدة الإيـادي :

وردت كلمة قس - مثلثة العين - (بالضم ، والفتح ، والكسر)[٣] .

لذا أجد أن اسم قس بن ساعدة كذلك قد ورد مختلف الضبط ؛ حيث ورد في مصادر نصت على ضبطه بضم القاف وسكون السين المهملة (قُس)[٤] ، وعلى هذه المصادر وهذا الضـبط ورد اسمـه في مصادر أخرى ضبطته بالضم ، دون أن ينص على ذلك المصنف أو المحقق[٥] ، كما ورد في بعض مراجع التراث مضبوطـًا بفتح القاف (قَس) دونما نص على ذلك[٦] . وورد أيضا بكسر القاف (قِس) دونمـا نص على ذلك[٧] .

إلا أنه جاء مجردا من (أل) في جميع الرويات والقصص التي نقلتها المصادر ، باستثناء رواية واحـدة مسندة إلى ابن عباس رضي الله عنه قال : (قدم وفد عبد القيس على رسول الله فقال : أيكم يعرف القس بـن ساعدة الإيادي ؟)[٨] .

ولعل هذه الرواية قد تحمل على الظن أنّ قس أو القس هي لقبه لا اسمه الحقيقي ، وقد يقوي هذا الظن ما عرف عنه من أنه كان على دين المسيح ، وأنه عرف براهب نجران وعابد نجران[٩] ، وكذلك ما

---

(١) المحبر ، لابن حبيب ، ص٣٠١ ، البرصان والعرجان والعميان والحولان ، لأبي عثمان عمرو بن بحر بن محبوب (الجاحظ) ، تحقيـق : محمد مرسي الخولي ، دار الاعتصام - القاهرة ، ط : ١٣٩٢هـ ، ص٢١ ، مجمع الأمثال ، للميـداني ١٩٢/٢ ، خزانـة الأدب ، للبغدادي ٤١٦/١١ ، العقد الفريد ، لابن عبد ربه ٣٩٩/٣ .

(٢) البرصان والعرجان والعميان والحولان ، للجاحظ ، ص٢١ .

(٣) تاج العروس ، للزبيدي ، مادة (قسس) ٣٧٠/١٦ ، إكمال الأعلام بتثليث الكلام ، محمد بن عبد الله بن مالك الطـائي الجيـاني ، تحقيق : سعد بن حمدان الغامدي ، جامعة أم القرى - مكة ، ط١ ، ١٤٠٤هـ ، مادة (قسس) .

(٤) تاج العروس ، للزبيدي ، مادة (قسس) ٣٧٤/١٦ .

(٥) المحبر ، لابن حبيب ، ص٢٣٨ ، المعمرون والوصايا ، ص٨٧ ، البيان والتبيين ، للجاحظ ٤٣/١-٤٥ ، الأغاني ، للأصفهاني ١٦٢/١٥ ، المنازل والديار ، أسامة بن منقذ ، تحقيق : مصطفى حجازي ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، لجنة إحياء التـراث - مصـر ، ط : ١٣٨٧هـ - ١٩٦٨م ، ص٤٥٣ .

(٦) البداية والنهاية ، لابن كثير ٢٣٠/٢ ، تاريخ الأدب العربي ، عمر فروخ ١٧٣/١ .

(٧) معجم الشعراء الجاهليين ، عزيزة فوال بابتي ، دار صادر - بيروت ، ط١ ، ١٩٩٨م ، ص٢٩٣ .

(٨) البداية والنهاية ، ص٢٣١ ، المعجم الكبير ، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني ، تحقيق : حمـدي بـن عبـد المجيـد السلفي ، نشر : مكتبة الزهراء - الموصل ، ط٢ ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م ، ٨٨/١٢ ، السيرة الحلبية في سيرة الأمـين المـأمون ، تأليف : علي بن برهان الدين الحلبي ، دار المعرفة - بيروت ، ط : ١٤٠٠هـ ، ٣١٨/١ .

(٩) قس بن ساعدة (حياته - خطبه - شعره) ، أحمد الربيعي ، مطبعة النعمان ، بغداد ، ط : ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م ، ص١١١ .

ما لقب به بعض العباد والزهاد ممن عرفوا في الجاهلية والإسلام ، فشهروا بزهدهم حتى لقبوا بـ القس ، ومنهم في الجاهلية ورقة بن نوفل[1]، وفي الإسلام عبد الرحمن الجشمي[2]، ولكنني أجد أن جميع المصادر المصادر التي جاء فيها ذكره ورد فيها باسم قس بن ساعدة ، ولم تذكر له لقبا ولا كنية ، كما لم يعرف رجل في الجاهلية سمي باسم قس سوى قس بن ساعدة ، فورقة بن نوفل ، وعبد الرحمن الجشمي ، فمعلوم أن هذه أسماؤهم ، وأما القس فهو تلقيب لهم لا اسم ، وهذا - لا شك - يدل على أن قس هو اسمه لا لقبه[3]، وقس بن ساعدة ينتهي نسبه إلى إياد ، حيث أجمعت المصادر على هذا النسب وإن اختلفت في سرد سلسلة هذا النسب .

فهو قس بن ساعدة الإيادي بن عمرو بن عدي بن مالك بن أيدعان بن النمر بن وائلة بن الطمثان ابن عوذ مناة بن أفصى[4]، وينتهي نسبه إلى نزار[5].

كان أحد علماء العرب وحكامهم[6]، شهر بالبيان والفصاحة ، حتى ضرب بفصاحته المثل ، فقيل : أفصح من قس بن ساعدة[7]، كما قيل : أبلغ من قس[8]، وأبين من قُس[9]، كان شاعرا وخطيبًا[10]، قيل : إنه أول من اتكأ في خطبته على سيف أو عصا[11]، وهو كذلك أول من قال في رسائله : (من فلان إلى فلان) ، وأول من استخدم عبارة : (أما بعد)[12]، كان ممن آمن بالبعث من أهل الجاهلية[13]، فكثر الوعظ والتزهيد من الحياة في شعره ، زار قيصر الروم ، فأعجب به القيصر وأثنى عليه[14]، وقيل : إنه كان على دين المسيح[15]،

---

(1) المرجع السابق .

(2) انظر : الأغاني ٤٥٤/٨ .

(3) قس بن ساعدة الإيادي (حياته - خطبه - شعره) ، أحمد الربيعي ، ص١١٠-١١١ ، وانظر : الأغاني ، للأصفهاني ٤٥٤/٨ .

(٤) المحبر ، لابن حبيب ، ص١٣٦ .

(٥) جمهرة أنساب العرب ، لابن حزم ، ص٣٢٧-٣٢٨ .

(٦) المحبر ، لابن حبيب ، ص١٣٦ .

(٧) صبح الأعشى ، للقلقشندي ١٤٣/١٤ .

(٨) مجمع الأمثال ، للميداني ١١١/١ ، المزهر في علوم اللغة والأدب ، للسيوطي ٣٩١/١ .

(٩) انظر : جمهرة الأمثال ، الشيخ الأديب أبو هلال السكري ، دار الفكر - بيروت ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م ، ٢٤٩/١ .

(١٠) البيان والتبيين ، للجاحظ ٤٥/١ .

(١١) المعمرون والوصايا ، للسجستاني ، ص٨٧ ، كتاب العصا ، أسامة بن منقذ ، تحقيق : حسن عباس . تقديم : محمد مصطفى هدارة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر ، ط : تاريخ المقدمة : ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م ، ص٧٨ .

(١٢) المعمرون والوصايا ، للسجستاني ، ص٨٧ .

(١٣) البيان والتبيين ٥٢/١ .

(١٤) البصائر والذخائر ، لأبي حيان التوحيدي ٨٣٠/٢-٨٣١ .

(١٥) قس بن ساعدة الإيادي (حياته - خطبه - شعره) ، أحمد الربيعي ، ص١٠٩ .

فقد عرف براهب نجران[1]، وأسقف نجران[2].

ولقد كانت أسقفيته لكعبة نجران محل شك ، حيث رفض بعض من المؤرخين القول بذلك ، ومنهم المستشرق شبرنجر ، والمستشرق نولدكة ؛ لوجود بعض القصائد التي قد نسبت لأسقف نجران ، ثم تعرض قصائد أخرى لقس بن ساعدة في نفس المصدر ، ولذلك بنوا على هذا أن يكون أسقف نجران هو شخص آخر غير قس بن ساعدة[3]، وعلى الطرف الآخر نجد من يقول بأن قس بن ساعدة هو نفسه نفسه أسقف نجران ، ومنهم المستشرق ألفرد كريمر ، حيث يستدل على أن أسقف نجران هو نفسه قس بن ساعدة ، بدليلين ؛ هما :

١- التماثل النغمي بين القطعة الشعرية التي وردت عند الجاحظ وابن قتيبة لأسقف نجران التي يقول فيها[4]:

منع البقاءَ تصرف الشمس ... وطُلوعها من حيثُ لا تمسي

وطُلوعها بيضاءَ صافيةً ... وغروبها صفْراءَ كالورس

اليوم أعلم ما يجيءُ به ... ومضى بفَصل قضائه أمس

فهذه المقطوعة تماثل في نغمتها الرثائية القصيدة الكبيرة السينية لقس بن ساعدة ، بل إ ا رويت ضمن هذه القصيدة التي بلغت اثنين وعشرين بيتا[5]، وهذا يدلّ على أن الشخصيتين هما شخصية واحدة[6].

٢- أن صيغة اسم قس - بضم القاف - يمكن أن ترجع لكلمة قس - بالفتح - ، وتعني القسيس ، وهو الرئيس الديني[7].

كما شكك - أيضا - الشيخ حمد الجاسر في أسقفية قس لكعبة نجران ، في معرض حديثه عن نجران ، والتي نقل عن الحموي أ ا اسم لمواضع عديدة ، منها : نجران البحرين ، فقال : " والكلام على نجران البحرين يجر إلى البحث في نسبة قُس بن ساعدة الإيادي الذي يدعى أسقف نجران . فقد وردت أخبار عنه يفهم منها أنه من نجران البحرين ، منها ما رواه الطبراني في المعجم الكبير بسنده إلى

(١) العقد الفريد ١٢٢/٢ .

(٢) تاج العروس ، للزبيدي ٣٧٤/١٦ .

(٣) تاريخ التراث العربي ، سزكين ١٢٧/٢/٢ .

(٤) الحيوان ، للجاحظ ٨٨/٣ ، المعارف ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، تحقيق : ثروت عكاشة ، دار المعارف - القاهرة ، د.ت ، ص٦٣٠ .

(٥) قس بن ساعدة الإيادي (حياته - خطبه - شعره) ، أحمد الربيعي ، ص٤٠٧-٤٠٨ .

(٦) المرجع السابق ، ا لد والجزء نفسه ، ص١٢٨ .

(٧) المرجع السابق .

ابن عباس قال : (قدم وفد عبد القيس على رسول الله ﷺ فقال : « أيكم يعرف القس بـن سـاعدة الإيادي » ؟. قالوا : كلنا يعرفه يارسول الله)[١].

ومنها : ما نقله ابن كثير في البداية عن الحافظ أبي نعيم بسنده إلى ابن عباس قال : (قدم وفد بكر ابن وائل على رسول الله ﷺ فقال : « ما فعل حليف لكم يقال له قُس بن ساعدة الإيادي ؟ »)[٢].

وفي الطبقات الكبرى لابن سعد : قدم وفد بكر بن وائل على رسول الله ﷺ ، فقال رجل منهم : هل تعرف قُس بن ساعدة ؟ فقال ﷺ : « ليس هو منكم ، هذا رجل من إياد تحنف في الجاهلية ، فوافى عكاظ »[٣].

وروى البيهقي بسنده إلى أنس بن مالك قال : قدم وفد إياد على النبي ﷺ فقال : « ما فعل قُس بـن ساعدة ؟ » ، قالوا : هلك[٤].

هذه الأخبار تدل على أن سكان البحرين من بكر بن وائل ، ومن عبد القيس ذوو معرفة بقُس ، ثم هو من إياد ، وقبيلة إياد كانت تسكن البحرين قبل عبد القيس وفروع ربيعة ، فما هي إذن صـلته بنجران البعيدة عن بلاد قومه ، وعن ديار عبد القيس وبكر ، الذين سألهم الرسول ﷺ عنه ؟.

قد يقال : إن قُسـا كان أسقفًا ، والأسقف ذو منصب ديني عند النصارى ، والنصرانية كانـت منتشرة في نجران الواقع في جنوب الجزيرة ، بينما كانت ا وسية في بلاد البحرين ؛ اور ـا ا ـبلاد الفرس ، ولنفوذهم فيها . ولكن ينبغي أن يلاحظ أن النصرانية انتشرت في الجزيرة بامتداد سلطة الدولة الحميرية قبيل الإسلام ، فوجدت بين آثار (ثاج) بمنطقة وادي المياه غرب الجبيل كتابات حميرية وردت فيها أسماء مسيحية ، منها : إيليا "[٥].

إلا أنني أجد أن تشكيك الشيخ حمد الجاسر - رحمه الله - في أسقفية قس لكعبة نجران هو تشـكيك مبني على الاستنباط والاستنتاج والتوسع في دلالات الروايات والأخبار ، حيث إن ذكر البحرين - وهـي موطن قبائل إياد - ، ثم سؤال الرسول ﷺ وفد بكر بن وائل ، ثم كون نجران أيضـا اسـم موضـع بالبحرين ، ووجود النصرانية بالبحرين ، كل هذه الأدلة قرائن قد ترجح أن يكون قس بـن سـاعدة أسقفًا في البحرين كما اعتقد الشيخ الجاسر .

إلا أني وبالرغم من كل ما تقدم ، يظلّ القول المرجح عندي : أن أسقف نجران اليمن هو نفسـه

---

(١) المعجم الكبير ، للطبراني ٨٨/١٢ .

(٢) البداية والنهاية ، لابن كثير ٢٣١/٢ .

(٣) الطبقات الكبرى ، لابن سعد ٣١٥/١ .

(٤) البداية والنهاية ، لابن كثير ٢٦٣/٢ .

(٥) المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية المنطقة الشرقية (البحرين قديما) ، القسم الرابع ، ص١٧٢٥-١٧٢٦ .

قس بن ساعدة الإيادي ، ولي في ذلك عدة قرائن تنهض على صحة اعتقادي ، منها :

١- كانت منازل قبيلة إياد قديما في سروات تهامة إلى حد نجران وما والاها وما صاقبها من البلاد[١] ، فسكنوا بيشة ، وربما سكن بعضهم نجران ، وقيل : إنهم كانت لهم وقائع مع النخع ، وهي من قبائل الأزد اليمنية ، وقد أشار إلى هذه الوقائع لقيط بن يعمر الإيادي في شعره ، عندما حذر قومه من غزو كسرى ، حيث قال في قصيدته هذه[٢]:

أبلغ إيادا ، وخلل في سراتهم إني أرى إن لم أعص قد نصعا
ولا يدع بعضكم بعضا لنائبةٍ كما تركتم بأعلى بيشةَ النخعا

وكذلك فقد روت أقدم المصادر أن لربيعة أساقفة مقيمين في كعبة نجران ، فقد كان أبو حارثة ابن علقمة - وهو أحد بني بكر بن وائل ، وهي بطن من ربيعة -[٣] أسقفًا لكعبة نجران[٤] ، وكان ضمن وفد نصارى نجران الذين قدموا للرسول ﷺ وأرادوا مباهلته ، ولو ذكرت لنا المصادر أسماء بقية هذا الوفد المكون من ستين راكبا ، لربما وجدنا فيهم عددا من إياد ، حيث دلت المصادر على أن هذا الوفد لم يكن من قبيلة واحدة ، وإنما هم من عدد من القبائل التي سكنت نجران ، وإن كانوا جميعا تحت زعامة وسيادة بني عبد المدان[٥] .

٢- كانت نجران اليمن هي الأقدم والأشهر ، حيث إن نجران اليمن كانت من عهود ما قبل التاريخ ، أما نجران البحرين فلم يرد لها ذكر في كثير من المصادر ، بل لعل الحموي لو لم ينوه بذكرها حين حديثه عن نجران لما عرفت .

٣- ورد في شعر قس بن ساعدة وخطبه ذكر كثير من ملوك اليمن ، تبابعة حمير ، وكثير من هؤلاء الملوك لم يعرف له ذكر لولا وروده في شعر قس ، فهذا دليل على اتصاله الوثيق باليمن عامة ، وبنجران على وجه الخصوص ، ولعلها كانت - بحق - مسقط رأسه[٦] .

---

(١) معجم ما استعجم ، للبكري ١٨/١ .

(٢) ديوان لقيط بن يعمر الإيادي ، رواية أبي المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي ، تحقيق : خليل إبراهيم العطية ، عالم الكتب - بيروت ، ط٢ ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م ، والاشتقاق ، لابن دريد ، ص١٦٩ .

(٣) انظر : جمهرة النسب ، للكلبي ، ص٤٨٣-٤٨٦ .

(٤) انظر : السيرة النبوية ، لابن هشام ٥١٠/٢-٥١١ .

(٥) انظر : المصدر السابق .

(٦) قس بن ساعدة الإيادي (حياته - خطبه - شعره) ، أحمد الربيعي ، ص١٩٨ ، انظر : نجران منطلق القوافل ، للأنصاري ، ص٢٩ ، ، نجران دراسة تاريخية ، لابن جريس ، ص٣٩٥ .

٤- كما أن له قصيدة تدلّ إحدى رواياتها على أن قبره بنجران ، حيث قال[١]:

ألـــم تعلمـــا أنـــي بنجـــرانَ مفْـــرد ومـــالي فيـــه مـــن حبيـــبٍ ســـواكُما

وعلى هذا فإني أرجح حقيقة أسقفية قس بن ساعدة لكعبة نجران ، كما ورد في كثير من المصادر .

وقد عمر قس طويلاً ، فقد قيل : إنه توفي وعمره ثلاثمائة وثمانون سنة[٢]، وكانت وفاته نحو سنة (٢٢) قبل الهجرة النبوية[٣]، وقد أدركه الرسول ﷺ قبل أن يبعثه الله نبيًا ، حيث رآه يخطب في سوق عكاظ ، فأعجب بكلامه وموعظته .

وذكر الجاحظ أن لقس وقومه فضيلةً ليست لأحد من العرب ؛ لأن رسول الله ﷺ روى كلامه وموقفه على جمله بعكاظ وموعظته .. وعجب من حسن كلامه ، وأظهر تصويبه . وهذا شرف تعجز عنه الأماني ، وتنقطع دونه الآمال . وإنما وفق الله ذلك الكلام لقس بن ساعدة ؛ لاحتجاجه للتوحيد ، ولإظهاره معنى الإخلاص ، وإيمانه بالبعث . ولذلك كان خطيب العرب قاطبة[٤].

٢- الشعراء المخضرمون والإسلاميون :

● يزيد بن عبد المدان :

هو يزيد بن عبد المدان (عمرو) بن الديان (يزيد) بن قطن بن زياد من بني الحارث بن كعب ، المذحجي[٥]، سمي على اسم جده الديان ، يكنى بأبي المنذر[٦]، كما يكنى بأبي النضر[٧]، كان شاعرا شريفًا وسيدا شجاعا في قومه[٨]، وهو من بيت شرف ورئاسة ، وفد على أمراء الشام من أبناء جفنة ، فأكرمه الحارث الجفني وأعزه ، وأجلسه معه على سريره ، وسقاه بيده ، وخصه بعطاء لم ينله أحد من العرب[٩]. كان ذا مهابة عظيمة ، وعقلٍ راجح ، ورأيٍ سديد ، ذاع صيته عند العرب ، فهابوه

---

(١) البداية والنهاية ، لابن كثير ٢٣٥/١ ، خزانة الأدب ، للبغدادي ٧١/١-٧٢ ، قس بن ساعدة (حياته - خطبه - شعره) ، أحمد الربيعي ، ص٣٦٩-٣٩٦ .

(٢) المعمرون والوصايا ، للسجستاني ، ص٨٧ .

(٣) تاريخ الأدب العربي ، عمر فروخ ١٧٣/١ .

(٤) البيان والتبيين ٥٢/١ .

(٥) الأغاني ، للأصفهاني ٢٦٨/١٢ ، الأعلام ، للزركلي ١٨٤/٨-١٨٥ ، معجم الشعراء ، عفيف عبد الرحمن ، ص٢٨٥ .

(٦) الإصابة في تمييز الصحابة ، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي . تحقيق – علي محمد البجاوي ، دار الجيل. بيروت ، ط ١ : ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م ٦٦٨/٦ .

(٧) الأغاني ، للأصفهاني ٢٧٥/١٢ .

(٨) الإصابة ٦٨٨/٦ .

(٩) الأغاني ، للأصفهاني ٢٧٢/١٢-٢٧٣ .

وأعظموه . كان من أصحاب النصرة للمظلومين ، فقصده الكثير منهم ، فاحتموا بحمايته ، كما قصده الكثير من الشعراء فمدحوه . له أخبار مع دريد بن الصمة ، وعامر بن الطفيل[1] . شهد يوم الكلاب الثاني مع أشراف مذحج ، وقيل : إنه في هذا اليوم قتل ورثته زينب بنت مالك أخت ملاعب الأسنة (عامر بن مالك) ؛ ليد كانت له عليهم ، ولعلّ هذه رواية قد انفرد بها الأصفهاني[2]؛ إذ نجد رواية أخرى تكاد تجمع عليها العديد من المصادر ، وفي مقدمتها كتب السيرة النبوية ، والتي أوردت اسم يزيد بن عبد المدان ضمن أعضاء وفد بني الحارث بن كعب ، والذين قدموا إلى الرسول ﷺ في السنة العاشرة من الهجرة مع خالد بن الوليد ليعلنوا إسلامهم ، فتروي هذه المصادر قصة هذا الوفد المكون من عدد من أشراف بني الحارث بن كعب ، وفي مقدمتهم : يزيد بن عبد المدان ، ومثوله بين يدي الرسول الكريم ، فلما رآهم قال : « من هؤلاء القوم الذين كأنهم رجال من الهند ؟ » ، قيل : يارسول الله ، هؤلاء رجال بني الحارث بن كعب ، فلما وقفوا على رسول الله ﷺ سلموا عليه ، وقالوا : نشهد أنك رسول الله ، وأنه لا إله إلا الله ، قال رسول الله ﷺ : « وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله » ، ثم قال رسول الله ﷺ : « أنتم الذين إذا زجروا استقدموا ؟ » ، فسكتوا ، فلم يراجعه منهم أحد ، ثم أعادها الثانية ، فلم يراجعه منهم أحد ، ثم أعادها الثالثة ، فلم يراجعه منهم أحد ، ثم أعادها الرابعة ، فقال يزيد بن عبد المدان : نعم يارسول الله ، نحن الذين إذا زجروا استقدموا ، قالها أربع مرات ، فقال رسول الله ﷺ : « لو أن خالدا لم يكتب إلي أنكم أسلمتم ولم تقاتلوا ، لألقيت رؤوسكم تحت أقدامكم » ، فقال يزيد بن عبد المدان : أما والله ما حمدناك ولا حمدنا خالدا ، قال : « فمن حمدتم » ؟ قالوا : حمدنا الله الذي هدانا بك يارسول الله ، قال : « صدقتم »[3] .

ويتضح من خلال قصة هذا الوفد وما دار فيه من حديث بين الرسول ﷺ وبين يزيد بن عبد المدان ما يدل دلالة واضحة على ما اتسم به يزيد من شخصية قوية ، وعقل راجح تشرب نور الهدى والإسلام سريعا ، فلم يحمد على نعماه هذه إلا الله الذي هداه برسول الحق إلى الدين القويم . ويظهر أن وفاته كانت بعد السنة العاشرة للهجرة ؛ إذ لم يرد له ذكر بعد وفادته على النبي ﷺ في السنة العاشرة .

---

(1) المصدر السابق ٢٧١/١٢-٢٧٣ ، موسوعة الشعر العربي ، مطاع صفدي وإيلياء حاوي ٣٥٥/٣ ، أسواق العرب في الجاهلية والإسلام ، سعيد الأفغاني ، ص٢٩٣-٢٩٤ .

(2) الأغاني ، للأصفهاني ٢٧٧/١٢ .

(3) السيرة النبوية ، لابن هشام ٥٠١/٤ ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ١٥٧٨/٤ ، أسد الغابة ٥١٨/٥ ، الروض الأنف ، للسهيلي ، تحقيق : طه عبد الرؤوف ٢١٨/٤ ، الإصابة في تمييز الصحابة ٦٦٨/٦ ، الطبقات الكبرى ، لابن سعد ٥٢٨/٥ .

● عبـد الحـارث بن أنـس الحـارثي :

هو عبد الحارث بن أنس بن الديان الحارثي المذحجي[1]، وقيل : عبد الرحمن ، ولعله قد غير اسـمه الرسول ﷺ [2]، كان سيدا في قومه ، أسلم مع قومه في السنة العاشرة ، وله شعر يثني فيه قومه عن الردة عن الإسلام بعد وفاة النبي ﷺ [3].

● عبـد الله بن عبـد المـدان :

هو عبد الله بن عبد المدان بن يزيد بن قطن بن الحارث بن مالك بن ربيعة بن كعب بن الحـارث المذحجي[4]، قدم على رسول الله ﷺ ضمن وفد بلحارث بن كعب في السنة العاشرة للهجرة ، وكـان اسمه : عبد الحجر ، فقال له الرسول ﷺ : « من أنت » ؟ قال : أنا عبد الحجر ، فقال الرسـول ﷺ : « أنت عبد الله » ، فأسلم[5]. وهو شاعر مخضرم ، ومن سادات نجران ، أصهر إليه عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب ، فتزوج ابنته عائشة[6].

وفي يوم صفّين ولى علي بن أبي طالب ﷺ عبيد الله بن العباس اليمن ، فحين أحس عبيد الله بتوجـه بسر بن أرطأة إليه بأمر من معاوية بن أبي سفيان ، فر من اليمن متوجها إلى علي في الكوفة ، واسـتخلف على نجران صهره عبد الله بن عبد المدان ، فقدم بسر إلى نجران وقتل عبد الله بن عبد المدان وابنه مالك وولدي عبيد الله بن العباس من عائشة[7].

● قيـس بن الحصـين الحـارثي :

هو قيس بن الحصين بن يزيد بن شداد بن قنان الحارثي المذحجي ، يقال له : ابن ذي الغصة[8]، وهو من شعراء بني الحارث بن كعب ومن فرسا ا المقدمين ، قيل : له ولأخوته فوارس الأرباع ، فكل واحـد منهم يقود ربع الجيش[9]، شهد يوم الكُلاب الثاني مع مذحج ، كان ضمن الوفد الذي قدم على الرسول ﷺ في السنة العاشرة فأعلن إسلامه بين يدي الرسول ، وكتب له الرسول ﷺ بالإمارة على قومه[10].

---

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٩٤٣/٣ ، أسد الغابة ٢٢٩/٣ ، الإصابة ١٦٠/٤ .
(٢) معجم الشعراء ، عفيف عبد الرحمن ، ص١٤٥ .
(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٩٤٣/٣ .
(٤) المصدر السابق ، أسد الغابة ٢٢٩/٣ ، ٣٠٧/٣ ، الإصابة ١٦٠/٤ ، خزانة الأدب ، للبغدادي ٧٥/٤-٧٦ .
(٥) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٩٤٣/٣ ، أسد الغابة ٢٢٩/٣ ، ٣٠٧/٣ ، الإصابة ١٦٠/٤ .
(٦) المصدر السابق .
(٧) المصدر السابق .
(٨) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ١٢٨٦/٣ ، أسد الغابة في معرفة الصحابة ، لابن الأثير ٤٤٣/٤ .
(٩) العقد الفريد ، لابن عبد ربه ٣٩٩/٣ ، الإكليل ، للهمداني ١٦١/١٠ .
(١٠) الاستيعاب ١٢٨٦/٣ .

● **مسهـر بن يزيـد الحـارثي :**

هو مسهر بن يزيد بن عبد يغوث بن صلاءة الحارثي المذحجي ، وهو من أهل بيت شعر معـرق في الجاهلية والإسلام[1]، كان شاعرا وفارسا شريفًا في قومه ، ثم جنى جناية في قومه فلحق ببني عامر بن بن صعصعة وأقام فيهم ، حتى جاء يوم فيف الريح فشهده معهم ، فما لبث أن انحاز إلى قومه بني الحارث بن كعب حين رأى ما أوقعه م بنو عامر من قتلٍ وبلاء ، دفعه لذلك حميته وعصبيته القبلية . وفي هذا اليوم طعن مسهر عامر بن الطُفيل في عينه فأرداه أعور ، وفي ذلك يقول عامر[2]:

لَعمـري ومـا عمـري علـي بهـينٍ   لَقد شانَ حـر الوجـه ضـربة مسـهر

وقيل : إن مسهرا قتل في يوم فيف الريح[3]، إلا أنه لم يثبت أنه قتل في هذا اليوم ، وقد كان يـوم فيف الريح بعد أن بعث الرسول ﷺ بمكة ، فقيل : إن مسهر أدرك الإسلام فأسلم[4]، ولم يعرف عنـه خبر فيه ، ولذا نجد أن وفاته لعلها كانت نحو السنة العاشرة للهجرة أو بعدها بقليل .

● **اللجـلاج الحـارثي :**

هو طُفيل بن يزيد بن عبد يغوث بن صلاءة الحارثي ، فهو من أحفاد الشاعر الجاهلي عبد يغوث ، كما أنه أخو الشاعر مسهر ، ولقب باللجلاج ، وهو فارس وشاعر مخضرم[5]، وله وفادة على الرسول ﷺ ، ، كما ذكره ابن حجر وقال عنه : إنه عمر طويلاً حتى أدرك خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وكانـت سنه حينها ستين ومائة عام[6]، ولعل وفاته كانت بعد سنة (١٤) للهجرة .

● **كـرز بن علقمـة النجـراني :**

هو كُرز - ويقال : كوز - بن علقمة من بني بكر بن وائل[7]، وأخوه هو أسقف نجران ، اسمه : أبو حارثة بن علقمة[8]، وكان كرز ضمن وفد نصارى نجران الذين وفدوا على الرسول ﷺ ، فحـين انصرف وفدهم عن الرسول عليه السلام عثرت بغلة أبي حارثة ، فقال كرز : تعس الأبعد ، يريد محمدا ﷺ ،

---

(١) الأغاني ، للأصفهاني ٤٨٧/١٦ ، جمهرة أنساب العرب ، لابن حزم ، ص٤١٧ ، الأعلام ، للزركلي ٢٢٥/٧ .

(٢) ديوان عامر بن الطفيل ، بشرح الأنباري ، تحقيق ودراسة : أنـور أبي سـويلم ، دار الجيـل - بـيروت ، ط١ ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م ، ص٢١٥ .

(٣) ذيل الأمالي والنوادر ، لأبي علي القالي ، ص١٤٧ .

(٤) العقد الفريد ، لابن عبد ربه ٢٢٢/٥-٢٢٣ ، الأعلام ، للزركلي ٢٢٥/٧ .

(٥) الأغاني ، للأصفهاني ٤٨٧/١٦ ، نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب ، ابن سعيد ٢٣٨/١ ، خزانة الأدب ، للبغدادي ٢٠٢/٢ ، ، الأعلام ، للزركلي ٢٢٧/٣ .

(٦) الإصابة في تمييز الصحابة ، ص٦٣٧ .

(٧) أسد الغابة ٥٣١/٤ ، الإصابة ٥٨٤/٥ .

(٨) السيرة النبوية ، لابن هشام ٥١٠/٢ ، الإصابة ٥٨٤/٥ .

فقال له أبو حارثة : بل أنت تعست ! فقال له : ولم يا أخي ؟ قال : إنه والله النبي الذي كنا ننتظـر ، فقال كرز : فما يمنعك وأنت تعلم هذا أن تتبعه ؟ فرد عليه أبو حارثه بأن ما يمنعه هو ما كان يجنيه من منصبٍ ومالٍ مولته به الإمبراطورية الرومانية الداعية للدين النصراني ، ولكن كرزا حين تبين صدق نبوة محمد وبشهادة أخيه ، توجه من فوره إلى المدينة مرتجزا أبياتا يعلن فيها تركه لدين النصارى ، واتباعـه لدين الإسلام وما جاء به محمد ﷺ [1]، حيث قال[2]:

إليـك تعـدو قلقـًا وضينهـا معترضـا فـي بطنهـا جنينهـا

مخالفـًا ديـن النصـارى دينهـا

- **عمـير بن الحصـين النجـراني :**

يبدو فيما اطّلعت عليه من المصادر أنه كان خطيبا ، وشاعرا ، من أهل نجران[3]، وقد كـان لـه موقف مشرف حين ارتد بعض أهل نجران عن الإسلام بعد وفاة النبي ﷺ ، حيث قام فيهم عمير فقال : " إنكم لأن تزدادوا من هذا الأمر أحوج إلى أن تنقصوه ، فإن الافتكار الشك بعد الـيقين ، وديـنكم اليوم دينكم بالأمس ، فكونوا عليه حتى تخرجوا به إلى رضا الله تعالى ونوره "[4]، ثم أنشـدهم شـعرا يحثهم فيه على الثبات على هذا الدين ، قال فيه[5]:

أهـلَ نجـرانَ أمسِـكوا بهـدى الـ ـ ـله وكونـوا يـدا علـى الكفـار

لا تكونـوا بعـد اليقـين إلى الشـ ـ ـك وبعـد الرضـا إلى الإنكـار

واسـتقيموا علـى الطريقـة فيـه وكونـوا كهيئـة الأنصـار

- **الأجـدع بن مـالك الوادعـي :**

هو الأجدع بن مالك بن أُمية ، أحد بني وادعة بن عمرو (مزيقياء) بن عامر بن حارثة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن مازن بن الأزد بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان[6]، وقد دخل بنو وادعة هؤلاء في همدان بن مالك بن زيد بن أُوسلة بن ربيعة بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهـلان[7]، لـذا عـرف الأجدع بن مالك بالهمداني ، نسبة إلى عمرو بن جشم بن حاشد بن جشم بن خيران بن نـوف بـن

---

(١) الإصابة ٥٨٤/٥-٥٨٥ ، الطبقات الكبرى ، لابن سعد ٣٥٧/١ ، ١٦٤/١-١٦٥ .

(٢) السيرة النبوية ، لابن هشام ، تحقيق : السقا وآخرين ٥١١/٢ .

(٣) أسد الغابة ٣٠٩/٤ ، الإصابة ١٦٠/٥ .

(٤) المصدر السابق .

(٥) المصدر السابق .

(٦) جمهرة النسب ، للكلبي ، ص٦١٥-٦١٦-٦١٧ .

(٧) جمهرة أنساب العرب ، لابن حزم ، ص٣٩٢-٣٩٣-٣٩٤ ، انظر : العقد الفريد ٣٩٣/٣ .

همدان[1]، ويعد الأجدع فارسا سيدا وشاعرا[2]، كان قائد همدان كلها يوم الرزم[3]، كما كان له م ل يقيم فيه بنجران[4]، فشهد يوم حضن مع بني الحارث بن كعب ، وأبلى في ذلك اليوم ، وله فيه نقائض مع دريد بن الصمة[5]، وهو من شعراء الجاهلية الذين أدركوا الإسلام ، فأسلم مع قومه[6]، وطال عمره عمره حتى زمن عمر بن الخطاب ﷺ ، ووفد عليه ، فقال له عمر : من أنت ؟ فقال : الأجدع ، فقال له عمر : إنما الأجدع شيطان ، أنت عبد الرحمن[7]. وقيل : هلك في زمان عمر[8]، وابنه مسروق مـن الفقهاء الأجلاء ورواة الحديث[9].

● **النجـاشي الحـارثي :**

اختلف في اسمه ، فقيل : هو سمعان بن عمرو[10]، وقيل : قيس[11] بن عمرو بن مالك بن معاوية بن خديج بن الحماس بن ربيعة بن الحارث بن كعب المذحجي[12]، يكنى بأبي الحارث ، وبأبي محاسن[13]، عرف بالنجاشي ؛ بسبب أدمة بشرته[14]، أو بسبب أمه الحبشية[15]، وهو شاعر هجاء مخضرم ، اشتهر في الجاهلية والإسلام ، وموطنه نجران باليمن ، و ا ولد ونشأ[16]، هاجم الشاعر تميم بن مقبل ورهطـه بني العجلان ، وأقذع في هجائهم ، وقد كان بنو العجلان يفخرون ذه الكنية وهذا الاسم ؛ لقصـة كانت لصاحبه في تعجيل قرى الأضياف ، إلى أن هاجمهم النجاشي وهجاهم بقوله[17]:

---

(1) المؤتلف والمختلف ، للآمدي ، ص61 .

(2) المصدر السابق .

(3) انظر : الإكليل من أخبار اليمن وأنساب حمير ، الكتاب العاشر ، للهمداني ، ص86 ، وانظر : معجم ما استعجم من أسماء الـبلاد والمواضع ، للبكري ، رسم (رزم) 649/2/1 ، وانظر : خزانة الأدب ، للبغدادي 110/4 .

(4) تفسير الدامغة ، للهمداني ، ص263 .

(5) المصدر السابق ، ص263 وما بعدها .

(6) جمهرة أنساب العرب ، لابن حزم ، ص394 .

(7) الطبقات الكبرى ، لابن سعد 76/6 ، الروض الأنف ، للسهيلي ، تحقيق : طه عبد الرؤوف 201/4 .

(8) الإصابة في تمييز الصحابة 186/1 .

(9) المصدر السابق 291/6 .

(10) الإصابة في تمييز الصحابة 491/6 .

(11) المصدر السابق 493/6 .

(12) المصدر السابق 492/6 ، الاشتقاق ، لابن دريد ، ص400 ، الشعر والشعراء ، لابن قتيبة 329/1 ، الأعلام ، للزركلي 207/5 .

(13) الإصابة في تمييز الصحابة 492/6 .

(14) المصدر السابق 493/6 .

(15) انظر : سمط اللآلي ، ص890 ، وانظر : التعليقات والنوادر ، لأبي علي هارون بن زكريا الهجري ، دراسـة وتحقيـق : حمـود عبد الأمير الحمادي ، دار الرشيد للنشر - العراق ، ط : 1980م ، 95/1 .

(16) تاريخ الأدب العربي ، كارل بروكلمان 173/1 ، تاريخ التراث العربي ، فؤاد سزكين 345/2/2 .

(17) العمدة ، لابن رشيق 52/1-76 ، الشعر والشعراء ، لابن قتيبة 330/1-331 .

وما سمي العجلانُ إلا لقولهم خـذ الـ ـقعب واحلب أيهـا العبـد وأعجـل

فاستعدوا عليه عمر بن الخطاب ﷺ ، وكان عمر بصيرا بالشعر ، إلا أنـه أراد أن يـدرأ الحـد بالشبهات ، فحكم حسان بن ثابت في شعر النجاشي في بني العجلان ، فحكم حسان بأنه أقذع فيهم ، فسجنه عمر ، وقيل حده[(١)].

كما اشتبك - وهو في وطنه نجران - مع عبد الرحمن بن حسان ، وقيل : إن الذي هاج الهجـاء بينهما : أنّ امرأة من بني الحارث بن كعب كانت ناكحا بالمدينة عند رجل من بني مخزوم ، وكانت من أجمل النساء ، فكان ابن حسان يشبب ا حتى يرقأ ذلك ، فهجاه النجاشي ، ورد عليه ابن حسـان ، فتهاديا الشعر حينا ، وابن حسان بالمدينة ، والنجاشي بنجران[(٢)].

ولعل هذا السبب إضافة إلى قصة التحكيم السابقة كانا سببين لهما كبير الأثر في العـداء الـذي نشب بين النجاشي وعبد الرحمن بن حسان . وقد كان حسان يعين ابنه ؛ لعلمه بم لة النجاشي ، حيـث قال عنه : أشعر العرب[(٣)]، وقد استمر الهجاء بينهما زمنا ، ثم اتعدا سوق ذي ا از ، و اديـا الشـعر والهجاء فيه ، حتى طال قبيلة كل منهما[(٤)]، إلى أن وفد بنو عبد المدان على حسان بن ثابت في المدينـة بالنجاشي موثقًا ليحكم فيه وتنتهي المهاجاة بينهما[(٥)].

ولعل هذه الحادثة وتسليم بني عبد المدان له هي التي حملته على مغادرة نجران ، فقد نزل الحجاز ثم غادر إلى الكوفة[(٦)]، وكان من أنصار علي بن أبي طالب ﷺ ومدحه ، وكان علي يأمره بمحاربة شعراء أهل الشام ، فكان شاعر صفين ، بل شاعر أهل العراق من أنصار علي[(٧)].

وما زال النجاشي على ولائه لعلي بن أبي طالب ﷺ إلى أن حده علي في رمضان ، حيث كـان النجاشي فاسقًا رقيق الدين ، فشرب الخمر في ار رمضان وهو بالكوفة ، فرفع أمره إلى علي بـن أبي طالب ، فحده علي ثمانين جلدة ، ثم زاده عليها عشرين جلدة ، فقال : ما هذه العلاوة يا أبا الحسن ؟ فقال علي : لجرأتك على الله في شهر رمضان ، ثم وقفه للناس ليروه ، فهجا النجاشي حينها أهل الكوفة ،

(١) المصدر السابق ، العمدة ، لابن رشيق ٥٢/١ .
(٢) تاريخ الأدب العربي ، كارل بروكلمان ١٧٣/١ ، الأخبار الموفقيات ، الزبير بن بكار ، ص٢٣٤ .
(٣) المصدر السابق ، ص٢٣١ ، تاريخ الأدب العربي ، كارل بروكلمان ١٧٣/١-١٧٤ .
(٤) المصدر السابق ، ص٢٣٤ .
(٥) خزانة الأدب ، للبغدادي ٥٦/٤-٥٧ .
(٦) تاريخ الأدب العربي ، عمر فروخ ٣١٣/١-٣١٤ .
(٧) شرح ج البلاغة ، عبد الحميد بن هبة الله بن أبي حديد ، تحقيق : محمد أبي الفضل إبـراهيم ، دار الكتـب العربيـة - مصـر . ط : ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م ، ٨٧/٣ .

ثم انتقل إلى معسكر معاوية بن أبي سفيان وهجا عليـا وقريشا [1]، إلا أنه بعد ذلك رثى الحسن بن علي ، ، ولعله كان صادق الولاء لعلي وأهل بيته[2]، ثم عاد بعد ذلك إلى اليمن وهو في سن متقدمة ، وتـوفي في سنة (٤٠) للهجرة النبوية ، وروي أنه مات ودفن في نجران[3]، وقيل : بلَحج[4]، وهذه الرواية هـي هي الأقرب للصواب ، حيث أورد الآمدي لأخيه خديج قصيدة يرثيه فيها ، ويذكر أن قبره بلَحج[5].

● **خـديج الحـارثي :**

هو خديج بن عمرو بن مالك بن حزن بن الحارث بن خديج بن الحماس بن ربيعة بـن كعـب الحارث بن كعب من مذحج ، وهو أخو الشاعر النجاشي ، وكانت وفاته بعد أخيه النجاشي ؛ إذ نجده قد رثاه بعد موته[6].

● **عمـرو بن قـراد الحـارثي :**

هو عمرو بن قُراد الزيادي الحارثي ، وهو شاعر إسلامي من أهل نجران[7].

● **الشميـذر الحـارثي :**

هو الشميذر الحارثي من بني الحارث بن كعب ، وهو شاعر فارس إسلامي[8].

● **ابن ذي العرقـوب الحمـاسي :**

هو ابن ذي العرقوب الحماسي من بني الحارث بن كعب ، شاعر مقل[9]، ويظهر من شعره أنـه

---

(١) الشعر والشعراء ، لابن قتيبة ٣٣٠/١ ، خزانة الأدب ، للبغدادي ٣٦٨/٤ ، شرح ج البلاغة ، لابن حديد ٨٧/٣-٨٨ .

(٢) تاريخ الأدب العربي ، كارل بروكلمان ١٧٤/١ ، تاريخ التراث العربي ، فؤاد سزكين ٣٤٥/١/٢ .

(٣) خزانة الأدب ، للبغدادي ١٧٧/١ .

(٤) لَحج - بفتح أوله وإسكان ثانيه ، بعده جيم - : موضع قبلَ نجران ، نسبت إلى بطن من حمير ، هم أبناء لحج بن وائل بن الغوث بن قطن ابن عريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن حمير ، وهي من مدن ائم اليمن ، وكانت للأصابح من أبناء أصبح بن عمـرو بن الحارث بن حمير . معجم ما استعجم من أسماء الـبلاد والمواضـع ، للبكـري ١١٥٢/٤ ، معجـم البلـدان ، للحمـوي ، رسم (لحج) ١٤/٥ ، الإصابة في تمييز الصحابة ٤٩٢/٦-٤٩٣ ، تاريخ التراث العربي ، فؤاد سزكين ٣٤٥/١/٢ ، تـاريخ الأدب العربي ، كارل بروكلمان ١٧٤/١ .

(٥) المؤتلف والمختلف ، للآمدي ، ص١٥٨ .

(٦) الإصابة في تمييز الصحابة ٤٩٢/٦-٤٩٣ ، المؤتلف والمختلف ، للآمدي ، ص١٥٨ .

(٧) من اسمه عمرو من الشعراء ، لأبي عبد الله محمد بن داود بن الجراح ، تحقيق : عبد العزيز بن ناصر المانع ، مكتبة الخانجي - مصـر ، ، ط١ ، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م ، ص١٩٠ ، معجم الشعراء ، عفيف عبد الرحمن ، ص١٩١ .

(٨) المؤتلف والمختلف ، للآمدي ، ص٢٠٦ ، الحماسة ، لأبي تمام حبيب بن أوس الطائي ، تحقيق : عبد الله عبد الـرحيم عسـيلان ، دار الهلال للأوفست - الرياض ، أشرفت على طباعته ونشره : إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بـن سـعود الإسـلامية ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م ، ٨٢/١ ، معجم ما استعجم ، للبكري ١٠٠٧/٣ .

(٩) التعليقات والنوادر ، لأبي علي الهجري ، دراسة وتحقيق : حمود عبد الأمير الحمادي ١٧٦/١ .

إسلامي ، لم أجد له ذكرا إلا في كتاب التعليقات والنوادر للهجري ، حيث ذكر له بيتين يخاطب فيهما أهل حبونن ونجران ، معلنًا لهم عزمه على الرحيل عنهم ، في قوله[1]:

ألا هلْ أتى من حلّ بطْن حبونن ونجرانَ أخبار الأمور الجَسائم[2]
بأنا رحلْنا العيس من ذي بوانةٍ وثَجر على رأي من القوم حازم[3]

● عمرو الحارثي :

هو عمرو بن عامر الحارثي من بني الحارث بن كعب المذحجي ، عرف بابن هند[4]، ويشترك معه في الشهرة بهذه الكنية شاعر آخر ، هو عمرو النهدي[5]، وعمرو الحارثي ، شاعر إسلامي من أهل نجران ، وقد عرف في عصر الدولة الأموية[6].

● عائشة بنت عبد المدان :

هي عائشة بنت عبد الله بن عبد المدان من بني الحارث بن كعب المذحجي ، فهي من سيدات نساء بني الحارث بن كعب ، جمعت مع شرف المنزلة والحسب ؛ الجمال ، فقد شهرت بجمالها ، تزوجها عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب[7]، وكان علي بن أبي طالب ﷺ قد استخلف زوجها على اليمن أيام صفين ، فحين شعر بتوجه بسر بن أرطأة إليه ، فر من اليمن ، واستخلف صهره عبد الله ، فلما قدم بسر قتل صهره وابنه مالكًا ، كما ظفر بابني عبيد الله قثم وعبد الرحمن ، وهما من عائشة ، وكانا صبيين صغيرين ، فذبحهما قبالة أمهما عائشة ، فأصابها من ذلك أمر عظيم ، حتى إنها وسوست ، فصارت تسير في الأسواق ترثي ابنيها شعرا[8].

---

(١) المصدر السابق .

(٢) حبونن : هو الوادي الثاني في بلاد نجران ، ويسمى حاليًا : وادي حبونة . انظر : في بلاد عسير ، فؤاد حمزة ، ص١٦٨ ، وانظر : اليمن الخضراء مهد الحضارة ، الأكوع ، ص١٥١ .

(٣) ذي بوانة : يظهر أنه اسم موضع ، لم أجد له ذكرا في المصادر .

ثَجر - بالفتح ثم السكون - : ماء لبني الحارث بن كعب ، قريب من نجران . معجم البلدان ، للحموي ، رسم (ثجر) ٧٤/٢ .

(٤) معجم الشعراء ، للمرزباني ، ص٤٥-٥٥ .

(٥) المصدر السابق ، ص٥٥ ، من اسمه عمرو من الشعراء ، لأبي عبد الله محمد بن داود بن الجراح ، تحقيق : عبد العزيز بن ناصر المانع ، ص١٨٩ ، معجم الشعراء ، عفيف عبد الرحمن ، ص١٨٧ .

(٦) من اسمه عمرو من الشعراء ، لأبي عبد الله بن الجراح ، ص١٨٩ .

(٧) نسب قريش ، لأبي عبد الله الزبيري ، ص٣١ ، المعارف ، لابن قتيبة ، ص١٢٤ .

(٨) الاستيعاب ١٦٠/١ ، الكامل في التاريخ ، لابن الأثير ٢٥١/٣ ، تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأوائل ، لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي ، تحقيق : محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري ، دار الفكر - بيروت ، ط : ١٩٩٥م ، ١٥٣/١٠ .

● **علبـة الحـارثي :**

هو علبة بن ربيعة[1]، وقيل : ابن ماعز[2] من بني المعقل من بني الحارث بن كعب من مذحج ، وهـو والد الشاعر جعفر ، وله شعر في رثاء جعفر[3].

● **جعفـر بن علبـة الحـارثي :**

هو جعفر بن علبة بن ربيعة بن الحارث بن عبد يغوث بن الحارث بن وقاص بن صلاءة بن المعقـل ، من بني الحارث بن كعب المذحجي ، وهو من سلالة الشاعر عبد يغوث ، أسير يوم الكُلاب الثـاني ، وقتيل تميم ، يكنى بأبي عارم ، كان شاعرا غزلاً ، وفارسا مذكورا في قومه[4]، وقد وصفه الأصـفهاني بأنه شاعر مقل[5]، ولكن أبقى من قول الأصفهاني هذا في شك ؛ إذ لا يمكنني نفيه ؛ نظرا لكـون مـا وصلنا من شعره هو شعر قليل ، هو في حدود (٧٥) بيتا ، وهي عبارة عن مقطوعات شعرية لم تتجاوز إحداها العشرين بيتا ، كما أننا لا نستطيع أن نثبته ؛ نظرا لما أصاب شعر قبيلة بني الحارث بن كعـب من إهمال وعدم تدوين حتى ، عد ديوا م الشعري من ضمن الدواوين التي فقدت[6]، ولكننا نجد في ما بين أيدينا من أشعار لجعفر ما يثبت أنه شاعر لا شك يتسم شعره بالجودة ، وأكثر شـعره في الغـزل والحماسة ، كما أن له مهاجاة مع شعراء بني عقيل ، وقد عده البعض من الشعراء اللصوص[7]؛ لما غلب غلب على حياته من طابع اللهو وا ون والعبث ، فقد شرب الخمر وحبس بسجن دوران[8]، كما كان كان يكثر من مغازلة نساء بني عقَيل ؛ مما عرضه لغضب العقيليين وسخطهم ، فرصدوا لـه وقـاموا بمعاقبته ، فما أن اندلعت أحداث يوم سحبل بينهم ، وقيد على إثر هذا اليوم جعفر إلى مكة بعـد أن استعدوا عليه بنو عقيل والي مكة من قبل هشام بن عبد الملك محمد بن هشام المخزومي ، وبعد أن أقام بنو عقيل منهم قسامة يقسمون على أن جعفر قتل منهم ، أقام محمد بن هشام عليه الحد ، فقتل صبرا[9] صبرا[9] في حدود سنه (١٢٠) للهجرة .

---

(١) الأغاني ، للأصفهاني ٣٣/١٣ .

(٢) معجم الشعراء ، للمرزباني ، ص١٧٠ ، وقد ورد علبة بن ربيعة في معظم المصادر .

(٣) الأغاني ، للأصفهاني ٣٨/١٣-٤٠ .

(٤) الأغاني ، للأصفهاني ٣٣/١٣ ، معاهد التنصيص ، للعباسي ١٢١/١ .

(٥) الأغاني ٣٣/١٣ .

(٦) تاريخ التراث العربي ، فؤاد سزكين ٤٥١/٣/٢ ، نجران دراسة تاريخية حضارية ، لابن جريس ، ص٤٢٠ .

(٧) معجم الشعراء ، للمرزباني ، ص٢٩١ ، خزانة الأدب ، للبغدادي ٢٠٣/٢ ، وقد ورد فيها أنه كان شاعرا صعلوكًا ، أُخـذ في دم فحبس بالمدينة ثم قُتل صبرا .

(٨) الأغاني ، للأصفهاني ٣٣/١٣ ، الأسر والسجن في شعر العرب ، أحمد مختار ، ص١٠٩ .

(٩) الأغاني ٣٣/١٣ ، معاهد التنصيص ، للعباسي ١٧٥/١ .

● **علي بن جعدب الحارثي :**

هو علي بن جعدب من بني قنان من الحارث بن كعب ، وهو من شعراء الفترة الإسلامية في عهد الدولة الأموية ، أغار مع جعفر بن علبة يوم سحبل على بني عقيل[1] ، وسجن معه حين استعدت عليهم عليهم بنو عقيل والي مكة ، ولكنه هرب من السجن[2] ، ولعل وفاته كانت بعد سنة (١٢٠) للهجرة .

● **إياس بن زياد الحارثي :**

هو إياس بن زياد من بني الحارث بن كعب المذحجي ، شاعر إسلامي أموي مقلّ ، كان من أقران جعفر بن علبة ، وكان يغير معه على بني عقيل[3] ، ولعل وفاته كانت بعد سنة (١٢٠) للهجرة .

● **عبد الملك بن معاوية الحارثي :**

هو عبد الملك بن معاوية من بني الحارث بن كعب المذحجي ، شاعر إسلامي أموي مقلّ[4] .

● **عمرو بن مالك الحارثي :**

هو عمرو بن مالك من بني الحارث بن كعب المذحجي ، وهو شاعر إسلامي أموي مقلّ[5] .

● **جابر بن قيس الحارثي :**

هو جابر بن قيس من بني الحارث بن كعب المذحجي ، وقد أصاب نسبه تحريف ، فقد ورد اسم أبيه محرفًا ، فقد ورد في الحماسة جابر بن نقس الحارثي[6] ، وهو من شعراء مذحج وفرسانها في الفترة الإسلامية ، فقد ولاه الخليفة عبد الملك بن مروان رئيسا على أهل اليمن في جيش ابنه مسلمة بن عبد الملك ، الذي وجهه لفتح القسطنطينية[7] ، وقد لقب بالمحذق ؛ لقوله[8] :

وأحججتموا بالركبِ عنا وقُلتمُ ... سقطنا على أم الربيق المُحذق

(١) الأغاني ، للأصفهاني ٣٤/١٣ ، معجم الشعراء ، للمرزباني ، ص١٣٣ .

(٢) الأغاني ، للأصفهاني ٣٦/١٣ .

(٣) انظر : المصدر السابق ، معاهد التنصيص ، للعباسي ١٢٢/١-١٢٣ .

(٤) الحماسة البصرية ، لصدر الدين علي بن الحسن البصري ، تحقيق : مختار الدين أحمد ، عالم الكتب - بيروت ، ط : ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ، ٢٠/١ .

(٥) الحماسة ، لأبي عبادة البحتري ، نقله وضبطه وعلق على حواشيه : كمال مصطفى ، المطبعة الرحمانية بمصر ، ط١ ، ١٩٢٩م ، ص١٣٢ .

(٦) الحماسة ، للبحتري ، ص٢٥٢ .

(٧) انظر : تاريخ مدينة دمشق ١٦٨/٩ .

(٨) المزهر في علوم اللغة والأدب ، للسيوطي ٣٧٤/٢ .

● **ابن السلمان البيلماني الأبناوي :**

اسمه عبد الرحمن بن البيلماني[1] ، كان يقيم في حرة بنجران[2] ، وهو من الأبناء ، وهم بطن من أبناء أبناء الفرس الذين قدموا لنجدة الملك سيف بن ذي يزن الحميري ؛ لاسترداده ملك اليمن من الأحباش[3] ، روى بعض الأحاديث عن كبار الصحابة ، كعثمان بن عفان ، وابن عباس ﷺ[4] ، كان شاعراً مجيداً ، من أشعر شعراء اليمن في عصره ، وفد على الوليد بن عبد الملك ، فأوجهه وقدمه وأجزل له العطاء[5] . توفّي في ولايته في حدود السنة المائة للهجرة[6] .

● **يزيد بن أنس الحارثي :**

هو يزيد بن أنس من بني الحارث بن كعب المذحجي ، وهو شاعر إسلامي أموي مقلّ[7] .

● **عبد الله بن عبد الأعلى الحارثي :**

هو عبد الله بن عبد الأعلى من بني الحارث بن كعب المذحجي ، شاعر مقلّ[8] .

❒ ❒ ❒

---

(1) ذيب التهذيب ، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ، دار الفكر - بيروت ، ط١ ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م ، ١٣٥/٦ .

(2) الإكليل ، لأبي محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني ، تحقيق : محمد بن علي الأكوع الحوالي ، دار الحرية - بغداد ، ط : ١٩٨٠م ، ٥٠/٢ .

(3) المصدر السابق ، وانظر : السيرة النبوية ، لابن هشام ٧٩/١-٨٣-٨٤ .

(4) ذيب التهذيب ١٣٥/٦ .

(5) الإكليل ، للهمداني ٥٠/٢ .

(6) الوافي بالوفيات ، صلاح الدين خليل بن إيبك الصفدي ، تحقيق : أحمد الأرناؤوط ، وتركي مصطفى ، دار إحياء التراث - بيروت ، ، ط : ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م ، ١٨٨/١٨ .

(7) حماسة البحتري ، ص١٥٧ .

(8) الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين الجاهليين والمخضرمين للخالدين ، لأبي بكر محمد وأبي عثمان سعيد بن هاشم ، حققه وعلق عليه : السيد محمد يوسف ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة ، ط : ١٣٥٤هـ - ١٩٣٦م ، ٢٥٨/٢ .

٢) الشـعراء الوافـدون :

وفد إلى أرض نجران جملة من الشعراء الذين جادت قريحتهم الشعرية بشعر نظموه وهـم في أرض نجران ، فأسهموا بذلك في إثراء الحركة الشعرية في نجران ، ولقد كان من أبرز هؤلاء الشعراء الوافدين :

● **الطفيـل الغنـوي :**

هو طُفَيل بن عوف بن خلف بن ضِيبس بن مالك بن سعد بن عوف بن كعب بن جِلانَ بن غَنم بن غَنى بن أعصر بن سعد بن قيس عيلان[(١)] ، يكنى بأبي قُران[(٢)] ، وهو شاعر جاهلي اشتهر بوصف الخيل ، لذلك سمي طفيل الخيل[(٣)] ، كما سمي بالمحبر ؛ لحسن شعره[(٤)] ، وفد إلى نجران في حمى ساد ا مـن بـني عبد المدان ، فمدحهم وأثنى على كرمهم وشجاعتهم[(٥)] .

● **أميـة بن أبي الصـلت الثقفـي :**

هو أُمية بن عبد الله (أبو الصلت) بن ربيعة[(٦)] بن عوف بن عقدة بن غيرة من ثقيف[(٧)] ، يكنى بأبي بأبي القاسم[(٨)] ، وبأبي عثمان[(٩)] ، وقيل : أبو الحكم[(١٠)] ، وهو شاعر جاهلي حكيم من أهل الطائف ، وقد وقد عده ابن سلام في الطبقة الأولى من شعراء الطائف[(١١)] .

له صلة قرابة بقريش ، فأمه هي رقية بنت عبد شمس بن عبد مناف[(١٢)] ، وزوجه هي أم حبيب بنت أبي العاص[(١٣)] ، وهو من بيت شعر ، فأبوه شاعر[(١٤)] ، وكذلك ولداه القاسم وربيعة كانا شـاعرين[(١٥)] ،

---

(١) جمهرة النسب ، للكلبي ، ص٤٦٦ ، الأغاني ٢٣٢/١٥ .

(٢) الأغاني ، للأصفهاني ٢٣٢/١٥ ، فهرسة ابن خير الأشبيلي ، أبو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة الأموي ، تحقيق : محمد فـؤاد منصور ، دار الكتب العلمية - بيروت : لبنان ، ط١ ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م ، ٣٥١/١ .

(٣) المؤتلف والمختلف ، للآمدي ، ص٢٨١ .

(٤) المصدر السابق .

(٥) ديوان الطفيل الغنوي ، تحقيق : محمد عبد القادر أحمد ، دار الكتاب الجديد ، ط١ ، ١٩٦٨م ، ص٥٣ .

(٦) جمهرة النسب ، للكلبي ، ص٣٩٠ ، جمهرة أنساب العرب ، لابن حزم ، ص٢٦٨ ، الاشتقاق ، لابن دريد ، ص٣٠٣ ، وهـو في بعض المصادر : أمية بن الصلت بن أبي ربيعة ، الأغاني ، للأصفهاني ٣٤٢/٤ ، الشعر والشعراء ، لابـن قتيبـة ٤٥٩/١ ، شـعراء النصرانية ، لويس ، شيخو ٢١٩/٢ .

(٧) جمهرة النسب ، للكلبي ، ص٣٩٠ ، جمهرة أنساب العرب ، لابن حزم ، ص٢٦٨ .

(٨) الأغاني ٣٤٢/٤ .

(٩) الإصابة ٢٥٠/١-٢٥١ .

(١٠) البداية والنهاية ٢٢٠/٢ ، تاريخ دمشق ٢٥٦/٩ .

(١١) انظر : طبقات فحول الشعراء ، لابن سلام ٢٦٠/١ .

(١٢) جمهرة أنساب العرب ، لابن حزم ، ص٢٦٩ ، الشعر والشعراء ، لابن قتيبة ٤٥٩/١ .

(١٣) أنساب الأشراف ، أحمد بن يحيى البلاذري ، تحقيق : محمد حميد الله ، دار المعارف - مصر ، ١٩٥٩م ، ١٦٩/٤ .

(١٤) طبقات فحول الشعراء ، لابن سلام ٢٦٠/١ ، الشعر والشعراء ، لابن قتيبة ٤٦١/١ .

(١٥) الأغاني ، للأصفهاني ٣٤٢/٤-٣٤٣ .

كان نديما لثري مكة القرشي عبد الله بن جدعان ، فنظم فيه قصائد مدح ، فنال من عطائه الكـثير[1]، عد من أبرز شعراء الجاهلية ودها ا ، قال عنه الجاحظ : " كان داهية من دواهي ثقيف .

وثقيف من دهاة العرب ، وبلغ من اقتداره في نفسه أنه كان قد هم بادعاء النبوة ، وهـو يعلـم كيف الخصال التي يكون ا الرجل نبيا ، أو متنبيا إذا اجتمعت له نِعم ، وحتى ترشح لـذلك يطلـب الروايات ، ودرس الكتب ، وهو عند العرب علامة معروف بالجولان في البلاد رواية "[2].

وقد عمل أمية بالتجارة ، فقد كان يرحل إلى الشام واليمن[3]، كما قد وفد في رحلاته تلك على على بني عبد المدان في نجران ومدحهم[4]، وأقام كذلك في البحرين ثماني سنوات ، حتى بعث الـنبي ﷺ [5]، وكان أمية ممن يعرف القراءة في الجاهلية ، بل لعله ممن يعرف غير العربية ، كالسـريانية ، والـتي وردت بعض ألفاظها في شعره[6]، وقد عرف عنه أنه كان قد قرأ في الكتب السماوية الأولى ؛ كالتوراة كالتوراة ، والإنجيل[7]، ولذا ذهب لويس شيخو إلى أنه كان على دين النصارى[8]، وقيل : إنـه كـان على اليهودية[9]، ولقد أثرت قراءته هذه على سلوكه وشعره ، حيث تنسك ، ولبس المسوح ، ونبـذ عبادة الأوثان ، وحرم على نفسه الخمر ، فقيل : إنه من أهل الحنيفية ، وقد ورد في شعره ما يـرجح صحة هذا الاعتقاد ، حيث قال[10]:

كُـــل ديـــنٍ يـــوم القيامـــة عنـــد اللهِ إلا ديـــن الحَنيفيـــة بـــور

وأتى في شعره بكلمات غريبة لم يعرفها العرب ، كقوله في تمجيد الله وتكنيته[11]:

إن الأنـــام رعايـــا الله كُلهـــم هو السلطْيطُ فَـوق الأرض مقْتـدر[12]

---

(١) الأغاني ٤٤٩/٨ ، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، للألوسي ١٢٠/٣ .

(٢) الحيوان ، للجاحظ ٣٢٠/٢ .

(٣) تاريخ الأدب العربي ، عمر فروخ ٢١٦/١ .

(٤) ذيل الأمالي والنوادر ، لأبي علي القالي ، ص٣٨ ، الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام ، للإمام عبد الرحمن السهيلي ، ، تحقيق : عبد الرحمن الوكيل ، دار الكتب الحديثة - مصر ، ط : ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م ، ٧٧/٢ .

(٥) البداية والنهاية ٢٢٦/٤ ، الأعلام ، للزركلي ٢٣/٢ .

(٦) جمهرة اللغة ، لابن دريد ، تحقيق : رمزي منير البعلبكي ، دار العلم للملايين - بيروت ، ط١ ، ١٩٨٧م ، ٧٢٤/٢ .

(٧) الأغاني ، للأصفهاني ٣٤٤/٤ ، الحيوان ، للجاحظ ٣٢٠/٢ ، الشعر والشعراء ، لابن قتيبة ٤٥٩/١ .

(٨) شعراء النصرانية ، لويس شيخو ٢١٩/٢ .

(٩) أمية بن أبي الصلت ، جة عبد الغفور ، ص٥٧ .

(١٠) الأغاني ٣٤٤/٤ ، وقد ورد فيه زور ، ديوان أمية بن أبي الصلت ، جمعه وحققه وشرحه : سجيع جميل الجبيلـي ، دار صـادر - بيروت ، ط١ ، ١٩٩٨م ، ص١٦٦ .

(١١) ديوان أمية بن أبي الصلت ، سجيع الجبيلي ، ص٨٠ ، الأغاني ، للأصفهاني ٣٤٢/٤ .

(١٢) والسلطيط : القاهر ، ويعني به الله هنا .

ولذا فإن علماء اللغة لا يحتجون بشعره[1].

وقد روي عن أمية الكثير من القصص العجيبة ، كحديثه للحيوان والجان[2].

قيل : إنه أول من كتب (باسمك اللهم) ، حتى جاء الإسلام فكُتب باسم الله الرحمن الرحيم[3]، طمحت نفسه إلى النبوة ؛ إذ عرف من الكتب السماوية التي كان يقرأها أنه سيبعث نبي قد أطل زمانه ، وحين بعث النبي كان بالبحرين[4]، فاغتم أمره ، وعاد على مكة يتحسس أخباره ، وسمع القرآن من النبي ، وانصرف عنه ، فتبعته قريش تسأله عن رأيه فيه ، فقال : أشهد أنه على الحق ، قالوا فهل تتبعه ؟ قال : حتى أنظر في أمره ، فخرج إلى الشام ، وهاجر النبي إلى المدينة ، فكانت وقعة بدر ، فحينما عاد أمية من الشام يريد الإسلام ، فلما علم بمقتل أهل بدر وفيهم ابنا خال له ؛ هما : عتبة وشيبة أبناء ربيعة ، امتنع عن الإسلام ، ورثا قتلى بدر من المشركين[5]، ونال من الرسول ﷺ وأصحابه ببيتين فقط ، لم تروهما المصادر[6] ضمن قصيدة طويلة ناح فيها على شيبة وربيعة ، وقد ذكرت هذه القصيدة العديد من المصادر[7]، وكان له شعر يوحد الله فيه بالعبودية ، ويذكر الآخرة[8]. وقيل : إنه لما روي بعض شعره للرسول ﷺ فقال : « وكاد أمية بن أبي الصلت أن يسلم »[9].

ويذكر بعض المفسرين أن قوله تعالى : ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾[10]، كانت قد نزلت في أمية بن أبي الصلت ؛ إذ كفر بالنبي بعد ما عرف من صدق نبوته ، فكفر به ولم يتبعه حسدا[11]، وقد اختلف في سنة وفاة أمية ، فقيل في السنة الثامنة

---

(1) المصدر السابق ٣٤٣/٤ .

(2) المصدر السابق ٣٤٥/٤-٣٤٦ .

(3) الأغاني ٣٤٤/٤ .

(4) البداية والنهاية ٢٢٦/٢ .

(5) المصدر السابق .

(6) السيرة النبوية ، لابن هشام ٢٨/٣-٣١ ، الأغاني ٣٤٤/٤ ، طبقات فحول الشعراء ، لابن سلام ٢٦٣/١ ، تاريخ الأدب العربي ، عمر فروخ ٢١٧/١ .

(7) البصائر والذخائر ، لأبي حيان التوحيدي ٦٨١/٢-٦٨٢ .

(8) الأغاني ٣٤٨/٤ .

(9) الجامع الصحيح المختصر ، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي ، تحقيق : مصطفى ديب ، دار ابن كثير ، ودار اليمامة - بيروت ، ط٣ ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ، ١٣٩٥/٣ و ٢٢٧٦/٥ ، وصحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النسابوري ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، د.ت ، ١٧٦٨/٤ .

(10) سورة الأعراف : الآية (١٧٥) .

(11) انظر : تفسير ابن كثير ٢٧٥/٢-٢٧٦ ، وانظر : التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب ، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط١ ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م ، ٢٦٥/١٥ .

للهجرة[1]، وقيل في السنة التاسعة[2]، وقيل السنة الخامسة[3]، وأرجح أن تكون وفاته في السنة الثامنـة للهجرة أيام حصار الطائف ، حيث مات ا كافرا[4].

● **الأعشــى :**

هو ميمون بن قيس بن جندل بن شراحيل بن عوف بن سعد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبـة بـن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل[5]، كان يقال له الأعشى ، وأعشى قيس ، وأعشى بكـر ، والأعشى الكبير ، كما كُني بأبي بصير ؛ وذلك لضعف بصره[6]، كان من فحول شعراء الجاهلية ، وعـده ابن سلام من شعراء الطبقة الأولى[7]، من أصحاب المعلقات[8]، ولد في منفوحة باليمامة ، كـان أول مـن تكسب بالشعر[9]؛ إذ كان كثير الترحال والوفود على الملوك ، فقيل له صناجة العرب ؛ لكثرة جولانـه في الأقطار ، وقيل : لجودة شعره[10]، فوفد على ملوك الفرس ، كما وفد على ملوك الحيرة[11]، كما كان كثير الوفود إلى بني عبد المدان في نجران ، حيث كان يفد إليهم في كل سنة[12]، فينادمهم على الشراب ، وينال من عطائهم ، ولقد كان الأعشى من أكثر الشعراء صراحة في تعبيره عن تكسبه بالشعر ، وجعله منه متجرا يتجر به نحو البلاد شرقها وغر ا ، شمالها وجنو ا ، عر ا وعجمها ، فقد قال[13]:

وقَــد طُفْــت للمــال آفاقَــه	**عمــانَ فحمــص فَأوريشــلم**
أتيــت النجاشــي فــي أرضــه	**وأرض النبــيط وأرض العجــم**
فَنجــرانَ فَالســرو مــن حميــر	**فــأي مــرامٍ لَــه لَــم أرم**

---

(١) تاريخ الأدب العربي ، عمر فروخ ٢١٧/١ .

(٢) أمية بن أبي الصلت ، جة عبد الغفور ، ص٦٩ .

(٣) الأعلام ، للزركلي ٢٣/٢ ، تاريخ الأدب العربي ، عمر فروخ ٢١٧/١ .

(٤) السيرة النبوية ٤٠٥/٤ ، الأغاني ، للأصفهاني ٣٥٠/٤-٣٥١ ، أمية بن أبي الصلت ، جة عبد الغفور ، ص٦٩ .

(٥) معجم الشعراء ، للمرزباني ، ص٣٢٥ ، المؤتلف والمختلف ، للآمدي ، ص١٠ ، خزانة الأدب ، للبغدادي ١٧٥/١ .

(٦) خزانة الأدب ١٧٥/١ .

(٧) طبقات فحول الشعراء ، لابن سلام ٦٤/١ .

(٨) شرح القصائد العشر ، لأبي زكريا يحيى بن علي بن محمد بن الحسن بن محمد بن موسى الشيباني ، المعروف بالخطيب التبريزي ، حقق حقق أصوله وضبطه وعلّق على حواشيه : محمد محيي الدين عبد الحميد ، مكتبة السعادة - مصر ، ط٢ ، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م ، ص٤٢١-٥٠٢ ، شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائها ، عني بجمع ذلك وتحقيقه وتصحيحه للمرة الأولى : أحمـد بـن الأمـين الشنقيطي ، دار الكتب العلمية - بيروت ، د.ت ، ص٤٠ .

(٩) طبقات فحول الشعراء ، لابن سلام ٦٥/١ .

(١٠) شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائها ، للشنقيطي ، ص٣٩ .

(١١) الشعر والشعراء ، لابن قتيبة ٢٥٨/١-٢٥٩ .

(١٢) الأغاني ٢٦٥/١٢ .

(١٣) ديوان الأعشى الكبير ، ميمون بن قيس ، محمد حسين ، ص٤ .

أدرك الإسلام في آخر عمره ، فسمع بالنبي ﷺ ، فرحل إليه في مكة أيام صلح الحديبية يريد الإسلام[1] ، وكان قد أنشأ قصيدة يمدح فيها الرسول ﷺ ، وهي قصيدته التي مطلعها[2]:

ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا ... وعادك ما عاد السليم المسهدا

فلما علم أبو سفيان بقدومه وتوجهه إلى الرسول ، حاول أن يثنيه عن اتباع دين محمد ، ثم إنه احتال عليه فجمع له من قريش مائة ناقة حمراء ، وطلب منه أن يرجع إن أراد العام المقبل ، فانصرف الأعشى ، حتى إذا صار بقاع منفوحة رمى به بعيره فقتله[3] ، ودفن بمنفوحة في آخر سنة (٧) للهجرة[4] .

● دريد بن الصمة :

أجمعت العديد من المصادر التي اطّلعت عليها على أنّ اسمه هو دريد[5] بن الصمة ، واسم الصمة (معاوية) بن الحارث بن معاوية بن جداعة بن غزية بن جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن[6] ، يكنى بأبي بأبي قرة[7] ، وأمه هي ريحانة بنت معدي كرب الزبيدي ، أخت عمرو بن معدي كرب الزبيدي ، فارس فارس مذحج ، كان الصمة قد سباها ، ثم تزوجها فأولدها بنيه وهم [8]: دريد ، وقيس ، وعبد الله ، وعبد يغوث ، وخالد .. وكانوا فرسان هوازن ، وقد قتلوا جميعا في حياة دريد أثناء غاراتهم وحروبهم مع القبائل ، حيث قُتل عبد الله في غارة له على غطفان ، وعبد يغوث قتلته بنو مرة ، وقُتل قيس على يد بني أبي بكر بن كلاب ، وقُتل خالد على يد بني الحارث بن كعب[9] ، وقد رثاهم دريد كثيرا في شعره ، ، وكان بيت دريد بيت شعر معرق ، فوالده وعمه كلاهما شاعر ، وكذلك أمه ، وخاله ، ثم كان ابنه

---

(١) الشعر والشعراء ، لابن قتيبة ٢٥٧/١ ، تاريخ آداب اللغة العربية ، جرجي زيدان ، دار الهلال - مصر ، ١٩١١م ، ١٠٦/١ .

(٢) ديوان الأعشى الكبير ، ميمون بن قيس ، محمد حسين ، ص١٧ ، وانظر : معجم الشعراء ، للمرزباني ، ص٣٢٥ ، والروض الأنف ، للسهيلي ، تحقيق : طه عبد الرؤوف ١٣٢/٢ .

(٣) انظر : الشعر والشعراء ، لابن قتيبة ٢٥٧/١ .

(٤) تاريخ الأدب العربي ، عمر فروخ ٢٢٢/١ ، معجم الشعراء ، للمرزباني ، ص٣٢٥ .

(٥) المؤتلف والمختلف ، للآمدي ، ص١٦٣ ، الاشتقاق ، لابن دريد ، ص٢٩٢ ، الشعر والشعراء ، لابن قتيبة ٧٤٩/٢ ، معجم الشعراء ، ، للمرزباني ، ص٢٥٧ ، الأغاني ٢٤٣/١٠ .

و (دريد) تصغير أدرد ، والأدرد : الذي تحاتت أسنانه ، والأنثى درداء ، و (الصمة) : الرجل الشجاع ، وأصله المضاء والتصميم . الاشتقاق ، لابن دريد ، ص٢٩٢ .

(٦) انظر : جمهرة النسب ، للكلبي ، ص٣٨٣ ، الأغاني ٢٤٣/١٠ .

(٧) الشعر والشعراء ، لابن قتيبة ٧٤٩/٢ .

(٨) الأغاني ٢٤٣/١٠ .

(٩) المصدر السابق .

القاسم وابنته عمرة كذلك من الشعراء ، ولقد عد دريد من فرسان هوازن وشعرائها المقدمين[١] .

كان له وقائع وأشعار متعددة مع كثير من القبائل والفرسان ، كما له أخبار مع بني عبد المدان بن الديان ، حيث كانت بينه وبين عبد الله بن عبد المدان مهاجاة ، ثم إنه وفد بعد ذلك على يزيد بن عبد المدان في نجران ومدحه ، فأكرمه يزيد[٢] ، وقد عمر دريد زمنا طويلاً نحو مائتي عام ، حتى إن حاجبيه سقطا على عينيه[٣] ، أدرك الإسلام في آخر عمره ، إلا أنه لم يسلم ، وقُتل على دين الجاهلية في يوم حنين ، وكانت هوازن قد أخذته معها في ذلك اليوم وهو شيخ كبير ليس فيه شيء إلا التيمن به ، ومعرفته بالحروب ، وكان قد ذهب بصره ، فلما انهزمت هوازن أدركه ربيعة بن رفيع السلمي وقتله[٤] سنة (٨) للهجرة[٥] .

ومن الجدير ذكره في استعراضي لأخبار دريد بن الصمة مع بني عبد المدان : أنْ أُورد تشكيك الأصفهاني وهو ناقل أخبار دريد بن الصمة مع بني عبد المدان في صحة هذه الأخبار ، حيث صرح الأصفهاني عن شكّه في صحة وقوع هذه القصص والأخبار ، حيث قال : " هذه الأخبار التي ذكرها عن ابن الكلبي موضوعة كلها ، والتوليد بين فيها وفي أشعارها ، وما رأيت شيئًا منها في ديوان دريد بن الصمة على سائر الروايات .... وهذا من أكاذيب ابن الكلبي "[٦] .

فكان لا بد لي هنا من التعرض لهذه الأخبار والوقوف على مدى صدقها أو كذبها ، وذلك من خلال الاطّلاع على هذه الروايات لديوان دريد بن الصمة ، حيث إن عبارة الأصفهاني نفسها تدل على أن لهذا الديوان روايات متعددة (سائر الروايات) ، وإن كان لم يسم هذه الروايات أو يعين أصحابها ، فأصبحت هذه الروايات مجهولة لدي ، فالأصفهاني (ت ٣٥٦هـ) نقل عن ابن الكلبي (ت ٢٠٤هـ) ، وقيل : (٢٠٦هـ) ، فما هي أقدم الروايات التي يكون الأصفهاني قد اطلع عليها ؟ والتي لم يسمها ؟. كلّ هذا كان مجهولاً لدينا ، إلى أن نأتي إلى ابن النديم (ت ٤٣٨هـ) فيلقي بعض الضوء على هذه الروايات ، حيث ذكر في الفهرست ديوان دريد بن الصمة الجُشمي ، عمله أبو عمرو الشيباني (ت ٢٠٦هـ) والأصمعي (ت ٢١٦هـ)[٧] ، كذلك عمل أبو سعيد السكري (ت ٢٧٥هـ) أشعار دريد[٨] .

---

(١) المصدر السابق .
(٢) المصدر السابق ٢٦٣/١٠ وما بعدها .
(٣) المعمرون والوصايا ، للسجستاني ، ص٢٧ .
(٤) السيرة النبوية ، لابن هشام ٣٨٣/٤ ، المعمرون والوصايا ، للسجستاني ، ص٢٧ ، الأغاني ٢٦٢/١٠-٢٦٣ .
(٥) تاريخ الأدب العربي ، عمر فروخ ٢٢٩/١ .
(٦) الأغاني ٢٦٨/١٠ .
(٧) الفهرست ، لابن النديم ، ص٣٠٠ .
(٨) المصدر السابق ، ص٢٩٩ .

فمن هنا أعتقد أن الأصفهاني كان قد اطلع على هذا الديوان برواية هؤلاء الرواة ، ويقوي لـدي هذا الاعتقاد ما ذكره الأصفهاني نفسه في بداية حديثه عن قصص دريد بن الصـمة مـع يزيـد بـن عبد المدان ، حيث قال : " ونسخت من كتاب أبي عمرو الشيباني الذي ذكرته ، يأثره عن محمد بـن السائب الكلبي "[(١)].

حيث كان كثير النقل عن أبي عمرو الشيباني ، وابن الكلبي ، فلما لم يجد لهذه القصص والأشعار ذكرا في ما اطلع عليه من روايات متعددة للديوان - وهذا ما يعرف بالنقد الخارجي - قام - وعلـى عادة علماء القرن الثالث والرابع - بتكذيب هذه القصص ، وتكذيب ابن الكلبي[(٢)].

ومما يؤسف له : أن هذه الروايات التي ذكرت لهذا الديوان ، والتي كنا نتوق شغفًا للاطّلاع عليها ، قد ضاعت في مجملها تحت عوامل وظروف غامضة ، طالت كثيرا من دواوين الشعراء والقبائل ، حيث إننا وبعد البحث المضني والطويل عن هذا الديوان الذي جمع بإحدى هذه الروايات السابقة ، فلم نجـد لهـذا الديوان إلا إشارات مقتضبة في بعض المصادر ، حيث ذكر ابن خير الأشبيلي (ت ٥٧٥هـ) أن ديوان دريد بن الصمة كان من ضمن الدواوين التي حملها معه أبو علي القالي إلى الأندلس سنة (٣٣٠) للهجرة[(٣)].

وكذلك ذكر ابن منظور أنه نقل بعض أشعار دريد في اللسان من نسخة من ديوان دريـد بـن الصمة ، رآها بخط جعفر بن محمد بن مكي ، وهو من علماء القرن السادس بالأندلس (ت ٥٥٣هـ)[(٤)]، ولعلها كانت منسوخة من الديوان الذي نقله أبو علي القالي .

ومن هنا يتضح لنا أن ديوان دريد بن الصمة كان موجودا حتى القرن السادس الهجري ، وإلى هنا وقفت المصادر عن ذكر هذا الديوان ، بل اختفت معالمه تماما ، فلم ترد له أية إشارة حـتى في كتـب المتأخرين ممن يسجلون أسماء المصادر والدواوين الـتي يرجعـون إليهـا في مـوادهم ، كالبغـدادي (ت ١٠٩٣هـ) ، وهكذا فلم يعد للديوان القديم من وجود ، ولذا فلم نعثر إلا على ديوانين حـديثين كانا جمعا لشعر دريد بن الصمة من بطون الكتب وأمهات المصادر ، فجاء فيها ما نقله وشكك فيـه الأصفهاني من أخبار وأشعار لدريد بن الصمة مع بني عبد المدان . ولذا ، لا يسعني في هذه الدراسة أن أُعرض عن هذه الأشعار وأطرحها ، بل سأنقلها وأذكرها كما عرضت ونقلت في العديد من المصادر ، ولعل عذري في ذلك ما التمسه الأصفهاني نفسه من عذر حين علّق على نقله لهذه الأخبار التي كان قد شكك في صحتها حين نقلها ، حيث قال : " وإنما ذكرته على ما فيه ؛ لئلا يسقط من الكتاب شـيء

---

(١) الأغاني ، للأصفهاني ٢٦٥/١٠ .

(٢) مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية ، ناصر الدين الأسد ، ص٤٦٩ .

(٣) فهرسة ابن خير الأشبيلي ، أبو بكر محمد بن خير ، تحقيق : محمد فؤاد منصور ٣٥٣/١ .

(٤) لسان العرب ، لابن منظور ، مادة (حذل) ١٤٩/١١ .

قد رواه الناس وتداولوه "[١].

● **راشـد السـلمي :**

هو راشد بن عبد الله[٢]، وقيل : ابن عبد ربه[٣] السلمي ، يكنى بأبي أُثيلة[٤]، شاعر مخضرم ، كان اسمه في الجاهلية غوي بن ظالم ، كان سادن صنم بني سليم في الجاهلية ، فكان عند الصنم يوما ؛ إذ رأى ثُعلبان قد قَدم على الصنم فبالَ عليه ، فقال راشد[٥]:

أرب يبـــولُ الثعلبُـــانُ برأســـه   لَقَد ذَل مـن بالَـت عليـه الثعالـب[٦]

ثم كسر الصنم ، وأتى النبي ﷺ ، فقال ﷺ : « ما اسمك » ؟.

قال : غوي ، فقال : « بل أنت راشد بن عبد الله »[٧]، وفي رواية : « ابن عبد ربه »[٨]، له شـعر شعر في فتح مكة ، وتكسير الرسول ﷺ للأصنام[٩].

وقد استعمله الرسول ﷺ ، فأرسله أميرا على المظالم والقضاء في نجران ، وأرسل معه أبا سفيان بن حرب أميرا على الصلاة والحرب ، وكان راشد فقيها ، كما عد من الشعراء الموهوبين ، فنظم شعرا ، وهو أمير القضاء في نجران[١٠].

❑ ❑ ❑

---

(١) الأغاني ، للأصفهاني ٢٦٨/١٠ .

(٢) الاستيعاب ٥٠٥/٢ .

(٣) البداية والنهاية ٩٢/٥ .

(٤) أسد الغابة ٢٢١/٢ .

(٥) الاستيعاب ٥٠٥/٢ ، تاج العروس ، مادة (ثعلب) ٨٨/٢-٩٠ ، أدب الكاتب ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة السـكوفي ، المروزي ، الدينوري ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، مكتبة السعادة - مصر ، ط٤ ، ١٩٦٣م ، ٣٢٥/٩ .

(٦) الثعلبان : ذكر الثعالب ، فنقول ثعلب للذكر والأنثى ، أما ثُعلبان - بضم الثاء - فخاص لفظه بذكر الثعالب . لسان العرب ، لابن لابن منظور ، مادة (ثعلب) ٢٣٧/١ ، أدب الكاتب ، لابن قتيبة ٢٢٧/١ .

(٧) أسد الغابة ٢٢١/٢ .

(٨) البداية والنهاية ٩٢/٥ ، العقد الفريد ١٢٥/٥ .

(٩) الأصنام ، للكلبي ، ص٣١ ، أسد الغابة ٢٢١/٢ .

(١٠) العقد الفريد ١٢٥/٥ .

٣) الشعراء اللاجئون :

كانت بلاد نجران تقع في قلب ديار مذحج التي سيطرت بفروعها المتعددة على جنوب شبه الجزيرة العربية ، فتوسطت نجران بذلك هذا الوجود القبلي القوي والمهيمن علـى أرض الجنـوب العـربي ، فاكتسبت بذلك قوة ومنعة زاد من شأ ا كون سلطتها ورئاستها بيد بني عبد المدان الحـارثي ، وهـم جمرة مذحج وعمادها ، وقد شهر بنو عبد المدان بين الأنام بالقوة والمنعة ونصرة المظلومين وحماية مـن والاهم ولجأ إليهم ، وقد قال فيهم طُفيل الغنوي - وكان مجاورا لهم -[١]:

مجـاورةً عبـد المَـدان ومـن يكُـن	**مجـاورهم بالقَهـرِ[٢] لا يتطلَّـع**
أنـاس إذا مـا أنكـر الكلْـب أهلَـه	**حموا جارهم من كُـل شـنعاءَ مضـلِع**
وإنْ شـلت الأحيـاءُ بـأت ثَـويهم	**على خيـر حـالٍ آمنـاً لـم يفَـزع**

كما جعلوا من كعبتهم ملجأً لكل خائف ، ومقصدا لكل طالب حاجة فتقضى لـه عنـدهم ، ومرفدا لكل مسترفد ، فذاع صيتها عند العرب ، فأعظموا شأ ا ، كما عدت نجران كذلك من أمنـع المدن القديمة ، حيث أحيطت بسور منيع للدفاع عنها ، فعرفت لمناعتها بالحصن[٣].

ومن جهة أخرى فقد كان أساقفة كعبة نجران على اتصال وثيق بملوك الروم ، الذين عملوا علـى نشر المسيحية في اليمن ونجران وأجزاء من الجزيرة العربية ، حيث كانوا يمولون أساقفة نجـران بالمـال الوفير لبناء الكنائس ونشر هذا الدين ، وقاموا برعاية شؤو م[٤]، فأدت كل هذه العوامل إلى منعة هذه هذه الأرض وهيبتها ، ولذا تطلعت إليها عيون كثيرة رغبةً في الأمن والحماية .

فشهدت بذلك نجران الكثير من اللاجئين الذين وجدوا فيها الأمن والحماية تحت كنف ساد ا بني عبد المدان ، فكان من هؤلاء اللاجئين - لا شك - : شعراء فروا من خوفهم وأوطا م إليها ، فنظموا فيها شعرا بعد أن سكن منهم الطرف ، فاطمأنوا ا ، ومن هؤلاء الشعراء :

- **عبـد الله بن الزبعـرى القرشـي :**

هو عبد الله بن الزبعرى بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بـن

---

(١) ديوان الطفيل الغنوي ، تحقيق : محمد عبد القادر أحمد ، ص٥٣ ، سمط الـلآلي ، للقـالي ، ص٢١٠ ، معجـم مـا اسـتعجم ، للبكري ١١٠٠/٣ .

(٢) القهر : جبل في بلاد بني الحارث بن كعب في نجران . انظر : معجم ما استعجم ، للبكري ١١٠٠/٣ .

(٣) كتاب المغازي ، للواقدي ، محمد بن عمر بن واقد ، تحقيق : مارسدن جونس ، عالم الكتب - بـيروت ، ط٣ ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م ، ٨٤٧/٢ .

(٤) السيرة النبوية ٥١٠/٢ .

لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة[1] ، يكنى بأبي سعد[2] ، أمه عاتكة بنت عبد الله بن عمرو بن وهب من حذافة من جمح من قريش[3] ، شاعر مخضرم من شعراء مكة[4] ، قيل عنه : إنه أشعر قريش قاطبة[5] ، كان هجاءً ، خبيث اللسان ، هجا بني قصي من قريش[6] ، فلما جاء الإسلام كان شديدا على الرسول ﷺ وأصحابه ، فآذاهم كثيرا بلسانه وشعره ، وحرض المشركين على المسلمين[7] ، رثى بشعره قتلى بدر من المشركين[8] ، فلما كان يوم فتح مكة في السنة الثامنة للهجرة ، هرب إلى نجران نجران مع هبيرة بن أبي وهب المخزومي ؛ إذ كان الرسول ﷺ قد أباح دمهما فيمن أباح من دماء كفار قريش ، فلم يأمنا على نفسيهما حتى دخلا حصن نجران ، فقيل لهما : ما وراءكما ؟ قالا : أما قريش فقد قتلت ، ودخل محمد مكة ، ونحن والله نرى أنّ محمدا سائر إلى حصنكم هذا ، فجعل بنو الحارث بن كعب يصلحون ما رث من حصنهم[9] ، وأقام عبد الله في حصن نجران ، وتحت كنف وحماية بني عبد المدان عدة أشهر[10] ، إلى أن بعث إليه حسان بن ثابت أبياتا يهجوه ويعيره فيها بهروبه ، فقال فيها[11] :

لا تعدمن رجلاً أحالك بغضه ... نجرانَ في عيشٍ أحذ لئيم

بليت قَناتك في الحُروبِ فَألفيت ... خمانةً جوفَاءَ ذَات وصوم

غَضب الإلهِ على الزبعرى وابنه ... وعذَاب سوءٍ في الحَياة مقيم

فلما بلغ ذلك ابن الزبعرى ، ندم على فراره ، وعزم على الرجوع إلى مكة ودخول الإسلام ، وأنشأ قصيدة في مدح الرسول ﷺ والاعتذار إليه[12] ، فحين علم هبيرة بما نوى ابن الزبعرى ، لامه وقال له : ياليت أني رافقت غيرك ، والله ما ظننت أنك تتبع محمدا أبدا .

---

(١) جمهرة النسب ، للكلبي ، ص١٠٠-١٠١ ، الاستيعاب ٩٠١/٣-٩٠٢ ، الإصابة ٨٧/٤ ، الأغاني ١٢١/١٥ ، جمهرة أنساب العرب ، لابن حزم ، ص١٦٣-١٦٥ .

(٢) الإصابة ٨٧/٤ .

(٣) الاستيعاب ٩٠١/٣-٩٠٢ .

(٤) طبقات فحول الشعراء ، لابن سلام ٢٣٥/١-٢٣٦ .

(٥) الاستيعاب ٩٠١/٣-٩٠٢ .

(٦) المصدر السابق .

(٧) الاستيعاب ٩٠١/٣-٩٠٢ .

(٨) الأغاني ١٢٠/١٥-١٢١ .

(٩) المغازي ، للواقدي ٨٤٧/٢ .

(١٠) فر ابن الزبعرى إلى نجران في السنة الثامنة للهجرة ، ثم عاد إلى مكة في نفس السنة ، هذا مما يعني أنه لم يقم بنجران على الكفر إلا بضعة أشهر .

(١١) ديوان حسان بن ثابت ، بشرح البرقوقي ، ص٤١٣ ، المغازي ، للواقدي ٨٤٧/٢-٨٤٨ .

(١٢) طبقات فحول الشعراء ، لابن سلام ٢٤٢/١ .

فرد ابن الزبعرى : هو ذاك ، فعلى أي شيء نقيم مع بني الحارث بن كعب ، وأترك ابن عمـي ، وخير الناس وأبرهم[(١)] ؟.

فعاد ابن الزبعرى إلى مكة ، ثم قدم على الرسول ﷺ وهو جالس بين أصحابه ، فلما نظر رسول الله ﷺ إليه قال : « هذا ابن الزبعرى ، ومعه وجه فيه نور الإسلام »[(٢)]، فوقف ابن الزبعرى بين يـدي الرسول الكريم وأعلن إسلامه ، واعتذر من النبي ﷺ في السنة الثامنة للهجرة ، فقبل الرسول عـذره وأمنه[(٣)] .

أدرك خلافة عمر بن الخطاب[(٤)]، وأرجح أن تكون وفاته في حدود سنة (١٥) للهجرة[(٥)] .

- **هبـيرة بن أبي وهـب المخـزومي :**

هو هبيرة بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم[(٦)]، كان من فرسان قريش وشعرائها وشعرائها المعدودين بمكة[(٧)]، كانت زوجه أم هانيء بنت أبي طالب ، ومنها أبناؤه : عمر ، وهـاني ، ويوسف ، وجعدة[(٨)]، كان شديد العداوة لله ولرسوله ، فكان يهجوهم ويحرض المشركين عليهم ، فلما فلما كان يوم الفتح ، فر مع ابن الزبعرى إلى نجران[(٩)]، فلما بلغه إسلام زوجه أم هانئ ، بعث إليها أبياتا أبياتا وهو في نجران يؤنبها على تركها لدين آبائها واتباعها لدين محمد[(١٠)]، كما أن له أبياتا نظمهـا في نجران ، معتذرا فيها على فراره ، ورفض العودة مع ابن الزبعرى لمكة والإسلام ، أقام في نجـران حـتى مات ا كافرا[(١١)] .

❑ ❑ ❑

---

(١) المغازي ، للواقدي ٨٤٨/٢ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) المصدر السابق .

(٤) طبقات فحول الشعراء ٢٤٣/١-٢٤٤ .

(٥) تاريخ الأدب العربي ، عمر فروخ ٢٦٨/١ .

(٦) جمهرة النسب ، للكلبي ، ص٩٣ ، الإصابة في تمييز الصحابة ١٥٤/٨ .

(٧) طبقات فحول الشعراء ، لابن سلام ٢٥٧/١ .

(٨) أ سد الغابة ٣١٥/٧ ، الإصابة ١٥٤/٨ ، الطبقات الكبرى ، لابن سعد ٤٧/٨ .

(٩) الطبقات الكبرى ، لابن سعد ٢٥٧/١ .

(١٠) أسد الغابة ٣١٥/٧ ، الإصابة ١٥٤/٨ ، تاريخ الطبري ١٦٢/٢ .

(١١) أسد الغابة ٣١٥/٧ ، تاريخ الطبري ١٦٢/٢ ، المغازي للواقدي ٨٤٩/٢ .

٤) الشعراء اللصوص :

عرف المجتمع العربي الشعراء اللصوص منذ الجاهلية ، ولكن تحت اسمٍ آخر غلب عليهم في ذلك العصر ، وهو : (الشعراء الصعاليك) ، ولعلّ هذا الاسم بدوره خرج من دائرته اللغوية - والتي كانت تعني : الفقير الذي لا مال له ولا اعتماد[١]- إلى دائرة اجتماعية أوسع منها ، هي دائرة الغزو الإغارة والسلب[٢]، فصعاليك العرب هم أولئك المشاغبون المتمردون للسلب والنهب والقتل ، كما أطلق عليهم عليهم كذلك ذؤبان العرب ، والشطار ، واللصوص .. وكلها مترادفات أطلقت على قطّاع الطرق من أبناء السلب والإغارة[٣]، إلا أن الشعراء من هؤلاء المشاغبين بالإغارة غلب عليهم في الجاهلية اسم الشعراء الصعاليك ، إلى أن جاء الإسلام ، فنجد انحسار كلمة صعاليك على هؤلاء اللصوص ، حيث أُطلق على هؤلاء الشعراء الصعاليك مصطلح آخر ، هو : (الشعراء اللصوص) ، ولعلّ هذه التسمية جاءت من موقف الإسلام من اللصوصية ومن شعرائها ، وقد غلبت عليهم هذه التسمية من ذلك الحين[٤] .

ولقد شهدت نجران الكثير من هؤلاء اللصوص ، حيث كان بها سجن عتيد لم تصرح باسمه العديد من المصادر ، وإنما عرف بسجن نجران ، وقد زج في هذا السجن الكثير من اللصوص ، وقد كان منهم شعراء نظموا - وهم فيه - شعرا ، ذكروا فيه حبسهم وغربتهم به ، ولقد كان لهذا السجن أثر كبير في إيقاظ ملكاتهم ، وشحذ قرائحهم ؛ مما زاد في ثراء نتاجهم ، وارتفاع قيمته ، وإثراء الحركة الشعرية في نجران .

وسنترجم في هذه الدراسة للشعراء اللصوص الذين حبسوا في سجن نجران ، وهم[٥]:

- **عطارد بن قُران :**

هو عطارد بن قُران من بني صدى بن مالك[٦] بن حنظلة[٧] بن مالك بن زيد مناة بن تميم[١] .

---

(١) انظر : الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ، يوسف خليف ، دار المعارف - مصر ، ط٢ ، ص٢١ .

(٢) انظر : المرجع السابق ، ص٢٤-٢٥ .

(٣) انظر : المعجم الوسيط ، تأليف : إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد النجار ، تحقيق : مجمع اللغة العربية ، دار دار الدعوة ، د.ت ، ٧٤٦/٢ ، وانظر : الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ، يوسف خليف ، ص٢٧ .

(٤) أشعار اللصوص وأخبارهم ، جمع وتحقيق : عبد المعين ملوحي ، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر - دمشق ، ط١ ، ١٩٨٨م ، ص١١ .

(٥) عرف جعفر بن علبة الحارثي بأنه من الشعراء اللصوص ، فقد سجن مرة بسجن دوران حين شرب الخمر . الأغاني ٣٣/١٣ . وسجن دوران لم يرد له ذكر في جميع المصادر ، ولعله قصد سجن دوار في اليمامة ، وهو سجن عتيد ، شهد معظم لصوص الجزيرة العربية . معجم ما استعجم ، للبكري ٥٦٧/٢ . كما سجن مرة أخرى بمكة حين نفذ فيه القصاص . الأغاني ، ص٣٧ . إلا أنه لم يذكر له حبس في سجن نجران ، لذا فنحن نستبعده من هذه الدراسة ؛ لأنه لا يوجد له نتاج شعري في سجن نجران ، بينما قد ترجمنا له ضمن الشعراء المقيمين .

(٦) معجم الشعراء ، للمرزباني ، ص١٦٢ ، الأعلام ، للزركلي ٢٣٦/٤ .

(٧) ورد اسمه في بعض الروايات : عطارد بن قران الحنظلي ، نسبة إلى حنظلة . انظر : الحماسة البصرية ، لصدر الدين البصري ١٠٦/١ .

وقد جانبت وفاء السنديوني الصواب في كتا ا (شعر قبيلة أسد وأخبارها في الجاهلية والإسلام) ، حين جعلت عطارد بن قران من شعراء أسد في الجاهلية ، واستشهدت بقصيدته في سجن نجران علـى وجود منازل لأسد باليمن[٢] .

والحق أن عطارد بن قران هو من شعراء تميم الإسلاميين ، وقد عرف في فترة حكم بني أمية ؛ إذ قد كان معاصرا لجرير ، فقد هجا جريرا عند هجاء جرير للمرار البرجمي[٣] ، فطلبت بنو صـدى بـن مالك إلى جرير أن يهبه لهم ؛ مخافة أن يجلب عليهم هجاء جرير المسبة والعار بين القبائل ، فوهبه لهم ، وفي هذا يقول جرير[٤]:

وهبـــت عطـــاردا لـــبني صـــدى ... ولـــولا غيـــره عـلـــك اللجامـــا

وكُنـــت إذا الشـــفي أبـــى شـــقاه ... بِـــــه أو حينـــــه إلا عرامـــــا

أحـــل بِـــه ، ولـــو أمســـى شـــطيرا ... وراء الـــردم داهيـــةً عقامـــا[٥]

ويعد عطارد من أشهر اللصوص في عصر بني أمية ، فقد حبس في حجر ، وحبس في نجران ، وله في كلا الحبيسين شعر[٦] ، توفي في نحو سنة (١٠٠) للهجرة[٧] .

● **الخَطيـم المحـرزي :**

ورد اسمه في جميع المصادر التي اطلعت عليها بالخَطيم بن نويرة المحرزي أو العكلي[٨] ، من بني محرز ابن

---

(١) جمهرة النسب ، للكلبي ، ص١٩٤-١٩٥ ، جمهرة أنساب العرب ، لابن حزم ، ص٢٢٨ .

(٢) وعلى الرغم من إيراد وفاء السنديوني لعطارد بن قران ضمن شعراء أسد في الجاهلية ، إلا أ ا ذكرت أ ا لم تسـتطع رفـع نسـبه إلى أسد ، واكتفت في ترجمته بـ(عطارد بن قران الأسـدي) . شـعر قبيلـة أسـد في الجاهليـة والإسـلام ، وفـاء فهمـي السنديوني ، النشر العلمي والمطابع - جامعة الملك سعود - الرياض ، ط١ ، ١٤١٢هـ ، ص٤٣-٢٩٠ .

(٣) البراجم هم : عمرو ومرة (الظليم) ، وقيس ، وكُلفة ، وغالب أبناء حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، وقد سموا بالبراجم ؛ لأن رجلاً منهم يقال له حارثة بن عامر بن عمرو بن حنظلة قال لهم : " أيتها القبائل التي ذهب عددها ، تعـالوا فلنجتمـع ، فلـنكن كبراجم اليد " ، ففعلوا وهم مع بني عبد الله بن دارم بن مالك حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، ويبدو أن هؤلاء الـبراجم ، وبنو صدي بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم كانوا قد تعصبوا للفرزدق ، وهو من بني مجاشع بـن دارم ، أبنـاء عمومة عبد الله بن دارم التميمي ، فكانوا يناصرونه في نقائضه التي استعرت بينه وبين جرير ، وهو من بني يربوع بن حنظلـة بـن مالك بن زيد مناة بن تميم . انظر : جمهرة النسب ، للكلبي ، ص١٩٤ وما بعدها ، وانظر : جمهـرة أنسـاب العـرب ، لابـن حزم ، ص٢٢٢ وما بعدها .

(٤) ديوان جرير بن عطية الخطَفى ، تقديم : كرم البستاني ، دار بيروت للطباعة والنشر - بـيروت : لبنـان ، ط١ ، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م ، ص٤٣٩ ، معجم الشعراء ، للمرزباني ، ص١٦٢ .

(٥) الشطير : البعيد المنفرد ، العقَام : الشديدة .

(٦) البيان والتبيين ، للجاحظ ٣٦٢/٢ ، معجم الشعراء ، للمرزباني ، ص١٦٢ ، معجم البلدان ، للحموي ، رسم (نجران) ٢٧٠/٥ .

(٧) الأعلام ، للزركلي ٢٣٦/٤ .

(٨) المصدر السابق ٣٠٨/٢ ، أشعار اللصوص وأخبارهم ، عبد المعين ملوحي ، ص٤٦ .

مالك بن سعد بن كنانة بن الحارث بن عوف بن وائل بن قيس بن عوف عبد مناة بن أُد بن طّابخة بن إلياس بن مضر[1]، ولعل الخطيم ليس اسمه ؛ وإنما هو لقبه ، كما لُقب في عهده : يزيد بن مالك الباهلي بالخطيم ؛ لضربة أصابته في وجهه[2].

ويعد الخطيم المحرزي من أبرز الشعراء اللصوص في صدر الإسلام وأوائل فترة حكم بني أميـة[3]، فقد كان لصا فاتكًا من سكان البادية ولصوصها ، كان من أهل الدهناء ، وكانت حركته في ما بـين اليمامة وهجر[4]، أودع في عدد من السجون ، من أبرزها : سجن نجران[5]، وقد قيد إليه إثـر منـافرة كانت بين قومه بني محرز وعشيرة قريبة لهم ، فآلت هذه المنافرة إلى اقتتال ودماء وعـداء ، وكـان للخطيم المحرزي - وهو من محاربي عكل الأشداء - يد جارحة في هذه الفتنـة ، فاقتيـد إلى سـجن نجران[6]؛ ليسجن فيها غريبا بعيدا عن قومه ، فنظم وهو في حبسه هذا قصيدة طويلة بلغت ثلاثة وستين وستين بيتا يستغيث فيها بقبيلته لإنقاذه[7]، فحين امتدت به سنوات السـجن ، هـرب إلى الشـام ، فاستجار بالخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك ، ومدحه بقصيدة يطلب فيها منه العفو والأمان[8]، وقد وقد عمر الخطيم طويلاً ، حتى إنه أدرك الفرزدق وجريرا ولم يلقهما[9]، كما أدرك عهد الخليفة الأمـوي سليمان بن عبد الملك ، حيث مدحه بقصيدة طلب فيها منه الأمان[10]. توفي في حدود سـنة (١٠٠) للهجرة[11].

- **طَهمـان الكـلابي :**

هو طَهمان بن عمرو بن سلمة بن سكن بن قُريط بن عبد الكلابي[12]، فهو ينتمي إلى أبي بكر عبيد بن

---

(١) جمهرة النسب ، للكلبي ، ص٢٧٩-٢٨٠ ، جمهرة أنساب العرب ، لابن حزم ، ص١٩٨ .
وقد عرف أبناء عوف بن عبد مناة : الحارث ، وجشم ، وسعد ، وعدي ، باسم حاضـنتهم عكْـل ، فغلبـت علـى اسمهـم .
وقد تحالف بنو عكل مع تيم وعدي وثور وأشيب مع بني عمهم ضبة على بني عمهم تميم بن مـر ، فغمسـوا أيـديهم في رب ، فسموا بالرباب . جمهرة النسب ، للكلبي ، ص٢٧٨ .
(٢) أشعار اللصوص وأخبارهم ، عبد المعين ملوحي ، ص٤٦ .
(٣) المرجع السابق ، ص٤٦-٤٧ .
(٤) الأعلام ، للزركلي ٣٠٨/٢ .
(٥) المصدر السابق ، منتهى الطلب من أشعار العرب ، لابن ميمون ٢٤٥/٣ .
(٦) انظر : الأسر والسجن في شعر العرب ، أحمد مختار ، ص٦١١ .
(٧) منتهى الطلب من أشعار العرب ، لابن ميمون ٢٤٥/٣ .
(٨) المرجع السابق ٢٥٣/٣ .
(٩) الأعلام ، للزركلي ٣٠٨/٢ .
(١٠) المصدر السابق ، أشعار اللصوص وأخبارهم ، عبد المعين ملوحي ، ص٤٧ .
(١١) الأعلام ، للزركلي ٣٠٨/٢ .
(١٢) المصدر السابق ٢٣٣/٣ ، تاريخ التراث العربي ، سزكين ١٤٤/٣/٢ ، معجم البلدان ، رسم (حوضى) ٣٢١/٢ .

كلاب[1] بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان من مضر[2]، عرف بطَهمان اللص ، كان لصا فاتكًا في عهد عبد الملك بن مروان[3]، وقـد وفد إليه فمدحه بقصيدة يستعطفه فيها ، فعفا عنه عبد الملك وأمر له بعطاء[4]، كان مـن اللصـوص وقطّاع الطرق في اليمامة واليمن ، حبس في سجن نجران ، وله في حبسه هذا قصيدة يشكو فيها مـن السجن والغربة[5]. توفي في حدود سنة (٨٦) للهجرة النبوية[6].

❒ ❒ ❒

---

(١) المصدر السابق .

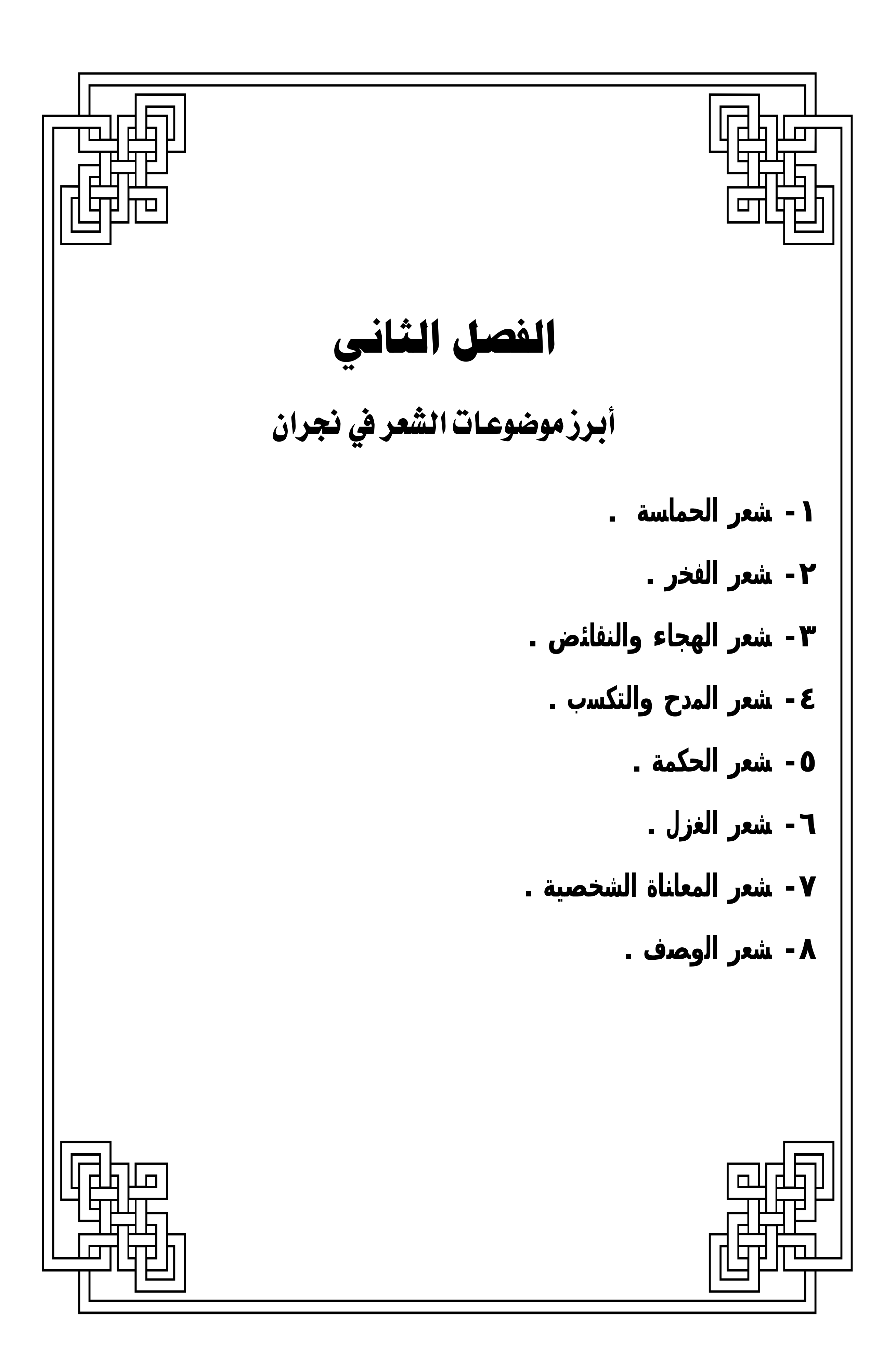
(٢) جمهرة النسب ، للكلبي ، ص٣١١-٣١٢-٣٢٢-٣٢٣ .

(٣) الأعلام ، للزركلي ٢٣٣/٣ ، تاريخ التراث العربي ، سزكين ١٤٤/٣/٢ .

(٤) تاريخ مدينة دمشق ١٧٤/٢٥ .

(٥) معجم البلدان ، رسم (دمخ) ٤٦٢/٢ .

(٦) المصدر السابق ١٤٤/٢-١٤٥ .



الفصل الثاني

أبرز موضوعات الشعر في نجران

١- شعر الحماسة .

٢- شعر الفخر .

٣- شعر الهجاء والنقائض .

٤- شعر المدح والتكسب .

٥- شعر الحكمة .

٦- شعر الغزل .

٧- شعر المعاناة الشخصية .

٨- شعر الوصف .

الفصل الثاني

أبرز موضوعات الشعر في نجران

١) شعـر الحمـاسة :

الحماسة هي القوة والشدة والشجاعة في الحرب والقتال[(١)]، وهي فن الحرب ومقدمة الـدعوة إلى خوض غمار المعارك وساحات القتال ، والأخذ بالثأر ، والتغني بصفات البطولة والرجولة ، ووصف ما في الحرب من كر وفر ، وسلاح ودماء ، وجرحى وقتلى ، فهو بجملته فن البطولة[(٢)].

وشعر الحماسة والحرب عند شعراء نجران هو من أكثر الفنون الشعرية دورانا في نتاجهم ، ويعـد هذا الشعر مصدرا صادقًا ووثيقًا في إعطاء صورة حية للحياة الحربية التي عاشها أبناؤها ، ففي كثرة هذا الضرب من الشعر - وخاصة الجاهلي منه - ما يعطي صورة واضحة لدور بيئتهم التي شهدت الكـثير من الحروب والمعارك في سبيل إخضاع أرضها والسيطرة عليها ، إلى أن تربع على سدة حكمها قبيلـة بلحارث بن كعب المذحجي .

فالبيئة - لا شك - تعد من أهم العوامل والمؤثرات التي تصبغ أبناءها بطابعها الخـاص[(٣)]، فلمـا كانت نجران من أبرز البيئات التي شهدت أرضها الحروب والمعارك منذ أمد موغل في التاريخ ، لذا فقد أثر هذا كله على أبنائها الذين شهدوا الحرب ، وعاشوا تفاصيلها ، وكان منهم من جمع بين الفروسية وبين الموهبة الشعرية ، فانطلقت ألسنتهم معبرة عما عاشوه في ساحا ا من كر وفر ، وقتلٍ وأسر ، فجاء نتاجهم الشعري زاخرا ذا النوع من الشعر الذي يكثر في بيئات الحروب ، فالحرب إذن هي دافع من دوافع التحرك والانبعاث الشعري ؛ قال ابن سلام : " يكثر الشعر بالحروب التي تكون بين الأحيـاء ، نحو حرب الأوس والخزرج ، أو قوم يغيرون ويغار عليهم "[(٤)].

ففي نجران عاش هؤلاء الشعراء ، والحرب عندهم سنة من سنن حيا م التي لا تستقر بلا غزو أو صد لغارة ، فشهدت معاركهم الدامية الكثير من القبائل في أوطا م القريبة منهم أو البعيـدة عنـهم ، فجالوا محاربين وغازين في شمال شبه الجزيرة العربية ، ووسطها ، وشرقها ، وفي وفرة أيامهم مع هـذه

---

(١) الحماسة : المنع والمحاربة ، والتحمس : التشدد ، وتحمس الرجل : إذا تعاصى ، والحماسة : الشجاعة ، والأحمس : الشجاع والشديد الصلب في الدين والقتال ، وسميت قريش وكنانة وجديلة وعدوان وبنو عامر بن صعصعة حمسا ؛ لتشددهم في دينهم في الجاهليـة . انظر : لسان العرب ، مادة (حمس) ٥٧/٦-٥٨ ، وانظر : مختار الصحاح ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الـرازي ، تحقيـق : محمود خاطر ، مكتبة لبنان للنشر - بيروت ، ط : ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م ، ٦٥/١ .

(٢) انظر : الشعر الجاهلي ، يحيى الجبوري ، ص٢٩٣ .

(٣) انظر : أصول النقد الأدبي ، أحمد الشائب ، مكتبة النهضة المصرية ، ط٧ ، ١٩٦٤م ، ص٨٧ .

(٤) طبقات فحول الشعراء لابن سلام ٢٥٩/١ .

القبائل ما يعطي - بحق - صورة صادقة لحياتهم الدامية[1].

وقد تناول هؤلاء الشعراء في شعرهم الحماسي والحربي معاني عدة صورت الحرب بكافة أشكالها وجوانبها ، فعبروا عن كل ما اتصل بالحرب من موضوعات ، كدواعي الحرب ، والتهديد والوعيد ، وصفة الجيش ، وزمن المعركة ، وأماكنها ، وما في ساحتها من قتلى وجرحى ، وآلات الحرب ، ورايات المعركة .

وقد أدرك شعراء نجران أن الرئاسة وسيادة القبيلة لا تكون إلا للفارس الشجاع ، الذي يخوض الحروب والمعارك ، فرسم الحارث بن كعب لابنه الأشعث خطة حكيمة لتحقيق الفروسية والبطولة ، يوصيه فيها بالتقدم في ساحات القتال ، والثبات فيها بقوة واستبسال ، وإلا فالموت في ساحتها بشرف وعزة ، فالإقدام لا يدني الأجل ، وإن أدناه فهو الموت الكريم ، فالعار في الفرار من ساحتها ؛ لأن فراره موت للكرامة ، فيقول[2]:

أبني إن أباك يوما هالك ... فاحفظْ أباك رياسةً وتقلبا

وإذا لقيت كتيبةً فتقدما ... إن المُقدم لايكون الأخيبا

تلقى الرياسة أو تموت بطعنةٍ ... والموت يأتي من نأى وتجنبا

والحرب في شعر شعراء نجران تثور لأسباب عدة ، منها : الثأر حين يقتل شخص منهم ، فلا بد لهم من الأخذ بثأره ، ولما كانت النساء أشد فجيعة بِثُكْل ابن ، أو فقد عزيزٍ وقريب ، فقد أسعرت شاعرات نجران نار الحرب ، وأدمن اضطرامها ، حيث حمسن بأشعارهن فوارس القبيلة ، وحرضنهم على الأخذ بالثأر والانتقام ، وعدم التلكؤ في إدراك دم هذا القتيل قبل أن يبرد ، ومن ذلك قول مارية بنت الديان وقد عيرت قومها بالهزيمة ، وحرضتهم على الأخذ بثأر مرة بن عاهان أحد سادة بني الحارث بن كعب ، وكان قد قتله المنتشر بن وهب الباهلي في يوم أرمام ، فقالت مارية ترثيه وتحرض قومها على الأخذ بثأره[3]:

قُلْ للفوارس لا تئل أعيانهم ... من شر ما حذروا وما لم يحذَر

التاركين أبا الحُصين وراءَهم ... والمُسلمين صلاءَةَ بن العنبر[4]

لما رأيت الخيلَ قد طاقت به ... شنجت شمالك في عنان الأشقر

---

(1) انظر : التمهيد ، ص١٩ وما بعدها من هذه الرسالة .

(2) المعمرون والوصايا ، لأبي حاتم السجستاني ، ص١٢٢-١٢٣ .

(3) بلاغات النساء وطرائف كلامهن ، لأبي الفضل أحمد بن أبي طاهر ، ص١٧٢ ، شاعرات العرب ، عبد البديع صقر ، ص٣٨٥ .

(4) أبو الحصين : هي كنية مرة بن عاهان ، وصلاءة بن العنبر : هو رجل من بني الحارث بن كعب ، قُتل مع مرة بن عاهان في يوم أرمام . انظر : خزانة الأدب ، للبغدادي ١/١٩٢-١٩٣ .

ولقد بكيت على شبابك حقبةً ... حتى كبرت وليت أن لم تكبر

يامعشر الأبناء إنْ فُزتم بها ... فوز الزبيرة جمعنا لم يثأر(1)

فأبوكم قرم شرى كهلانكم ... وعمودكم صلب كريم المكسر

بل إن عويل النساء وبكاءهن على القتلى صباح مساء - ولاسيما إذا كان شريفًا فيهم - ، كان مما دفع فرسان القبيلة للثأر والغارات حتى يدركوا وترهم ، ومن ذلك قول ابنة مرة بن عاهان وهي ترثي والدها ، وتحرض قومها للأخذ بثأره ، فقالت(٢):

إنا وباهلةُ بن أعصر بيننا ... داءُ الضرائر بغضةٌ وتقافي(٣)

من نُثْقفَن منهم فليس بآيبٍ ... أبدا وقتلُ بني قُتيبةَ شافي

ذَهبت قُتيبةُ في اللّقاءِ بفارسٍ ... لا طائشٍ رعشٍ ولا وقّاف(٤)

فدفع هذا العويل والتحريض هند بن أسماء الحارثي أن أدرك ثأرها ، ولم يمنعه من ذلك الأشهر الحرم ، حيث قتل المنتشر بن وهب الباهلي ؛ قاتل مرة بن عاهان وهو قاصد ذا الخلصة ليحج إليها(٥) .

وإدراك الثأر عند شعراء نجران لا بد منه وإن كان من بني العمومة والأقارب ؛ يقول الشميذر الحارثي(٦):

بني عمنا لا تذكُروا الشعر بعدما ... دفنتم بصحراءِ الغمير القوافيا(٧)

فلسنا كمن كُنتم تصيبون سلةً ... فنقبلَ ضيما أو نحكم قاضيا

ولكن حكْم السيف فيكم مسلطٌ ... فنرضى إذا ما أصبح السيف راضيا

وقد ساءني ما جرت الحَرب بيننا ... بني عمنا لو كانَ أمرا مدانيا

فإنْ قُلتم إنا ظلمنا فلم نكن ... ظلمنا ولكنا أسأنا التقاضيا

---

(١) الزبيرة : الضخمة الشديدة . انظر لسان العرب مادة (زبر) ٤ / ٣١٦ .

(٢) بلاغات النساء وطرائف كلامهن ، لأبي الفضل أحمد بن أبي طاهر ، ص١٥٨ ، خزانة الأدب ، للبغدادي ٣٩٩/١١ ، ١٨٩/١ ، فرحة الأديب في الرد على ابن السيرافي في شرح أبيات سيبويه ، لأبي محمد الأعرابي الملقب بالأسود الغندجاني ، حققه وقدم له : محمد علي سلطاني ، مطبعة دار الكتاب ، ط : ١٤٠١هـ - ١٩٨١م ، ص١٤١ .

(٣) باهلة بن أعصر من قبائل قيس عيلان ، وتعود إلى مالك بن أعصر بن سعد ، وسمي باهلة باسم أمه باهلة بنت سعد العشيرة من مذحج . انظر : جمهرة أنساب العرب ، لابن حزم ، ص٢٤٥ .

(٤) قتيبة : هم بطن من باهلة ، ينسب إلى قتيبة بن معن بن مالك بن أعصر . انظر : المصدر السابق .

(٥) انظر : خزانة الأدب ١٨٨/١ وما بعدها .

(٦) شرح ديوان حماسة أبي تمام ، لأبي علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي ، تحقيق : أحمد أمين وعبد السلام محمد هارون ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - مصر ، ط٢ ، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٨م ، ١ / ١٢٤ وما بعدها .

(٧) صحراء الغمير : هي موضع في بلاد بني عقَيل ، فهي قريبة من ديار بني الحارث بن كعب . انظر : معجم ما استعجم ، للبكري ، رسم (الغمير) ١٠٠٤/٣ .

فالشميذر يخبرهم بأنه لم يعد هناك مجال للتغاضي والكلام والشعر بعد أن قتلوا أخاه ، وأنه لن يقبل دية أو احتكاما لقاضٍ ، بل إن الاحتكام أصبح للسيف ، فلن يرضى حتى يرضى السيف ، أي حتى يشفي غليله ، ويأخذ بثأره من قاتل أخيه .

على أن بعض حروبهم كانت بدافع السلب والإغارة لكسب الرزق والمعاش ، وممن ذكر هذه الغارات في شعره : الحصين بن يزيد الحارثي ، حيث ذكر غارة له وقومه على إبل لبني زحن وبني قيس بن جنادر ، فاجتاح الحصين إبلهم ، واستاقها غنيمة لهم ، وفي هذا يقول[1]:

أغَرنَ فلَم يَدعن لآلِ زحنٍ ولابن جنادرٍ قيسٍ بعيرا

كما تحدث شعراء نجران عن التهديد والوعيد لإرهاب أعدائهم وتخويفهم ، فسلكوا في ذلك طرقًا شتى ؛ يقول يزيد بن عبد المدان مخاطبًا قيس بن عاصم[2] في أسيرٍ هوازني ، استنجد أخوه بيزيد لإنقاذه من أسره[3]:

يا قيس أرسل أسيرا من بني جشمٍ إني بكل الذّي تأتي به جازي
لا تأمن الدهر أن تشجى بغصته فاختْر لنفسِك إحمادي وإعزازي
فافكُك أخا منقرٍ عنه وقُلْ حسنا فيما سئلت وعقّبه بإنجاز

فيزيد يتخذ في هذا التهديد والوعيد أسلوب الأمر والنهي ؛ لإحساسه بقوته ومكانته ومكانة قبيلته ، وسماع كلمتهم بين العرب ، فيمزج هذا التهديد المبطن الذي فيه ينوه بقوته ومكانة قبيلته بالتذكير بصروف الدهر ، وأن المعروف قروض بين الناس .

ويتخذ التهديد والوعيد بعدا آخر عند الأفوه الأودي في قوله[4]:

نحن قُدنا الخيلَ حتى انقطعت شدن الأفلاءِ عنها والمهار
كلّما سرنا تركنا منزلاً فيه شتى من سباع الأرض غاروا
وترى الطير على آثارنا رأى عينٍ ثقةً أن ستمار
تركَ الناس لنا أكتافهم وتولّوا لات لم يغنِ الفرار

فتذكير القبائل بوقائعهم العديدة ، وكثرة قتلاهم ، وبطشهم بالأعداء ، هذا من

---

(١) الإكليل ، للهمداني ١٦١/١٠ .

(٢) هو قيس بن عاصم بن سنان بن خالد بن منقَر بن عبيد بن مقَاعس من تميم ، وقد رأس في قومه ، وهو من الموصوفين بالحلم والشجاعة ، وقد وفد على النبي ﷺ في السنة التاسعة للهجرة ، فأسلم ، وولاه النبي ﷺ صدقات قومه . جمهرة النسب ، للكلبي ، ص٢٣٢ ، الأغاني ، للأصفهاني ٣٠٠/١٤ .

(٣) انظر القصة وقول يزيد في : الأغاني ، للأصفهاني ٢٧٤/١٢-٢٧٥ .

(٤) الطرائف الأدبية ، للميمني ، ص١٣ .

شأنه أن يلقي الرعب في قلوب الأعداء .

وقد حرص شعراء نجران في شعرهم الحربي على تصوير رحلة جيش قومهم ، ورحلة جيش الأعداء قبل اللقاء ، واحتدام المعركة ، فحشدوا في شعرهم أسماء الأماكن المتعددة التي جرت فيهـا وقـائعهم الحربية ، فعددوها ، وحددوا أماكنها البعيدة عنهم أو القريبة منهم ، ومن ذلك قول الأفوه[1]:

جلبنـا الخيـل مـن غَيـدان حـتى[2] وقعنـاهن أيمـنَ مـن صـناف[3]
وبالغـرفي والعرجـاء يومـًا وأيامـا علـى مـاءِ الطّفـاف[4]

ومن هذه الأماكن : روضة السلان[5]، يقول الأفوه[6]:

وبروضـة السـلان منـا مشـهد والخيـلُ شـاحبةٌ وقـد عظُـم الثُبـي
تحمـي الجمـاجم والأكُـف سـيوفُنا ورماحنـا بـالطّعن تنـتظم الكُلـى
في موقـفٍ ذَربِ الشـبا وكأنمـا فيه الرجـال علـى الأطـائم واللّظـى
وكأنمـا أسـلاتهم مهنـوأةٌ بالمُهل مـن نـدبِ الكلـوم إذا جـرى
عـافوا الأتـاوةَ واسـتقت أسـلافُهم حـتى ارتـووا علـلا بأذنبـة الـردى

وسحبل[7] الذي دارت فيه حربهم مع بني عقَيل في الإسلام ، فقال فيه جعفر بن علبة [8]:

ألا لا أبـالي بعـد يـومٍ بسـحبلٍ إذا لم أعـذب أن يجـيء حماميـا
تركـت بـأعلى سـحبلٍ ومضـيقه مـراق دمٍ لا يـبرح الـدهر ثاويـا

وصور الأفوه الأودي عظمة جيش العدو وكثرته ، ومسيرته الصاخبة التي فيها إثـارة للخـوف والرعب ، إلا أنهم قابلوها بثبات وشجاعة ؛ يقول الأفوه الأودي[9]:

---

(١) المرجع السابق ، ص٢١-٢٢ .

(٢) غيدان : موضع باليمن ينسب إلى غيدان بن حجر بن ذي رعين الحميري . معجم البلدان ، رسم (غيدان) ٢٢١/٤ .

(٣) صناف : جبل لم يذكر مكانه . المصدر السابق ٤٢٤/٣ .

(٤) الغرفى ، موضع باليمن . المصدر السابق ١٩٤/٤ .

العرجاء : قيل : هي أكمة مائلة ، أو هضبة بأرض مزينة . المصدر السابق ٩٨/٤ .

وماء الطفاف : لم أجد له ذكر في ما اطّلعت عليه من مصادر .

(٥) السلان - بضم أوله وتشديد ثانيه - : موضع بين البصرة واليمامة . معجم ما استعجم ، للبكري ، رسم (السلان) ٧٤٨/٣ .

(٦) الطرائف الأدبية ، ص٦-٧ .

(٧) سحبل - بفتح أوله وسكون ثانيه ، ثم باء موحدة مفتوحة - : هو اسم موضع في ديار بني الحارث بن كعب . معجم ما استعجم ، استعجم ، للبكري ، رسم (سحبل) ٧٢٧/٣ ، ومعجم البلدان ، رسم (سحبل) ١٩٤/٣ .

(٨) ديوان حماسة أبي تمام بشرح التبريزي ١٨٥/١ وما بعدها ، الأغاني ٣٤/١٣ ، معاهد التنصيص على شرح شواهد التلخيص ، ص٦٠ .

(٩) الطرائف الأدبية ، ص١٧ .

قـــد أحســـنت أود ومـــا نأنـــأت — **مذحج في ضـرب الكُلـى والـرؤوس**
إذ عـــاينوا بالخبـــت رجراجـــة — **تمشي ازدلافـــًا كـازدلاف العـروس**
إذ جمعـــت عـــدوانُ فيهـــا علـــى — **عـــدتها مـــن سـائس أو مســـوس**[1]

كما حددوا زمن المعركة ، وبدايا ا ، وطريقتها ، وما في ساحتها من قتالٍ ودمـاء ، وإحجـام وإقدام ، ومن ذلك قول الديان بن قطن يذكر غارة له ولقومه كانوا قد شنوها على أعـدائهم وقـت الصباح ، فباغتوهم فيها بحربٍ ضروسٍ أباد م ، فقال الديان في ذلك[2]:

صبحنـــا تغلبـــًا وســـراةَ بكـــر — **بداهيـــةٍ يشـــيب لهـــا الوليـــد**
نخـــاوي بتـــرك الأحـــزانَ فاءـــا — **لهـــا في الشـــمس مـــا اتلقـــت وقُـــود**
كـــأنّ كُماةَـــــا بـــزلٌ تخطـــى — **بأوســـــاقٍ وقابلهـــــا ســـــعود**
فأردينـــا ســـراةً لـــيس تحصـــى — **لهـــا فـــيهم إذا حســـبت عديـــد**
فطـــاروا عـــن تهامتنـــا شـــعاعا — **وفلـــهم بحيـــث جـــرى شـــريد**
فقـــالوا والحديـــد غـــداة يعنـــى — **فلـــيس يفلـــــه إلا الحديـــــد**

ورسم شعراءُ نجران لميدان المعركة وسيرها صورا مفصلة عرضوا فيها كلّ ما دار في ساحتها مـن كر وفر ، وصياح واقتتال ، فقدموا نماذج متعددة ومختلفة لميادينها الدامية ، فقدم عبد المدان بن الديان صورةً لمعركة يوم السلَف بينهم وبين هوازن وبني عامر منهم خاصة ، فيرسم لأحداث هذه المعركة صورة أكثر شمولاً ووضوحا ، محددا مكان المعركة وزما ا ، وبطولة فرسان قبيلته في اقتحام المعركة التي قتلوا فيها الكثير مـن أبنـاء هـوازن وأشرافهم خاصة ، وفي هذا دليل على انكسار شوكتهم[3] ، فيقول[4]:

فيـــا رب خيـــلٍ قـــد هـــديت بشـــطبةٍ — **يعارضـــها عبـــلُ الجُـــزارة هيكـــلُ**
ســـبوح إذا جـــالَ الحـــزام كأنـــه — **إذا انجاب عنه النقْع في الخيـلِ أجـدلُ**
يواغـــلُ جـــردا كالقنـــا حارثيـــةً — **عليهـــا قنـــانٌ ، والحمـــاس ، وزعبـــلُ**
معـــاقلهم في كـــل يـــومِ كريـــه — **صـــدور العـــوالي والصـــفيح المُصـــقل**
وزغْـــف مـــن الماذي بـــيض كأنهـــا — **نِهـــاءٌ مرتهـــا بالعشـــيات شـــمألُ**
فما ذَر قَرنُ الشـــمس حـــتى تلاحقـــت — **قـــوارس يهـــديها عميـــر ومعقـــلُ**

---

(١) عدوان : هي قبيلة قيسية تنتمي إلى الحارث (عدوان) بن عمرو بن قيس عيلان بن مضر بن نزار ، وقد سمي الحارث بعدوان ؛ لأنـه لأنه عدا على أخيه فَهم فقتله . جمهرة النسب ، للكلبي ، ص٤٧١ ، جمهرة أنساب العرب ، لابن حزم ، ص٢٤٣ .

(٢) شرح القصيدة الدامغة ، للهمداني ، ص٢٦٧ .

(٣) انظر : الشعر وأيام العرب في العصر الجاهلي ، عفيف عبد الرحمن ، دار الأندلس - بيروت ، ط١ ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م ، ص٢٥٩ .

(٤) الأغاني ، للأصفهاني ٢٧٦/١٢ .

فجالت علـى الحـي الكلابـي جولـةً ... فبـاكرهم ورد مـن المـوت معجـلُ

فغـادرنَ وبـرا تحجـلُ الطـير حولـه ... ونجـى طُفَـيلاً في العجاجـة قُـرزلُ[1]

فلـم يـنج إلا فـارس مـن رجـالهم ... يخفف ركضـا خشـيةَ المـوت أعـزلُ

ويحلو لشعراء نجران وهم يتحدثون عن معاركهم أن يصفوا بطولتهم في المعركة ، وبطولة قبائلهم المتحالفة ضد القبائل الأخرى ، كما سجلوا في شعرهم الحربي ما دار في ساحة المعركة من دعوة للمبارزة والـ ال قبـل احتدامها ، ومن ذلك : قول يزيد بن عبد المدان في معركة يوم حلوم له وقومه على هوازن وجموعها المتحالفة ، فسجل يزيد أحداث هذا اليوم الذي بدأت أحداثه بإغارة هوازن عليهم ، فسبوا إبلاً لهم ، فلحقهم يزيد بن عبد المدان وفوارس من قومه ، فردوا ما سبي منهم من النعم والإبل ، وقتل يزيد بن عبد المدان في هذا اليوم خالد بـن الصمة ، فذكر يزيد جلاد قومه وقو م ، فقال[2]:

ألا أبلغـا همـدانَ والحـي مـذْحجا ... وكنـدةَ والـروقين مـن آل بـارق[3]

بـأن سـليما قضـها وقضيضـها ... ونصـرا وحيـي عـامر في القيـالق

أتونـا بجمـع يضـلع الأرض رزه ... له لجـب عـالٍ كصـلق الصـواعق[4]

فما وردوا نجـرانَ حـتى بـدت لهـم ... توابـع مـن نجـل الصـريع ولاحـق

محرجـةُ الألبـابِ مجلـوزةُ الشـوا ... معـاودةُ الإقـدامِ في كـل مـازق[5]

يسـومها الـديان للغـزو بـدنا ... وترجـع أمثـال السـيوف الـذّوالق

تنـادوا فقالـت : عـامر يـا لعـامر ... هو اليـوم فـارموا جمعهـم بـالبوارق

فناديت : يا حار بـن كعـبٍ فاقبلـت ... عـرانين أمثـال المحـال المحـانق

وحسرت عـن رأسـي القنـاع وقلّمـا ... يحسـر إلا في نـزول البوائـق

فأوروا شرار البـيض بـالبيض وانتمـوا ... إلى الحـارث البـهلول حـار الغرانـق

ودارت رحانـا واسـتدارت رحـاهم ... ونـاديـت أخـرى جشـموني مواثـق

فكـانوا كشـاءٍ غـاب عنـها رعاتهـا ... مروعـةٍ بـالجو مـن نعـق نـاعق

---

(١) وبر : أراد وبر بن معاوية النميري ، وكانوا قد صرعوه في المعركة ، وطفيل : أراد طفيل بن مالك ، وكان قد نجى بعد أن أصابوه . انظر : المصدر السابق .
وقُرزل : هو الفرس الشهير لأبي عامر الطفيل بن مالك من عامر بن صعصعة ، والقُرزلُ من الخيل : هو اللطيف ا تمـع الخـلق . انظر : أنساب الخيل في الجاهلية والإسلام وأخبارها ، لابن الكلبي ، تحقيق : أحمد زكي ، نسخة مصورة عن طبعـة دار الكتـب ، سنة ١٩٤٦م ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٧م ، ص٧٧ ، وكتاب الخيل ، لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي ، رواية أبي حاتم سهل بن محمد السجستاني ، ط١ ، ١٣٥٨هـ ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد - الدكن ، ص١١٩ .
(٢) شرح قصيدة الدامغة ، للهمداني ، ص٢٦١ .
(٣) الروقين : تثنية روق ، وهو في الأصل : القرن ، ويكنى به عن السيد العظيم .
(٤) الصلق : الصياح والصوت الشديد . لسان العرب ، مادة (صلق) ٢٠٥/١٠ .
(٥) وردت (مأزق) في الأصل ، لكن الهمزة تحذف تسهيلا لضرورة شعرية يقتضيها سلامة الشطر ، انظر الضرائر (وما يسوغ للشاعر للشاعر دون الناثر) ، محمود شكري الآلوسي ، مكتبة دار البيان – بغداد . د . ت . ص ١٣٧.

وكنا إذا ما عامر دلفت لنا   بنجران لم ننظر لها ضوء شارق
نعالجهم رد المنية بالقنا   وبالبيض في أيماننا كالعقائق

كما ذكر جعفر بن علبة يوم سحبل بينهم وبين بني عقيل ، وأسهب في عرض صورة المعركة ، حيث حدد مكان هذا اليوم بسحبل ، وبدايته ، وما دار فيه من حربٍ وبلاء ، وبسالة وإقدام ، وأساليبهم التي اتخذوها للقاء العدو ، وما دار بينهم وبين الأعداء من حوار ، واقسامه بالمضي لإهلاكهم فيها فيقول[1]:

وسائلةٍ عنا بغيب وسائلٍ   بمصدقنا في الحرب كيف نحاول
يقُولُ العقَيليونَ إذْ لحقُوا بنا   سترجع مقرونا بأحدى الرواحل
عشيةَ قُرى سحبلٍ إذْ تعطّفَت   علينا السرايا والعدو المُباسلُ[2]
فَفَرج عنا اللهُ مرحى عدونا   وضرب ببيض المشرفية خابل
إذا ما قَرى هام الرؤوس اعترامها   تعاورها منهم أكُف وكاهلُ
إذا ما رصدنا مرصدا فَرجت لنا   بأيماننا بيض جلتها الصياقلُ
ولما أبوا إلا المُضي وقد رأوا   بأنْ ليس منا خشيةَ الموت ناكل
حلفْت يمينا برةً لم أرد بها   مقالةَ تسميعٍ ولا قولَ باطل
ليختضمن الهُندواني منهم   معاقد يخشاها الطبيب المزاولُ
وقالوا لنا : ثنتان لا بد منهما   صدور رماحٍ أشرعت أو سلاسلُ
فقلنا لهم : تلكُم إذًا بعد كرةٍ   تغادر صرعى نهضها متخاذلُ
وقتلى نفوسٍ في حياةٍ زهيدةٍ   إذا اشتجر الخَطي والموت نازلُ
نراجعهم في قالةٍ بدؤوا بها   كما راجع الخصم البذي المُناقلُ
ولم ندر إن جِضنا من الموت جيضةً   كم العمر باقٍ والمَدى متطاولُ[3]
لهم صدر سيفي يوم بطحاءَ سحبلٍ   ولي منه ما ضمت عليه الأناملُ

وعند حديث شعراء نجران عن المعركة ، حرصوا على ذكر أدوات الحرب فيها ، فتعددت هذه الأدوات التي استخدموها في ميدانها ، ومن أبرز هذه الأدوات التي كثرت في شعرهم : الخيل ، فأشادوا بعراقتها وأصالة نسبها ، وقوتها في الكر والفر ؛ يقول عبد الله بن عبد المدان واصفًا فرسه العطاس[4]:

وما شعروا بالجمع حتى تبينوا   لدى شعبة القرنين رب المُزنم
يخب بي العطاس رافع طَرفه   له ذَمرات في الخميس العرمرم

---

(١) الأبيات ما عدا الثاني والرابع عشر لجعفر بن علبة الحارثي في كتاب الأغاني ٣٥/١٣-٣٦ ، والأبيات (٣ – ٦ – ١٠ -١١ -١٤ -١٥) للشاعر نفسه في حماسة أبي تمام بشرح المرزوقي ٤٤/١ وما بعدها ، وفي حماسة أبي تمام بشرح التبريزي ١/ ٢٢وما بعدها ، مع اختلاف في رواية بعض الأبيات ، فقد جاء صدر البيت الثالث في حماسة أبي تمام بشرح المرزوقي (ألهفى بقرى سحبل حين أجلبت)، وفي شرح حماسة أبي تمام للتبريزي جاء (ألهفا بقرى سحبل حين أجلبت) وجاء عجز هذا البيت في كلا الشرحين (علينا الولايا والعدو المباسل) وجاء صدر البيت السادس في شرح حماسة أبي تمام للمرزوقي وفي شرحها للتبريزي (إذا ما ابتدرنا مازقا فرجت لنا) وجاء عجز البيت الحادي عشر في شرح حماسة أبي تمام للمرزوقي و في شرحها للتبريزي (نغادر صرعى نؤوها متخاذل) .
(٢) قُرى : بضم أوله وتشديد ثانيه وفتحه موضع في بلاد بني الحارث بن كعب . معجم البلدان رسم (قرى) ٤ / ٣٤٠ .
(٣) جيض وجاض عن الشيء يجيض جيضا أي مال وحاد عنه . لسان العرب مادة (جيض) ٧ / ١٣٢ .
(٤) أنساب الخيل في الجاهلية والإسلام وأخبارها ، لابن الكلبي ، تحقيق : أحمد زكي ، ص٩٤ .

وتحدث عبد المدان الحارثي عن خيله التي أعدها للحرب ، فلا يدانيها في القوة خيـل أخـرى في شجاعتها وصفا ا المميزة ، فهي طويلة سبطة اللحم ، ضخمة الأطراف ، مرتفعة القوام ، سريعة الجري ، فيقول(١):

فيـا رب خيـلٍ قـد هـديت بشـطبةٍ　　　يعارضـها عبـلُ الجُـزارة هيكـلُ
سـبوح إذا جـالَ الحـزام كأنـه　　　إذا انجاب عنه النقْع في الخيـل أجـدلُ

وقد أسبغ هؤلاء الشعراء على خيلهم التي أعدوها للحرب كلّ صفات القوة والسرعة في الحرب ، فيذكر الأفوه خيله التي أعدها للحرب ، فيشبهه بالجبل العظيم في الضخامة والقوة ، ويشبه يديه بيدي المهاة ، ورجليه برجلي الظّليم من النعام ، فيقول(٢):

وقـد غـدوت أمـام الحـي يحملُـني　　　والقصـلتين وسـعي محنـق شنِـف
مضـبرٍ مثْـلَ ركـن الطّـود تحملُـه　　　يـدا مهـاة ورجـلا خاضـبٍ يجـف
أغَر أسـقف سـامي الطّـرف نظرتـه　　　لـين أصـابعه فـي بطنـه هيـف

ويقول يزيد بن المخرم واصفًا فرسه الذي لطالما روع به الأعداء(٣):

وقـد روعـتهم قـدما بخيـلٍ　　　جوانـف فـي الأعنـة كالسـراحِ
إذا بلـت أعنتهـا بنـانِي　　　خـرجن بنـا نواشـطَ كالقـداحِ

ويقول عبد يغوث واصفًا فرسه التي كان بإمكانه النجاة ا عن الوقوع في الأسر ، لولا أنه كـان يحمي كرامة جيشه وقومه من الفرار ، فآثر حياة البطولة والأسر والموت على الفرار ؛ حفاظًا منه على أمجاد قومه ، فيصف فرسه التي لو أراد لهيأت له النجاة بالارتفاع والرشاقة ، وسرعة العدو ، والتقـدم على كافة الخيل الأصيلة ، فهي دائما تتقدم الجياد(٤):

ولو شئْت نجتنِـي مـن الخيـل نهـدةٌ　　　تـرى خلْفهـا الحُـو الجيـاد تواليـا(٥)
ولكننِـي أحمـي ذمـار أبِـيكُم　　　وكَـانَ الرمـاح يخـتطفْن المُحاميـا

ويقول يزيد بن عبد المدان(٦):

(١) الأغاني ٢٧٦/١٢ .
(٢) الطرائف الأدبية ، ص٢٠-٢١ .
(٣) منتهى الطلب من أشعار العرب ، لابن المبارك ٣٣٢/٨ .
(٤) المفضليات ، ص٣١٦ .
(٥) دة : أي الخيل المرتفعة ، والحو : الحو من الخيل التي تضرب إلى الخضرة في لو ا .
(٦) شرح القصيدة الدامغة ، للهمداني ، ص٢٦١ .

أتونـــا بجمـــعٍ يضـــلع الأرض رزه		لـــه لجـــب عـــالٍ كصـــلق الصـــواعق
فما وردوا نجـــرانَ حتـــى بـــدت لهـــم		توابـــع مـــن نجـــل الصـــريع ولاحـــق
محرجـــةُ الألبـــاب مجلـــوزةُ الشـــوا		معاودةُ الإقْـــدامِ فـــي كُـــل مـــأزقِ[1]

وذكروا كذلك من آلات الحرب التي تباهوا باقتنائها : الدروع التي تسـربلوها لحمايتـهم مـن ضربات سيوف العدو ، ورشق سهامه[2] ، فيصف يزيد بن عبد المدان درعه التي أعدها للحرب ، والتي والتي تميز ا عن نظرائه ، فهو لا يقدم للحرب بقوس وسهم ؛ بل يغدو بدرعٍ واسعة سابغة تعينه على الصبر في ساحة المعركة ، والثبات في المقاتلة ، فيقول[3]:

ولســـت يشـــاوي عليـــه دمامـــه		إذا مـــا غـــدا يغـــدو بقـــوسٍ وأســـهم
ولكننِـــي أغـــدو علـــي مفاضـــةٌ		دلاص كأعيـــان الجـــراد المـــنظّم

ومن أدوا م - كذلك - التي حرصوا على اقتنائها في الحرب : السيف ، والـرمح ، والـدرع ؛ يقول جبر بن المعاوي ذاكرا عدته التي اتخذها في الحرب ، والتي لم يكتف فيها بأداة واحدة ؛ بل جمـع فيها بين أدوات عدة دلّت على فروسيته وحسن استعماله لأدوات الحرب المتعددة[4]:

متـــى تلْقَنِـــي لا تلْـــق شـــكة واحـــدٍ		إذَا افْتـــر يومـــا عـــن لظًـــى يتـــأجج
معـــي مشـــرفي كالعقيقـــة صـــارم		بِـــه أثَـــر بالمَتنـــتين مـــدرج
وأســـمر خطـــي كـــأن اهتـــزازه		مقـــاطُ قليـــبٍ مســـه المَـــاءُ مـــدمج
وأبـــيض فضـــفاض كنِهـــيٍ تبســـمت		له تحت ذَيل الصبح في القَـاعِ نيـرج

ونجد أنّ شعراء نجران لم يكتفوا بذكر بدايات الحرب ، ووسطها ، بل حتى ايـات معـاركهم وحرو م ، وما أسفرت عنه من نصرٍ لهم أو هزيمة ، فذكروا في أشعارهم هذه النهايات ، ومن هـذه النهايات المتوجة بنصرهم : ما ذكره مخرم بن حزن من نصرٍ أحرزوه على بني نمير في إحدى وقائعهم ، حيث اقتحم بخيله في شجاعة خيل الأعداء ، فأثخنوا فيهم القتل ، وتركوا فوارس نمير صرعى تعج م ساحة المعركة ، فقال[5]:

وخيـــلٍ قـــد لبســـتهم بخيـــلٍ		تخـــوض المـــوت في يـــومٍ عصـــيبِ

---

(١) محرجة : أي في أعناقها حرج ، وهو ودع من خرز يعلق في أعناق الدواب . انظر : لسان العرب ، مادة (حرج) ٢٣٧/٢ .
مجلوزة الشوا : أي أطرافها معصوبة الخلق واللحم ، وهي صفة مستحسنة في الخيل .
(٢) الدرع : لبوس الحديد تذكر وتؤنث فيقال : درع سابغة ، ودرع سابغ . انظر لسان العرب مادة (درع) ٨ / ٨١ .
(٣) شرح أبيات سيبويه ، لأبي محمد يوسف بن أبي سعيد السيرافي ، تحقيـق : محمـد علـي سـلطاني ، دار المـأمون - دمشـق ، ط : ١٩٧٩م ، ٢٦٨/٢ .
(٤) منتهى الطلب من أشعار العرب ، لابن المبارك ٣٣٨/٨ .
(٥) معجم الشعراء ، للمرزباني ، ص٤٤٢ .

ملأنـــا الأرض مـــن قتلـــى نمـــيرٍ	**بـــرغمٍ كـــانَ منـــا في القلـــوبِ[1]**
تركنـــا فـــيهم العقبـــان نُجـــلاً	**وقوفـــاً بـــين أضـــلاعِ الجنـــوبِ**

كما تغنى بعزة النصر على الأعداء ، وقتلهم الأبطال بقوة وجلاد : هوبر الحارثي ، فذكر حربهم مع تميم ، وقتلهم للنعمان بن جساس ؛ سيد في تميم ، فقال[2]:

ألا هلَ أتـى التـيم بـن عبـد منـاءَة	**على الشنء فيمـا بيننـا ابـن تمـيم[3]**
بمصـــرعنا النعمـــانَ يـــوم تألبـــت	**علينـا تمـيم مـن شـظًى وصـميم[4]**
تـــزود منـــا بـــين أذْنـــاه طعنـــةً	**دعتـــه إلى هـــابِي التـــرابِ عقـــيم**

وتحدث كذلك شعراء نجران عن المغانم والكسب المادي ، ففي قتلهم الفرسان وأخذهم لكثير من الأسرى برهانٌ ملموس على نصرهم المبين ؛ يقول الأفوه الأودي[5]:

قتلنـــا مـــنهم أســـلاف صـــدقٍ	**وأبنـــا بالأســـارى والعقيـــبِ**

وبعد نصرهم في المعركة ، صوروا ساحتها وما تضج به من جثث الأعداء صرعى ، وحولها النساء تبكينهم بالدمع الغزير ؛ يقول الأفوه[6]:

فســـائلْ جمعنـــا عنـــا وعنهـــم	**غـــداةَ الســـيل بالأســـلِ الطويـــلِ**
ألم نتـــرك ســـرا َم عيـــامى	**جثومـــاً تحـــت أرجـــاء الـــذيول**
تبكّيهـــا الأرامـــل بالمـــآلي	**بـــدارات الصـــفائح والنصـــيل**
وقـــد مـــرت كُمـــاةُ الحـــرب منـــا	**علـــى مـــاءِ الدفينـــة والحَجيـــلِ**

وفي ايات معاركهم المتوجة بالنصر ، ذكروا ما ألحقوه بنساء العدو ، حيث إ م أوقعوا بالرجال ، فتركوا نساءهم ثكلى وأيامى ، وهذا أشد ما يكون هزيمةً وتنكيلاً على الأعداء ، فهم قد أفنوا الرجال ، و زيمتهم ومقتل أشرافهم وفرسا م ، وتشتت مقاتليهم وفرارهم من المعركة ، أصبحت هؤلاء النسـاء

---

(١) نمير : من قبائل قيس عيلان ، وهم ينتسبون إلى نمير بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بـن خصفة بن قيس عيلان . انظر : جمهرة أنساب العرب ، لابن حزم ، ص٢٧٢-٢٧٩ .

(٢)غريب الحديث : أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي . تحقيق – محمد عبد المعيد خان . دار الكتـاب العـربي - بـيروت . ط ١ . ١٣٩٦ . ١ / ٣٣٤ – ٣٣٥ ، وكان يقتضي كلمة (أذناه) أن تكون بالياء (أذنيه) لأ ا في موضع ا رور بإضافة الظرف قبلها ، إلا أ ا جاءت بالألف على لغة بني الحارث بن كعب .

(٣) التيم بن عبد مناءة : هم إحدى قبائل الرباب ، وهم ينتسبون إلى تيم بن عبد مناءة بن أُد بن طابخـة بـن إليـاس بـن مضـر . انظر : جمهرة أنساب العرب ، لابن حزم ، ص١٩٨-١٩٩-٢٠٠ .

(٤) هو النعمان بن جساس التيمي ، وقد قتلته مذحج يوم الكُلاب الثاني ، وكان رئيس الرباب في ذلك اليوم ، فلما ظفر بنو التيم برئيس برئيس مذحج عبد يغوث الحارثي عدلوه به فقتلوه . انظر : الأغاني ٤٨٧/١٦ وما بعدها ، وانظر : العقد الفريد ٢١٦/٥ .

(٥) الطرائف الأدبية ، ص٨ .

(٦) المصدر السابق ، ص٢٣ .

فريسة سهلة لهم ، وفي سبيهن إذلالٌ لقومهن ، وجلب للعارِ عليهم[1] ، فمن ذلك : قول مخرم بن حزن حزن بعد نصرهم في وقعة لهم على بني سليم وعامر[2] :

تركنـا مـن نِسـاءِ بـني سـليم	**أيـامى تبتغـي عقَـب النكـاح[3]**
لقـد علمـت هـوازنُ أنّ قـومي	**غَـداةَ الـروع صـادقةَ الصـباح[4]**

وإمعانا في إذلال أعدائهم ، صرح شعراء نجران بما آلت إليه نساؤهم من ذُلّ ومهانة في السـبي ، فيقول مسهر بن يزيد مصورا حال امرأة عامر بن الطفيل بعد أن سباها في يوم فيف الريح[5] :

وكنـا إذا قيسـية دهيـت بنـا	**جـرى دمعهـا مـن عينـها فتحـدرا**
مخافـةَ مـا لاقـت حليلـةُ عـامر	**مـن الشـر إذ سـربالُها قـد تعفّـرا**

وأسهب الأفوه الأودي في تصوير مشهد السبايا بعد المعركة وقد أجبروا أزواجهن على الفرار من المعركة وتركهن للسبي ؛ فقال[6] :

فَسـائل بنـا حيـي مريـب فمـأرب	**بـرائس حجرحزنهـا وسـهولُها**
فأبنـا بحـورٍ كالظبـاء وجاهـل	**ولم يمنـع البـيض الحسـان بعولُهـا**
تنـاغي العضـاريطَ المُشـاةَ خرائـد	**تمسـح أطـراف القـلاص ذُيولُهـا**

وممن ذكر ايات الحرب في شعره : جعفر بن علبة ، حيث ذكر يوم سحبل ، والذي كان فيـه غارته على بني عقيل ، فذكر اية هذا اليوم ، الذي شفى فيه غليله من بني عقيل ، فانتصر منهم وقتل فيه خشينة ، فقال[7] :

ألا لا أبـالي بعـد يـومٍ بسـحبلٍ	**إذَا لم أعـذب أن يجـيء حماميـا**
تركـت بـأعلى سـحبلٍ ومضـيقه	**مـراق دمٍ لا يـبرح الـدهر ثاويـا**
شـفَيت بـه غَيظـي وجـرب مـوطني	**وكـانَ سـناءً آخـر الـدهر باقيـا**

---

(١) انظر : الشعر وأيام العرب ، عفيف عبد الرحمن ، ص٢٤١ .

(٢) معجم الشعراء ، للمرزباني ، ص٤٤٢ .

(٣) سليم : من قبائل قيس عيلان ، تنسب إلى سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عـيلان . انظـر : جمهـرة النسـب ، للكلبي ، ص٣٩٥-٣٩٦ ، وانظر : جمهرة أنساب العرب ، لابن حزم ، ص٢٦١ .

(٤) هوازن : من قبائل قيس عيلان ، وهم ينسبون إلى هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان . انظر : جمهرة النسب ، النسب ، للكلبي ، ص٣١١-٣١٢ ، وانظر : جمهرة أنساب العرب ، لابن حزم ، ص٢٦٠ .

(٥) العقد الفريد ، لابن عبد ربه ٢٢٢/٥ .

(٦) الطرائف الأدبية ، ص٢٢ .

(٧) ديوان حماسة أبي تمام بشرح التبريزي ١٨٥/١ ومـا بعـدها ، الأغـاني ٣٤/١٣ ، معاهـد التنصـيص علـى شـرح شـواهد التلخيص ، ص٦٠ .

أرادوا ليثنـــوني فَقُلـــت تجنبـــوا طَرِيقَــي فَمَــالي حاجَــةٌ مــن ورائيــا
فــدى لبنِــي عــم أجــابوا لــدعوتي شفَوا من بنِي القَرعــاء عمــي وخاليــا
كــأن بنِــي القَرعــاء يــوم لقيــتهم فــراخ القَطَــا لاقَــين صــقرا يمانِيــا
تركنــاهم صــرعى كــأن ضــجِيجهم ضجِيج دبارى اليب لاقَــت مــداويا[1]
أقُولُ وقَد أجلــت مــن اليــوم عركَــة ليبــك العقيلــيين مــن كَــانَ باكيــا
فــإن يقْــرى ســحبلٍ لأمــارة ونضــح دمــاءٍ منـــهم ومحابِيـــا
ولــم أتــرك لــي ريبــةً غَــير أننِــي وددت معــاذًا كَــانَ فــيمن أتانيــا
شــفَيت عَليلــي مــن خشــينة بعــدما كَســوت الهُــذيلَ المُشــرفي اليمانِيــا[2]

كما ذكر مسهر بن يزيد نهاية يوم فيف الريح ، وطعنته الشهيرة لعامر بن الطفيل ، والتي أرداه بعدها أعور ، فقال[3]:

وهصت بخـرص الـرمح مقْلَـة عـامر فأضحى بخيصـا في الفـوارس أعـورا
وغَـادر فينـا رمحـه وسـلاحه وأدبـر يـدعو في الهوالـك جعفـرا

وذكر هذه النهاية ، وتغنى بما لاقى فيها عامر من بؤس وهوان الطفيل بن يزيد ، حيث قال[4]:

ســائلْ بفيــف الــريح عنــا عــامرا هــل بــات ذا ســهر بطعنــة مســهر

ويتضح عند حديث شعراء نجران عن نتيجة المعركة أنهم نظروا لأعدائهم نظرة تقدير واحترام ، فأنصفوا هؤلاء الخصوم ، واعترفوا بقوتهم وبسالتهم ، وبأنهم كانوا لهم أكفاء في الحرب ، ولا يتعارض ذلك مع عصبيتهم لقبيلتهم ؛ لأن في إنصافهم لقوة وشجاعة خصومهم رفعا لقدر قبيلتهم التي لاقت قرنا قويا عظيما فهزمته ، أو انهزمت عنه[5]، فعبد يغوث الحارثي فارس مذحج وأحلافها في يوم الكلاب الكلاب الثاني يقف في أسره بعد أن هزمت قبيلته ؛ ليسجل وجها آخر لنهاية المعركة ، يصور فيه هزيمتهم ووقوعه في الأسر ، فيقول[6]:

أقــولُ وقَــد شــدوا لســانِي بِنِســعةٍ أمعشــر تــيم أطْلقُــوا عــن لســانِيا
أمعشــر تــيم قــد ملكْــتم فأســجِحوا فــإن أخــاكم لم يكــن مــن بوائيــا

---

(١) دبارى اليب : النياق المسنة التي أصابها الدبر وهو الجرب ، فهي تصيح من شدة الألم إذا جاءها المداري ليطليها بالقطران فيؤلمها وتصيح منه ، فهو يشبه أصواتهم المنهكة من الألم والعجز بأصوات هذه النياق .
(٢) خشينة : رجل من بني عقيل ، قتله جعفر بن علبة ، وكذلك الهذيل رجل من عقيل ، ضربه جعفر في عرقوبه . انظر : الأغاني ٣٤/١٣ .
(٣) العقد الفريد ، لابن عبد ربه ٢٢٢/٥ .
(٤) نشوة الطرب ٢٣٩/١ .
(٥) انظر : الشعر وأيام العرب ، عفيف عبد الرحمن ، ص٢٦١ .
(٦) المفضليات ، ص٣١٦-٣١٧-٣١٨ .

فــإن تقْتلــونِي تقْتلــوا بِــي ســيدا	**وإن تطْلقُــونِي تحرِبــونِي بِماليــا**
فيا عــاص فُــك القَيــد عنــي فــإنني	**صــبور علــى مــر الحــوادث ناكيــا**
أحقًــا عبــاد الله أنْ لســت ســامعا	**نشــيد الرعــاء المُعــزِبين المَتاليــا**
وتضــحك مــني شــيخةٌ عبشــميةٌ	**كأنْ لــم تــري قبلــي أســيرا يمانِيــا**

كما تحدث يزيد بن مخرم - كذلك - عن الهزيمة والوقوع في الأسر ؛ يقول[1]:

تعجــب جــارتي لمــا رأتــني	**كــذات النــوط مخــدرتي جِراحــي**
كأنــك لم تــري قبلــي أســيرا	**يقَــاد بــه علــى جمــلٍ رداحِ**
فلمــا أن كُثــرت وغــاب قــومي	**أســرت أســار محتبــلِ البــراحِ**
رأونِــي مفــردا فتبــادروني	**ومــا صــدعت كمــاتهم جمــاحي**
وقــد روعــتهم قــدما بخيــلٍ	**جوانــف في الأعنــة كالســراحِ**
كــأن عــديهم حــولي عبــاب	**تغطمطَ فــي قَمــوسِ البحــرِ ضــاحي**
وغــاب حلائِبــي وبقيــت فَــردا	**أماصــعهم ونهضــك بالجنــاحِ**

فذكر يزيد بن مخرم كثرة العدو وقوته ، وإحاطته له من كلّ جانب حتى وقع في الأســر ، علــى الرغم من شجاعته وبسالته التي عرفها عنه الأعداء ، فقد تبادره الأعداء بكثر م التي بــددت وفرقــت جموع قومه ، فغدا فردا وحيدا فبادروه وأسروه ، على الرغم من دفاعه واستبساله .

ويبقى أن أقول : إن موضوع الحماسة والحرب عند شعراء نجران - وهو من أكثر موضــوعا م الشعرية كما أسلفت - هو سجل حافل لحياة هؤلاء الشعراء ، سجل في طياته حيا م بكافة أنماطهــا الاجتماعية ، والاقتصادية ، كما وضح علاقا م بالقبائل الأخرى ، التي كونت أحلافًا مع بعضها ، في حين استمرت حرو ا سجالاً مع بعضها الآخر ، حتى يمكن القول : إن حيا م كانت في حرب دائمة حمراء ، لا تعرف الهدوء ولا الاستقرار .

❐ ❐ ❐

(١) منتهى الطلب في أشعار العرب ، لابن المبارك ، ٨ / ١٣١-١٣٢-١٣٣ .

٢) شعـر الفخـر :

يأتي الفخر في طليعة الأغراض الشعرية التي نظم فيها شعراء نجران ، والفخر هو مدح للـذات أو القبيلة[(١)] ، فقد يفخر الشاعر بذاته ، أو بقبيلته .

وشعراء نجران شاع في شعرهم الكثير من هذا الفخر الذي تباهوا فيه بأنفسهم وقو م ، وبقبيلتـهم ، وأنسا م ، وأصولهم .. وهذه كلها أمور كانت رائجة في الشعر الجاهلي ، بل عدت من الأمور المقبولة والمستساغة في الشعر منذ القديم ، فقد أشار ابن رشيق لذلك بقوله : " ليس لأحد من الناس أن يطري نفسه ويمدحها في غير منافرة ، إلا أن يكون شاعرا ، فإن ذلك جائز له في الشعر ، غير معيب عليه "[(٢)] .

ولعل السر في ذلك أن القارئ أو السامع لشعر الفخر يتعاطف مع الشاعر ، ويشاركه مشـاعره حين يتغنى بالمثل العليا ، فيكون الشاعر قد عبر عن خواطره وأمنياته التي استطاع بفضـل موهبتـه أن يخرجها تامة كما أراد المتلقي[(٣)] ، وكذلك فإن عنصر المبالغة التي تسود شعر الفخر هي مقبولة مستساغة في الشعر ، مرفوضة في غيره[(٤)] .

وقد وجد شعراُء نجران في شعر الفخر ميدانا فسيحا لاستعراض أصالة أنسا م ، وقوة قبيلتـهم ، وأيامها ومناقبها ، كما تناولوا فيه كثيرا من القيم الخُلقية الحميدة التي هي مجال التفاضل بين النـاس . والفخر لا شك إنما يحسن إذا كان الشاعر يمتدح بالفضائل النفسية والخصال الحميدة ، بعيدا عن التباهي بالأمور المادية والقوة الجسدية ، أو التفاخر بالأنساب والأصول والقبائل ، وإن كان هذا الضرب مـن الفخر قد عد مقبولاً في العصر الجاهلي إلا أن العصور التالية له صارت تستسمجه [(٥)] ، والفخـر عنـد شعراء نجران ينقسم إلى قسمين :

أ / فخر بالذات :

وفيه يتغنى الشاعر بنفسه معتدا بذاته ، ومتباهيا بفضائله الشخصية وخصاله الحميدة التي جبلـت عليها نفسه ؛ من كرم ، ومروءة ، وشجاعة ، وحماية للجوار ، وعدم قبول الضيم ..

وقد عبر شعراُء نجران عن كثير من هذه الفضائل النفسية والقيم الخُلقية الرفيعة التي اتسموا ـا ، ومن أبرز هذه القيم التي تغنوا ا وترددت في أشعارهم : فضيلة الكرم ، التي أوجبت علـيهم إكـرام الضيف ورعاية شؤونه والإحسان إليه ، حتى في أحلك ظروفهم وأشدها ، وهذا هو غاية الكرم .

وهم عندما يفخرون بكرمهم فهم يسجلون واقعا مألوفًا عاشوه ، اقتضته حيا م الـتي عرفـت

---

(١) انظر : العمدة ، لابن رشيق ١٤٣/٢ .

(٢) المصدر السابق ٢٥/١ .

(٣) انظر : الشعر الجاهلي ، يحيى الجبوري ، ص٣٠١ .

(٤) انظر : المرجع السابق .

(٥) انظر المرجع السابق .

الحروب وعدم الاستقرار وشح الأرض وجد ا ، فرأوا في إتلاف المال والمتاع تفريجا لمحتاج ، وحفظًـا للعرض من الذم ، لذا تعددت صورهم التي عبروا ا عن هذا الكرم الذي تميزوا به .

فمن صور هذا الكرم : الترحيب الصادق بالضيف ، ولاسيما طارق الليل ، وبذل قراه في عجـلٍ بغير تردد ، ومن أصدق الأمثلة وأجملها التي صورت هذا الكرم : قول عتبة بن بجير ، الذي فخر فيه بأخلاقه الفاضلة ، وبكرمه ، وتعجيله في قرى الأضياف ، وعدم تلكئه في الترحيب بطارق الليل من الأضياف ، وهذا غاية الكرم ، فهو يهب له فرحا بمقدمه ، لا تعلله دواعـي البخيـل المتخـاذل ، فينهض (أبو الأضياف) - كما سمى نفسه - لهذا الضيف بسعادة ، على الرغم من قلّة ماله الـذي أفناه وجعله ذكرا حسنا له ، فقد أفناه في سبيل هذا الكرم ، الذي هو من أبرز سمات الفخر عنـد العربي ، فيقول[1]:

ومسـتنبحٍ بـات الصـدى يسـتتيهه ... إلى كُل صوتٍ فَهو في الرحل جـانِح[2]
فَقُلْـت لأهلـي مـا بغـام مطيـةٍ ... وسـار أضـافَته الكـلاب النـوابِح
فَقَـالُوا غَريـب طَـارق طَوحـت بِـه ... متـونُ الفَيـافي والخُطُـوب الطـوائح
فَقُمت ولَم أجـثم مكَـانِي ولَـم تقُـم ... مع النفْس عـلات البخيـل الفَواضـح
ونادِيـت شـبلاً فَاسـتجاب وربمـا ... ضمنا قـرى عشـر لمـن لا نصـافح
فَقَـام أبـو ضـيفٍ كَـريمٍ كأنـه ... وقَد جد مـن فَـرط الفُكَاهـة مـازح
إلى جِـذْم مـالٍ قَـد نهكْنـا سـوامه ... وأعراضـنا فيـه بـواقٍ صـحائح
جعلْنـاه دونَ الـذم حتـى كَأنـه ... إذَا عـد مـالُ المُكْثـرين المَنـائح
لَنـا حمـد أربـابِ المـئين ولا يـرى ... إلَـى بيتنـا مـالٌ مـع الليـل رائـح

وأجود الكرم ما كان في زمن الجدب ، حين تحرص النفوس على الاحتفاظ بما تملك ؛ للبقاء ، فلا ينفق حينها إلا الكريم ، الجدير بالثناء الذي يستجيب لطبعه ، فهذا الخطيم المحرزي يفخر بكرمه حـين يشح الكرام بمالهم ، فليس إلا لطبعه الذي حق له فيه أن يكون أبا الأضياف ، فيقول[3]:

وإنْ تلـق نـدماني يخبـرك أنـني ... ضعيف وكَاءِ الكيس لَـم أغْـذَ بِـالفَقْرِ
وتشـهد لـي العـوذُ المَطَافيـلُ أنـني ... أبو الضيف أقري حين لا أحـد يقْـري

ويصور عبد يغوث كرمه وهو في الرمق الأخير من حياته ، فيفخر فخرا صادقًا بإطعامه الجـزور

---

(1) ديوان حماسة أبي تمام بشرح التبريزي ٥٨/٤ وما بعدها ، الحماسة لأبي تمام ، تحقيق : عسيلان ٢٤٥/٢-٢٤٦ .

(2) المستنبح : هو الساري ليلاً من الأضياف ، فإذا ضلّ الطريق نبح حتى تسمعه الكلاب فتنبح ، فيستدل بنباحها فيهتـدي . انظـر : لسان العرب ، مادة (نبح) ٦١٠/٢ .

(3) منتهى الطلب من أشعار العرب ، لابن المبارك ٢٤٥/٣ وما بعدها .

للناس ، بل حين لا يجد ما يطعم ، فإنه ينحر أغلى ما يملك ، وهي مطيته ، فيقول[1]:

وقَد كُنت نحار الجَزورِ ومعمِلَ الـ ... ـمطي وأمضي حيثُ لا حي ماضيا
وأنحر للشربِ الكرامِ مطيتي ... وأصدع بين القَينتين ردائيا

ومن الفخر الذاتي : الفخر بالشجاعة والإقدام في ساحات المعارك ، والكر على الأعداء بقوة واستبسال وبراعة في استخدام آلات الحرب ، ومن الأمثلة عل ذلك : قول عبد يغوث بن صلاءة :

وكُنت إذَا ما الخَيلُ شمصها القَنا ... لَبيقاً بتصريف القَناة بنانِيا
وعاديةٍ سوم الجَراد وزعتها ... بِكَفي وقَد أنحوا إلَيَّ العواليا

ويفخر مخرم بن حزن بشجاعته عند لقاء العدو ، وخوضه لغمار الموت في معاركها الدامية بقوة وجلاد ، فيقول[2]:

وخيل قد لبستهم بخيلٍ ... تخوض الموت في يومٍ عصيبِ

ويصور الأفوه الأودي شجاعته في المعركة ، وإقدامه في ساحتها ، وقطعه للفيافي البعيدة الموحشة بشجاعة وثبات ، فيفخر بذلك في قوله[3]:

فَقَد أعدى عند وقع القَنا ... وأدعى(....) للمقام البئيس[4]
وأفرج الأمر إذَا أحجمت ... أقْرانه معتصما بالشؤوس
وأقْطع الهَوجل مستأنِسا ... بِهوجلٍ عيرانةٍ عنتريس

ويفخر يزيد بن مخرم بشجاعته ، حتى وإن وقع في الأسر بعد أن غاب عنه قومه ، وأدركته كثرة الأعداء ، فهو فارس شجاع ، حتى إن نساء العدو تعجبن من أسره ؛ لعلمهن بمدى شجاعته ، فقال مدافعا عن نفسه ومعللاً وقوعه في الأسر ، ومفتخرا بشجاعته وقوته حتى وهو أسير لدى الأعداء[5]:

تعجب جارتي لما رأتني ... كذات النوط مخدرتي جِراحي
كأنك لم تري قبلي أسيرا ... يقَاد به على جملٍ رداحِ
فلما أن كُثرت وغاب قومي ... أسرت أسار محتبلِ البراحِ
رأوني مفردا فتبادروني ... وما صدعت كماتهم جماحي

---

(١) المفضليات ، ص٣١٨-٣١٩ .
(٢) معجم الشعراء ، للمرزباني ، ص٤٤٢ .
(٣) الطرائف الأدبية ، ص١٦ .
(٤) بياض في الأصل .
(٥) منتهى الطلب من أشعار العرب ، لابن المبارك ، ص٣٣١-٣٣٢ .

وقـــد روعـــتهم قـــدما بخيـــلٍ	جوانـــف في الأعنـــة كالســـراحِ
فلمـــا أنزلـــوني كنـــت حـــرا	أجالـــدهم لـــدى كفَـــل الجَنـــاحِ
تعـــاوره الرجـــالُ فـــأنزلوني	عـــن القـــرس المُطهمـــة الوقـــاحِ
إذا بلـــت أعنتهـــا بنـــاني	خـــرجن بنـــا نواشـــط كالقـــداحِ
ولـــو أنـــي جمعـــت لهـــم شـــواري	علـــى نهـــدٍ مراكلـــه شـــناحِ
لأنكرنـــي الـــذين تبـــادروني	علـــى مفاضـــتي ومعـــي ســـلاحي

ومن شعراء نجران من يفخر بعدله ، وإعطاء الحقوق لأصحابها ، فلا يظلم الناس حقـوقهم ، ولا يظلم ، وهي خصال كريمة ضمن بها السلام في حياة كثُر فيها غلبة القوي على الضعيف ، ومن ذلك : قول يزيد بن أنس مفتخرا بنفسه[1]:

إنـــي امـــرؤ أعطـــي حقيقـــي حقّـــه	فلســـت بمظلـــوم ولســـت بظـــالم

ويفخر سويد المراثد كذلك بصفاته النفسية التي تكون منها خلقه ، كحلمه وكظمـه الغـيظ ، ونظرته الصائبة في أمور الحياة ، فيقول[2]:

إنـــي إذا مـــا الأمـــر بـــين شـــكه	وبـــدت بصـــائره لمـــن يتأمـــلُ
وتـــبرأ الضـــعفاءُ مـــن إخـــوانهم	وألح مـــن حـــر الصـــميم الكلكـــلُ
أدع الـــتي هـــي أرفـــق الخـــلات بي	عنـــد الحَفيظـــة للتـــي هـــي أجمـــلُ

وقد جمع شعراء نجران في فخرهم الذاتي كثيرا من القيم الخُلقية والمُثل العليا التي اتصـفوا بهـا ، فالكرم والشجاعة وتفريج كُربة المكروب ، وإعطاء العائل المحروم ، كلّها صفات امتزجت في ذواتهم ، فكانت قواما لشخصيتهم . ومن نماذج هذه القيم التي فخروا بها مجتمعة فيهم : قول يزيد بن مخرم ، حيث فخر بشجاعته ، وقوته على الأعداء ، وفكّه الأسير ، وإعطائه العائل الفقير المحروم ، فقال[3]:

ألم تعلمـــوا علمـــا يقينـــا بـــأنني	أخـــو ثقـــةٍ يشـــقى بـــه مـــن يحاربـــه
وقـــد أبقَـــت الأيـــام مـــني بقيـــة	كخـــير حســـام لم تخنـــه مضـــاربه
وكم مـــن كمـــي قـــد تركـــت مجـــدلاً	تنـــوح وتبكـــي معـــولاتٍ قرائبـــه
وكم من أســـير قـــد فككـــت وعائـــلٍ	جبـــرت وقـــد أعيـــت عليـــه مذاهبـــه

---

(1) حماسة البحتري ، ص٢٤٤ .

(2) البيان والتبيين ، للجاحظ ٢٤١/٣-٣٣٦ .

(3) معجم الشعراء ، للمرزباني ، ص٤٨٠ .

وشاع عند شعراء نجران إلى جانب فخرهم الذاتي بالفضائل النفسية ، والقيم الخُلقية الحميـدة ، اتجاه آخر صبوا فيه فخرهم الذاتي على مقومات أخرى ، منها : السيادة ، والقوة في القبيلة ، كفخـر الأفوه الأودي بمكانته وشرفه في مذحج ، يقول[1]:

إنـــي ذُؤابـــة مـــذْحج وسنامهـــا وأنـــا الكـــريم ذُرى القُديمـــة كـــررا

ب/ فخر بالقبيلة :

وفي هذا النوع من الفخر يتغنى الشاعر بأصالة قبيلته وقوتها ، ومكانتها بين القبائل ومآثرها ، فهو صدى لاعتزاز القبيلة بنفسها ، وإيمانها بجنسها ، وفضلها على سائر القبائل حسبا ونسـبا ، وبطولـة ومروءة وكرما[2]. ومن أمثلة الفخر بالقبيلة ما نجده عند نابغة بني الديان ، حيث فخر بقومه وما يتسمون به من أخلاق عفيفة فاضلة ، فيها صونٌ لحق الجوار ، والعدل والمساواة بين رعيتهم ، فيقول[3]:

وتبيـــت جارتنـــا حصـــانا عفـــة تـــثني ويأخـــذُ حقـــه مولانـــا
ونحـــق حـــق شـــريبنا في مائنـــا حـــتى يكـــونُ كأنـــه أســـقانا
ونقـــول إن طـــرق المشـــوب أصـــبحوا لوصـــاة والـــدنا الـــذي أوصـــانا
ويعـــيش في أحلامنـــا أشـــياعنا مـــردا ومـــا وصـــل الوجـــوه لحانـــا
ويظـــل مفترنـــا بحســـن عفافـــه حـــتى يـــرى وكأنـــه أغنانـــا

كذلك فخر يزيد بن عبد المدان بأخلاق قومه التي تميزوا بها ؛ من حلمٍ ، وعدلٍ ، وقوة ، لا تقبل الضيم حتى من ذوي القربى ، فقال[4]:

وكنـــتم بـــني عمـــي إذا مـــا ظلمـــتم غفرنـــا وإن نظلمكـــم نـــتظلّم
فلمـــا رأينـــا أن هـــذا لحاجـــةٍ وطالـــت علينـــا غُمـــةٌ لـــم تبـــرم
كففنـــا إليـــكم حـــدنا وحديـــدنا وكنا مـــتى مـــا نطلـــب الـــوتر ننـــتقم

ويرى النجاشي أن أخلاقه وأخلاق قومه الفاضلة إنما هي سجية فيهم و ليست إدعـاءً مصـطنعا ,ولا استعلاءً زائفًا بل توارثوها خلفًا عن سلف ، فيقول[5]:

خلائـــق فينـــا مـــن أبينـــا وجـــدنا كذلك طيب الفرع ينمي علـى الأصـل

وشعراء نجران فخروا كثيرا بقبيلتهم الأم (مذحج) ، معتزين بأصلها ، ونسبها ، ومناقبها ، ومآثرها ،

---

(١) الطرائف الأدبية ، ص١٤ .
(٢) الشعر وأيام العرب ، عفيف عبد الرحمن ، ص٢٣٦ .
(٣) المؤتلف والمختلف ، للآمدي ، تحقيق : عبد الستار أحمد ، ص٢٩٤ .
(٤) حماسة البحتري ، ص١٧٠ .
(٥) المصدر السابق ، ص٣٥١ .

وبتفوق جنسها وأبنائها ، ففضلوها على سائر القبائل ، فنراهم يتعصبون لقبيلتهم (مذحج) والقحطانية عامة ، ويفاخرون ا على هوازن العدنانية ، ومن ذلك : فخر يزيد بن عبد المدان عند أمية بن الأسكر على عامر بن الطفيل ؛ فارس وسيد بني عامر من هوازن ، حيث التقيا بعكاظ ، فخطب كلّ منهما ابنة أمية بن الأسكر فتفاخرا لديه ، فقال يزيد مفتخرا بنسبه الذي لا يدانيه نسب آخر[1]:

أمـي يـابن الأسـكر بـن مـدلج **لا تجعلـن هوازنـا كمـذحج**

إنـك إن تلهـج بـأمر تلجـج **مـا النبـع في مغرسـه كالعوسـج**

ولا الصـريح المحـض كالمـزج

ولم يكن فخر هؤلاء الشعراء منصبا على قبيلتهم الأم مذحج دائما ، بل انصرفوا في بعض فخرهم على فرعهم الأدنى ، فيفخر عبد الله بن عبد المدان بأسرته من آل الديان ، أولي الشـرف الضـخم في نجران ، الذين ينتسبون إلى فرع عالي الشرف والهمة في مذحج ، وهم بنو الحارث بن كعب ، وقد بلغ من شرف آل الديان وشهر م أن غلب اسم والدهم الديان في كثيرٍ من الأحيان علـى قبيلتـهم الأم (مذحج) ، فنراهم يفخرون بجدهم الديان وبنيه من آل عبد المدان ، الذين كان لهم عظـيم الشـأن في نجران ، فهم ملوكها وساد ا ، ففخر بنوه كثيرا بأسر م هذه ، التي هي من أشراف الناس وخاصتهم ، فليسوا من العامة التي لا يعبأ لها ، فبنو الديان هم ملوك ليس لهـم شـبه إلا رعـين وآل ذي يـزن ، ولشعورهم بقوة هذا النسب ، وبأ م من صفوة الملوك الذين لهم شأن جليل بين العرب ، نـراهم قـد فخروا وتحدوا كثيرا بأسر م هذه ، حتى الملوك والخلفاء ومن ذلك : ما نجده عند شريك الأعـور ، وهو شاعر من بني عبد المدان ممن أقاموا بعد الإسلام في الكوفة ، فقد فاخر الخليفة معاوية بن أبي سفيان حين تطاول عليه معاوية بكلامٍ آذاه ، فقال شريك :

فـلا تبسـطْ لسـانك يـابن حـربٍ **فـإنك قـد بلغـت مـدى الأمـاني**

فـإن تـك مـن أميـةَ في ذُراهـا **فـإني مـن بنـي عبـد المـدان**

[2]، فنراهم لذا يقارعون الناس ذا الحسب العظيم ، ومن ذلك : فخر عبد الله بن عبـد المـدان بجده الديان وبنيه زياد وعبد المدان ، فيقول[3]:

إنْ تلْـق حـي بـني الـديان تلْقهـم **شـم الأنـوف إلـيهم عـزةُ الـيمن**

ما كانَ للناسِ فـي الـديان مـن شـبهٍ **إلا رعـيـن وإلا آلُ ذي يـزن[4]**

---

(١) الأغاني ٢٦٩/١٢ .

(٢) انظر : أنساب الأشراف ، أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري ، تحقيق : إحسان عباس ، طبع المطبعـة الكاثوليكيـة ، بـيروت ، ط : ١٤٠٠هـ - ١٩٧٩م ، ١١٥/١ .

(٣) الأغاني ٢٦٤/١٠ .

(٤) رعين : هو ذو رعين ، ملك من ملوك اليمن ، واسمه : يريم بن زيد بن سهل بن عريب ، وآل ذي يزن هم أبناء ذي يزن ، وذو يـزن : والد سيف بن ذي يزن ، وكان سيف أحد ملوك اليمن الذين دانت لهم العرب ، فقد استنقذ سيف اليمن من حكم الأحباش بمعاونة كسرى أنو شروان ، فحكم اليمن قبل مولد الرسول ﷺ ، وهنأت على ملكه كثير من أشراف العرب وشعرائها . انظر : البدايـة والنهاية ١٥٥/٢ ، والسيرة النبوية ، لابن هشام ٧٨/١ .

أورى زيــاد لنــا زنــدا وواـــدنا	**عبــد المــدان وأورى زنـــده قطــن**

وفخر الأفوه الأودي بقومه أود[1]، وقدمهم في فخره ، فهم فرعه الأدنى ، ثم يزيد من فخره ـذا النسب حين يوصله بنسبه الأعلى (مذحج) ، فيقول[2]:

نحـ ـ ـ ـ ـن أود ولأود سـ ـ ـ ـ ـنة	**شـ ـرف لـ ـيس عنـ ـها قصـ ـار**
نحــن قُــدنا الخيــلَ حــتى انقطعــت	**شــدن الأفــلاءِ عنــها والمهــار**
كلّمــ ـا سـ ـرنا تركنـ ـا منـ ـزلاً	**فيه شـتى مـن سـباع الأرض غـاروا**
وتـ ـرى الطـ ـير علـ ـى آثارنـ ـا	**رأى عـ ـين ثقـ ـةً أن سـ ـتمار**
تـ ـرك النـ ـاس لنـ ـا أكتـ ـافهم	**وتولّــوا لات لــم يغــنِ الفــرار**
ملكنـ ـ ـا ملـ ـ ـك لقـ ـ ـاح أول	**وأبونـ ـا مـ ـن بـ ـني أود خيـ ـار**
عنكُـــم في الأرض ! إنـــا مذْحــ ـج	**ورويـــدا يفضـــح الليـــلَ النهـــار**

والأفوه حين يفخر بأود - وهي فرعه الأدنى - يرسم لها من التبجيل والإجلال ما هـو جـدير بتاريخها ومكانتها بين قبائل مذحج ، فيفخر بقو ا وشجاعة أبنائها في المعارك ، فقد استحقوا المكانـة الرفيعة بين القبائل ؛ لقو م وشجاعتهم ، ولتحلّيهم بالفضائل الحميدة التي تعارف عليها ا تمع العربي ؛ من كرمٍ ، وترحيبٍ بالضيف ، فكان لهم الصدارة بين القبائل ، فحق له الفخر م ، يقول[3]:

أيهـ ـا السـ ـاعي علـ ـى آثارنـ ـا	**نحــن مــن لســت بســعاءٍ معــه**
نحـــن أود حـــين تصـــطك القنـــا	**والعـــوالي للعـــوالي مشـــرعه**
يوم تبدي البِـيض عـن لمـع البـرى	**ولأهـــل الـــدار فيهـــا صعصـــعه**
ثم فينـــا للقـــرى نـــار يـــرى	**عنـــدها للضـــيف رحـــب وســـعه**

ويحلو للأفوه وهو يفخر بقبيلته أن يجمع فيها كلّ صفات الشجاعة والفروسية ، فيفخـر بقبيلتـه المحاربة ذات المنعة والسطوة ، فهم يقاتلون الأعداء ويسبون نساءهم ، ولا يسبي العدو لهم نساء ، وهم قوم يقودون الناس ولا يقادون ، وليس لأحد عليهم فضل ولا فخر ، يتميزون بشـدة غير ـم علـى نسائهم ، وهم كرام لا يضاهيهم في الناس ند ، فهم يتقون دماهم بمالهم عند الأسر ، ولا يقبلون ديـة ميتهم ، بل يأخذون بثأره ، فيقول في ذلك[4]:

---

(١) أود : هم فرع من كهلان ، فهم أبناء أود بن صعب بن سعد العشيرة بن مالك (مذحج) بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بـن كهلان بن سبأ . انظر : جمهرة أنساب العرب ، لابن حزم ، ص٤٠٧ ، ٤١١ .

(٢) الطرائف الأدبية ، للميمني ، ص١٣ .

(٣) الطرائف الأدبية ، ص٢٠ .

(٤) المرجع السابق ، ص٢٢ .

نقاتـــل أقوامـــا فنســـبي نســـاءهم | ولم يـــر ذو عـــز لنســـوتنا حجـــلا
نقـــود ونـــأبى أن نقـــاد ولا نـــرى | لقـــوم علينـــا في مكـــارمهم فضـــلا
وإنـــا بطـــاءُ المشـــي عنـــد نســـائنا | كمـــا قيـــدت بالصـــيف نجديـــة بـــزلا
نظـــلّ غيـــارى عنـــد كـــل ســـتيرة | نقلّب جيـــدا واضـــحا وشـــوى عـــبلا
وإنـــا لنعطـــي المـــال دون دمائنـــا | ونـــأبى فمـــا نســـتام دون دم عقـــلا

وفخر مزلج الزيادي بمنعة قومه وقوتهم التي شهدها الأعداء ، فآثروا سلمهم دون حربهم ، فقال[1]:

أجِـــد لُبانـــات الهـــوى لم تخلَّـــجِ | وساعةَ مـــا اســـتودعت وصـــلاً فـــزلجِ
صددتم ولـــو شـــئْتم للاقـــى ســـوامكم | سواما غدا مـــن عنـــدكم غَيـــر مـــدلجِ
ولكـــن علمـــتم أن دونَ اكتفالـــه | دروءًا مـــتى مـــا تلقـــه الـــريح تعـــنجِ

وفخر نابغة بني الديان بقومه وشجاعتهم ، التي توارثوها جيلاً بعد جيل ، وحرصوا على أن يرثها عنهم أبناؤهم من بعدهم ، فهم أصحاب منعة وشجاعة ، يصدون الكُماة عن أرضهم ، ويبيحون كل حمى بقوتهم ، ولا يباح لهم حمى ، وتسرع خطاهم سيوفهم ، فتتقدمها حتى تصل ما قصرت عنه من الأماكن التي تريدها ، فيضربون بها الأعداء ، فهم قوم شهدت لهم بالقوة والمكانة العظيمة حتى الجياد ، ولذا فهي تبتعد عن طريقهم ؛ إكبارا لهم ، فيقول[2]:

ونقـــولُ إنْ طـــرق المشـــوب أصـــبحوا | لوصـــاة والـــدنا الـــذّي أوصـــانا
أنْ لا نصـــد إذَا الكُمـــاةُ تقـــدمت | حتـــى تـــدور رحـــاهم ورحانـــا
ونبـــيح كُـــل حمـــى قَبيلـــة عنـــوةً | قَســـرا ونـــأبى أن يبـــاح حمانـــا
وإذَا الســـيوف قَصـــرنَ بلّغهـــا لنـــا | حتـــى تنـــاولَ مـــا تريـــد خطَانـــا
وإذَا الجيـــاد رأيننـــا فـــي مجمـــع | أعظمننـــا وزحلـــن عـــن مجرانـــا

كما تشعبت طرق الفخر القبلي عند شعراء نجران ، حيث صرف بعض شعرائهم فخره القبلـي على أعلام القبيلة ورجالها البارزين ومآثرهم ، التي امتد صداها إلى من حولهم ، ومن ذلك : قول الأفوه الأودي يفخر بثعلبة بن عوف[3] وكرمه ، وإغداقه المال والطعام في الشتاء حين يقلّ المـال والعطـاء ، فقال[4]:

---

(١) معجم الشعراء ، للمرزباني ، ص٤٤ .
(٢) المؤتلف والمختلف ، للآمدي ، تحقيق : عبد الستار أحمد ، ص٢٤٩ .
(٣) لم أجد له ذكرا فيما اطّلعت عليه من المصادر ، لكن يبدو من قول الأفوه فيه أنه من أبناء عوف بن منبـه بـن أود المـذحجي . انظر : جمهرة أنساب العرب ، لابن حزم ، ص٤١١ .
(٤) الطرائف الأدبية ، ص١٩ .

فينـــا لثَعلبـــة بـــن عـــوفٍ جفْنـــة	**يــأوي إليهــا فــي الشــتاءِ الجُــوع**
ومـــذَانب مـــا تســـتعار وجفْنـــةٌ	**ســوداءُ عنــد نشــيجها مــا ترفــع**
مـن كـان يشـتو والأرامـلُ حولـه	**يــروي بآنِيــة الصــريف ويشــبع**

واتجه الأفوه الأودي كذلك في فخره القبلي إلى الفخر بوالده عمرو بن مالك ، وهو علـم مـن أعلام القبيلة وفارس من فرسا ا المرموقين ، يقول(١):

أبي فَارس الصرماء عمـرو بـن مالـك	**غَـداة الـوغَى إذ مـالَ بِالجـد عـاثر**
فَمـا غَمرتـه الحَـرب إذ شـمرت لَـه	**ولا خـار إذ جـرت عليـه الجَرائـر**

ومن جميل فخرهم : ما خرجوا به عما ألفه بعض شعراء الجاهلية من فخـر بـالقوة وكمـال الأجساد ، وخلوها من الآفات والعيوب ، التي عدها بعض الهجائيين نقصا وعيبا ، فجعلوهـا مثـارا للهجاء والذم ، فنجد من شعراء نجران من يتخذ من بعض عيوب الجسد مادة للفخر والتسامي ، حيث تساموا ذه العيوب عن عقد النقص ، فجعلوا هذه المعائب الجسدية موضع فخر لهم ، وفي هذا يقـول المحجل بن حزن مفتخرا ببرصه الذي لا يراه عيبا وعارا ، بل هو سمة فخر ، كما أن التحجيل سـمة جمال وتمام في الفرس ، فيقول(٢):

يــا مــي لا تســتنكري تحــويلي	**ووضــحا أوفَــى علــى خصــيلي**
فَــإن نعــت الفَــرسِ الرجيــل	**يكْمــل بِــالغرة والتحجيــل(٣)**

غير أن هناك من شعراء نجران من وجد في الإسلام خير ما يفتخر به ، ومن ذلك : فخر عبد الحارث ابن أنس الحارثي ، فقد ثبت على الإسلام حين ارتدت كثير من قبائل اليمن ، ومنهم بعض القبائـل في نجران بعد موت الرسول ﷺ ، فقام فيهم عبد الحارث خطيبا يدعوهم للتمسك ذا الدين الحق ، ثم قال مفتخرا بتمسكه وقومه بالإسلام(٤):

نحــن بِحمــد الله هامــةُ مــذْحجِ	**بنو الحَارث الخَيـر الـذين هـم مـدر**
ونحن على ديـنِ النبِـي نـرى الـذي	**نهانا حرامـا منـه والأمـر مـا أمـر**

والفخر بقسميه (الذاتي والقبلي) امتزج عند بعض شعراء نجران ، فالشـاعر لا يقبـل بـذوبان شخصيته ذوبانا تاما في شخصية القبيلة ، فيؤثر الظهور بذاته على الذوبان في القبيلة ، فيفخـر بنفسـه

---

(١) المصدر السابق ، ص١٣-١٤ .

(٢) البرصان والعرجان والعميان والحولان ، للجاحظ ، تحقيق : محمد مرسي الخولي ، ص٢١ .

(٣) والتحجيل في الخيل هو : البياض يكون في قوائمه ، أو في ثلاث منها . انظر : كتاب الخيل ، لأبي عبيدة معمر بن المثنى ، ص١١١ .

(٤) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٩٤٣/٣ ، الإصابة في تمييز الصحابة ١٦٠/٤ .

معتدا بصفاته الذاتية ، إلا أنه يدرك عدم إمكان استقلال شخصيته عن شخصية القبيلة ، فهو حينما يـ ع إلى الفخر بنفسه ، فإن فخره في الغالب يكون صدى عصبيته ؛ إذ هو يفخر بدوره في الدفاع عن قبيلته ، وولائه لها [1] .

ومن أبرز النماذج على ذلك : فخر عبد المدان بشجاعته ، وشجاعة قومه (قنان ، والحماس ، وزعبل) في المعركة ، يقول[2]:

فيـا رب خيـلٍ قـد هـديت بشـطْبةٍ ... يعارضـها عبـلُ الجُـزارة هيكـلُ
سـبوح إذا جـالَ الحـزام كأنـه ... إذا انجاب عنه النقْع في الخيـل أجـدلُ
يواغـلُ جـردا كالقنـا حارثيـةً ... عليهـا قنـانٌ ، والحمـاس ، وزعبـلُ

ويفخر مخرم بن حزن بشجاعته وشجاعة قومه في لقاء الأعداء[3]:

وخيـل قـد لبسـتهم بخيـلٍ ... تخـوض المـوت في يـومٍ عصـيبٍ
ملأنـا الأرض مـن قتلـى نميـرٍ ... بـرغمٍ كـانَ منـا في القلـوبِ

ويتحدث الطفيل بن يزيد بفخرٍ عن شجاعته وما فعله بعامر بن الطفيل في يوم فيف الريح ، ثم ما يلبث أن يذكر بطولة قومه وشجاعتهم ، التي كسرت شوكة عامر (فارس هوازن) فأجبرته على الفرار من ساحة المعركة ، فيقول[4]:

وهصت بخـرص الـرمح مقْلـة عـامر ... فأضحى بخيصـا في الفـوارس أعـورا
وغـادر فينـا رمحـه وسـلاحه ... وأدبـر يـدعو في الهوالـك جعفـرا

وفخر جعفر بن علبة بنسبه الخالص وشجاعته ، وشجاعة قومه في لقاء الأعـداء ، واقتحـامهم لغمرات الموت وميادينها في قوة وبأس ، غير آ ين للموت ، فيقول مفتخرا[5]:

لا يكْشـف الغمـاءَ إلا ابـن حـرةٍ ... يـرى غمـرات المـوت ثُـم يزورهـا
نقاسـمهم أسـيافنا شـر قسـمةٍ ... ففينـا غواشـيها وفـيهم صـدورها

---

(١) انظر : الشعر وأيام العرب ، عفيف عبد الرحمن ، ص٢٣٦-٢٤٩ .
(٢) الأغاني ، للأصفهاني ١٢/٢٧٦ .
(٣) معجم الشعراء ، للمرزباني ، ص٤٤٢ .
(٤) العقد الفريد ، لابن عبد ربه ٥/٢٢٢ .
(٥) ديوان حماسة أبي تمام بشرح التبريزي ١/٢٥ ، الحماسة البصرية ١/٤٦ .

٣) شعر الهجاء والنقائض :

الهجاء هو تنفيس عن عاطفة السخط والغضب تجاه شخص يبغضه أو جماعة تنتقم منها[١]، حيث يعمد الشاعر إلى ذم خصمه والتشهير به ، وإلحاق العيوب الجسدية أو النفسية فيه ، كما قد يخرج الهجاء عن الحدود الفردية الشخصية إلى حدود الجماعة والقبيلة ، حيث يتناول الهاجي جماعة أو قبيلة يصب عليها جام غضبه وسخطه[٢].

وللشعراء في هجائهم طرق وأساليب شتى ، فمنهم من يحتال في اتخاذ الوسائل الذكية الموجعة ، كأن يهزأ بخصمه ، أو يسفّهه ، أو يقارنه بغيره ، ويفضله عليه عن طريق التعريض والتلميح ، ومنهم من يهجم على خصمه فيذكره صراحة ، وينهال عليه إنذارا وشتيمة ، ولا شك أنّ الأسلوب الأول أحذق وأليق ، وأكثر إيجاعا[٣].

ولم ينصرف كثير من الشعراء في هجائهم إلى الفحش والقذف ، بل عدوا الإفحاش في الهجاء سقوطًا للهاجي لا المهجو ، قال ابن الأثير : " يستحب في الهجاء ألاّ يكون ظاهره فحش يتحاماه ذوو الدين والمروة ، ولا يقبح إيراده في المحافل ، ولا يخشى غائلة المهجو به غالبًا ... ومتى أتى الشاعر في شعره بالقذف والإفحاش والسباب ، دلّ ذلك على لؤم الشاعر وشماتته . ومن يصدر ذلك عنه من الشعراء فقد هجا نفسه قبل المهجو "[٤]، فقصد كثير من الشعراء في هجائهم الصدق والتعريض بالمهجو ، وهذا من أشد أنواع الهجاء إيلاما[٥].

كما أن الهجاء إنما يكون أبلغ وأشد وقعا في النفس إذا كان ذما للمهجو في العيوب النفسية ، كالذم بالبخل ، والجبن ، والفرار من ساحة المعركة .. ولذا كان الكثير من الشعراء ينصرفون عن هجو خصومهم بالعاهات الجسدية ، حيث إن عيوب الجسد مفروضة على الإنسان ، لا سبيل إليه بتركها أو إصلاحها ، أما مخالفة ما تعارف عليه المجتمع العربي من مثل عليا وتقاليد فاضلة ، فهذا هو العيب والنقص عندهم[٦].

قال ابن رشيق : " وأجود ما في الهجاء : أن يسلب الإنسان الفضائل النفسية وما تركب من

---

(١) الشعر الجاهلي ، يحيى الجبوري ، ص٣٣٩ .

(٢) انظر : جوهر الكنز ، لنجم الدين أحمد بن إسماعيل بن الأثير الحلبي ، تحقيق : محمد زغلول سلام ، دار منشأة المعارف - مصر ، ط١ ، ص٣٠٩-٣١٠ .

(٣) الشعر الجاهلي ، يحيى الجبوري ، ص٣٥١ .

(٤) جوهر الكنز ، لابن الأثير ، ص٣١٠ .

(٥) انظر : العمدة ١٧١/٢ .

(٦) انظر : نقد الشعر ، قدامة بن جعفر ، تحقيق : كمال مصطفى ، مكتبة الخانجي - مصر ، ط : ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م ، ص١٩٢ .

بعضها مع بعض ، فأما ما كان في الخلقة الجسمية من المعايب فالهجاء به دون ما تقدم "[1].

وتختلف نظرة الشعراء في تقدير هذه الصفات التي هي مثار النقد والهجاء ، فمن شعراء نجـران في الفترة الإسلامية من لا يرى في شرب الخمر عيبا ما دام الإنسان كريما حسن الأخلاق ، فإن ارتكـاب هذه اللذة لا تنقص من حلمه وخلقه الكريم ، فيقول جعفر بن علبة في ذلك[2]:

لقـد زعمـوا أنـي سـكرت وربمـا	**يكـونُ الفتى سـكْران وهـو حليـم**
لعمرك ما بالسـكْر عـار على الفتى	**ولكـن عـارا أن يقـالَ : لئـيم**
وإن فتى دامـت مواثيـق عهـده	**علـى دون مـا لاقيتـه لكـريم**

فقد عدى جعفر عن هذا الهجاء الذي عير به ، واحتج فيه بما يدلّ على أنه غير ضائره ، فالسـكر عنده لا يضر المرء ، فقد يسكر الحليم واللئيم ، ولا يضر السكر بالحليم الذي لا يخرجه السكر عن طبعه وحلمه ، ولكنه عار على اللئيم الذي يظهر لؤمه حين سكره !!.

وشعر الهجاء عند شعراء نجران ارتبط بالعصبيات القبلية ، والخصومات الشخصية ، وما قد تـثيره من حروب ومعارك وأحقاد ، وما يتبع هذه المعارك من قتلى ورثاء ، وتحضيض على الأخـذ بالثـأر والانتقام[3].

وينقسم الهجاء عند هؤلاء الشعراء إلى قسمين :

أ / الهجـاء الشخصي :

وهو ما كان على مستوى الأفراد ، وهو - في اعتقادي - أعنف الهجاء وأشـده علـى الـنفس وأوجعه ؛ لإلحاقه المعائب والنقائص ، ونسبتها لشخصٍ دون سواه ، حتى يذاع بذكرها فيه بين الأنام ، لذا كان أشراف الناس ووجوه القوم وذوو المكانة فيهم هم أشد الناس خوفًا من الهجاء وفرقًا منه ؛ لما فيه من تلويث لسمعتهم ، وإلصاق للرذائل في شخصهم[4].

---

(1) العمدة ١٧٤/٢ .

(2) الأغاني ٣٣/١٣ .

(3) انظر : العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي ، إحسان الـنص ، دار الفكـر - بـيروت ، ط٢ ، ١٩٧٣م ، ص٤٢٣-٤٢٤ ، وانظر : الشعر الجاهلي ، يحيى الجبوري ، ص٣٤١ .

(4) انظر : الحيوان ، للجاحظ ٩٣/٣ ، وانظر : الشعر الجاهلي ، يحيى الجبوري ، ص٣٤٧ .

ب/ الهجاء القبلي :

وهو ما كان فيه الهجاء على مستوى القبيلة ، ففيه ينبري الشاعر ليذب عن قبيلته ، ويهجو خصومها[1]، وقد أذكت الحروب الكثيرة التي خاضها شعراء نجران هذا اللون من الشعر في نتاجهم ، ففي ساحات المعارك بين القبائل المتناحرة برزت المبارزات الشعرية لتؤازر السيوف والحراب والسهام في ميدا ا ، فكان الهجاء سلاحا من أسلحة المعارك ، وكانت العرب لذلك تخشاه ؛ لأن أثره باقٍ مع الأيام ، لا تمحوه اية المعركة ولا اندثار الأيام ، فبلغ من خوفهم وفرقهم منه أ م كانوا إذا أسروا شاعرا شدوا لسانه ؛ حتى لا يهجوهم ، ومن ذلك : ما فعلت بنو تميم مع الشاعر عبد يغوث أسير يوم الكُلاب الثاني ، حيث شدوا لسانه بنسعة ؛ لئلا يهجوهم ، فقال في ذلك عبد يغوث[2]:

أقُولُ وقَد شَدوا لسانِي بِنِسعةٍ … أمعشر تيم أطلقُوا عن لسانِيا

ومن صور الهجاء عند شعراء نجران : ما جاء في أعقاب المعارك ورثاء القتلى ، ومن ذلك : قول نائحة مرة بن عاهان - ولعلها ابنته - ، حيث رثت مرة وهجت قاتله المنتشر بن وهب الباهلي وقبيلته باهلة ، الذين ما هجو بمثل قولها ، الذي صغرت وحقّرت فيه من شأن المنتشر وقبيلته ، بقولها : (بهل بن لانا) ، فما هجو بمثل هذا الهجاء ، حيث قالت[3]:

يا عين بكي لمرة بن عاهانا … لو كان قاتله من غير من كانا

أو كان قاتله قوما ذَوي حسبٍ … لكن قاتله بهل بن بهلانا

وقد يختلط الهجاء الشخصي بالهجاء القبلي عند بعض شعراء نجران ، ومن ذلك ما كان من أمر النجاشي وتميم بن مقبل ، فقد جمع النجاشي في هجائه لتميم بن مقبل ورهطه بني العجلان الذين كانوا يتباهون باسم جدهم عبد الله بن كعب العجلان ، وقد سمي بالعجلان ؛ لتعجيله في قرى الأضياف ، فظلّ بنوه يفخرون ذا اللقب حتى هجاهم النجاشي الحارثي بشعرٍ خبيث قلب فيه معاني فخرهم مسبة ومذمة ، فاستعدوا عليه الخليفة عمر بن الخطاب ، فقال عمر : وما قال ؟. فأنشدوه من شعر النجاشي فيهم[4]:

إذا اللهُ عادى أهلَ لُؤم ورقةٍ … فعادى بني عجلان رهط ابن مقبِل

فقال عمر : إنما دعا عليكم ، ولعله لا يجاب ، فقالوا : إنه قال :

قُبيلةٌ لا يغدرون بذمةٍ … ولا يظلمون الناس حبةَ خردل

---

(١) العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي ، إحسان النص ، ، ص٣٤١ .

(٢) المفضليات ، ص٣١٦ .

(٣) خزانة الأدب ، للبغدادي ٤٢٦/١١ .

(٤) العمدة ، لابن رشيق ٥٢/١ ، الشعر والشعراء ، لابن قتيبة ٣٣٠/١-٣٣١ .

فقال عمر : ليتني من هؤلاء ، قالوا : فإنه قال :

ولا يـــردون المـــاء إلا عشــية إذا صــدر الــوراد عــن كــل منهــل

فقال عمر : ذلك أقل لسكاك ، أي الزحام ، فقالوا : فإنه قال :

تعـاف الكــلاب الضــاريات لحــومهم وتأكل من كعب بــن عــوفٍ و نهشــل

فقال عمر : كفى ضياعا من تأكل الكلاب لحمه ، قالوا : فإنه قال :

ومــا ســمي العجـــلان إلا لقـــولهم خذ القعب واحلب أيها العبــد واعجــل

فقال عمر : كلنا عبد ، وخير القوم خادمهم ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ، هجانا ، فقال : ما أسمع ذلك ، فلما ألحوا عليه وطلبوا منه أن يحكّم حسان بن ثابت ﷺ ، فقال حسان : ما هجاهم ، ولكن سلح عليهم ، وكان عمر من أبصر الناس بالشعر ، وأعلمهم بقصد النجاشي ، ولكنه أراد أن يدرأ الحد بالشبهات ، فلما حكم في قوله حسان سجن النجاشي ، وقيل : حده[1] .

والهجاء القبلي أو الشخصي عند بعض شعراء نجران لم يكن في الغالب هجاء من جانب واحـد ، بل كان يتوافر فيه عنصر التبادل والمقابلة بالمثل ، ومن هنا غلب عليه طابع المناقضـة ، فالشـاعر ينقض معاني خصمه ، حيث ينقض عليه فخره هجاء ، فالفخر والهجاء كانا من أبرز سمات هذه النقائض[2] .

والحق أن فن النقائض لم يكن فنا وليدا في العصر الأموي ؛ إنما هو فن جاهلي قديم انتهت إلينـا نماذج منه ترجع إلى أوائل عصر الجاهلية ، وإن كانت هذه النقائض الجاهلية في صورها الأولى يغلـب عليها طابع الهجاء القبلي المطلق القيود في كثيرٍ من صوره ، والذي يجري فيه الشاعر على هواه ، لا يلتـزم قافية مرسومة ولا بحرا معينا ، ولا يأخذ الشاعر فيه نفسه بتقصي معاني خصمه ونقضها ، بل تميزت هـذه النقائض بفخر الشاعر بنفسه أو قبيلته وذم خصمه وقبيلته دون أن يسير على منهج مرسوم أو قافية موحدة ، ثم تطورت هذه النقائض الجاهلية في ظلّ الشعر الحربي ؛ لنجد نماذج منها بدت أكثر نضجا واكتمالاً جرى فيها المتناقضون على بحرٍ وقافية واحدة ، أطلق كل منهما فيها لسانا ثلبا يفخر به بنفسه وقومـه ، ويـذم ويهجو خصمه . ومن الصور المتعددة لهذه النقائض ما نجده عند شعراء يثرب في الجاهلية[3] .

---

(١) العمدة ، لابن رشيق ٥٢/١ .

(٢) انظر : العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي ، إحسان النص ، ص٤٢١ .

(٣) انظر : تاريخ النقائض في الشعر العربي ، أحمد الشائب ، مكتبة النهضة المصرية - مصـر ، ط٣ ، ١٩٩٨م ، ص١ ومـا بعـدها ، وانظر : العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي ، ص٤٢١-٤٢٢ ، وانظر : المدينة في العصر الجاهلي ، محمد العيـد الخطـراوي ، مؤسسة علوم القرآن - دمشق ، ط١ ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م ، ص٦٢-٦٣ وما بعدها .

حتى إذا ما جئنا إلى عصر بني أمية نجد أنّ هذا الفن - وفي ظل الشعر السياسي - قد أخذ مستكملاً مع الأيام أركانه وعناصره ، معتمدا على فني الفخر والهجاء ، حتى استوى واكتملت أوضاعه وشروطه ، واكتسب صورته الفنية التامة على يد أعلامه (جرير والفرزدق والأخطل)[1] .

وشعراء نجران كانوا من أكثر الشعراء تعصبا وفخرا بقبيلتهم وأنفسهم ، وأشدهم حماسا وحربا على الأعداء ، فبارزوا خصومهم بالسلاح وبالسنان ، لذا برز الكثير من صور النقائض في أشعارهم ؛ جاهلية وإسلامية ، وقد كان مدار أكثر نقائضهم الجاهلية تابعا لأيامهم مع القبائل الأخرى ، فمن هذه النقائض الجاهلية التي اتصلت بأيامهم : ما دار بين الحارث بن سعد الحارثي والنابغة الجعدي[2] على إثر يوم شراحيل وقتل بني جعدة له[3]، حيث فخر النابغة بانتصارات قومه ، وفخر بقتلهم لشراحيل ، حيث قال[4]:

ونحن أزلنا مذْحجا عن ديارها　　　وهمدانَ أسقينا السمام وحميرا
ونحن أزلنا خثْعما عن ديارها　　　فَزالت وكانت أهل نرجٍ وعثرا
وقد علمت عليا معد بلاءَنا　　　ونجرانَ زرنا باللهاميم ضمرا
أرحنا معدا من شراحيلَ بعدما　　　أراهم مع الصبح الكواكب مظهرا

كما ردد النابغة طويلاً فخره بقتل قبيلته لشراحيل الجعفي الذي كان يسوم هوازن الذل ، فقال مفتخرا بمعاركهم مع مراد ، وانتصارهم عليهم ، وقتلهم شراحيل[5]:

لقينا شراحيلَ الرئيس وجنده　　　من السير قد أحفى المطي وأنعلا
تحمل حيا من كلابٍ وعلّقوا　　　رؤوسا تنَقي من لا ثم من لا
وجئنا بأبدال الرؤوس فلم ندع　　　لبنت كلابي من التبل مغزلا
سراة مراد لا يحاول غيرهم　　　سقيناهم بالجِزْع قَشبا ممثّلا
تركناهم صرعى تخالُ رؤوسهم　　　بذي الرمث من وادي الرمادة حنظلا

---

(١) انظر : العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي ، إحسان النص ، ص٤٢٢ .

(٢) النابغة الجعدي : وهو قيس بن عبد الله بن عدس بن ربيعة بن جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، يكنى بأبي ليلى ، عاش عاش في الجاهلية والإسلام دهرا . المؤتلف والمختلف ، للآمدي ، ص٢٩٣ ، الشعر والشعراء ، لابن قتيبة ، ص٢٨٩ .

(٣) انظر : قصة هذا اليوم في تمهيد الدراسة ، ص٢٠ .

(٤) شعر النابغة الجعدي ، جمع وتحقيق : عبد العزيز رباح ، منشورات المكتب الإسلامي- دمشق ، ط١ ، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م ، ص٥٣-٥٤-٥٦ .

(٥) المرجع السابق ، ص١١٩ وما بعدها .

جلبنا من الأكوار والسي والقفا   وبيشةَ جيشا ذا زوائد جحفلا
وهبنا لكم فيها المئين وغادرت   مغارتنا خدا من الناس عيلا
على موطن أغشى هوازن كلها   أخا الموت كظا رهبةً وتويلا
شراحيلُ إذْ لا يمنعونَ نساءَهم   وأفناهم خدا فخدا تنقلا

فأجابه الحارث بن سعد بقوله[1]:

إنْ تقْتلوا يوما شراحيلَ تقْتلُوا   بمقتله أو نجرِ عرك الكواكب[2]
دما خلصا أو تسلمنا حريمكم   وتعترفُوا ضربا فُويق المناكبِ
وتجري عتاق الخَيل بين بيوتكُم   عليهن فتيانٌ كرام الضرائبِ
بأيديهم بيض تقُد سوالفًا   كمثل مخاريقٍ بأيدي لواعبِ
إذَا ما أسلّت في الخميس رأيتها   كبرقٍ بدا في عارضٍ متراكبِ

ويشير يوم حلوم نقيضة بين يزيد بن عبد المدان ، ودريد بن الصمة ، حيث يقول يزيد مفتخرا بنصره ، وهاجيا قبيلة هوازن وجموعها المتحالفة[3]:

ألا أبلغا همدانَ والحي مذْحجا   وكندةَ والمروقين من آل بارق
بأن سليما قضها وقضيضها   ونصرا وحيي عامر في القيالق
أتونا بجمع يضلع الأرض رزه   له لجب عالٍ كصلق الصواعق
فما وردوا نجرانَ حتى بدت لهم   توابع من نجل الصريع ولاحق
محرجةُ الألباب مجلوزةُ الشوا   معاودةُ الإقدام في كل مازق
يسومها المديان للغزو بدنا   وترجع أمثال السيوف الذّوالق
تنادوا فقالت : عامر يا لعامر   هو اليوم فارموا جمعهم بالبوارق
فناديت : يا حار بن كعبٍ فأقبلت   عرانين أمثال المحال المحانق
وحسرت عن رأسي القناع وقلّ ما   يحسر إلا في نزول البوائق
فأوروا شرار البيض بالبيض وانتموا   إلى الحارث البهلول حار الغرانق
ودارت رحانا واستدارت رحاهم   ونادت أخرى جشموني مواثق

(١) شرح القصيدة الدامغة ، للهمداني ، ص٢١٦ .
(٢) عرك الكواكب : المراد به عرك الحرب والقتال فيها . انظر : لسان العرب ، مادة (عرك) ٤٦٥/١٠ .
(٣) شرح قصيدة الدامغة ، للهمداني ، ص٢٦١ .

فكــانوا كشــاةٍ غــاب عنــها رعاتهــا مروعـــةٍ بـــالجو مـــن نعـــق نـــاعق
وكُنـــا إذا مـــا عـــامر دلفَـــت لنـــا بِنجــرانَ لم ننظُــر لهــا ضــوءَ شــارق
نعـــــالجهم رد المنيـــــة بالقنـــــا وبـــالبيض في أيمانِنـــا كالعقـــائق

فأجابه دريد بن الصمة بقوله[1]:

ألا أبلغـــا عليـــا هـــوازنَ إننـــا ســـمونا إلى البِـــيض الطـــوال الغرانِـــق
ســـمونا إلى عبـــد المَـــدان ورهطـــه بِـــألفي كمـــي مـــن معـــدٍ معـــانق
بِأيـــديهم ســـمر صـــلابٍ متونـــا وبِـــيض نقـــى لونـــا كالعقـــائق
علـــى كُـــل جـــرداء الســـراة كأنـــا عقاب رمتها الـريح مـن رأس حـالق
وأجـــرد خنذيـــذ كـــأن ســـراته إذا ما عدا مـن أهـتم الـريش خـافق
فلمــا هبطْنــا أرض نجــران أمطَــرت ســـماء بـــني ديانِهـــا بِالصـــواعق
فَملنــا علــيهم ميلــةً صــليميةً فَمــالُوا علينــا بِالســيوف الــذَوالق[2]
فَلَــم أر منــهم فَارســا كَــر طَرفــه ثَنــا عطفَــه والحَــرب ذَات عوائــق
رأيـــت يزيـــدا فـــي الجيـــاد يحثهـــا فأيقنــت أن المَــرء لا شــك لاحقــي
فَقُلـــت لعجـــلا إنمـــا هـــي ســـاعةٌ فداءً لــك نفْســي الحَقْــني ملاحقــي
فَلـــولا بِحـــال الشـــد طَـــورا أحثهـــا وطَـــورا أُقَـــديها لَعاقَـــت عـــوايقي
فَلا تقْــربن نجــرانَ مــا حــج راكــب علـــى مـــلأ مـــن قَومنـــا ومواثـــق
أأقْـــرب قَومـــا مـــن يـــرمهم بِثـــروة يفـــل ويلقَـــوه بِإحـــدى البوائـــق[3]
ســـآتي يزيـــدا ذَا النـــدى ومحرمـــا وجل بني الـديان فـي غَـيرِ مـارق[4]
أزورهـــم فـــي أرضـــهم وبلادهـــم علـــى خـــز أنمـــاطٍ لهـــم ونمـــارق

ومن هذه الأيام التي أثارت نقائضهم كذلك : يوم حضن[5]، وفيه كان النصر لبني الحـارث بـن

---

(١) المصدر السابق ، ص٢٦٢-٢٦٣ .

(٢) الصليمية : الصدمة الشديدة .

(٣) لعل قوله بثروة من الثراء ، وهو الكثرة .

(٤) ورد الاسم في المصدر بلا إعجام (محرما) ، والصحيح مخرم ، وهو فارس وشاعر من بني الحارث بن كعـب ، سـبقت ترجمتـه في الفصل الأول .

(٥) حضن : جبل ضخم بناحية نجد ، بينه وبين تهامة مرحلة ، ويسكنه بنو جشم بن بكر ، دارت فيه معركة بين بني الحارث بن كعـب كعب وهوازن . معجم البلدان ، رسم (حضن) ٢٧٢/٢ ، وفيه يضرب المثل : أنجد من رأى حضن ، أي : صار في نجد . انظر : مجمع الأمثال ، للميداني ٣٣٧/٢ ، وانظر : جمهرة الأمثال ٩/١-٧٨ .

كعب وأحلافهم على هوازن ، فاشتبك في هذه المناقضة الأجدع الهمداني وعبد الله بن عبد المدان من جهة ، ودريد بن الصمة من جهة أخرى ، فقد فخر الأجدع بن مالك الهمداني - وهو من شعراء نجران الذين أبلوا في هذا اليوم - ، ففخر بقتلهم خالد بن الصمة شقيق دريد ، وعير دريدا بهزيمته وفراره من المعركة ، فقال[1]:

أبلغــا عنــي دريــدا مألكــا	ومــن القــول عنــا للمعــن [2]
تــرك المــرء أخــاه خلفــه	عفــر الوجــه لــم يجــن
وتمطــى بدريــد قــارح	مثل تــيس يتنــزى فــي الشــطن[3]
أحسبتم دورهــم نهبــا لكــم	إن هــذا مــن دريــد لوســن
ولهــم بــالجوف ألفــا فــارس	كــل قــرم ذي شــليل وبــدن
مــن بنــي الحــارث قتــال العــدى	وذوي الأكــل وأرقــاد الــزمن

فأجابه دريد بنقيضة أنكر فيها عليه الفخر ، وأنكر عليه أن يكون قد قاتل في هذا اليوم ، فهو ليس من فرسان المعركة ، ولم يقتل خالدا ليفخر بذلك ؛ إنما الذين أردوه هم بنو الديان فرسان الوغى ، الذين يشهد لهم بالقوة والشجاعة ، فقال[4]:

أبلــغ الأجــدع مــني مألكــا	مالــك اليــوم مقــال فــي حضــن
إنــك اليــوم ومــا تهــذي لنــا	كــذباب طــن فــي الجــو فطــن
فبنــو الــديان أردوا خالــدا	فعــلام الفخــر مــنكم بحضــن
يــا بــني الــديان أنــتم معشــر	لــم تزالــوا مــن خــراطيم الــيمن
قــدحت كــف زيــاد زنــدكم	وزيــاد قــدحت كــف قطــن

فأجابه الأجدع مؤكدا فخره بشجاعته وقتاله ودوره في يوم حضن ، فقال[5]:

قــد رأى منــي دريــد موقفــا	غصــه بــالريق فــي يــوم حضــن
فنجــى يهــز جــنبي مهــرة	وقنــاتي فــي قفــاه كالشــطن
كــاد لــولا بــدر المهــر بــه	قــاب ســوط أن يدهــده للــذقن
فــاعترف بــالعتق للمهــر بهــا	إنهــا عنــدي مــن إحــدى المــنن

---

(١) شرح القصيدة الدامغة ، ص٢٦٤-٢٦٥ .

(٢) المألكة : الرسالة ، لسان العرب مادة (أكك) ١٠ / ٣٩٢ .

(٣) الشطن : الحبل . مختار الصحاح ، للرازي ، مادة (شطن) ١٤٢/١ .

(٤) شرح القصيدة الدامغة ، للهمداني ، ص٢٦٤ .

(٥) المصدر السابق ، ص٢٦٤-٢٦٥ .

وأزيـد المخـلاة منـه عنجـدا	وشـعيرا ثـم أفقيـت اللـبن[1]
ولقـد تعلـم أنـي جئـتكم	يـوم تـرج تحـت زور وثفـن[2]
وقفلنـا بظبـاء خـرد	كـل حـوراء عـروب كـالوثن
وتركنـاكم كعصـف يـابس	عصـفت ريـح عليـه فـاطحن

وقد أثار مقتل خالد بن الصمة غضب دريد ، فاتجه بهجائه إلى بني الحارث بن كعـب ، فعـدد مناقبهم التي لن تثنيه عن أخذه لثأره ، فقال مهددا لهم بالحرب وإفناء دارهم[3]:

يـا بـني الحـارث أنـتم معشـر	زنـدكم وار وفـي الحـرب بهـم[4]
ولكـم خيـلٌ عليهـا فتيـةٌ	كأسـود الغـاب يحمـين الأجـم
لـيس فـي الأرض قبيـلٌ مـثلكم	حـين يـرفض العـدا غيـر جشـم
لسـت للصـمة إنْ لـم آتكـم	بالخناذيـذ تبـارى فـي اللجـم[5]
فتقـر العـين منكم مـرةً	بانبعـاث الحـر نوحـا تلتـدم
وتـرى نجـران مـنكم بلقعـا	غيـر شـمطاء وطفـل قـد يـتم
فانظروهـا كالسـعالي شـزبا	قبـل رأس الحـول إنْ لـم أخـترم[6]

ولما بلغ قوله هذا عبد الله بن عبد المدان ، أجابه هاجيا له ومشبها وعيده بعواء الكلب ، ومفتخرا بقومه بني الديان الذين ليس لهم نظير من الملوك ، إلا رعين وآل ذي يزن ، كما تشفى منـه وفخـر بقتلهم أخاه خالدا ، فقال[7]:

نبئـت أن دريـدا ظـل معترضـا	يهدي الوعيد إلى نجـرانَ مـن حضـن
كالكلـب يعـوي إلـى بيـداء مقفـرة	من ذا يواعـدنا بـالحرب لـم يحـن
إنْ تلـق حـي بـني الـديان تلقهـم	شـم الأنـوف إلـيهم عـزةُ الـيمن

(١) المخلاة : ما يجعل فيه الخلي ، وهو العشب الرطب . لسان العرب ، مادة (خلا) ٢٤٣/١٤ .
والعنجد : الزبيب . لسان العرب ، مادة (عنجد) ٣١٠/٣ .

(٢) ترج : موضع ببيشة . معجم ما استعجم ، للبكري ، رسم (ترج) ٣٠٩/١ .

(٣) ديوان دريد بن الصمة ، تحقيق : عمر عبد الرسول ، دار المعارف - مصر ، ط : ١٩٧٥م ، ص١٥٥-١٥٦ ، دريد بن الصمة حياته حياته وشعره ، مناحي ضاوي القثامي ، مطبوعات نادي الطائف الأدبي ، ط١ ، د.ت ، ص٤٥-٤٦ ، الأغاني ٢٦٣/١٠-٢٦٤ .

(٤) بهم - بالضم - : جمع بهمة ، وهو الفارس الشجاع الذي لا يدرى من أين يؤتى له من شدة بأسه . انظـر : لسـان العـرب ، مادة (م) ٥٨/١٢ .

(٥) الخناذيذ : جياد الخيل الضخمة الطويلة ، واحدها خنذيذ . تاج العروس ، مادة (خنذ) ٤٠٤/٥-٤٠٥ .

(٦) الشازب : الضامر اليابس من الناس وغيرهم ، وأكثر ما يستعمل في وصف الخيل ، وهو المراد ا هنا . انظـر : لسـان العـرب ، مادة (شزب) ٤٩٤/١ .

(٧) الأغاني ٢٦٤/١٠ .

ما كانَ للناسِ في الديان من شيءٍ ... إلا رعين وإلا آلُ ذي يزن
أغمض جفونك عما لست نائله ... نحن الذين سبقنا الناس بالمدن
نحن الذين تركنا خالدا عطبا ... وسطَ العجاج كأن المرءَ لم يكن
إنْ تهجنا تهج أنجادا شرامخةً ... بيض الوجوه مرافيدا على الزمن
أورى زياد لنا زندا ووالدنا ... عبد المدان وأورى زنده قطن

ومن النقائض الشخصية التي لم تتصل بأيامهم ، وإنما كان دافعها الخصومات الشخصية ، أو العصبيات القبلية : ما دار بين يزيد بن مخرم ومالك بن حريم الهمداني[١] ، حيث هجا مالك الهمداني يزيد بقوله[٢]:

ألا أبلغ بني سعد رسولاً ... وخص إلى سراة بني زياد

فأجابه يزيد بنقيضة هجاه فيها وحقّر من شاعريته ، حيث جعله شويعرا لا شاعرا[٣] ، وفخر يزيد يزيد بقومه وكثرتهم وعزتهم وقوتهم في الحرب ، وفخر كذلك بنفسه وقوته في الحرب ، وهدد مالكًا فيها بالقتال ، حيث قال[٤]:

ألا أبلغ بني همدان عني ... رسالةَ ماجدٍ واري الزناد
بأن شويعرا منكم أتاني ... له قولٌ يقال بلا سداد
يسامي معشرا كثروا وعزوا ... وغارات كمرسلة الجراد
فلست بقائلٍ هجرا ولكن ... ستعلم أي مرداةٍ تُرادي
متى ما تلقني تعلم بأني ... شديد الأسر طلاع النجاد

وناقض يزيد بن عبد المدان في الجاهلية يزيد بن عمرو بن خويلد بن الصعق[٥] ، وعاب عليه تركه لقومه من أبناء كندة ولحاقه وانتسابه لبني كلاب من قيس[٦] ، حيث قال[٧]:

---

(١) هو مالك بن حريم الدلاني ، من بني همدان ، وكان فارس وشاعر همدان ، وهو من شعرائها المخضرمين . معجم الشعراء ، للمرزباني ، ص٢٥٥ ، والعقد الفريد ، لابن عبد ربه ٣٥٦/٣ .

(٢) معجم الشعراء ، للمرزباني ، ص٤٧٩ ، ولم أصل - في جميع ما اطّلعت عليه من مصادر ومراجع - إلى تمام مطلع هذه النقيضة .

(٣) الشويعر : من هو أقل مرتبة في الشعر ، فهو دون الشاعر في المرتبة ، وأعلى من الشعرور . انظر : البيان والتبيين ٢١٨/١ ، المزهر في المزهر في علوم اللغة والأدب ٤١٥/٢ .

(٤) معجم الشعراء ، للمرزباني ، ص٤٧٩ .

(٥) هو يزيد بن عمرو بن خويلد (الصعق) بن نفيل بن عمرو بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، وإنما سمي خويلد بالصعق ؛ لأنه لأنه اتخذ طعاما لقومه بالموسم في الحج ، فهبت الريح فألقت فيه التراب ، فلعنها ، فرمي بصاعقة أحرقته ، فمات منها . طبقات فحول الشعراء ، لابن سلام الجمحي ١٦٩/١ ، وانظر : جمهرة الأنساب ، لابن حزم ، ص٢٨٦ .

(٦) وقد ذكر الهمداني أن بني الصعق هم من كندة ، وليسوا من كلاب ، وإنما دخلوا فيهم ، ويدلل على صحة هذا القول من خلال هذه هذه الأبيات التي يذكر يزيد بن عبد المدان فيها نسبهم ، حيث يردهم إلى ثور بن عدي بن الحارث ، وهو المعروف كندة . انظر : شرح القصيدة الدامغة ، للهمداني ، ص٦٠٤ ، وانظر : جمهرة أنساب العرب ، لابن حزم ، ص٤٢٥ .

(٧) شرح القصيدة الدامغة ، ص٦٠٥ .

أتأخــذُ أجلاةً ــا عليهـــا عباؤهـــا ... بأبنـــاء ثـــور إن رأيـــك أعـــور

وتتـــرك أن تلقَـــاك أولُ ســـيةٍ ... ملـــوك بـــني وهـــبٍ وتنمـــك حمـــير(١)

وتفْخـــر بـــالقوم الألى لســـت منـــهم ... وتتـــرك قومـــا فخـــرهم لـــك مفْخـــر

وإن كـــان هـــذا الأمـــر شـــيئًا فعلتـــه ... فنحن بـــه مـــن ســـائر النـــاس أخبـــر

وإن أبـــاكم نـــيط مـــن آل عـــامر ... كما نِـــيطَ بالرحـــل الســـقاءُ الْمُـــوكر

فأجابه يزيد بن عمرو مفتخرا بانتسابه لبني كلاب من هوازن ، ومثنيا على قومه كندة ، الذين لم ينكر صحة انتمائه لهم من خلال هذا الثناء البالغ عليهم ، فقال(٢):

أبا النّضر لـــولا صـــحبةٌ قـــد تقـــدمت ... لـــزرت قبـــيلا فخـــرهم لي مفْخـــر

أبا النضر إنا من هـــوازن فـــي الـــذرى ... وإنْ أك مـــن وهـــبٍ فـــإني مشـــهر

ملـــوك (أبي) ثـــور أبـــوهم وجـــدهم ... مرتـــع حقـــا والعمومـــة حمـــير

أأجعـــل مـــن يرعـــى الخبلـــق طاويـــا ... كحجر بن عمـــرو واليمـــاني أفْخـــر(٣)

واجتمع يزيد بن عبد المدان وعامر بن الطفيل عند أمية بن الأسكر الكناني يوما ، فخطب كـــل منهما ابنته ، وكانت من أجمل نساء زما ا ، فتفاخرا لديه بفضلهما وحسبهما ، فرجح أمية يزيد على عامر وزوجه ابنته ؛ مما دعا يزيد إلى الفخر على عامر بحسبه ونسبه ، والإقلال من شأن عامر وقبيلتـــه هوازن ، التي خضعت للملوك ودفعت لهم الإتاوة ، فقال(٤):

يـــا للرجـــال لطـــارق الأحـــزان ... ولعـــامر بـــن طُفَيـــلٍ الوســـنان

كانـــت إتـــاوة قومـــه لمُحـــرقٍ ... زمنـــا ، وصـــارت بعـــد للنعمـــان(٥)

عـــد الفَـــوارس مـــن هـــوازنَ كُلهـــا ... فخـــرا علـــي وجئـــت بالـــديان

فـــإذا ليَ الشـــرف المُـــتين بوالـــدٍ ... ضـــخم الدســـيعة زانـــني ونمـــاني(٦)

---

(١) بنو وهب : هم بطن كبير من كندة . جمهرة أنساب العرب ، لابن حزم ، ص٤٢٥ .

(٢) تفسير القصيدة الدامغة ، للهمداني ، ص٦٠٥-٦٠٦ .

(٣) الخبلق : الغنم الصغار ، وحجر (آكل المرار) بن عمر بن معاوية من بني ثور من كندة ، وهو والد الشاعر امريء القيس ، وقد كان كان ملكًا على بني كنانة وأسد ، فقتلته بنو أسد . انظر : جمهرة أنساب العرب ، لابن حزم ، ص٤٢٧ .

(٤) الأغاني ٢٦٩/١٢-٢٧٠ . وقد شكّك الدكتور أحمد الشائب في صحة هذه النقيضة ، فعلق عليها بأ ا من أكاذيب ابن الكلبي الـــتي التي نحلها لإعلاء شأن اليمنية حين ثارت الـ عات القبلية في زمن حكم بني أمية ، وعلل شكّه فيها بضعف مستواها ، وعدم ملاءمتـــها لعصرهما . انظر : تاريخ النقائض ، أحمد الشائب ، ص١٢٠-١٢١ .

(٥) محرق : هو لقب عرف به من ملوك لخم بالحيرة : امرؤ القيس بن عمرو بن عدي ، ويقال له : المحرق الأكبر ، وعمرو بـــن هنـــد ، ويقال له : المحرق الثاني ، والنعمان بن المنذر ملك من ملوك الحيرة .

(٦) الدسيعة : العطية .

يــا عــم إنــك فــارس ذو ميعــةٍ	غـض الشـباب أخـو نـدى وفيـان
واعلم بأنـك يـا ابـن فـارس قُـرزلٍ	دون الـذي تسـعى لـه وتـداني
ليسـت فـوارس عـامر بمقـرةٍ	لـك بالفضـيلة في بـني عـيلان
فـإذا لقيـت بـني الحمـاس ومالـكٍ	وبـني الضـباب وحـي آل قنـان
فاسـألْ عـن الرجـل المُنـوه باسـمه	والـدافع الأعـداء عـن نجـران
يعطـي المَقـادةَ في فـوارس قومـه	كرمـاً لعمـرك والكـريم يمـان

فأجابه عامر بنقيضة فخر فيها بنفسه وقومه ، ودعاه أن يفخر بقومه بني الحارث إن كانت لهـم مفاخر ، ويدع الفخر بقبائل قحطان ، حيث قال[١]:

عجبـاً لواصـف طـارق الأحـزان	ولمـا يجـيءُ بـه بنـو الـديان
فخـروا علـي بحبـوةٍ لمحـرقٍ	وإتـاوةٍ سـيقت إلى النعمـان
مـا أنـت وابـن محـرقٍ وقبيلـه	وإتـاوةَ اللخمـي في عـيلان
فاقْصد بفخـرك قصـد قومـك قُصـرةً	ودعِ القبائـلَ مـن بـني قحطـان
إنْ كـانَ سـالفةُ الإتـاوة فـيكُم	أولـى فَفخـرك فخـر كُـل يمـانِي
وافْخر بـرهط بـني الحمـاس ومالـكٍ	وبـني الضـباب وزعبـلٍ وقنـان
فأنـا المُعظـم وابـن فـارس قُـرزلٍ	وأبـو بـراءٍ زانـني ونمـاني
وأبـو جـزيءٍ ذو الفعـال ومالـك	منعـا الـذمار صـباح كُـل طعـان
وإذا تعاظمـت الأمـور هـوازنٌ	كُنـت المُنـوه باسـمه والبـاني

ومن أشهر النقائض التي دارت عند شعراء نجران في عصر الإسلام : ما دار بين النجاشي الحارثي ، وعبد الرحمن بن حسان[٢] من هجاءٍ شخصي انحدر فيه كل منهما نحو الإفحاش والإقذاع الذي سرعان ما تحول إلى نقائض طالت قبيلة كل منهما ، فلقد بدأت هذه النقائض حين شبب عبد الرحمن بن حسـان بامرأة من بني الحارث بن كعب ، كانت ناكحا لرجل من مخزوم في المدينة ، فلما سمع ذلك النجاشـي هجاه[٣]، ثم طال غضبه الأنصار جميعا ، فعمهم جائه بسبب عبد الرحمن ، ولأ م لم يردعوه ، فجعل عاقبتهم كعاقبة بني تميم الذين أحرقهم الملك عمرو بن المنذر بن ماء السماء (ملك الحيرة) ؛ لذنب سويد بن

(١) ديوان عامر بن الطفيل ، تحقيق : أنور أبي سويلم ، ص٣٩٥-٣٩٦-٣٩٧-٣٩٨ ، الأغاني ٢٧٠/١٢ .

(٢) عبد الرحمن بن حسان بن ثابت بن المنذر الأنصاري ، فوالده حسان ، شاعر الرسول ﷺ ، وأمه سيرين القبطية ، أخت ماريـة أم إبراهيم بن رسول الله ، كان قد وهبها الرسول لحسان ، فولدت له عبد الرحمن في السنة السادسة للهجرة في المدينة ، كان شاعرا ، أقام في المدينة ، و ا توفي في سنة (١٠٤) للهجرة . انظر : الاستيعاب ١٨٦٨/٤ ، والشعر والشعراء ، لابن قتيبة ٣٠٧/١ ، الوافي بالوفيات ٧٩/١٨ .

(٣) الأخبار الموفقيات ، للزبير بن بكار ، ص٢٣٤ .

ربيعة ، فغدوا مضربا للمثل[1] ، فقال[2] :

وهـل أنـتم إلا كأبنـاءِ نهشـلٍ ... وآل فُقَـيم قُتلـوا ومجاشـع
بِـذنبِ سـويد وهـو مـن آلِ دارِم ... لزيـد بـن عبـد اللهِ والأمـر جـامع

فأجابه عبد الرحمن بشعر يرد عليه ويهجوه بسواد أدمته ، ويستنكر عليه هجاء مضر ، التي منها الرسول ﷺ ، ومنها خليفته عمر ، فيقول[3] :

ألا تـرونَ العبـد إذْ يهجـو مضـر ... منـا رسـولُ الله والقَـرم عمـر

فلما احتدم الهجاء بينهما ، اتخذ عبد الرحمن بن حسان في هجائه للنجاشي لونا آخر من ألوان الهجاء ، مادته الغزل بنساءِ خصمه ومحارمه ، والتشبيب بهن ، ووصف محاسنهن ، وادعاء العلاقة معهن ، حيث تغزل بهند أخت النجاشي غزلاً لم يكن فيه للحب والوجد أدنى حظ ، بل هو غزل كيدي قصد منه الكيد للنجاشي وإغاظته ، والحق أن هذا الغزل هو لون من ألوان الهجاء الرائجة في ذلك العصر ، والتي لجأ إليها الكثير من الشعراء في الجاهلية والإسلام ؛ لإذلال خصومهم والتشهير بنسائهم حين تلوك ألسنة الناس والمنشدين أعراضهم[4] ، حيث قال[5] :

يا هند يـا أخـت النجاشـي أسـلمي ... هـل تـذكُرين ليلـةً بِأضـم
وليلـةً أخـرى بجـو الحَـرمِ ... والشـامةَ السـوداءَ بالمُخـدم
والخـال بالكشـح اللطيـف الأهضـم

فانكسر النجاشي من هذا الشعر الذي وصف فيه عبد الرحمن أخته ووصمها بالعار ، فثارت ثائرته على عبد الرحمن ، بل الأنصار عامة ، حيث هجاهم بقوله[6] :

بـنى اللـؤم بيتـا فاسـتقر عمـاده ... علـيكم بـني النجـار ضـربةَ لازم

---

(1) مثل وآل فقيم ومجاشع وزيد بن عبد الله : هم قبائل تنتمي إلى دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، وقد ضرب بهم المثل في القبيلة التي تؤتى إذا برزت عليها إخوتها ، وقد كان من أمرهم أن الملك المنذر بن ماء السماء وضع ابنا صغيرا له - وقيل : بل أخاه - عند زرارة بن عدس سيد من تميم ، فتصيد الغلام يوما وأصاب إبلاً لسويد بن ربيعة بن زيد بن عبد الله بن دارم وهو نائم ، فلما علم بذلك سويد ، قتل الغلام ثم فر إلى مكة مخافة الملك ، فلما بلغ الخبر الملك ، حلف ليحرقن من تميم مائة رجل ، فأحرقهم لذنب سويد . انظر : جمهرة أنساب العرب ، لابن حزم ، ص٢٣٢ ، وانظر : الأغاني ٤٠١/٢٢ وما بعدها ، البيان والتبيين ٤٠/٤ .

(2) الأخبار الموفقيات ، للزبير بن بكار ، ص٢٣٦ .

(3) شعر عبد الرحمن بن حسان الأنصاري ، جمع وتحقيق : سامي مكي العاني ، مطبعة دار المعارف - بغداد ، ط : ١٩٧١م ، ص٢٦ .

(4) انظر : الغزل في العصر الجاهلي ، أحمد محمد الحوفي ، دار القلم - بيروت ، ط : ١٣٨١هـ - ١٩٦١م ، ص٣٠٥ وما بعدها .

(5) شعر عبد الرحمن بن حسان الأنصاري ، ص٥٥ .

(6) الأخبار الموفقيات ، ص٢٣٦ .

ثم أرسل إليه بيتا آخر قال فيه[1]:

لــو كــانَ عــذر مهلكــا أهــلَ قَريــةٍ   من الناس أفنى بــافي الخَــزرج الغــدر

فلما بلغت هذه الأبيات الأنصار ، ساءهم ذلك ، فاستنجدوا بحسان بن ثابت ، وكان النجاشــي حين استعر الهجاء بينه وبين عبد الرحمن قد استثنى عليه ألا يعينه والده حسان ، ولكن حسان ســرعان ما اشتبك في معركة هذه النقائض ، فقال مجيبا للنجاشي وهاجيا له ولقبيلته (مذحج) التي كم منــها كما مــرا مضحكًا ، فقال[2]:

بنــى اللــؤم بيتــا علــى مــذْحِجٍ   فَكَــانَ علــى مــذْحجٍ ترتبــا

ولــو جمعــت مــا حــوت مــذْحج   مــن المَجــد مــا أثْقَــلَ الأرنبــا

ثم خص جائه سادة نجران ، ورهط النجاشي خاصة ، فلام القوم وعاتبهم حين استعر بينــهما الهجاء ؛ لما بينهم من رابطة الدم والقربى ، ثم هددهم بشعره إن استمروا في غيهم وتركهم للنجاشــي يقول فيهم الهجاء ، ثم خص النجاشي ورهطه بالهجاء ، فعرض به لسواد بشرته ، حتى إنه جعله عبدا ، وحطّ من قدر الحماس وشأ م ، فقال[3]:

يــا راكبــا إمــا عرضــت فَــبلغن   عبــد المَــدان وجــل آل قيــان[4]

قَد كُنت أحسِــب أن أصــلي أصــلُكُم   حتــى أمــرتم عبــدكُم فَهجــانِي

فَتوقعــوا ســبلَ العــذَابِ علــيكُم   ممــا يمــر علــى الــروي لســانِي

فَلأَذْكُــرن بــني رميمــةَ كُلهــم   وبنِــي الحُصــين بِخزيــةٍ وهــوان

ولَتعــرفَن قَلائــدي بِرِقَــابِكُم   كَالوشــم لاتبلَــى علــى الحَــدثَان

أبنِــي الحمــاسِ فَمــا أقُــولُ لنَّلــةٍ   ترعــى البِقَــاع خبِيثَــةَ الأوطَــان

أين المَثَــالُ بنِــي الحمــاسِ إذَا ذُكــت   بِهجــائكُم متشــنعا نِيرانِــي

كما قال فيهم[5]:

ألا أبلــغْ بنِــي الــديان عنــي   مغلْغلــةً ورهــطَ بنِــي قيــان

وأبلــغْ كُــل منتخــبٍ هــواءٍ   رحيــبِ الجَــوف مــن عبــد المَــدان

---

(١) المصدر السابق ، ص٢٤١ .

(٢) ديوان حسان بن ثابت بشرح البرقوقي ، ص١٠٨ .

(٣) المرجع السابق ، ص٤٧٣-٤٧٤ .

(٤) قوله : (جلّ آل قيان) ينسبهم إلى القيان - جمع القين - وهو العبد ؛ لأن النجاشي كان يشبه الأحباش في لونه . انظــر : المرجــع السابق ، ص٤٧٣ .

(٥) المرجع السابق ، ص٤٧٤-٤٧٥ .

ميـامس غـزةٍ ورمـاح غـابٍ   خفَـاف لا تقُـوم بِهـا اليـدان[1]

تقَاقَـدتم عـلام هجوتمـوني   ولَـم أظْلـم ولَـم أخالس بيـانِي

فأجابه النجاشي هاجيا له ولابنه عبد الرحمن ، ومقارنا بينهم وبين رهط ابن بدر ورهط ابن معبد ، ومتخذًا من هذه المقارنة مادة للتحقير من شأ م ، وبأ م ليس من أكفاء الناس وأشرافهم إذا مـا عـدت وذكرت الأقوام ، وهذا - لا شك - من أخبث الهجاء وأوجعه ، وهو الذي كان يسميه عمر بن الخطاب ﵁ بالهجاء المقذع[2] ، إلا أنه لم يكتف بذلك ؛ بل تناول حسان وابنه بالهجاء الساخر ، حيـث اسـتهزأ بـه وبابنه ، وحطّ من قدرهما ، وأنكر عليهما الفخر وا د ، فهم وأجدادهم ليسوا إلى ا د ، فقال[3]:

فَلـم أهجِكُـم إلا لأنِـي حسـبتكُم   كَرهط ابنِ بدرِ أو كَرهط ابـنِ معبـد[4]

فَلما سـألت النـاس عـنكُم وجـدتكم   براذين شقرا أربِطَـت حـولَ مـذْود[5]

فَـأنتم بنِـي النجـار أكَفَـاءَ مثلنـا   فَأبعـد بِكُـم عمـا هنالـك أبعـد

فَـإِنْ شـئْتم نـافرتكم عـن أبِـيكُم   إِلى مـن أردتـم مـن تهـامٍ ومنجِـد

وما كُنت أدري مـا حسـام ومـا ابنـه   ولا أم ذَاك اليثـربي الموالـد[6]

فَلمـا أتـانِي مـا يقُـولُ ودونـه   مسِـيرةَ شـهرٍ للبرِيـد المُبـرد

سـموت لَـه بِالمَجـد حتـى رددتـه   إِلى نسـبٍ نـاءٍ عـن المَجـد مقعـد

فأجابه حسان هاجيا له ومستخفا بشأنه وشأن قومه ، فهم ليسوا أكفاء له حتى يجعل عرضه لهـم خطرا ، بقوله[7]:

أمـا الحمـاس فَـإني غَـير شـاتمهم   لا هم كرام ولا عرضـي لَهـم خطـر

قَـوم لئـام أقَـلّ اللّه عـدتهم   كَمـا تسـاقَطَ حـولَ الفَقْحـة البعـر

كَـأن رِيحهـم في النـاسِ إذْ بـرزوا   رِيـح الكـلابِ إذَا مـا بلهـا المَطـر

---

(١) ميامس - جمع ميمس - : وهو الذي يسخر منه .

(٢) ووصفه عمر بن الخطاب بأن يقول الشاعر هؤلاء أفضل من هؤلاء وأشرف . انظر : العمدة ، لابن رشيق ١٧٠/٢ .

(٣) الأخبار الموفقيات ، للزبير بن بكار ، ص٢٤٢-٢٤٣ .

(٤) رهط ابن بدر هم بيت حذيفة بن بدر من فزارة ، وهم من أشهر بيوتات العرب الذين اتصل لهم ا د والشرف في الجاهلية والإسـلام ، ورهط ابن معبد هم بنو معبد بن زرارة من تميم ، كان لهم شرف في تميم في الجاهلية والإسـلام . انظـر : الاشـتقاق ، لابـن دريد ، ص٣٩٩ ، انظر : جمهرة أنساب العرب ، لابن حزم ، ص٢٣٢-٢٣٣ .

(٥) البراذين : واحدها : برذون ، وهي من الخيل ما ليس بعربي ، وهي الجفاة من الخيل ، القصيرة الطول ، والعظيمة الخلقة ، الغليظـة الأعضاء ، وأكثر ما تجلب من الروم . تاج العروس ، مادة (برذن) ٢٤٧/٣٤ .

(٦) ما حسام وما ابنه ، هكذا ورد في الأصل .

(٧) ديوان حسان بن ثابت بشرح البرقوقي ، ص٢٧٩-٢٨٠-٢٨١ ، خزانة الأدب ٧٢/٤ .

أولاد حـامٍ فلـن تلقـى لهـم شـبها إلا التيـوس علـى أكتافهـا الشـعر
لم ينبتـوا فـرع خيـر يـذكرونَ بـه حتـى ينبـت عـود النبعـة الكمـر
إنْ سـابقوا سـبقوا أو نـافروا نفـروا أو كاثروا أحدا مـن غيـرهم كثـروا
شـبه الإمـاءِ فـلا ديـن ولا حسـب لو قامروا الزنج عن أحسـابهم قمـروا
تلقـى الحماسـي لا يمنعـك حرمتـه شـبه النبـيط إذا اسـتعبدتهم صـبروا

كما امتد هجاء حسان إلى قبيلة الحارث بن كعب عامة ، فصب جام غضبه عليهم ، فسخر منهم طويلاً ، وسلبهم معاني فخرهم التي طاولوا الناس بها فخرا ؛ من طولٍ ، وجمـال أجسـام ، فقلـب مفاخرهم هذه إلى مسبة ومذمة ، فجعلهم أجساما بلا عقول ، وأهلَ أكل وشرب ، لا أهـلَ غـارة وحرب ، كما خص النجاشي بعد ذلك بالهجاء ، وباعد بينه وبين المجد والفخر ، حيث قال فيهم[1]:

حارِ بـن كعـبٍ ألا أحـلام تزجـركم عنا وأنـتم مـن الجـوف الجمـاخيرِ[2]
لا بأس بالقوم مـن طـولٍ ومـن عظـمٍ جِسـم البغـال وأحـلام العصـافير
ذَروا التخاجؤ وامشـوا مشـيةً سـجحا إن الرجـالَ ذوو عصـبٍ وتـذكيرِ
كأنكم خشـب جـوف أسـافله مثقـب فيـه أرواح الأعاصـيرِ
ألا طعـانٌ ألا فُرسـانُ عاديـةٌ إلا تجشـؤكم حـولَ التنـانيرِ
لا ينفع الطولُ مـن نـوك الرجـال ولا يهـدي الإلـه سـبيلَ المعشـر البـورِ
إني سأنصـر عرضـي عـن شـراركم إن النجاشـي لشـيءٌ غيـر مـذكور
ألفـى أبـاه وألفـى جـده حبسـا بمعـزلٍ مـن معـالي المجـد والخـير

فقال النجاشي راجزا[3]:

يـا أيهـا الراكـب ذو المتـاع ذو الرحـل والبـردين والأقطـاع
آذنْ بنـي النجـار بالوقـاع مـن شـاعر لـيس بمسـتطاع
لـيس مـن الهرهـي ولا الجـزاع لا يفتـلُ الأقـوام بالخـداع
إلا صـميم النفـر والمصـاع يسـبق شـأو النجـب السـراع
جـاءَ علـى نجيبـةٍ وسـاع فـي موكـبٍ عرمـرم قضـاع
مثـل أتي السـيل ذي الدفـاع إنـي امـرؤ أوفى علـى يفـاع
فـي جلبـات المجـد والجمـاع

(1) ديوان حسان بن ثابت بشرح البرقوقي ، ص٢٦٦-٢٦٧-٢٦٨ ، خزانة الأدب ، للبغدادي ٤/٧٠-٧١ .
(2) حار بن كعب : هو مرخم حارث ، والجماخير : أي الضعاف المسترخون .
(3) الأخبار الموفقيات ، للزبير بن بكار ، ص٢٤٤-٢٤٥ .

ثم هجاه وابنه عبد الرحمن ، وعدهما من اليهود ، وتوعدهما بكثيرٍ من الهجاء ، وعـرض لحسـان وعيره بما سلف منه في قصة الإفك التي طالت عرض أم المؤمنين السيدة عائشة - رضي الله عنـها - ، والتي أنزل الله فيها براء ا بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[1]، وقد كان حسان ممن خاض في هذا الحديث ، وحين أنزل الله براءة السيدة عائشة ، حد الرسول ﷺ مـن خاضـوا في عرضه ، ومنهم حسان بن ثابت ، فتاب حسان لإيمانه ، واعتذر عما بدر منه ، وكان ينافح بشعره عن الرسول ﷺ[2]، فقال النجاشي متهما حسان في دينه ، ومحقرا من شأنه ونسبه[3]:

سـتأتي اليهـوديين حسـانَ وابنـه	**قصـائد لم يخـتم علـيهن روشـم**
لعِـين رسـول الله مـا لـك ذمـةً	**وما لكَ مـن ديـنٍ ومـا لـك محـرم**
أبـوك أبـو سـوءٍ وعمـك مثْلـه	**وخالُـك شـر مـن أبيـك وألأم**

كما اتخذ النجاشي من قصة الإفك التي خاض فيها حسان مادةً لهجائه ، حيث وقف طويلاً على تعييره بما بدر منه ، فقال هاجيا له ومعيرا له بالنفاق والسواد[4]:

إنّ اللّعـين وابنـه غُرابـا	**حسـانَ لمّـا ودع الشـبابا**
ونقّـدت أنيابـه وشـابا	**اسـألْ رسـولَ اللهِ والكتابـا**
مـا بالـه إذَا افتـرى وحابـا	**وأخطـأ الحَـق ومـا أصـابا**
فعجـلَ اللهُ لـه عـذَابا	**وأخـر النـار لـه مآبـا[5]**
يـا شـاعري يثـرب لا ترتابـا	**ولا معاقـاة ولا عتابـا**
إذْ تهجـوان شـاعرا غضـابا	**للشـعراءِ واتـرا غلابـا**
لا مفْحـم القـول ولا هيابـا	**كالليـث يحمـي جزعـه الـذئابا**
وأنـت فَـين تنحـت الأقتابـا	**لشـر أمـر إنْ دعـي أجابـا**

---

(١) سورة النور : الآية (١١) .

(٢) انظر : التفسير العظيم ، لابن كثير ٢٧٩/١٨ وما بعدها ، انظر : صحيح البخاري ١٥١٨/٤ .

(٣) الأخبار الموفقيات ، ص٢٣٣ .

(٤) المصدر السابق ، ص٢٤٥ .

(5) وقد كان حسان رضي الله عنه قد عمي في آخر عمره ، فادعى النجاشي أن هذا هو العذاب العظيم له في الدنيا . وروي أن السـيدة عائشـة كانت تأذن لحسان أن يدخل عليها فتكرمه وتستمع لشعره ، وترد على من تعجب منها ذلك بعدما كان منه بقولها : ألـيس قـد ذهب بصره وكنع بالسيف ؟. تعني ضربة صفوان بن المعطل له حين بلغه عنه ما تكلم به ، إلا أ ا كانت تثني عليه وترجو له الجنة ؛ لما كان يقوله من شعر ينافح به عن رسول الله ﷺ ، ولا شك أن حسان كان من فضلاء الصحابة ، ومن أحسن مآثره : ذبه عـن رسول الله ، وقول الرسول ﷺ له : " هاجهم وجبريل معك " . انظر : صحيح البخاري ١٥١٨/٤ ، وانظر : التفسير العظـيم ، لابن كثير ٢٨٣/١٨-٢٨٤ .

فلما بلغت هذه الأبيات حسان ، ثار غضبه على النجاشي ورهطه جميعا ، فقال فيهم[1]:

أبني الحماس أليس منكم ماجد	**إن المروةَ في الحماس قليل**
يا ويل أمكُم وويلَ أبيكُم	**ويلا تردد فيكم وعويلُ**
هاجيتم حسانَ عند ذكائه	**غَي لمن ولد الحماس طويلُ**
إن الهجاءَ إليكُم لبعلةٍ	**فتحشحشوا إنّ الذليلَ ذليلُ**
لا تجزعوا أن تنسبوا لأبيكم	**فاللؤم يبقى والجبالُ تزولُ**
فبنوا زيادٍ لمْ تلدك فحولهم	**وبنوا صلاءَةَ فحلهم مشغولُ**
وسرى بكم تيس أجم مجذر	**ما للذمامة عنكم تحويلُ**
فاللؤم حل على الحماس فما لهم	**كهلٌ يسود ولا فتى بهلولُ**

وأمر حسان أن تكتب هذه الأبيات صكوكًا وتلقى إلى غلمان الكتاب ، فما مرت خمسون ليلة على إلقاء هذه الأبيات حتى طرقت بنو عبد المدان حسان بالنجاشي موثقًا ، فقال عبد الله بن عبد المدان : يا ابن الفريعة ، جئناك بابن أخيك ، فاحكم فيه برأيك . فجلس النجاشي واعتذر من القوم ، فقبل حسان عذره ، ووهبه مائة دينار إلا دينارين ، وحمله على بغلة لابنه عبد الرحمن ، فقال ابن الديان لحسان : كنا نفتخر على الناس بالعظم والطول فأفسدته علينا ؟! قال : كلا ، أليس أنا الذي أقول[2]:

وقَد كُنا نقُولُ إذَا رأينا	**لذي جِسمٍ يعد وذي بيان**
كأنك أيها المُعطى بيانا	**وجِسما من بني عبد المدان**

فاعتذر حسان لبني عبد المدان بقوله هذا ، الذي أعلن فيه إعجابه بالقوم ، وإنما حمله على هجائهم غضبه من النجاشي ، وعدم ردعهم له في بداية الأمر ، لينتهي بذلك أمر هذه المناقضة التي دارت أقطا ا بين النجاشي الحارثي من جهة ، وعبد الرحمن بن حسان ووالده من جهة أخرى ، والتي طالت الأعراض والأنساب ، وخرجت مصطبغة بروح الجاهلية ومآثرها من تفاخر بالآباء والأجداد ، وطعن في الأنساب والأعراض .

ودارت نقائض أخرى بين شعراء بني الحارث وشعراء بني عقَيل ، كانت قد أذكت نارها أحداث يوم سحبل ، إلا أن الكثير منها قد فُقد ، فلم يبق منه إلا بعض المقطعات والأبيات القصيرة الدالة على وقوعها بين الشعراء ، فمن هذه النقائض : ما دار بين جعفر بن علبة الحارثي ، ومعاذ العقيلي[3]، ولم

(1) ديوان حسان بن ثابت بشرح البرقوقي ، ص٤١٠-٤١١ ، الأخبار الموفقيات ، ص٢٤٧ .

(2) ديوان حسان بن ثابت بشرح البرقوقي ، ص٢٦٧ ، خزانة الأدب ، للبغدادي ٧٥/٤-٧٦ ، الأخبار الموفقيات ، ص٢٥٠ .

(3) هو معاذ بن كليب بن حزن بن معاوية بن خفاجة بن عمرو بن عقَيل ، وكان يناقض جعفر بن علبة . انظر : معجم الشعراء ، للمرزباني ، ص٢٩١ .

يصلنا منها سوى هذه النقيضة التي فخر فيها جعفر بن علبة بما فعله ببني عقيل يوم سحبل ، والتي قال فيها[1]:

ألا لا أبالي بعد يوم بسحبلٍ	**إذا لم أعذب أن يجيء حماميا**
تركت بأعلى سحبلٍ ومضيقه	**مراق دمٍ لا يبرح الدهر ثاويا**
شفيت به غيظي وجرب موطني	**وكان سناءً آخر الدهر باقيا**
أرادوا ليثنوني فقلت تجنبوا	**طريقي فما لي حاجةٌ من ورائيا**
فدى لبني عمٍ أجابوا لدعوتي	**شفوا من بني القرعاء عمي وخاليا**
كأن بني القرعاء يوم لقيتهم	**فراخ القطا لاقين صقرا يمانيا**
تركناهم صرعى كأن ضجيجهم	**ضجيج دبارى النيب لاقت مداويا**
أقولُ وقد أجلت من اليوم عركةٌ	**ليبك العقيليين من كان باكيا**
فإنّ بقُرى سحبلٍ لأمارةً	**ونضح دماءٍ منهم ومحابيا**
ولم أترك لي ريبةً غير أنني	**وددت معاذًا كان فيمن أتانيا**
شفيت غليلي من خشينة بعدما	**كسوت الهُذيلَ المشرفي اليمانيا**

فقال معاذ يجيبه عنها بعد ما قتل ، ويخاطب أباه ويعرض له بأنه إنما قتل ظلما ؛ لأنهم أقاموا عليه قسامة كاذبة حتى قتل ، ولم يكونوا عرفوا القاتل من بين الحارثيين الثلاثة الذين قاتلوهم ، إلا أنه غيظهم على جعفر حملهم على أن ادعوا القتل عليه من بينهم ، فقال معاذ متشفيا من والد جعفر ، ومسفها لرأيه حين تمنى أن يلقاه ، وكانت بينهما عداوة ومناقضات عدة[2]:

أبا جعفر سلب بنجرانَ واحتسب	**أبا عارمٍ والمسمنات العواليا**
وقود قلوصا أتلف السيف ربها	**بغير دمٍ في القوم إلا تماريا**
إذا ذكرته معصر حارثية	**جرى دمع عينيها على الخد صافيا**
فلا تحسبن الدين ياعلب منسأ	**ولا الثائر الحرانَ ينسى التقاضيا**
سنقتلُ منكم بالقتيل ثلاثةً	**ونغلي وإنْ كانت دمانا غواليا**
تمنيت أنْ تلقى معاذًا سفاهةً	**ستلقى معاذًا والقضيب اليمانيا**

ولا شك أنّ هذه مناقضة جاءت بين حي وميت[3].

---

(١) الأغاني ٣٤/١٣ .

(٢) المصدر السابق ، معجم الشعراء ، للمرزباني ، ص٢٩٢ .

(٣) تاريخ النقائض ، أحمد الشائب ، ص٩١ .

ودارت نقيضة أخرى بين علي بن جعدب الحارثي وحجيرة بن صبرة العقيلي[1] على إثر يوم سحبل ، فقد أغارت بنو عقيل بعد يوم سحبل على بني الحارث في يومٍ قيل له يوم آل شداد ؛ لأن حملتهم فيـه كانت عليهم خاصة ، فأخذوا إبلاً لعلي بن جعدب[2] ، فقال في ذلك مهددا لهم ومتوعدا[3]:

أمخترمـــي ريـــب المنـــون ولم أســـق   **مخاض ابن عيسى في فوارس أو ركْبِ**[4]

ولمـــا أقُـــد خـــيلاً بِخيـــلٍ ولم أجـــلْ   **بِأغباشِ ليـلٍ عـرج ـبٍ إلى نهـبِ**

أظـــن عقَـــيلاً بالوعيـــد تروضـــنني   **فما يثْبت الكفل الضعيف على الصـعبِ**

ألم أك قَـــد لاقيـــتكُم يـــوم ســـحبلٍ   **فلم ينجكم سـهلٌ ولا جبـلٌ صـعب**

فأجابه حجيرة بن صبرة بقوله[5]:

علي الهـدايا يـا علـي بـن جعـدب   **بِأصدق مما قُلت إنْ كـف لـي شـرب**

فإن كُنـت تـوفي بالنـذورِ الـتي بِهـا   **حلفْت فأسهلْ من ذُرى الجبلِ الصـعب**

ويتضح من خلال هذه النماذج المتعددة لشعر الهجاء والنقائض عند شعراء نجران ، أ م سلكوا فيهـا سبلاً شتى ، غلب على كثير منها عدم المبالغة والإفحاش ، باستثناء النجاشي الذي لم يتورع عن هجاء قريش والأنصار ، ومنهم حسان ﷺ من صحابة رسول الله – صلى الله عليه وسلم - ، فتجاوز كثيرا حدود الدين والأدب في كثير من قصائده ، كما أن الملاحظ على نقائض شعراء نجران ، وهـي علـى الرغم من كثر ا في الجاهلية والإسلام ، إلا أ ا لم تأخذ في الشهرة مكانتها اللائقة ا كفـن شـعري أصيل ، فقلّما تعرضت لها كتب تاريخ الأدب المعنية ذا النوع من الشعر ؛ مما أسهم في ظـن بعـض الباحثين أن النقائض إنما وجدت في العصر الأموي ، وهذا - لا شك - خلاف لما اتضح لي من خلال هذه الدراسة التي أظهرت أن النقائض فن شعري أسهم شعراء نجران منذ جاهليتـهم علـى إيجـاده وتأصيله ، فتركوا فيه شعرا يشهد على مقدر م الفنية وبراعتهم في تصريف القول .

❐ ❐ ❐

---

(1) هو وحجيرة بن صبرة العقيلي ، شاعر من بني عقَيل . معجم الشعراء ، للمرزباني ، ص١٣٤ ، شـعراء بـني عقَيـل وشـعرهم ، عبد العزيز الفيصل ، ص٩٨ .

(2) انظر : المرجع السابق .

(3) معجم الشعراء ، للمرزباني ، ص١٣٣-١٣٤ .

(4) ابن عيسى : رجل من عقيل .

(5) معجم الشعراء ، للمرزباني ، ص١٣٤ .

٤) شعـر المـدح والتكسـب :

يعد المدح من أقدم فنون الشعر العربي ، وأكثرها شيوعا في البيئة العربية ، وقد وجد الشعراء فيـه ميدانا فسيحا أفاضوا فيه الحديث عن مناقب قبائلهم وساد م ، كما كانوا كثيرا ما يمدحون القبيلة التي يجدون فيها كرم الجوار ورعايته ، وقد ينصرف المدح إلى بعض السادة الذين تمتد مآثرهم إلى من حولهم من القبائل ، فكان الشعراء يتصدون لهم بمدحهم لمكرما م التي أدوها لمن حولهم ، فكانـت دوافعهـم للمدح نبيلة صادقة ، إلا أ ا - وبمرور الزمان - أصبحت مادية ، وأصبح هذا الفن وسيلة من وسـائل التكسب ، إلا ما ندر[1].

يقول ابن رشيق : " كانت العرب لا تتكسب بالشعر ، وإنما يصنع أحدهم ما يصنعه من مـدح فكاهة ، أو مكافأة عن يد لا يستطيع أداء حقها إلا بالشكر ؛ إعظاما لها ومدحا لصاحبها ، ثم عمـد الشعراء بعد ذلك للمدح تكسبا للمال ، وطمعا في النوال من الممدوح ، فسقطت م لـة بعضـهم ، وعدوا من المداحين المتكسبين بالشعر ، وكان أول من سلك هذا السبيل : النابغة الذبياني ، والأعشى ، فاحتذى بحذوهم الكثير من الشعراء الذين سألوا العطاء بشعرهم "[2]، بل عبر كثير منهم عـن طمعـه المادي في العطاء والنوال ، ومنهم الحطيئة ، الذي عد شعره مصدر كسبه وتجارته الرابحـة ، وباعثـه الدائم لقول الشعر ، حيث قال عندما سئل : " أي الناس أشعر ؟ فأخرج لسانا دقيقًا كأنه لسان حيـة . وقال : هذا إذا طمع "[3].

وليس من شك في ما للعوامل المادية من دور كبير في إثارة الشاعر ، وإيقاظ ملكتـه الشـعرية ، وهزها إلى قول الشعر وتجويده ، فالنفس مجبولة على حب الثراء وامتلاك المال ، وطالما كـان العطـاء والنوال على قدر جودة الشعر ، فإن الشعور ذه العلاقة بين الجودة والعطاء سيلازم الشاعر أثناء نظم القصيدة ، وذلك من دواعي توارد الخواطر الشعرية ووفر ا ، وتخير أفضلها ، وإلصـاقها بالممـدوح ، ولذلك تجود قصائد المدح عندما يغدق الأشراف وأصحاب الثراء العطاءَ على الممدوح[4].

ولقد عرف سادة نجران وملوكها من بني عبد المدان بإغداقهم المال الوفير على الشعراء ممن وفدوا إليهم في ديارهم ، فنالوا بذلك إعجاب الشعراء وثناءهم العاطر ، إلا أن هذا الإعجاب كانت تشوبه في بعض أحيانه شوائب التكسب ، فبنو عبد المدان ملوك قد علت أنسا م بين العرب ، وجلّت أعمـالهم

---

(١) انظر : العصر الجاهلي ، شوقي ضيف ، دار المعارف - مصر ، ط٢٥ ، ص٢١٠-٢١١ .

(٢) انظر : العمدة ، لابن رشيق ٨٠/١-٨١ .

(٣) الشعر والشعراء ، لابن قتيبة ٣٢٤/١ .

(٤) انظر : النقد في القرن الأول الهجري (بيئاته واتجاهاته وقضاياه) ، حمود محمد منصور الصميلي ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه لكلية اللغة العربية - فرع النقد ، جامعة أم القرى ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م ، ص٣٤٩ .

وعظمت ، فشهروا بين الأنام حتى استحقوا الثناء والذكر الحسن ، فمدحهم الكـثير مـن الشـعراء مدحا صادقًا مثاره الإعظام والشكر لهم ، ومدحا مثاره الإعجاب المشوب بطمع التكسـب منـهم . فكانوا من أكثر القبائل التي قصدها المداحون إعجابا وتكسـبا ، حيث إننا نجـد أن سـادة نجـران وشعراءها نالوا كثيرا من مدح العرب وإعجا م ، حيث مدحهم الشعراء مدحا صادقًا مثاره الإعجاب والتقدير لهم ، ومن ذلك ما قاله فيهم حسان بن ثابت حين أثنى على جمال أجسامهم وعظمها ، وكمـال عقولهم وفصاحتهم ، وعدهم بذلك مضربا للمثل في الجمال والبيان ، فقال(١):

وقَـــد كُنـــا نقُـــولُ إذَا رأينـــا	**لـــذي جِســـمٍ يعـــد وذي بيـــان**
كأنـــك أيهـــا المُعطَـــى بيانـــا	**وجِســـما مـــن بنِـــي عبـــد المَـــدان**

كما كان من أشهر من وفد عليهم في نجران ومدحهم : أمية بن أبي الصلت ، حيث قال أميـة : " أتيت نجران فدخلت على عبد المدان بن الديان ، فإذا به على سريره ، وكأنّ وجهه قمر ، وبنوه حوله كأ م الكواكب ، فدعا بالطعام ، فأتي بالفالوذج(٢)، فأكلت طعاما عجيبا ، ثم انصرفت وأنا أقول(٣):
أقول(٣):

ولقـــد رأيـــت القـــائلين وفعلهـــم	**فَرأيـــت أكـــرمهم بـــني الـــديان**
ورأيـت مـن عبـد المَـدان خلائقـًا	**فَضـلَ الأنـام بهـن عبـد مـدان**
البـر يلْبـك بالشـهاد طعامـه	**لا مـا يعلّلنـا بنـو جـدعان(٤)**

فأمية بن أبي الصلت هذا الشاعر المتحضر الذي عاش في المدن واطلع في أسـفاره علـى بيئـات وثقافات مختلفة ، أعجب في نجران ذه البيئة المترفة ، بل وعهد عندهم نوعا من الطعام لم يألفه من قبل ، فلما نال استحسانه أثنى عليه في شعره ، ومدح بني عبد المدان مدحا صادقًا مثاره الإعجاب بكـرمهم الذي يبذلون فيه هذا الطعام الغالي لضيوفهم ، بل نجده ومن إعجابه بطعام بني الديان وإكبـاره لـه ، يعرض بنديمه وممدوحه ثري مكة عبد الله بن جدعان الذي كان يطعمه وأهل مكة التمر واللبن ، فلمزه

(١) ديوان حسان بن ثابت بشرح البرقوقي ، ص٢٦٧ ، خزانة الأدب ، للبغدادي ٧٥/٤-٧٦ ، الأخبـار الموفقيـات ، للـزبير بـن بكار ، ص٢٥٠ .

(٢) الفالوذج : هي حلواء فارسية الأصل تصنع من لب الحنطة ، ولب العسل والسمن ، والأصح فيها أن يقال : فالوذ ، وعلـى أصـل اللسان الفارسي لا بد أن تختم بالهاء ، وإذا أُعربت أبدلت الهاء جيما ، فيقال : فالوذج . انظر : تاج العروس ، مادة (فلـذ) ٤٥٤/٩ ، لسان العرب ، مادة (فلذ) ٥٠٣/٣ .

(٣) ذيل الأمالي والنوادر ، للقالي ، ص٣٨ ، أمية بن أبي الصلت ، جة عبد الغفور ، ص٣١٠ ، ديوان أمية بن أبي الصـلت ، سـجيع الجبيلي ، ص١٤٦-١٤٧ .

(٤) وأراد ببني جدعان : عبد الله بن جدعان سيد قريش في زمانه ، وهو من مشاهير الأجواد ، فقد كان يطعم الطعام ، ويفعـل المعـروف . جمهرة أنساب العرب ، لابن حزم ، ص١٣٦ ، وانظر : بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، للألوسي ٨٧/١-٨٨ .

أمية هذه الأبيات التي فضل فيها كرم بني عبد المدان على كرمه ، فما إن بلغت هذه الأبيات أسماع ابن جدعان حتى بعث إلى اليمن ليحضر من يصنع الفالوذج لأهل مكة ، فكان أول من صنع هذه الأكلة في مكة ونادى في الناس بمكة أن هلموا إلى صحافه[1]، ولعلّ هذه الأبيات ما هي إلا بقية باقية من قصيدة كاملة في مدحهم كان قد ضاع معظمها فيما كان قد ضاع من شعره ، فلم يبق منها إلا ما تعرض فيه لابن جدعان وهمزه فيها .

كما كان الأعشى (صناجة العرب) من أبرز الشعراء الذين وفدوا عليهم ومدحوهم ، حيث كان من أكثر الشعراء وفودا على نجران ، فقد كان يفد عليهم في كل عام ، فكان يقيم مع أشرافهم من بني عبد المدان في قصورهم ، وينادمهم الشراب في مجالسهم المترفة الباهية . فالأعشى وفد إلى بني عبد المدان في نجران ، فرأى في هذه البيئة المترفة ما سره وأعجبه من جمالٍ ونعيم ، فوقف محترمًا لكعبتهم ، مادحًا لسادتهم ، مبهورا بقصورهم ، فقال[2]:

وكَعبةُ نجرانَ حتمٌ عليـ ـك حتى تناخي بأبوابها
نزور يزيد ، وعبد المسيح وقيسًا ، هم خير أربابها

وشهد الأعشى في كنف بني عبد المدان الرخاء وطيب العيش ، فقال مادحا لهم ، ومثنيًا على شجاعتهم[3]:

واضعا في سراة نجرانَ رحلي ناعمًا غيرَ أنني مشتاق
في مطايا أربابهن عجالٌ عن ثواءٍ وهمهن العراق

وقال يمدح يزيد وعبد المسيح ويوصيهما بالحفاظ على هذه البيئة المترفة التي توارثوا المجد والرئاسة فيها أبًا عن جد ، فعليهما الحفاظ عليها من كلّ عدو طامع[4]:

أيا سيدي نجرانَ لا أوصينكُما بنجرانَ فيما نابها واعتراكُما
فَإِنْ تفعلا خيرا وترتديا به فَإنكما أهلٌ لِذاكَ كلاكُما
وإنْ تكْفيا نجران أمر عظيمةٍ فَقبلكُما ما سادها أبواكما

---

(١) فلما علم بذلك أمية قال مادحا ابن جدعان في قصيدة له نوه فيها بفضل ابن جدعان وشرفه في قريش :

له داع بمكّةَ مشمعلٍ وآخر فوق دارته ينادي
إلى ردحٍ من الشيزى ملاء لُبابَ البر يلبك بالشهاد

أمية بن أبي الصلت ، بهجة عبد الغفور ، ص٢٠٠-٢٠١ ، انظر : البداية والنهاية ، لابن كثير ٢١٨/١ .

(٢) ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس ، شرح وتعليق : محمد حسين ، ص١٧٣ .

(٣) المرجع السابق ، ص٢١٥ .

(٤) المرجع السابق ، ص٢٦٣ .

وإنْ أجلبَــت صــهيونُ يومــا عليكُمــا فإن رحى الحَــرب الــدكُوك رحاكُمــا

ونزل طفيل الغنوي على الرمل بالقرب من القهر يطلب الكلأ والمرعى لدوابه ، فأقام بجوار بـني الحارث يرعى أنعامه التي طابت لها الأرض التي حموها ، فسمنت وزاد خيرها ، وأمن عليها من التطلع وهي في حمى عبد المدان سادة نجران ، فقال مادحاً لهم ومشيدا بكرمهم وحمايتهم للجار ، ورعايتـهم لحقوقه ، وشجاعتهم في الحرب[1]:

إذا مـــا دعـــاهن ارعـــوين لصـــوته كما يرعوي عيــد إلى صــوت مســمع
تبيـــت أوابيهـــا عواكـــف حولـــه عكُوف العذَارى حــولَ ميــتٍ مفجــع
وقَــد ســمنت حــتى كــأن مخاضــها تفَشــغها ظلْـــع وليســـت بِظُلـــع
مجــاورةً عبــد المَــدان ومــن يكُــن مجـــاورهم بِـــالقَهر لا يتطلـــع
أنــاس إذا مــا أنكــر الكلْــب أهلــه حموا جارهم من كُــل شــنعاءَ مضــلع
وإنْ شــلت الأحيـــاءُ بـــاْت تَـــويهم علــى خيــر حــالٍ آمنــا لــم يفــزع
فــإنْ فَزعــوا طَــاروا إلى كُــل ســابحٍ شديد القُصيرى سابغ الضــلْع جرشــع
وكُل طمــوحِ الطــرف شــقاءَ شــطْبةٍ مقَربـــةٍ كَبـــداءَ ســـفْواءَ ممـــزع
تجِــيءُ بِفُرســان الصــباح عوابِســـًا مســـومةً تـــردي بِكُـــل مقَنـــع

وتبرهن المواقف العظيمة لسادة نجران عن استحقاقهم للمدح الصادق الــذي لا تشــوبه دوافــع التكسب والتملق ، بل هو مدح استحقوه بعد تجربة وامتحان من الشعراء أنفسهم .

فلقد أقر لهم بالفضل والثناء حتى أعداؤهم ، فقد تكسب منهم بالمدح دريد بن الصمة لإطــلاق أسرى ومال لجارٍ له كان قد أصابهم أنس الخثعمي فجعلهم في نجران ، فأشار بنو جشم على دريــد أن يرحل ليزيد بن عبد المدان ، فإنه يردها عليه ، فقال دريد - وقد كانت بينه وبين بني عبد المدان ثارات وحروب - : بل أُقدم إليه قبل ذلك أمدحه ثم أنظر ما موقعي من الرجل[2]، فقال قصيدة مدحهم فيها وبعثها إليه[3]:

بـــني الـــديان ردوا مـــال جـــاري وأســـرى فـــي كُبـــولهم الثقـــال
وردوا الســـبي إن شـــئتم بمـــن وإن شـــئتم مفَـــاداةً بمـــالِ
فَـــأنتم أهـــلُ عائـــدةٍ وفضـــلٍ وأيـــدٍ في مـــواهبكُم طـــوال

---

(١) ديوان الطُّفَيل الغنوي ، تحقيق : محمد عبد القادر أحمد ، ص٥٢- ٥٣-٥٤ .

(٢) انظر : الأغاني ، للأصفهاني ٢٦٥/١٠ .

(٣) المصدر السابق ٢٦٥/١٠ ، ديوان دريد بن الصمة ، تحقيـق : عمـر عبـد الرسـول ، ص١٤٩-١٥٠ ، دريـد بـن الصـمة (حياته وشعره) ، مناحي القثامي ، ص٥٠-٥١ .

متى ما تمنعوا شيئًا فليست — حبائل أخذه غير السؤال
وحربكم بني الديان حرب — يغص المرءُ منها بالزلال
وجارتكم بني الديان بسلٌ — وجاركم يعد مع العيال
حذا عبد المدان لكم حذاءً — مخصرةَ الصدور على مثال
بني الديان إن بني زيادٍ — هم أهلُ التكرم والفعال
فأولوني بني الديان خيرا — أقر لكم به أخرى الليال

فلما بلغ يزيد بن عبد المدان شعره قال : وجب حق الرجل ، وبعث إليه أن اقدم علينا ، فلما قدم عليهم في نجران أكرمه وأحسن مثواه ، ورد عليه الأسارى ، وما سأله شيئًا إلا أعطاه إياه ، فقال دريد مادحا ومعجبا : ما ظلمكم من جعلكم جمرة مذحج ، ثم أنشأ يقول مادحا ليزيد[1]:

مدحت يزيد بن عبد المدان — فأكرم به من فتى ممتدح
إذا المدح زانَ فتى معشر — فإن يزيد يزين المدح
حللت به دون أصحابه — فأورى زنادي لما قدح
ورد النساءَ بأطهارها — ولو كان غير يزيد فضح
وفك الرجالَ وكلُ امرئٍ — إذا أصلح اللهُ يوما صلح
وفكت له بعد عتق النسا — وفك الرجال ورد اللقح
أجر لي فوارس من عامر — فأكرم بنفْحته إذْ نفح
وما زلت أعرف في وجهه — بكري السؤالَ ظهور الفرح
رأيت أبا النضر في مذْحج — بمنزلة الفجر حين اتضح
إذا فارعوا عنه لم يفْرعوا — وإنْ قدموه لكبش نطح
وإنْ حضر الناس لم يخزهم — وإنْ وازنوه بقرنٍ رجح
فذاك فتاها وذو فضلها — وإن نابح بفخار نبح

أما الشعراء من أبناء نجران فشعر المدح عندهم قليل متواضع إذا ما قورن بأغراضهم الأخرى ، ويرجع هذا - في اعتقادي - لمكانة قبيلتهم ذات البأس والسؤدد بين القبائل ، فكثيرا من هؤلاء الشعراء كانوا إما أشرافًا أصحاب رئاسة وسيادة في نجران ، أو فرسانا وأصحاب بأس وجلاد في الحرب ، فترفعوا بشعرهم عن المدح ، ولاسيما ما كان منه بدافع التكسب ، بل نرى سيدا من سادتهم - وهو يزيد بن عبد المدان - يماري ويفاخر عامر بن الطفيل عند أمية بن الأسكر حين قدما سوق عكاظ ،

---

(١) الأغاني ، للأصفهاني ٢٦٦/١٠ ، ديوان دريد بن الصمة ، تحقيق : عمر عبد الرسول ، ص٥١-٥٢ ، دريد بن الصمة (حياته وشعره) ، مناحي القثامي ، ص٥١ .

وخطب كل منهما بنت أمية بن الأسكر ، فتفاخرا ، فقال يزيد لعامر : يا عامر ، هل تعلم شاعرا من قومي رحل بمدحه إلى رجل من قومك ؟ قال : اللهم لا ، قال : فهل تعلم أن شعراء قومك يرحلون بمدائحهم إلى قومي ؟ قال : اللهم نعم(١).

وفي هذا دليل على ترفّعهم عن المدح ، فضلاً عن التكسب ، إلا أنهم وعلى الرغم من أنفتهم من قول شعر المدح ، فإن لهم نتاجا قليلاً محدوداً في مدح من نال إعجابهم واستحق ثناءهم ، فهم لا يمدحون إلا من استحق المدح والثناء ، واستيقنوا بعد مخالطته أنه جدير بهذا المدح الذي شحوا به إلا على من كان جديرا به ، وفي هذا المبدأ يقول النجاشي(٢):

إني امرؤ قلّ ما أثني على أحدٍ	**حتى أبين ما يأتي وما يذر**
لا تحمدن امرءًا حتى تجربه	**ولا تذمن من لم يبلُه الخبر**

فلم يكن الشعراء من أبناء نجران يمدحون إلا من استحق المدح والثناء ، فنراهم يمدحون بدافع الإعجاب ، وتسجيل المواقف العظيمة للممدوح ، حتى وإن كان في غيبته ، ومن ذلك ما مدح به يزيد بن عبد المدان الملك النعمان بن المنذر في غيبته ، وفي مجلس منافسه الملك ابن جفنة الغساني ، فأنصف يزيد بن عبد المدان ، وهو الرجل الحصيف الراجح الملك النعمان من وفد القيسيين ، الذين تملقوا ابن جفنة وذموا النعمان عنده(٣)، فلم يرض يزيد عما قالوا ؛ إذ كان يعرف الحق من الضلال ، فلم يخش قول الحق فيما رآه من النعمان ، وأنكر على القيسيين ذمهم له برغم نعمه السابغة عليهم ، فقال(٤):

تمالا على النعمان قوم إليهم	**مواردهُ في ملكه ومصادره**
على غير ذنبٍ كانَ منه إليهم	**سوى أنه جادت عليهم مواطره**
فباعدهم من كل شر يخافُه	**وقربهم من كل خير يبادره**
فَظنّوا وأعراض الظّنون كثيرةٌ	**بأن الذي قالوا من الأمر ضائره**
فلم ينقصوه بالّذي قيلَ شعرةً	**ولا قُلّلت أنيابه وأظافره**
وللحارثُ الجفْني أعلم بالّذي	**ينوءُ به النعمانُ إن خف طائره**
فيا حار كم فيهم لنعمانَ نِعمة	**من الفضل والمن الذي أنا ذاكره**
ذنوبا عفى عنها ومالاً أفاده	**وعظما كسيرا قومته جَوابِره**
ولو سالَ عنك العائبين ابن منذر	**لقالوا له القول الذي لا يحاوره**

---

(١) انظر : الأغاني ٢٦٩/١٢ .

(٢) حماسة البحتري ، ص٣٧٠ .

(٣) هؤلاء الشعراء القيسيون هم : ملاعب الأسنة عامر بن مالك ، ويزيد بن الصعق ، ودريد بن الصمة .. انظر : الأغاني ٢٧١/١٢ .

(٤) المصدر السابق ٢٧٢/١٢-٢٧٣ .

فيزيد مدح الملك النعمان بن المنذر في مجلس خصمه ابن جفنة ، فسجل في هذا المـدح إعجابـه الصادق بالملك النعمان ومواقفه العظيمة التي أشاد ا دونما خوف ، أو تزلف وتملق ليدل على أن هـذا المدح هو مدح ناتج عن إعجاب وتقدير حقيقي للممدوح ، وإنصاف لملك عظيم حاول خصمه النيل من سمعته ، فأنف يزيد - وهو السيد العظيم في نجران ، والفارس النبيل ، والرجل الحصيف الحكـيم - أن يبدي غير ما يعرف عن الملك النعمان .

❒ ❒ ❒

٥) شعـر الحكمـة :

تعرف الحكمة لغةً بأ ا : المنع ، فأصل الحكم المنع ، حكمت الرجل تحكيما : إذا منعته مما أراد[١] .

وقد وردت كلمة (الحكمة) دالة على عدد من المعاني ؛ منها :

- الفهم والتفقه : فهي من العلم[٢] ، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ ﴾[٣] .
- والعدل : كما أ ا عند اليونان القدامى ترادف الفلسفة[٤] .

والحكيم : العالم ، وصاحب الحكمة . والحكيم : المتقن للأمور[٥] .

والحكمة إصابة الحق بالعلم والعمل ، كما أ ا الحلم ، وهو ضبط النفس والطبع عـن هيجـان الغضب .

كما أ ا جاءت بمعنى العلم الذي يهدي إليه الله من يشاء من عباده ؛ قال تعالى : ﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾[٦] .

أما من الناحية الاصطلاحية : فلقد تعددت تعريفا ا التي منها : الحكمة عبارة موجزة تلخـص قاعدة للسلوك ، أو مبدأ منطقيا أو قانونيا ينظم العلاقات بين الناس[٧] .

ويعرفها الزيات بقوله : " هي قولٌ رائع موافق للحق ، سالم من الحشو ، وهي ثمـرة الحُنكـة ، ونتيجة الخبرة ، وخلاصة التجربة "[٨] .

وحد الحكمة أ ا اتفاق المعاني اللائقة بأحوال الناس ، والتعبير عما يقع لهم في غالب الأمور ، ولا تصدر في الغالب إلا عن العقلاء ا ربين المتبصرين بعواقب الأمور ، فينطق الإنسان عن أحوال النـاس بكلمة تجمع أنواعا كثيرة .

والناس متفاوتون في ذلك ، فمنهم من يتوسط ، ومنهم من يجيد[٩] .

---

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، لإسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين - بيروت ، ط٢ ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ، ١٩٠٢/٥ .

(٢) الصحاح في اللغة والعلوم ، تجديد صحاح العلامة الجوهري ، عبد الله العلايلي ، إعداد وتصنيف : نديم مرعشلي وأسامة مرعشلي ، دار الحضارة العربية - بيروت ، ط١ ، ١٩٧٤م ، ص٢٨٦ .

(٣) سورة لقمان : الآية (١٢) .

(٤) الصحاح في اللغة والعلوم ، العلايلي ، ص٢٨٦ .

(٥) الصحاح ، للجوهري ١٩٠٢/٥ .

(٦) سورة البقرة : الآية (٢٦٩) .

(٧) الصحاح ، للجوهري ، ص٢٨٦ .

(٨) تاريخ الأدب العربي ، أحمد حسن الزيات ، دار ضة مصر للطبع والنشر ، ط٢٥ ، ص١٨ .

(٩) انظر : جوهر الك ، لابن الأثير ، ص٥٦٧ .

وتأتي الحكمة نثرا ، كما تأتي شعرا .

ويمكن تعريف الحكمة الشعرية بأ ا : تلخيص للفكر العميق والمعاني العظيمة في الأبيات الشـعرية باللفظ الدقيق الموجز ، في دلالته على المعنى المراد ، أو هي إيراد المعاني العظيمة التي أعجب ا العرب ، ودرجوا على تسميتها جوامع الكلم ، في الأبيات القليلة الموجزة ، والدالة على المعنى المراد(١) .

ولقد تأثر الرسول ﷺ ذا النوع من الشعر ، وأُعجب به ؛ لمناصرته للفطرة السـليمة ، واتباعـه للحق ، ودقّة معناه ، وروعة هدفه ، حيث قال ﷺ : « إن من الشعر لَحِكْمَـةً »(٢) ، وفي روايـة : « إن من الشعر لحُكْما »(٣) .

وقد عرفت حياة العرب الجاهلية العديد من الشعراء الحكماء الذين ذاع صيتهم وشهرت حكمهم بين الناس . وبيئة نجران ضمت كثيرا من هؤلاء الشعراء الحكماء الذين صاغوا في أشعارهم نظرا م وانطباعا م عن هذه الحياة بكل ما فيها من أمور وتجارب ، فصاغوا حكمهم في موضوعات عدة ؛ أبرزها :

أ / المـوت والفنـاء :

فرضت حياة البداوة على كثيرٍ من أبنائها الرحلة وكثرة الأسفار ، والانتقال من رحلة إلى أخرى ، فأدرك الشعراء الحكماء أنّ الحياة رحلة ، والموت فيها هو ايتها .

فقس بن ساعدة الإيادي أسقف نجران(٤) ، وأشهر خطباء العرب وحكمائهم(٥) ، ومن أسعد عقلاء عقلاء العرب ؛ إذ سمع الرسول ﷺ كلامه وحكمه فأثنى عليه ، حيث وافق قوله الحق والفطرة السليمة ؛ إذ كان يؤمن بالله ويعبده ، فقدم على سوق عكاظ فخطب خطبته الشهيرة التي بشر فيهـا بـدين الإسلام الذي قد أظل زمانه ، فدعا الناس إلى اتباعه ، كان قد تفكر في قضية الموت والفناء لمـا خـبر الحياة وأحوال الناس فيها ، فلما رأى قافلة الموت فيها تمضي قدما في اتجاه واحد لا رجعة بعده ، تـأتي على الأحياء جميعا ؛ الأصاغر منهم والأكابر ، أدرك حينها أ ا قافلة لا بد منها ، وعلى المرء أن يتبصر في رحلتها ، ويكون على أهبة الاستعداد لها ، فأطلق قس حكمته الشهيرة ، التي قال فيها(٦):

---

(١) انظر : الأدب الجاهلي . غازي طليمات و عرفان الأشقر ، دار الفكر – دمشق ط ١ ، ١٤٢٢ هـ ، ص ٢٦٠ .

(٢) سنن ابن ماجه ، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر - بيروت ، د.ت ، ١٢٣٥/٢-١٢٣٦ .

(٣) المستدرك على الصحيحين ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الحاكم النيسابوري ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتـب العلمية - بيروت ، ط١ ، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م ، ٧١٠/٣ ، سنن أبي داود ، لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الفكر ، د.ت ، ٣٠٣/٤ .

(٤) تاج العروس ٣٧٤/١٦ .

(٥) انظر : البيان والتبيين ٥٢/١ ، وانظر : المحبر ، لابن حبيب ، ص١٣٦ .

(٦) الحماسة المغربية ، مختصر كتاب صفوة الأدب ونخبة ديوان العرب ، أبو العباس أحمد بن عبد السلام الجراوي التادلي ، تحقيق : محمد رضوان الداية ، دار الفكر المعاصر - بيروت ، ط١ ، ١٩٩١م ، ١٤٠٠/٢-١٤٠١ ، العقد الفريد ١١٨/٤ ، معجـم الشـعراء ، للمرزباني ، ص٢٢٢ .

في الـ ـ ـ ـ ـذاهبين الأوليـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـن مـ ـن القُـرون لنـ ـا بصـ ـائر
لمـ ـا رأيـ ـت مـ ـوارداً للـ ـ ـ ـ ـ ـ ـموت لـ ـيس لهـ ـا مصـ ـادر
ورأيـ ـ ـت قـ ـ ـومي نحوهـ ـ ـا تمضـ ـي الأكـ ـابر والأصـ ـاغر
لا يرجِـ ـ ـ ـع الماضـ ـ ـ ـي ولا يبقـ ـى مـ ـن البـ ـاقين غـ ـابر
أيقنـ ـ ـت أنـ ـ ـي لا محـ ـ ـا لـ ـة حيـ ـثُ صـ ـار القـ ـوم صـ ـائر

كما أدرك من خلال شروق الشمس وغرو ا الدائم ، ورحلتها الأبدية بلا انقطاع ، التي تمضي ا الأيام حقيقة الفناء ، فلا ليل دائم ، ولا ار سرمد ، فالفناء واقع ملموس ، هداه إلى أنّ ايـة كـل امريء بالموت مهما طال به يومه ، فقال[1]:

منـ ـع البقـ ـاء تقلـ ـب الشـ ـمس وطلوعهـ ـا مـ ـن حيـ ـثُ لا تمسِـ ـي
وطلوعهـ ـ ـا بيضـ ـ ـاءَ صـ ـ ـافيةٍ وغرو ـ ـا صـ ـفْراء كـ ـالورسِ
تجـ ـري علـ ـى كبِـ ـد السـ ـماء كمـ ـا يجـ ـري حمـ ـام الـ ـوت للـ ـنفسِ
والـ ـوت أس للنفـ ـوس متـ ـى حـ ـل القضـ ـاءُ رجعـ ـن لـ ـلأس
هيهـ ـات لـ ـم يخـ ـدع فكُـ ـلُ فـ ـتى لا بـ ـد أن يمسِـ ـي بـ ـلا حـ ـس

ب/ الحيـ ـاة :

وفي مقابل الموت وعلى نقيضه ، نظر هؤلاء الشعراء في واقع الحياة وما فيها من نعيم وسعادة وشقاء ، فجاءت حكمهم متباينة أشد التباين في تصورها ؛ لاختلاف مواقفهم منها ، حيث تأثرت حكمهم هذه بمؤثرات عدة ؛ منها : طبائعهم الشخصية ، وأعمارهم ، ومكانتهم في القبيلة ، وفقرهم أو غناهم فيهـا ، فالأفوه الأودي شاعر وفارس عاش الكثير من الحروب والمعارك التي صقلت شخصيته وحنكته الكثير مـن التجارب ، يصوغ لنا حكمته ورأيه في الحياة وملذا ا وفتنها ومباهجها ، التي قد يركن لها المرء طـويلاً ، حتى إذا ما جاءت لحظة الموت ، أدرك حينها أن هذه الحياة بكلّ ما فيها من ملذّات ما هي إلا متعة قصيرة جدا ، وأن الحياة فيها ما هي إلا عارية وثوب مستعار لا بد أن يعود إلى صاحبه ، فيقول في ذلك[2]:

إنمَـ ـا نِعمـ ـةُ قـ ـومٍ متعـ ـة وحيـ ـاة المـ ـرء ثـ ـوب مسـ ـتعار

كما رأى أن الشر فيها غالب ، وأن المرء مهما أعطته الدنيا من ملاذها ، فلا بد أن تعطيه الكثير من شرورها وفتنها ، فيقول[3]:

---

(١) قس بن ساعدة الإيادي (حياته - خطبه - شعره) ، أحمد الربيعي ، ص٤٠٧-٤٠٨ .
(٢) الطرائف الأدبية ، للميمني ، ص١١ .
(٣) المصدر السابق ، ص١٧-١٨ .

والمــرء مــا تصــلح لــه ليلــةٌ	بالسـعد تفسِـده ليـالي النحــوس
والخـــير لا يـــأتي ابتغـــاء بِـــه	والشــر لا يفْنِيــه ضــرح الشــموس

ونظروا إلى الحياة وما فيها من مفارقات عجيبة يقضيها الدهر على أبنائه ، فيسود غير الكريم ، ويذلّ الكريم ، فيقول قس بن ساعدة[1]:

للدهـــــر أيـــام لعـــبن بنــــا	يــأتي القضــاءُ بمحكــم الطــرسِ
كـــم مـــن قريـــر العـــين فـــي دعـــةٍ	ومـــروع الأيـــام فـــي نحـــس
ومســـود مـــن غـــير مكْرمـــة	وممجـــدٍ فـــي ذلـــةٍ يمســـي
وعسِـــيف قـــومٍ ظـــل فـــي ســـعةٍ	ومقـــام حـــر عـــاش فـــي تعـــس

جـ/ العــلاقات الإنســانية والسـياسية :

وكذلك تناول شعراء نجران ضربا آخر من جوانب الحياة الاجتماعية ، فصاغوا فيه حكمهم ، حيث اتجه هذا الضرب إلى العلاقات الإنسانية ، وأخلاق الناس وطباعهم الحميدة والذميمة ، حيث شكوا فيه من أهل الجهل والطيش والسفه ، فرأى يزيد بن مخرم أن السفيه لا يرده عن سفهه إلا القوة ، حيـث قال[2]:

تلْقَــى السـفيه علـى مــن لا يســافهه	سيفًا ، ويخشى من الأقْوام مــن جهــلا

كما أدرك - وهو في مجتمع متحارب متصارع - فيه الغلبة للقوي على الضعيف ، وفيه النـاس يجترئون على من ضعف ولان ، ويتقون من قَوِي ومنع جانبه ، فرأى أن القوة في حزم وعدل في هـذا الزمان ، الذي تفشى فيه الطغيان ، واجتراء الناس على من ضعف ، واتقاؤهم من قوي ومنع جانبه هي الضمان والبقاء والسلامة ، فمن لا يدافع عن نفسه يقتل ، ومن لم يذُد عن حوضه يهدم ، فقال[3]:

قَـــد قَـــالَ ذُو الحُنكَـــة للنفهـــــم	مـــن لا يـــذُد عـــن حوضـــه يهـــدم

ونظر شعراء نجران في كثير من طبائع الناس ، فرأوا أن سلطان المال القاهر كان قد قلب مـوازين الحياة لدى العديد منهم ، فانكب أكثرهم على جمعه والحرص على ادخاره وكنـزه ، فذموا في شعرهم هذا الحرص الشديد ، وهذه الشدة والتقتير على النفس ، وعدوا ذلك ضربا من هلاك النفس وإفنائها ، وتضييع مباهج الحياة في ما لا فائدة في إكثاره ، فيقول في ذلك عمرو بن مالك الحارثي[4]:

---

(١) قس بن ساعدة الإيادي (حياته - خطبه - شعره) ، أحمد الربيعي ، ص٤٠٧ .

(٢) حماسة البحتري ، ص٢٦٥ .

(٣) المصدر السابق .

(٤) المصدر السابق ، ص١٩٩ .

من كـانَ منـه الحـرص يومـا لخطـةٍ	**يؤمــلُ أنْ تأتيــه منــه رغَائبــه**
فَإني رأيـت الحـرص أنكـد سـددت	**عن النجح فـي كُـل الأمـور مذَاهبـه**
مـوارده فيهـا الـردى وحياضــه	**وإنْ أترعت لم يحـظَ بـالري شـاربه**
وإنْ هيجتــه الُطمعــات يجدنــه	**إلى الغي تحـدى كُـل يـوم ركائبـه**
فَلَــم أر حظــا لامــرئٍ كقَناعــةٍ	**ولا مثْلَ هذَا الحـرص أفْلَـح صـاحبه**

كما يقول مجددا ذمه للحرص والبخل ، وداعيا لتعويد النفس و ذيبها بالقناعة التي تغني صاحبها عن كل حاجة ، و ا تطمئن نفس صاحبها بما قُدر له ، فلا يقتر على نفسه ، ولا يجنح به الطمـع في مهاوي الردى ، والشغف بالزيادة ، والانسياق وراء أهواء النفس وأطماعها[1]:

الحرص للـنفْس فَقْـر والقُنـوع غـنى	**والقُوت إنْ قَنِعت بـالقوتِ مجزيهـا[٢]**
والنفْس لَو أن ما في الأرض حيـز لَهـا	**ما كَـانَ إنْ هـي لَـم تقْنـع يكَافيهـا**

ومن الطبائع التي ذموها : الشماتة والتشفي من الآخرين حين نزول البلاء م ، فقد صاغ عبد الله بن عبد الأعلى حكمة صبغها بطابع النصح والعظة لمن شمت بالآخرين ، وهي أن الدهر سجال ، وأيامه في انقلاب بين سعادة وشقاء ، فمن أُسعد في يومٍ فلا بد له من تعس في آخر ، فلا يـأمنن أيامـه ، ولا يشمتن في غيره ، فيقول[3]:

ولقَد عجِبـت لـذي الشـماتة إذ رأى	**جزعي ومـن يـذُق الفَجيعـة يجـزع**
فَاشمت فَقد قَـرع الحَـوادثُ مروتـي	**واجـذَلْ بِمروتـك الـتي لَـم تقْـرع**
إنْ تبــق تفْجــع بِالأحبــة كُلهــم	**أو تـردك الأحـداثُ إنْ لَـم تفْجـع**

أما الأفوه الأودي الذي أحكمته الكثير من التجارب ، التي شهد فيها أجناسا متعددة من الناس ، فرأى من كثير منهم صفات لم تعجبه ، فأنكرها وذمها ، كالمصانعة البغيضة التي عدها نفاقًا ورياءً ممقوتا ، والاسـتجداء وسؤال الناس ، وهي أمر وأقسى الأمور وقعا على نفس الكريم ، والعداوة والبغضاء بين النـاس ، فـذم هـذه الأخلاق بقوله الذي غدا حكمة يتمثل ا في ذم هذه الأخلاق[4]:

بلــوت النــاس قَرنــا بعــد قَــرن	**فلَــم أر غَــير خــلابٍ وقَــال**
وذقــت مــرارةَ الأشــياءِ جمعــًا	**فمــا طعــم أمــر مــن الســؤال**
ولم أر في الخطــوبِ أشــد هــولاً	**وأصــعب مــن معــادة الرجــال**

---

(١) المصدر السابق .

(٢) بالقوت زيادة ليست في الأصل يقتضيها الشطر حتى لا ينكسر .

(٣) الأشباه والنظائر ، للخالديين ٢٥٨/٢ .

(٤) الطرائف الأدبية ، للميمني ، ص٢٣ .

كما علم الأفوه أن الحرب مهلكة للأجساد والعقول ، و ا يضل أهل الرشاد ، فلا يبقـي علـى الحلم فيها أهلَ الوقار والرشاد ، أما السلام والاستقرار فأمان للأجساد والعقول ، ومتى ما استقر السلام استقرت العقول ، وانتشر الحلم ، وضاقت على الجهالة أسباب الجهالة ، فتحالموا وركنوا للسلم ، وفي هذا يقول[1]:

مســتطير لــيس مــن جهــلٍ وهــل ... لأخــي الحلــم علــى الحــربِ وقــار
يحلُــم الجاهــلُ للســلم ولا ... يقــر الحلــم إذا مــا القــوم غــاروا

والحرب سريعة الاشتعال في مجتمع سادت فيه الفوضى والاضطراب ، وما كـان مـن أسـبا ا الصغيرة التي لا يدرك خطرها سرعان ما تضطرم ، فيذكر عبد الله بن عبد المدان هذه الحقيقة ، وينبه إلى أن ما يستصغره المرء ويحقّره من الأسباب ، هي التي تكون دوما سبب اهتياج عظام الأمور وكبارها ، فيقول[2]:

ألــم تعلمــا يــابني أمامــة إنمــا ... يهــيج كبيــرات الأمــور صــغارها

أما في مجال السلطان وسيادة الناس ، فينيطها الأفوه بأهل الرشاد ، فهم الأجدر بالقيادة والريـادة على الناس ، فهم العماد الذي تقوم عليه أركان الرعية ، فيحملهم صلاح الرعية ؛ لأن أهـل السـفه والضلال إن سادوا ضلّوا وأفسدوا ، فيقول[3]:

والبيــت لا يبــتنى إلا لــه عمــد ... ولا عمــاد إذا لم تــرس أوتــاد
فــإن تجمــع أوتــاد وأعمــدةٌ ... وساكن بلغــوا الأمــر الــذي كــادوا
وإن تجمــع أقــوام ذوو حســبٍ ... اصــطاد أمــرهم بالرشــد مصــطاد
لا يصلح الناس فوضـى لا سـراة لهـم ... ولا ســراة إذا جهــالهم ســادوا
تلقى الأمور بأهل الرشـد مـا صـلحت ... فــإن تولّــوا فبالأشــرار تنقــاد
إذا تــولّى ســراةُ القــوم أمــرهم ... نما علــى ذاك أمــر القــوم فــازدادوا
أمارة الغي أن تلقى الجميـع لـدى الـ ... إبــرام للأمــر والأذنــاب أكتــاد
إنّ النجــاةَ إذا مــا كُنــت ذا بصــر ... مــن أجــة الغــي إبعــاد فإبعــاد
والخــير تــزداد منــه مــا لقيــت بــه ... والشــر يكفيــك منــه قــلّ مــا زاد

والملاحظ على شعر الحكمة عند هؤلاء الشعراء أ ا تلخص تجربتهم ونظر م الشخصية إلى الحياة

---

(١) المرجع السابق ، ص١٢ .

(٢) حماسة البحتري ، ص٢٠٨ .

(٣) الطرائف الأدبية ، ص١٠ .

بكل ما فيها من حلاوة ومرارة ، وما يتبعها من موت وفناء ، كما أن حكمهم هذه وأفكـارهم الـتي صاغوها لم تكن في مجملها مجردة لوجه الحق ، بل تأثرت كثيرا ببيئتهم التي عاشوا فيها بنجران ، ومـا اكتنف هذه البيئة من عوامل سياسية ودينية واقتصادية ، كذلك تأثرت حكمهم بعصرهم الذي عاشوا فيه وبشخصيتهم الفردية ، لذلك نجد أن هذه الحكم في شعر شعراء نجران جاءت مصطبغة بألوان مختلفة ، فلكل شاعر منهم لون خاص يميزه عن غيره ؛ وذلك لاختلاف شخصيا م ، وطبـائعهم وتجـار م في الحياة ، وتباين نظر م للحياة والموت والعلاقات الإنسانية ، وأكثر هذه الحكم جـاءت في تضـاعيف قصائدهم أو في ايتها ، فلم يفرد شاعر منهم شعر الحكمة بقصيدة مستقلّة .



٦) شعر الغزل :

يعد شعر الغزل من أبرز الموضوعات وأعلقها بالقلب ، وأقربها إلى طبيعة الإنسان ، وقد لقي من الشعراء عناية كبيرة ، سجلوا فيه عواطفهم وخواطرهم ، وتناولوا من خلاله المرأة ؛ فذكروا محاسنها وصفاتها وطبائعها ، وما يفعله بهم الشوق والحنين تجاهها[1].

وشعر الغزل عند شعراء نجران في جاهليتهم وإسلامهم هو نتاج قليل محدود ، ولعل السر في انصراف كثير من شعرائهم عن قوله عائد لأسباب عدة ؛ منها : الطبيعة الصارمة التي اتسم بها رجال نجران ، فهم فرسان حرب في المقام الأول ، قد صبغت الحرب أخلاقهم بصبغة الصرامة والقوة والحدة ، التي تنافي الرقة والنعومة ورهافة الحس التي يتطلبها الغزل ، ومنها أيضا : الحياة الدينية التي ظلّلت المسيحية ثم الإسلام بيئة نجران بظلالها ، فصرفت تعاليم هاتين الديانتين كثيرا ممن يعتنقها عن قول هذا النوع من الشعر ، الذي به إثارة للنوازع والفتن ، كما أن هذا الشعر - الذي وصلنا لشعراء نجران - كان في مجمله شعرا صادرا عن شعراء أشراف في قومهم ، تميزوا بالعفّة وشدة الغيرة على النساء ، حتى إنهم كان من عادتهم بناء البيوت متفرقة متباعدة ؛ صونا لنسائهم من تعرض عين الجوار لهن أو رؤيتهن[2] ، وقد عبر الأفوه الأودي عن هذه الغيرة بقوله[3]:

وإنا بطاءُ المشي عند نسائنا	كما قيدت بالصيف نجدية بزلا
نظلّ غيارى عند كل ستيرة	نقلّب جيدا واضحا وشوى عبلا

وربما أدى كذلك ضياع شعرهم إلى هذه القلة ، ولعل هذه الأسباب مجتمعة كانت وراء قلة شعر الغزل عند شعراء نجران .

والغزل عند شعراء نجران لم يختلف عما أنتجه شعراء العربية في جاهليتهم وإسلامهم ، فقد برز الغزل لديهم في مقدمات القصائد التي مزجوا فيها الحديث عن الأطلال وذكر الحبيبة ، فقد سجل هؤلاء الشعراء في هذه المقدمات : الديار التي سكنتها الحبيبة ، فوقفوا كغيرهم من شعراء العرب القدامى على هذه الديارات القديمة التي رحلت عنها الحبيبة ، فأصبحت بعدها دارسة موحشة ، تسكنها الدمن القاحلة ، والرسوم الباقية ، فوقف الشاعر على هذه الآثار الدارسة واستوقف ، وبكى واستبكى ، ونطق واستنطق الربع وأهله الظاعنين ، فهذه الديار الدارسة هاجت في نفسه ذكرياته مع الحبيبة الراحلة عنها ، فهاج الوجد والشوق إليه لما رآها مقفرة دارسة ، فراح يردد مواقعها و أسماءها ، ويحددها بدقة ، وكأنما عز عليه اندراسها واندثارها ، فظل يردد أسماءها ، ويحدد مواقعها ، وكأنما أراد لها من ذلك الخلود .

---

(١) انظر : الشعر الجاهلي ، يحيى الجبوري ، ص٢٧٩ .

(٢) انظر : الأغاني ١٠/٢٦٦ .

(٣) الطرائف الأدبية ، ص٢٢-٢٣ .

ومن الأمثلة على ذلك : قول عبد المدان الحارثي في سليمى وقد تذكرها بعد أن مر على ديارها ، فقال[1]:

عفَا من سليمى بطن غَولٍ فَيذْبلُ	**فَغمرةُ فَيف الريح فالمُتنخلُ**
ديار الّتي صاد الفُؤاد دلالُها	**وأغرت بِها يوم النوى حين ترحلُ**

ومن مقدماتهم الغزلية ما ربط فيه الشاعر بين الأطلال الدارسة للحبيبة وبين آلامه لفراقها وبعدها ، فتهيج الأطلالُ الدارسة لديار ليلى الشوق في قلب جبر بن الأسود المعاوي ، ليقف على أثافي الدمن الباقية فيتعرفها ، لتهيج الذكريات فيبكي هذه الحبيبة الراحلة ، التي لم يبق من أثرها إلا هذه الأطلال الباقية ، والذكريات الشجية الراسخة في قلب الشاعر ، والتي تذكرها عندما وقف عليها ، فعز عليه رحيلها وبعد اللقاء بينهما ، الذي حالت بينه وبينها بعد الديار ، فلا لقاء ولا عزاء بينهما ، فيقول[2]:

أجدك لم تعرف أثافي دمنةٍ	**مررت على أطلالها لا تعرج**
بلى فَتداعى الدمع حتى كأنما	**جفونك سمطٌ خانه السلك ممرج**
تذكرتها من بعد ما حالَ دونها	**من النأي طلْح بالحجاز وعوسج**
فإني بِليلى جير أنْ تسعف النوى	**ومن دونِها غَولُ البطاح فَمنعج[3]**

وقد يأتي الغزل عند هؤلاء الشعراء في مقطوعات قصار يفردونها لموضوع الغزل ، ومن ذلك ما ورد عند راشد بن عبد ربه السلمي ، الفقيه والقاضي في نجران ، حيث تذكر سلمى وتماضر ، إلا أنه عزف عن اللهو ، لما علت به السن وشاب رأسه ، وزاد حلمه ، فمنعه شيب القذال عن اتباع أسباب الغواية واللهو لما دنت وتذكرها ، فقد تذكر هذا الشيب الذي لا سبيل معه إلى اللهو ، فيقول متغزلاً غزلاً عفيفًا لطيفًا يعتذر فيه عن اللهو وأسباب الغواية ، التي من أهمها فتوة الشباب وثورته[4]:

صحا القلب عن سلمى وأقْصر شأوه	**وردت عليه تبتغيه تماضر**
وحلمه شيب القَذَال عن الصبا	**وللشيب عن بعض الغواية زاجِر**
فأقصر جهلي اليوم وارتد باطلي	**عن اللهو لما ابيض مني الغدائر**
على أنه قد هاجه بعد صحوةٍ	**بمعرض ذي الآجام عيس بواكر**
ولما دنت من جانب الغوط أخصبت	**وحلت فلاقاها سليم وعامر**
وخبرها الركبان أن ليس بينها	**وبين قُرى بصرى ونجران كافر**

---

(١) الأغاني ٢٧٦/١٢ .

(٢) منتهى الطلب من أشعار العرب ، لابن المبارك ٣٣٥/٨-٣٣٦ .

(٣) جير: بمعنى أجل ، وتسعف : تدني وتقترب . والنوى : بمعنى الدار ههنا . والبطاح : جمع بطحاء ، وهي مسيل الوادي الواسع العريض ، ينبطح فيه الماء أي : يذهب يمينا وشمالاً . وغول البطاح : التي تغتال ما يليها . ومنعج : اسم موضع .

(٤) العقد الفريد ، لابن عبد ربه ١٢٥/٥-١٢٦ .

فألقت عصاها واسـتقرت ـا النـوى   كمـا قـر عينـا بالإيـاب المسـافر[١]

وعلى الرغم من مجيء الغزل في مقدمات شعراء نجران ضمن قصائدهم متعددة الأغـراض ، أو في المقطوعات القصيرة ، إلا أ م أبدعوا فيه ، فصبوا فيه كل مشاعرهم تجاه المرأة ونظر م المختلفة إليها ، فقد استوقف الجانب الحسي المتمثل في مواطن الفتنة والجمال الجسدي عند المرأة بعضهم ، فقد أدركوا كغيرهم من شعراء العربية مواطن الحُسن والجمال الجسدي عند المرأة ، فركزوا بدقة على هذه المواطن التي استحسنوها في النساء ، والتي عول عليها كثير من النسوة في تباهيهن في اكتسا ا والاتصاف ا ، فتغزلوا ا عن طريق تصوير هذه المحاسن تصويرا دقيقًا ، لكنه اتسم بالعفّة والترفع عن الفحش والتعهر الذي عرف عند شعراء الغزل الصريح ، فظهر في غزلهم سمات مشتركة للمرأة الجميلة الـتي تتصـف بالطول ، وبياضِ البشرة ، واسترسالِ الشعر وسواده ، وسعة العيون ، وبياضِ الأسـنان واسـتوائها ، وعذوبة الرضاب ، وطيبِ الرائحة ، ونعومة الأطراف ، وهي سمات تلتقي عندها نظـرة كـثير مـن الشعراء[٢] .

فالأفوه يتغزل بمحبوبته التي زان حسنها شعر مسترسل فاحم ، وعينان واسعتان ، وأطراف ناعمـة ، فيقول[٣] :

سـود غـدائرها ، بلـج محاجرهـا   كـأن أطرافهـا لمـا اجتلـى الطنـف

أما جبر بن المعاوي فيتغزل بمحبوبته ليلى ، فيصور حسنها وجمالها الذي أدركه في طيب رائحتها وعذوبة ثناياها ، فيتغزل ا غزلاً لطيفًا يذكرها فيه بكمال العفّة ، ويشبهها فيه بالظبيـة في حسـنها وبياضها ، ويذكرها بطيب الرائحة ، ويشبه حلاوة ريقها بالماء العذب الصافي الممزوج بأجود أنـواع الخمر الصرخدية[٤] ، فيقول[٥] :

---

(١) يروى البيت السادس - مع اختلاف فيه - والبيت السابع لمُعقّر بن حمار البارقي من الأزد ، وهو من شعراء الجاهليـة . المؤتلـف والمختلف ، للآمدي ، ص١٢٧-١٢٨ ، معجم الشعراء ، للمرزباني ، ص٩ . وأرجح نسبة هذين البيتين له ، وربما يكون راشـد السلمي قد تمثل ذين البيتين ضمن مقطوعته ، وقد تمثلت السيدة عائشة - رضي الله عنها - ما حين بلغها موت علـي بـن أبي طالب ﷺ . انظر : المصدر السابق ، ص٩ ، وربما يكون هذا من فعل الرواة ؛ لتماثل الوزن والقافية في هذين البيتين ، وشعر راشد السلمي .

(٢) انظر : الغزل في العصر الجاهلي ، أحمد محمد الحوفي ، ص٣٣ وما بعدها .

(٣) الطرائف الأدبية ، ص٢٠ .

(٤) صرخد - بالفتح ثم السكون والخاء معجمة والدال مهملة - : بلد ملاصق لبلاد حوران من أعمال دمشق ، وهي قلعة حصينة وولاية حسنة واسعة ، ينسب إليها الخمر ؛ قال الشاعر :

ولـذ كطعـم الصرخـدي تركتـه   بـأرض العـدى من خشـية الحدثـان

اللذ ههنا النوم . معجم البلدان ، رسم (صرخد) ٤٠١/٣ ، صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار ، محمد بن بليهد ٢٤٥/١ .

(٥) منتهى الطلب من أشعار العرب ، لابن المبارك ٣٣٥/٨-٣٣٦ .

لِيـالي لَيلـى لا تـزالُ كأنهـا هميج بِـذي الـدثين غَـراءُ غَـوهج
رِبيبـةُ خـدرٍ لَـم تكشـف سـجوفُه وفـارةُ مسـكٍ آخـر الليـل تـارج
كـأن ثناياهـا وبـرد رضـابِها هـدؤا نِطـاف بالمَسِـيلة حشـرج
تشـج بِـه رقْراقَـةٌ صـرخديةٌ عقيلـةُ محـذوفٍ يغـص وينشـج
تذكر ا مـن بعـد مـا حـالَ دونهـا من النـأي طلْـح بالحجـاز وعوسـج
فإني بِليلـى جيـرٍ أنْ تسـعف النـوى ومن دونهـا غَـولُ البِطـاح فَمـنعج

ويتأثر الأعشى - وهو من أكثر شعراء الغزل مجونا وجرأةً في تصويرٍ ووصف علائقه الفاضـحة بالنساء ، ومغامراته المتنوعة معهن - ذا الطابع الغزلي السائد في نجران ؛ من تعفّف وبعد عن الفحش والتعهر ، ولعله أدرك في هذه البيئة - المتدينة والغيورة على نسائها - استعلاءً واستهجانا لهذا النـوع الفاحش من الغزل ، فيقف في نجران بعد أن تشوق إلى أهله وأخذه الحنين إلى الديار ، فيتذكر محبوبتـه التي تمثلت أمام خاطره ، فيتغزل ا غزلاً رقيقًا يصور فيه ترفها وأخلاقها ، ويصف محاسنها التي راقته ؛ من جيد طويل تزين بالحلي ، وأسنان مستوية بيضاء كالأقحوان ، وريق عذب ، وشعر مسترسل غزيـر ، وبشرة بيضاء ناعمة ، فيشبهها في بياضها ورقّتها بالدمية(١) وبالظبية ، فيقول(٢):

يـوم أبـدت لنـا قُتيلـة عـن جيـ ـدٍ تليـع تزينـه الأطـواق
وشـتيتٍ كـالأقْحوان جـلاه الـ ـطل فيـه عذوبـةٌ واتسـاق
وأثيـثٍ جثْـل النبـات ترويـ ـه لعـوب غَرِيـرةٌ مفْنـاق
حـرةٌ طَفْلَـةُ الأنامـل كالدمـ ـية لا عـابِس ولا مهـزاق

وعلى الرغم من أنّ الأعشى كان يقاسم أبناء زمانه في هذا الذوق الجمالي للحسن الأنثـوي ، إلا أنه له نظرته الخاصة لتقدير هذا الجمال ، وهي نظرة يرتقي ا ذوقه وحسه المتحضر ، فمحبوبته (قُتيلة) هي صورة أخاذة في الجمال لا تكتفي بحسنها وجمالها الطبيعي ، بل تتزين وتضع الأطواق حول جيدها الممتد ، وهي بيضاء صافية مصقولة القوام كالدمية .

وهناك قسم آخر من شعراء نجران لم يقفوا في حديثهم عن المرأة وتصويرها على هـذه الصـورة الحسية المادية ؛ من جمال الوجه ، والشعر ، والعيون ، والثغر ، والجمال الخارجي العام .. بل نفذوا إلى أعمق من ذلك ، فصوروا أحاسيسهم الروحية ، ومشاعرهم المتأججة تجاه المرأة ، هذه الحبيبة التي نظروا

---

(١) يعد تشبيه الأعشى محبوبته بالدمية تشبيها نادرا عند كثير من شعراء الجاهلية ، ويعد هذا التشبيه أثرا من آثار الحضارات والـديانات المختلفة التي اطلع عليها الأعشى ، وبخاصة الديانة المسيحية ، التي كانت نجران أبرز معاقلها . انظر : الأعشى الكـبير ، مصـطفى الجوزو ، ص٥٨-٥٩ .
(٢) ديوان الأعشى الكبير ، محمد حسين ، ص٢٠٩ .

إليها من خلال جمال الروح ، لا جمال الجسد ، فصوروا في غزلهم هذه العاطفة الروحية الرقيقة والجياشة ، التي تشد الشاعر بقوة وعنفوان لطَيف الحبيبة ، فيناجي روحها وقلبها ، متى ما تراءت لخاطره ، أو شخصت أمام ناظره ، فيشعرها بضعفه أمام سلطان هواها ، وفتور قواه أمام بعدها وتدلّلها ، ويبثّ إليها حاله من بعد عشقها الذي ملك عليه عقله وقلبه .

ولقد برز هذا النوع من الغزل الرقيق ، الذي اتسم بكثيرٍ من سمات الغزل العذري الذي شاع في حواضر الحجاز وبواديه في أوائل عهد بني أمية عند شعراء نجران ، وخاصة أولئك الشباب الغض ، الـذين هيأت لهم الحياة العديد من مباهجها وملاذها من غنى ، وترف ، وكثرة الاختلاف إلى النساء والحـديث إليهن ، فأدركوا لذلك قدرا كبيرا من أخلاق النساء وصفا ن ، وخبايا مشاعرهن النفسية ، فصـوروا هذا كله في شعرهم .

ومن أبرز هؤلاء الشباب اللاهي : جعفر بن علبة ، صاحب يوم سحبل ، هذا الشاعر الذي شهر بكلفه بالنساء الحسان ، وتعلّقه بالحديث معهن ومغازلتهن ، فتظهر في شعره هذه العاطفـة الروحيـة الرقيقة التي تصور عاطفة الغزل في أرق معانيها ، وأكثر صورها شجنا وألما ، فقد صور في شـعره مشاعر المحبين ، وأشواق العاشق الصلب المبتلى بالبعد عن المحبوبِ إذا باعدت بينهما الديار ، حيث كل منهما في مكان ، إلا أن هذا البعد ما زاده إلا تعلقًا بالحبيبة ، هذه الحبيبة التي زارته مع رفيقات لها ، وهي زيارة في الحلم ؛ إذ كان محبوسا في السجن ، فتعلق ذا الطيف الحبيـب الـذي زاره ، فتغزل ا غزلاً عفيفًا رقيقًا صور فيه حاله وحالها ، وعواطف كل منهما تجاه الآخر فيقول في هذه الأبيات التي تعد من أجمل ما قيل في تصوير طيف الأحبة [(١)] :

هواي مـع الركْـبِ اليمـانِين مصـعد — جنِيـب وجثْمـانِي بِمكـة موثَـق
عجِبـت لمسـراها وأنـى تخلصـت — إلَي وبـاب السجـن بالقُفـل مغلَـق
ألمـت فَحيـت ثُـم قَامـت فَودعـت — فَلما تولـت كَـادت الـنفس تزهـق
فَلا تحسبِي أني تخشعت بعدكُـم — لشـيءٍ ولا أنـي مـن الموت أفْـرق
وكَيـف وفي كَفـي حسـام مـذَلّق — يعـض امـات الرجـال ويعلَـق

(١) الأبيات لجعفر بن علبة الحارثي في كتاب الأغاني ٣٧/١٣ ، والأبيات (١ – ٢ -٣ -٤ -٦ – ٧) للشاعر نفسه في شرح حماسة أبي تمام للمرزوقي ١ / ٥١ وما بعدها ، وفي شرح حماسة أبي تمام للتبريزي ١ / ٢٥ وما بعدها ، والأبيات (٢ – ٣ -٤ -٦ -٧) للشاعر نفسه في خزانة الأدب للبغدادي ١٠ / ٣٣٠ ، مع اختلاف في الرواية فقد جاء الشطر الأول من البيت ا الأول في الأغاني (فأما الهوى والود مني فطامح) وعجزه (إليك وجثماني بمكة موثق) ، وجاء عجز البيت الثاني في حماسة أبي تمام بشرح المرزوقي وبشرح التبريزي وبتحقيق عسيلان ، وخزانة البغدادي (إلي وباب السجن دوني مغلق) ، وجاء صدر البيت الثالث في حماسـة أبي تمام بشرح المرزوقي (أتتنا فحيت ثم قامت فودعت) ، وجاء الشطر الأول من البيت السادس في حماسة أبي تمام بشرح المرزوقـي والتبريزي و تحقيق عسيلان وفي الخزانة أيضا (ولا أن نفسي يزدهيها وعيدكم) وجاء صدر البيت السابع في خزانة الأدب (ولكن عرتني من هواك ضمانة) .

ولا أن قلـبي يزدهيـه وعيـدهم	**ولاأنني بالمشي في القيد أخرق**
ولكـن عرتني مـن هـواك صبابةٌ	**كما كُنت ألقى منـك إذْ أنا مطلق**

كما صور أقسى ما يلاقيه المحبون من عذابات الهوى وآلامه ، وهي لحظات الوداع والفراق بين المحبين ، فهذه اللحظات الحاسمة من عمر الهوى بين المحبين هي من أعلق وأنفس الصور الغزلية في ذهن الشاعر ، الذي يرسم لها من القداسة والوعود بعدم النسيان ما هو بمثابة العهد الخالد بينهما ، فهو لن ينسى هذا الهوى ، ولا الذكريات التي جمعتهما معا ، بل هي باقية لا يغيبها حتى الموت ، فيقول متجلدا وصابرا على هذا الفراق ، الذي كان حقاً عليه فيه البكاء ، إلا أنّ عينه جمدت بمائها عن انسكابه ؛ كي لا يشمت به الشامتون[1]:

أشـارت لنـا بـالكف وهـي حزينـةٌ	**تودعنـا إذْ لـم يـودع سـلامها**
وما أنسـى م الأشـياءِ لا أنـس قولهَـا	**وقـد زلّ عـن غُـر الثنايـا لثامهـا**
أما من فراقـي اليـوم بـد ولا النـوى	**بمجتمـع إلا لشـحطٍ لمامهـا**
فلو كُنـت أبكـي مـن فـراقٍ صبابةٍ	**لأذريـت عـيني دمعـةً لا ألامهـا**
ولكـن لي عينـا كتومـا بمائهـا	**جمـودا بمـاءِ النـاظرين انسِـجامها**

كما برز هذا النوع من الغزل الرقيق الذي يصور عاطفة الحب الروحي بين المحبين عند أولئك الشعراء الذين اغتربوا في نجران عن أوطانهم وأحبابهم ، وبخاصة عند الشعراء المسجونين في سجن نجران ، ففي غياهب السجن ووحشته تذكروا الأحبة والديار ، فوقفوا على الذكريات التي جمعتهما معًا ، فالخطيم المحرزي يتذكر وهو في سجن نجران حبيبته التي فرق السجن والاغتراب والحرب بينهما ، فيقول مصورا للّقاء الذي جمع بينهما قبل سجنه ، فقد خاطر بنفسه وغامر ليلقاها ، وقد حال بينهما الرقيب والثأر ؛ إذ كان أهلها يطلبون دمه فيما جرى بين قبيلته وقبيلتها من حربٍ ودماء ، إلا أن الحب حمله على هذه المخاطرة للقائها ، فقال واصفًا حاله مع هذه الحبيبة المودعة له بدموع تسيل على خديها كأنها اللؤلؤ المنثور ، فهي تودعه وتوصيه بالحفاظ على هذا العهد الذي أوثقه الحب بينهما ، وتطلب له النجاة من فتك قبيلتها ، فيودعها وداع يائس لا رجعة بعده ، فيقول[2]:

فما أنـس م الأشـياءِ لا أنـس طائعـا	**وإنْ أشقَذَتني الحـرب إلا علـى ذكـر**
عيوف الّتـي قالـت : تعـز وقـد رأت	**عصى البين شقت واختلافًا مـن النجـر**
عليـك السـلام فارتحـلْ غَـير باعـدٍ	**وما البعد إلا في التنـائي وفـي الهجـر**
وعفـت لجفْـن العـين جائـلَ عـبرةٍ	**كما ارفَض نجم من جمانٍ ومـن شـذْر**

---

(1) كتاب الأمالي ، لأبي عبد الله محمد بن العباس بن محمد بن أبي محمد يحيى بن المبارك اليزيدي ، طباعة جمعية دائرة المعارف بحيدر آباد الدكن (الهند) ، ط١ ، ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م ، ص١١٠ .

(2) منتهى الطلب من أشعار العرب ، لابن المبارك ٢٤٨/٣ ، أشعار اللصوص وأخبارهم ، عبد المعين ملوحي ، ص٦٠-٦١ .



تهلل منها واكف مطرت بِه ... جموم بِملءِ الشأن مائحةُ القَطرِ

وقَالت تعلم أن عندي معشرا ... يرونك ثَأرا أو قَريبا من الثأرِ

فَقُلت لَها إني ستبلغُ مدتي ... إلى قَدرٍ ما بعده لي من قَدرِ

فهذه النماذج الغزلية الشعرية لشعراء نجران تظهر لنا نظرة هؤلاء الشعراء تجاه المرأة ، حيث انصرفت نظرة كثير منهم إلى تقدير وتصوير المحاسن الجسدية ، وهي النظرة الغالبة على الشعر العربي عامة ، والجاهلي خاصة ، في حين انصرفت نظرة نفر منهم إلى تقدير ووصف الجانب النفسي والمعنوي عند المرأة ، وقد عبر هؤلاء الشعراء بصدق وعفة عن نظرتهم للمرأة مهما اختلفت دوافعهم التعبيرية .

❏ ❏ ❏

٧) شعـر المعـاناة الشخصـية :

تعد المعاناة الشخصية للشاعر من أبرز المحركات الباعثة لقول الشعر ، فالتجربة الذاتية أو الشعورية المتمثلة في هذه المعاناة الذاتية التي قد يمر ا الشاعر ، هي من أصدق التجارب وأقواها اعتمـالاً في نفسه ، حيث ـزه هذه المعاناة وتمتلك كيانه ، حتى لا يجد إلى الصمت سبيلاً ، فيبثّ هذا الانفعال وهذا الإحساس الموجع الذي مر به على شكل قصيدة يودعها كلّ مكنوناته النفسية ، وأحاسيسـه المعتملة في نفسه .

ولم يغفل النقاد القدامى عن أثر المعاناة التي يمر ا الشاعر في خلق العديد من القصائد ، بل عدوا المعاناة الشخصية هي أول وأحق الدوافع والبواعث لقول الشعر ، يقول حازم القرطـاجني : " أحـق البواعث بأن يكون هو السبب الأول الداعي إلى قول الشعر : هو الوجد ، والاشتياق ، والحـنين إلى المنازل المألوفة ، وألافها عند فراقها وتذكر عهودها "[١].

فالعامل النفسي المتمثل في هذه المعاناة الشخصية التي يعيشها الشاعر هـو الـداعي الأول لخلـق القصيدة الشعرية ، ولقد أدرك الشعراء منذ القدم هذه العلاقة ، بل إ م جعلوا في بث هـذه المعانـاة تنفيسا وتفريجا لهم من شدة وقعها ، وتخفيفًا من حدة وطأ ا ، فقد سئل عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بـن مسعود - وهو أحد الفقهاء السبعة[٢]- عن قوله للشعر ، فقال : " إن المصدور إذا نفث برأ "[٣].

وتسوق أحداث الحياة المختلفة صورا متعددة للمعاناة التي يعيشها الشاعر ، ففقد الأحبة ، والغربـة ، والشكوى من الحياة ، والتذمر من صروف الدهر ، والحنين إلى الأهل والديار ، والأسـر والسـجن ، كلها قضايا إنسانية كبرى طالما غذت الأدب العربي عامة ، والشعر على وجه الخصوص ، بمعـان إنسانية خالدة ، اتخذها أصحا ا مادة بثوا من خلالها تجار م التي عاشوها ، فالمعاناة الشخصية عند الشعراء التي تجسدت من خلال هذه القضايا كانت المعين الثر الذي جسد لنا قصائد سامية مثلـت هذه المعاناة تمثيلاً صادقًا .

ولقد رسم الشعراء في نجران في شعرهم صورا متعددة لما مروا به من معاناة وتجارب مؤلمـة ، أبرز صورها :

---

(١) منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، لأبي الحسن حازم القرطاجني ، تحقيق : محمد الحبيب ابن الخوجة ، دار الكتب الشـرقية - تـونس ، ط : ١٩٦٦م ، ص٢٤٩-٢٥٠ .

(٢) هو أبو عبد الله عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي ، مفتي المدينة ، وأحد الفقهاء السبعة فيها ، من أعلام التابعين ، كـان مؤدب الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز ، توفي سنة اثنتين ومائة ، وقيل : سنة تسع وتسعين ، وقيل : سنة ثمان وتسعين ، وقيل : سنة سبع وتسعين بالمدينة . انظر : الوافي بالوفيات ، للصفدي ٢٥٣/١٩ ، الأعلام ، للزركلي ١٩٥/٤ .

(٣) الأخبار الموفقيات ، للزبير بن بكار ، ص٣٩٢ .

أ / الرثــاء الخــاص :

وهو الرثاء الموجه للأبناء ، والإخوان ، والأصدقاء ، وهو - في اعتقادي - أعلق الرثاء بـالنفس وأصدقه ؛ لأنه تعبير مباشر لم تخالطه دوافع التكسب أو التكلف عن خلجات قلب حزين مفجع بعزيـز ، ففقد المرء لشخص قريب أو صديق هي من أكثر تجارب الحياة ألماً وقسوة على النفس ، وشعراء نجران سجلوا في شعرهم صورا عدة لهذه المعاناة التي رثوا فيها الأحبة الراحلين بدموع المآقي ، وزفرات النفس الحزينة المفجعة ـذا الراحل الذي غاب وليس إلى رجوعه من سبيل .

فقس بن ساعدة يقف على قبري صديقين له عاشا معه زمنا ، حتى ربطت بينهم وشائج الإلـف والمودة والأخوة ، فإذا الموت يقضي بفصم ما بينهما من علائق ووشائج ، فيرحلان عن هذه الحيـاة ، فيقيم قس على قبريهما باكيا بعدهما ، ووحشته من دو ـما .

يقول قس بن ساعدة[1]:

خليلــي هبــا طالمــا قــد رقَــدتما	**أجــدكُما لا تقضــيان كَراكُمــا**
أرى النوم بين الجلــد والعظــم منكمــا	**كأن الــذي يســقي العقــار ســقاكُما**
أمــن طُــول نــومٍ لا تجيبــان داعيــا	**خليلــي ماهــذا الــذي قَــد دهاكُمــا**
ألــم تعلمــا أنــي بِنجــرانَ مفْــرد	**ومــالي فيــه مــن حبِيــبٍ ســواكُما**
مقيم علــى قَبريكُمــا لَســت بارحــاً	**إِيــاب الليــالي أو يجيــب صــداكُما**
أأبكيكُمــا طــولَ الحَيــاة ومــا الّــذي	**يــرد علَــى ذي لَوعــةٍ أنَ بكَاكُمــا**
فَلَــو جعلَــت نفــس لــنفسٍ وِقَايــةً	**لَجــدت بِنفْسِــي أنَ تكَــونَ فــداكُما**
كَأنكُمــا والمــوت أقْــرب غَائِــبٍ	**بِروحــي فــي قَبريكمــا قَــد أتاكُمــا**

وتروي عائشة بنت عبد المدان معانا ـا التي لا تضاهيها معاناة ، حيث فُجعت بفقد ولديها وهمـا طفلان صغيران قتلا بغير جرم اقترفاه ، فبكتهما حزنا ورحمة ، ورثتهما أحر الرثاء وأصدقه ، وهو بكاء الأم الرؤوم ، التي باعد القَدر بينها وبين بنيها بعادا لا لقاء بعده ، فتقول مصورة هذه المشاعر الحانيـة والمكلومة[2]:

هــا مــن أحــس بــإبني اللــذين همــا	**كالدرتين تشــظّي عنــهما الصــدف[3]**
هــا مــن أحــس بــإبني اللــذين همــا	**مخ العظــام فمخــي اليــوم مزدهــف**

---

(١) البداية والنهاية ٢٣٥/١ ، خزانة الأدب ، للبغدادي ٧١/١-٧٢ ، قس بن ساعدة الإيـادي (حياتـه - خطبـه - شـعره) ، أحمـد الربيعي ، ص٣٦٩-٣٩٦ .

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ١٦٠/١ ، الكامل في التاريخ ٢٥١/٣ .

(٣) تكتب إبني ـمزة قطع للضرورة الشعرية حتى لاينكسر الشطر ، انظر (وما يسوغ للشاعر دون الناثر) ، محمود شكري الآلوسي ، ص ١٣٥ .

هـا مـن أحـس بـإبني اللـذين همـا	قلبي وسمعي فقلـبي اليـوم مختطـف
نبئت بسرا ومـا صـدقت مـا زعمـوا	من إفكهم ومن القـول الـذي اقترفُـوا
أنحـى علـي ودجـي إبـني مرهفـةً	مشـحوذةً و كـذاك الإثمُ يقْتـرف

وفي مقابل رثاء الأم ومعاناتها لفقد أبنائها ، نجد علبة الحارثي يصور معاناته وخوفه من فقد ابنـه جعفـر ، الذي سيقاد في غده ، فيبقى علبة ساهرا ليله الطويل في انتظار انفراج هذه الكربة ، فيقول[1]:

لعمـرك إن الليـل يـا أم جعفـر	علـي وإنْ عللـتني لطويـلُ
أحاذر أنبـاءً مـن القـوم قـد دنـت	وأوبـة أنقـاض لهـن زليـلُ
لعمـرك إن ابـني غـداة تقُـوده	عقيـلٌ لنـأي الناصـرين ذليـلُ

وبعد أن قتل جعفر وكان قد أسلمه طائعا للسلطان أملاً في نجاته من القتل والقصاص ، فلما خاب أمله ، وقيد ابنه للقصاص ، وقص يج نفسه ألمـًا على هذا المصير الذي تجنبه بكافة السبل ، إلا أنـه غدا مصيره المحتوم ، فيقف على هذا المصير فيلوم نفسه لتسليمه جعفرا ، ويتحسر عليه طويلاً ، ويتـألم لما لاقاه ، فيقول[2]:

لعمـرك إني يـوم أسـلمت جعفـرا	وأصـحابه للمـوت لمـا أقاتـل
لمُتجنـب هـيج المَنايـا وإنمـا	يهـيج المنايـا كـل حـق وباطـل
فـراح بهـم قـوم ولا قـوم عنـدهم	مغللـةٌ أيـديهم في السلاسـل
فلم يدركوا حصنا عـن المـوت حيصـةً	كم العـيش بـاقٍ في المـدى المتطـاول

وفي هذه البيئة التي تغلب عليها مظاهر التعصب للقبيلة ، والاعتزاز بأواصر القربى والرحم ، نجـد الأخ يمثل أسمى وأقوى هذه الروابط الاجتماعية ، فالأخ عزوة ونصرة لأخيه ، فلذا كان عزيـزا علـى النفس ، وأثيرا بالحب والحرص ، فلفقده يذوب القلب أسى وكمدا ، وتدمى مآقي العيون ألمـًا وحزنا على هذا الفراق ، وهذا العزيز الذي رحل فليس إلى لقائه رجعة ، فتتجلى في رثاء الأخ صورة هـذه المعاناة التي يخلّفها فقده ؛ من حزن ، وألم ، ووحشة .

فخديج الحارثي يصور هذه المعاناة التي عاشها بعد فقده لأخيه النجاشي ، فيرثيه بصورة حزينـة تصور ألمه وتأثره البالغ من فقدان أخيه النجاشي ، الذي كان حريا به أن يبكيه كلّ باك ؛ لما تميز بـه من جميل الصفات والشمائل ، فهو سيبكيه أبد الدهر ، فيقول[3]:

---

(١) ديوان حماسة أبي تمام بشرح التبريزي ١ / ٢٩ – ٣٠ .

(٢) الأبيات (١-٢-٤) لعلبة والد جعفر في معجم الشعراء ، للمرزباني ، ص١٧٠ ، ووردت كذلك للشاعر نفسه مـع اخـتلاف في البيت الثاني في الأغاني ١٣ / ٣٨ – ٣٩ .

(٣) المؤتلف والمختلف ، للآمدي ، ص١٥٨ ، معجم البلدان ، رسم (لحج) ١٤/٥ .

من كَـانَ يبكـي هالكًـا فعلـى فـتى	ثَـوى بِلـوى لجـجٍ وآبـت رواحلُـه
فتى لا يطيـع الزاجـرين عـن النـدى	وترجــع بالعصــيان عنــه عواذلُــه

أما سويد المراثد فحين يبلغه موت أخيه حيي فإنه يرثيه رثاءً صادقًا متوجعا ، فيصور هذا المصاب الجلل الذي من هوله لم يصدق النعي فيه إلا بعد حين ، ويتأوه من فقده ويتحسر على شبابه الذي فني وهو في مقتبل عمره ، فقد هلك في الحرب وهو لم يزل صغير السن ، لم تمهله الحيـاة وشـجاعته في الحرب وإقدامه على وغاها وحياضها المهلكة الكثير من الوقت ، حتى جنت روحه في رحاها ، فيقـول راثيـًا ومتوجعا على هذا الفقيد(١):

لَعمــري لقــد نــادى بــأرفع صــوته	نعــي حيــي أن صــاحبكم هــوى
أجل صـادقًا والقائـل الفاعـلُ الـذي	إذا قال قـولا أنـبطَ المـاءَ في الثـرى
فَـتى قُبـلٌ لم تعـنِس السـن وجهــه	سوى خلْسةٍ في الرأس كالبرق في الدجى
أشارت لـه الحـرب العـوانُ فجاءَهـا	يقَعقــع بــالأقرابِ أول مــن أتــى
ولم يجنِهــا لكــن جناهــا وليــه	فآســى وآداه فكــان كمــن جنــى

كما يصور ابن السلمان الأبناوي فجيعته لموت أخيه كثير ، وأثر هذه المعاناة في نفسه ، يقول(٢):

ألا أيهـا البـاكي كـثيرا أخـا النـدى	لقـد هـد مـن ينعـى إليـه كـثير
فمـا وخـدت عـيس ولا ذَملـت بـه	كمثْــلِ كــثيرٍ في الفــلاة يســير(٣)
هــو الســيد البــاني المَعــالي لقومــه	مــآثر مجــدٍ كُلهــن كــبير

وهذه الأبيات على قصرها فهي تمثل جزع الشاعر لهذا المصاب الكبير الذي فاق قدرته واحتماله ، فهد قواه وأوهن عزمه ، فرسم لهذا الفقيد صورةً ناصعةً من الهمة والشرف في القبيلة ؛ ليؤكّد في النفس عظم هذا المصاب ، وفداحة هذه الرزية لفقده .

ومن أصدق الرثاء الذي نتج عن معاناة صادقة قوية : ما يرثي المرء به نفسه قبل أن يرثيه الناس ، فهو في الرمق الأخير من الحياة ينظر إليها نظرة مودع ، فيستجمع كل ما له من ذكريات وخصال يبثها في ندائه الأخير للأصدقاء والأحبة ، فيذكرهم بجميل خصاله ومناقبه ، ويستحث بكاءهم عليه إذا مـا

---

(١) حماسة أبي تمام بشرح المرزوقي ، ٨٤٠/٢ ومـا بعـدها ، حماسـة أبي تمـام ، تحقيـق : عسـيلان ٤٠٤/١ ، الأشـباه والنظـائر ، للخالديين ١٣٠/٢ .

(٢) الإكليل ، للهمداني ٥٠/٢-٥١ .

(٣) وخدت : الوخد هو ضرب من سير الإبل ، وهو سرعة الخطو في المشي ، ومثله الخدي لغتان ، يقال : وخدت الناقة تخد وخـدا . لسان العرب ، لابن منظور ، مادة (وخد) ٤٥٣/٣ .
ذملت : الذمل والتذميل : ضرب من سير الإبل ، وهو السير اللين السريع . لسان العرب ، مادة (ذمل)

مات ، ومن هذا ما نجده عند عبد يغوث سيد بني الحارث عندما وقع في أسر بني تميم ، فقال مصـورا معاناته في هذه اللحظة الحرجة ، التي ترقب فيها الموت وتناهي الحياة[1]:

ألا لا تلومـاني كفى اللـوم مـا بيـا — وما لكمـا في اللـوم نفـع ولا ليـا

فيـا راكبـا إمـا عرضـت فبلغن — نـداماي مـن نجـرانَ أنْ لا تلاقيـا

أبـا كـرب والأيهمـين كليهمـا — وقيسـا بأعلى حضـرموت اليمانيـا

أقـولُ وقـد شـدوا لسـاني بنسـعة — أمعشـر تـيم أطلقـوا عـن لسـانيا

أمعشـر تـيم قـد ملكـتم فأسـجحوا — فإن أخـاكم لـم يكـن مـن بوائيـا

فـإنْ تقتلـوني تقتلـوا بـي سـيدا — وإنْ تطلقـوني تحربـوني بماليـا

أحقـا عبـاد اللهِ أنْ لسـت سـامعا — نشـيد الرعـاءِ المعـزبين المتاليـا

الأبيات تعبر عن لحظة حرجة في مواجهة الموت بعيدا عن الأهل والديار ، وقد أبدع عبد يغـوث في تصوير حالته فيها ، وموقفه الذي ينم عن روح الفارس الذي لا يعرف الاستكانة أو الضعف ، حتى في أحلك الظروف وأقساها ، فهو يعيب عليهم قتله (وهو سيد مذحج) بالنعمان بن جساس .

وتتردد صدى هذه المعاناة الشخصية وهذه التجربة المريرة عند جعفر بن علبة (فارس سحبل) الذي قيد على إثره إلى القصاص ، فيخرج لنا هذه التجربة بصورة أدق وأشمل ، حيث يستعرض رؤوس الذكريات اللماحة التي تماوجت في داخله ، فإنه لما أيقن بالهلاك ، نظر للكون حوله متعجبا من سرعة الأجـل ، فيتـذكر ديـاره وربوعه التي أحب ، متمنيا رؤيتها ، ومودعا قومه ، وموصيا برعاية ابنه ، فيقول مودعا الوجود[2]:

أحقـا عبـاد الله أنْ لسـت رائيـا — صـحاري نجـد والريـاح الـذواريا

إذا مـا أتيـت الحارثيـات فـانعني — لهـن وخـبرهن ألا تلاقيـا

وقـود قلوصـي بينـهن فإنـها — سـتبرد أكبـادا وتبكـي بواكيـا

وأوصـيكم إنْ مـت يومـا بعـارم — ليغنـي شـيئًا أو يكـونَ مكانيـا

فلما سيق إلى القصاص ، واستيقن أن الأواصر تقطعت بينه وبين الوجـود ، يـذعن في هـوادة واستسلام للفناء الذي تمناه أجلاً بعيدا ، وإن سيق إليه مكرهـًا ، فيقول[3]:

وقـد قلـت يومـا للفـريقين عرجـا — علي وشـدا لي علـى جملـي رحلـي

ولا تعجـلا بـي بـارك اللهُ فيكمـا — فقد كنت وقافًا على ذي هـوى قبلـي

---

(١) المفضليات ، ص٣١٥-٣١٦-٣١٧-٣١٨ .

(٢) الأغاني ١٣/٣٤-٣٥ .

(٣) الأشباه والنظائر ، للخالديين ١/١٢٥ .

ومعاني هذه الأبيات لا تختلف عن معاني الأبيات السابقة ، فمواجهة الموت والاستسلام للقائه في عزة وتجلد ، هي نفسها المعاني التي خلدها شعراء نجران في رمقهم الأخير .

ب/ الشكوى من الحياة والتذمر من صروف الدهر :

تبرز في شعر شعراء نجران صور متعددةٌ للمعاناة التي برزت عند كثير منهم ، حتى شكوا من حالهم ودنياهم ، فالحارث بن كعب عمر عمرا طويلاً مديدا فقد فيه الأحباب والأهلين ، الذين صـاحبهم في طويل من عمره ، فغدا من بعدهم شيخا كبيرا قليل الطعام ، عالة على غيره ، فيقول شاكيا هذا الحال الذي آلَ إليه الحارث بن كعب(١):

أكلـ ـ ـت شـ ـ ـبابي فأفنيتـ ـ ـه	**وأفنيـ ـت بعـ ـد دهـ ـور دهـ ـورا**
ثلاثـ ـ ـة أهلـ ـ ـين صـ ـ ـاحبتهم	**فبـ ـادوا ، وأصـ ـبحت شـ ـيخا كـ ـبيرا**
قليـ ـلَ الطعـ ـام عسـ ـير القيـ ـا	**م قـ ـد تـ ـرك الـ ـدهر خطْـ ـوي قصـ ـيرا**
أبيـ ـت أراعـ ـي نجـ ـوم السـ ـما	**ء أقلـ ـب أمـ ـري بطونـ ـا ظهـ ـورا**

ويبث عمرو بن عامر معاناته التي ألمت به في ليلٍ طويل مظلم موحش ، أرق فيه لهمومٍ تكالبـت عليه ، فنفت عنه النوم والراحة ، فيقول(٢):

أرقْـ ـت للوعـ ـة هـ ـم سـ ـرى	**فبِـ ـت أراعـ ـي النجـ ـوم المُثـ ـولا**
إذَا قُلـ ـت ولـ ـت تـ ـداعت لهـ ـا	**غَياطـ ـلُ تؤيِسـ ـنِي أنْ تـ ـزولا(٣)**

ويعاني نيار بن شعثم من هذه الحياة وصروفها ، حتى إنه ليتمنى لو أن أمه لم تلده فيهـا ، فيقـول(٤):

ألا ليـ ـت أمـ ـي لـ ـم تلـ ـدني وليتنِـ ـي	**علـ ـى نِسـ ـئها بـ ـين النسـ ـاءِ المُخرسـ ـا**

جـ/ الغربة والحنين إلى الأهل والديار :

وفي أرض نجران البعيدة عن أوطان الكثير من الشعراء تبرز في شعر هؤلاء الشعراء المغتربين عـن أوطانهم معاناة الغربة والبعد والحنين إلى الأهل والديار ، كما تظهر في أشعارهم معاناة التعبير بهذه الغربة ، وبخاصة عند شعراء قريش الذين فروا إلى نجران بعد فتح مكة ، فهبيرة بن أبي وهب المخزومي يعظـم

---

(١) أمالي المرتضي (غرر الفوائد ودرر القلائد) ، للشريف علي بن الحسين الموسوي العلوي ، تحقيق : محمد أبي الفضل إبراهيم ، طبـع عيسى البابي الحلبي ، ط : ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م ، ٢٣٣/١ .

(٢) معجم الشعراء ، للمرزباني ، ص٥٥ .

(٣) الغياطل : الظلمات المتراكمة . انظر : تاج العروس ، مادة (غطل) ١٠٦/٣٠ .

(٤) الإيناس في علم الأنساب ، للوزير المغربي ، ص٢٥٦ .

لديه تعيير شعراء المسلمين له على فراره إلى نجران ، فيقول معتذرا من فراره ، ومتمسكًا بموقفه من هذا الدين الجديد الذي حكم قومه وبلاده ، فيقول[١]:

لعمـرك مـا وليـت ظهـري محمـداً   **وأصـحابه جبنـاً ولا خيفـةَ القتـل**
ولكـنني قلبـت أمـري فلَـم أجِـد   **غنـاءً لسـيفي إن ضـربت ولا نبلـي**
وقفْت فلمـا لـم أجِـد لـي مقْـدما   **صـددت كضـرغامٍ هزبـر أبي شـبل**
ثنى عطْفه عن قرنِـه حـين لـم يجِـد   **مساغًا لـه لا فـي التصـرف والختْـل**

ويبقى على كفره مقيما في نجران ، فحين يبلغه إسلام زوجه أم هاني ، تعظم لديه المعاناة ، فيعذلها بعد أن تشوق إليها ، وهو غريب أضناه الأرق والبعد في حصن نجران البعيد[٢]:

أشـاقتك هنـد أم أتـاك سـؤالُها   **كـذاك النـوى أسـبابها وانفتالُهـا**
وقد أرقَـت فـي رأسِ حصـنٍ ممنـعٍ   **بِنجـرانَ يسـري بعـد ليـلٍ خيالُهـا**
وعاذلـةٍ هبـت بِليـلٍ تلـومني   **وتعـذلُني بِالليـل ضـل ضـلالُها**
وتـزعم أنـي إنْ أطعـت عشـيرتي   **سـأردى وهـلْ يـردين إلا زيالُهـا**
فـإني لمـن قـومٍ إذا جـد جِـدهم   **على أي حـالٍ أصـبح اليـوم حالُهـا**
وإنـي لحـامٍ مـن وراءِ عشـيرتي   **إذا كانَ من تحـت العـوالي مجالُهـا**
وصـارت بِأيـديها السـيوف كأنهـا   **مخـاريق ولْـدانٍ ومنهـا ظلالُهـا**
وإنـي لأقْلـي الحاسـدين وفعلهـم   **علـى اللهِ رزقـي نفْسـها وعيالُهـا**
وإن كـلام المـرءِ فـي غيـرِ كُنهـه   **لكالنبلِ تهـوى لـيس فيهـا نِصـالُها**
فإنْ كُنـت قـد تابعـت ديـن محمـدٍ   **وعطفـت الأرحـام منـك حبالُهـا**
فكُونِي علـى أعلـى سـحيقٍ بِهضـبةٍ   **ململمـةٍ غبـراءَ يـبسٍ بِلالُهـا**

أما عبد الله بن الزبعرى فيقيم في نجران بعيدا عن الأهل ، طريدا عن الديار والعشيرة ، فيقـيم في نجران في هم ومعاناة ، وتفكير في حاله ومصيره الذي آل إليه بعد فتح مكة ، إلى أن يصله شعر حسان بن ثابت ، الذي أخذ فيه يعيره بفراره ، وإقامته الذليلة المغتربة في نجران ، حيث قال له حسان[٣]:

لا تعـدمن رجـلا أحلـك بغضـه   **نجـرانَ فـي عـيشٍ أحـذ لئـيم**
بليت قناتـك فـي الحُـروبِ فألفيـت   **خمانـةً جوفـاءَ ذات وصـوم**
غضـب الإلـه علـى الزبعـرى وابنـه   **وعـذاب سـوءٍ فـي الحيـاة مقـيم**

---

(١) حماسة البحتري ، ص٥٠ ، الاستيعاب ١٩٦٣/٤-١٩٦٤ ، أسد الغابة ٤٤٢/٧ .
(٢) السيرة النبوية ٣٥٦/٤ ، الاستيعاب ١٩٢٢/٤ ، أسد الغابة ٤٤٣/٧ .
(٣) ديوان حسان بن ثابت ، بشرح البرقوقي ، ص٤١٣ ، المغازي للواقدي ٨٤٧/٢-٨٤٨ .

فما أن تصله هذه الأبيات حتى يعزم أمره على العودة إلى مكة واتباع دين محمد ، فلما أنكر عليه ابن هبيرة ذلك ، قال : هو ذاك ، فعلى أي شيء نقيم مع بني الحارث بن كعب ، وأترك ابن عمي وخير الناس وأبرهم ، ومع قومي وداري[1] ؟!.

فقد عظُم لديه الإحساس بالبعد والغربة ، وأخذه الحنين إلى الأهل والديار ، وحياة العز والعشيرة ، التي افتقدها وهو طريد بعيد عنهم في نجران ، فيتهيأ للخروج إلى مكة والدخول في دين الإسلام الذي شرح الله له صدره ، فينشئ قصيدة يصف فيها معاناته وغربته في نجران ، ويمدح الرسول ﷺ ، ويعتذر إليه مما كان منه في سالف أيامه ، التي أعمته فيها الضلالة والغواية ، فيقول[2]:

منع الرقاد بلابلٌ وهموم ... والليلُ معتلج الرواقِ بهيم
مما أتاني أن أحمد لامني ... فيه فبِت كأنني محموم
يا خير من حملت عَلى أوصالها ... عيرانةٌ سرح اليدين غشوم
إني لمعتذر إليك من الذي ... أسديت إذْ أنا في الضلال أهيم
أيام تأمرني بأغْوى خطةٍ ... سهم وتأمرني بها مخزوم
وأمد أسباب الردى ويقودني ... أمر الغواة وأمرهم مشؤوم
فاليوم آمن بالنبي محمدٍ ... قلْبي ومخطيءُ هذه محروم
مضت العداوةُ وانقضت أسبابها ... ودعت أواصر بيننا وحلُوم
فاغْفر فدى لك والدي كلاهما ... زللي فإنك راحم مرحوم
وعليك من علم المَليك علامةٌ ... نور أغر وخاتم مختوم
أعطاك بعد محبةٍ برهانه ... شرفًا وبرهانُ الإله عظيم
ولقد شهدت بأن دينك صادق ... حق وأنك في العباد جسيم
واللهُ يشهد أن أحمد مصطفى ... مستقبلٌ في الصالحين كريم
قرم علا بنيانه من هاشم ... فرع تمكن في الذرا وأروم

د / الأسْر والسّجن :

في سجن نجران العتيد تظهر صورة أخرى من صور المعاناة التي عاشها الشعراء واللصوص الذين زجوا بداخله ، فقد ترك شعراء هذا السجن نتاجا شعريا غير قليل ، باحوا فيه على اختلاف قبائلهم وأوطانهم ، وجرائمهم التي قادتهم إليه بمعاناتهم التي عاشوها بداخله ، والتي اشتركوا فيها جميعا بصورة

---

(١) المصدر السابق .

(٢) السيرة النبوية ٣٥٤/٤-٣٥٥ ، شعر عبد الله بن الزبعرى ، تحقيق : يحيى الجبوري ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، ط٢ ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م ، ص٤٥-٤٦ .

واحدة اقتضتها ظروفهم الواحدة والمشتركة في هذا المناخ الواحد ، فصوروا في شعرهم معاناة الاغتراب والحنين للأحبة والأوطان ، ووحشة السجن وقسوته وأغلاله وقيوده القاسية والثقيلة ، وذُلّ السجين ومهانته ، وشماتة الآخرين به ، واستغاثته بالأهل وذوي السلطان للخلاص .

فعطارد بن قران أحد المحبوسين في هذا السجن ، يروي معاناته التي عاشها بداخله ، وبخاصة في ليله المظلم الموحش ، والذي طال عليه ، فلا أنيس ولا جليس سوى مسجون مهموم آخر ، فيصف حاله البائس ولياليه السوداء بداخله ، والتي ثقلت به خطواته من الأغلال وأثقال القيود ، ووحشة الليل وحرارته التي تحسس فيها حلقات قيوده الباردة ليستشعر البرودة ، كما ترد الإبل الظماء الماءَ لترتوي[1] ، لترتوي[1] ، فيبثّ هذا المعاناة وهذا الحال البائس ، لعله يلقى من يهمه حاله الذي لا يرجو له من الخلاص إلا بنو عبد المدان سادة نجران ، الذين استغاث بهم واستحثّ عطفهم عليه لإطلاقه ، فيقول[2]: فيقول[2]:

يطُولُ علَيَّ الليلُ حتى أملّه ... فأجلس والنهدي عندي جالس
كلانا به كبلان يرسف فيهما ... ومستحكم الأقفال أسمر يابس
له حلقات فيه سمر يحبها الـ ... ـعناة كما حب الظماءِ الخَوامس
إذا ما ابن صباح أرنت كُبوله ... لهن على ساقي وهنا وساوس
تذكرت هل لي من حميمٍ يهمه ... بنجرانَ كبلاي اللذان أمارس
فأما بنو عبد المَدان فإنهم ... وإني من خيرِ الحُصين ليائس

ولما طال به السجن تعظم عنده المعاناة ، وتزداد بازدياد دواعيها من قهر القيد وذله ، وإيلامه النفسي والجسدي ، والسخرية منه مكبلاً معوقًا في سيره بهذه الأغلال والأصفاد ، فيقول[3]:

لقد هزئت مني بنجرانَ أنْ رأت ... قيامي في الكَبلين أم أبان
كأن لم تري قبلي أسيرا مكبلا ... ولا رجلا يرمى به الرجوان
كأني جواد ضمه القَيد بعد ما ... جرى سابقًا في حلْبةٍ ورهان
خليلي ليس الرأي في صدرِ واحدٍ ... أشيرا علي اليوم ما تريان
أأركب صعب الأمرِ إن ذَلوله ... بنجرانَ لا يرجى لحين أوان

وفي ظلمة هذا السجن وأغلاله تجتمع على طهمان بن عمرو ذلتا السجن والغربة عن الأوطان ، فيعظم إحساسه بالمهانة والعجز التام بين أيدي آسريه ، فيروي هذه المعاناة التي يشاركه فيها صديق له

---

(1) انظر : الأسر والسجن في شعر العرب ، أحمد مختار ، ص519 .

(2) معجم البلدان ، للحموي ، رسم (نجران) 5/270 .

(3) معجم الشعراء ، للمرزباني ، ص162 ، الحماسة البصرية 1/107 .

عبسي ، فيبث معاناته التي تشوق فيها إلى الأهل ومرابع الصبا التي خلفها وراءه ، فتذكرها بـألم زاده شماتة الأعداء والمعاناة التي يعيشها ، فيعبر ا عن حاله المهين ، ويستنجد بمن يهمه أمـره للخـلاص ، فيقول متشوقًا إلى دياره وواصفًا حاله المهين في نجران[1]:

ألا يـا اسـلما بـالبئر مـن أم واصـل ... ومـن أم جبـر أيهـا الطّلَلان

وهـل يسـلم الربعـان يـأتي عليهمـا ... صـباح مسـاءً نائـب الحـدثان

ألا هزئـت مـني بنجـرانَ إذْ رأت ... عثـاري فـي الكَـبلين أم أبـان[2]

كأنْ لـم تـري قبلـي أسـيرا مكـبلا ... ولا رجـلا يرمـي بـه الرجـوان

عذرتك يـا عينـي الصـحيحة والبكـا ... فمـا لـك يـا عـوراءُ والهَمـلان

كفَـى حزنـا أني تطاللـت كـي أرى ... ذُرى قُلـتي دمـخ كمـا تريـان

كأ مـا والآلُ يجـري عليهمـا ... مـن البعـد عينـا برقُـع خلقَـان

ألا حبـذا والله لـو تعلمانـه ... ظلالكُمـا يـا أيهـا العلمـان

وماؤكما العـذب الّـذي لـو وردتـه ... وبـي نـافض حمـى إذًا لشـفاني

وإني والعبسـي في أرض مـذْحج ... غريبـان شـتى الـدار مختلفـان

غريبـان مجفُـوان أكثـر همنـا ... وجيـف مطايانـا بكُـل مكـان

فمـن يـر ممسـانا وملقـى ركابنـا ... مـن النـاس يعلـم أننـا سـبعان

خليلي ليس الرأي فـي صـدر واحـد ... أشـيرا علـي اليـوم مـا تريـان

أأركـب صـعب الأمـر إن ذلُولـه ... بنجـرانَ لا يرجـى لحـين أوان

وما كانَ غـض الطّـرف منـا سـجيةً ... ولكننـا فـي مـذْحج غُربـان

كما يعطي السجن - بما يفرضه على السجين من العزلة عن العالم الخارجي ومؤثراته - فرصـةً للانطواء على الذات ، والتفكير المتأمل ، فتضطرب في نفسه انفعالات متعددة من الألم والغربة والشوق إلى الأهل والديار ، كما يفكر في حاله وهوانه في السجن ، ويتأمل في سيرته ، وفي الأحـداث الـتي عاشها ، وما آل إليه من حبسٍ وهوان ، فيصور هذا كله في شعره ، فالخطيم المحرزي وبعـد أن طـال عليه السجن في نجران ، وكان قد قيد إليه بعد منافرة بين بطنين من عشيرته ، فكانت له يد جارحة في

---

(١) معجم البلدان ، رسم (دمخ) ٤٦٢/٢-٤٦٣ .

(٢) ألحظ وجود توافق بين هذه القصيدة وقول عطار بن قران السابق ، حيث ورد البيت الأول والثاني من مقطوعة عطارد بـن قـران السابقة في هذه القصيدة ، حيث وردت في البيت الثالث والرابع من هذه القصيدة ، وأرجح أن يكون هذان البيتان لعطارد بن قـران ، كما ورد في أقدم المصادر التي نقلتها ، وهما : (معجم الشعراء للمرزباني ، والحماسة البصرية) ، في حين وردت قصيدة طهمان عند الحموي في معجمه ، فأظنه خلط بين مقطوعة عطارد وقصيدة طهمان ؛ للتوافق النغمي بينهما من حيث الوزن والقافية ، وكـذلك لسجن كلا الشاعرين في سجن نجران .

هذه الفتنة ، فلما حبس كان يترقب محاماة قبيلته عنه واستخراجها إياه من حبسه ، ولكن الفتن التي تكثر فيها الجراح والديات ، وتعتزم فيها الدولة على الضبط والقصاص ، لا يجدي فيها التدخل والقبيلة كثيرا[(١)] ، فيقيم الخطيم طويلاً في حبسه ، حتى ييئس من الخلاص وحياة الحرية التي عاشها طويلاً ، فيروي فيروي معاناته وشوقه وحنينه للأهل والديار ، وأيامه الخوالي فيها ، وما كان له فيها من بطولة وذكريات ، وندمه على ما كان منه ، ويستنصر قومه لخلاصه ، فيقول في قصيدة بلغت ثلاثة وستين بيتا ، صور فيها معاناته في السجن وحاله وقد افتتحها بالمدح وتعداد مناقبه وشمائله الكريمة ؛ ليستدر نخوة قومه الذين لم يسلموه إلا لضغط حكام قريش بذلك ، ولولا ذلك لما تمكن منه جن ولا إنس[(٢)] :

أبت لي سعد أنْ أضام ومالك ... **وحي الرباب والقبائلُ من عمرو**
وإنْ أدع في القيسية الشم تأتني ... **قُروم تسامى كلهم باذخ القدر**
وإنْ تلق ندماني يخبرك أنني ... **ضعيف وكاءِ الكيس لم أغذَ بالفقْر**
وتشهد لي العوذُ المطافيلُ أنني ... **أبو الضيف أقْري حين لا أحد يقْري**
فلولا قُريش ملكُها ما تعرضت ... **لي الجن ، بله الإنس قد علمت قدري**
وما ابن مراسٍ حين جئْت مطردا ... **بذي علةٍ دوني ولا حافد الصدر**
عشيةَ أعطاني سلاحي وناقتي ... **وسيفي جدا من فضل ذي نائلٍ غمر**
خليلي الفتى العكْلي لم أر مثْله ... **تحلب كفاه الندى شائع القدر**
كأن سهيلا ناره حين أوقدت ... **بعلياء لا تخفى على أحدٍ يسري**
وتيهاءَ مكْسالٍ إذا الليلُ جنها ... **تزملَ فيها المُدلجونَ على حذْر**
بعيدة عين الماءِ تركض بالضحى ... **كركْضك بالخيل المُقربة الشقْر**
فلاةٍ يخاف الركب أن ينطقوا بها ... **حذار الردى فيها مهواةٍ قفر**
سريع بها قولُ الضعيف ألا اسقني ... **إذا خب رقْراق الضحى خبب المهر**
سمت لي بالبين اليماني صبابةٌ ... **وأنت بعيد قد نأيت عن المصر**
أتيح لذي بث طريدٍ تعوده ... **هموم إذا ما بات طارقُها يسري**
بنجرانَ يقري الهم كل غريبةٍ ... **بعيدة شأو الكلْم باقيةَ الأثر**
ألا ليت شعري هلْ أبيتن ليلةً ... **بأعلى بلى ذي السلامِ وذي السدر**
وهلْ أهبطن روض القطا غير خائفٍ ... **وهلْ أصبحن الدهر وسطَ بني صخر**
وهلْ أسمعن يوما بكاءَ حمامةٍ ... **تنادي حماما في ذُرى تنضبٍ خضر**

---

(١) انظر : الأسر والسجن في شعر العرب ، أحمد مختار ، ص٣٠٥-٣٠٦ .

(٢) انظر القصيدة كاملة في : منتهى الطلب من أشعار العرب ، لابن المبارك ٢٤٥/٣ وما بعدها .

وهــلْ أريــن يومــا جيــادي أقودهــا ... بــذات الشــقوق أو بأنقائهــا العفْــر

وهــلْ تقْطعــن الخَــرق بــي عيدهيــةٌ ... نجــاةٌ مــن العيــدي تمــرح للزجــر

أخــلاي لــم يشــمت بنــا ذو شــناءَةٍ ... ولم تضطرب مني الكُشوح علــى غمــر

ولا مـــنهم حتـــى دعتنـــا غُواتنـــا ... إلى غايـــةٍ كانـــت بأمثالنـــا تـــزري

أتينـــاهم إذ أســـلمتهم حلـــومهم ... فكُنـــا ســـواءً فـــي الملامـــة والعـــذر

فكُنـــا لأقـــوامٍ عظـــاتٍ وقُطعـــت ... وسائلُ قُربى من حمــيمٍ ومــن صــهر

لحى اللهُ من يلحى علــى الحلــم بعــدما ... دعتنـــا رجـــالٌ للفخـــار وللعقـــر

قــدحنا فأورينــا علــى عظــم ســاقنا ... فهلْ بعد كسر الساق للعظم مــن جــبرٍ

بني محــرز هــلْ فــيكُم ابــن حميــةٍ ... يقوم ولــو كــانَ القيــام علــى جمــر

بما يؤمن المــولى ومــا يــرأب الثــأي ... وخير الموالي مــن يــريش ولا يبــري(1)

كمــا أنــا لــو كــانَ المُشــرد مــنكُم ... لأبليت نجحــا أو لقيــت علــى عــذر

لأعطيــت مــن مــالي وأهلــي رهينــةً ... ولا ضاق بالإصلاح مــالي ولا صــدري

بنــي محــرزٍ مــن تجعلُــونَ خليفتــي ... إذا نابكُم يومــا جســيم مــن الأمــر

بني محــرز كُنــتم ومــا قــد علمــتم ... كقاربــةٍ خرقــاءَ عيــت بمــا تفْــري

رأت خلــلاً مــا كلــه ســد خرزهــا ... وأثأى عليها الخرز من حيثُ لا تدري (2)

بني محرز إن تكــنس الــوحش بيــنكُم ... وبينــي وتبعــد مــن قُبــوركُم قــبري

فقد كُنــت أ ـى عــنكُم كُــل ظــالمٍ ... وأدفــع عــنكُم باليــدين وبــالنحر

معنـــى إذا خصـــم أدل علـــيكُم ... بني محــرز يومــا شــددت لــه أزري

بحــد ســنان يســتعد لمثلــه ... ورقـــم لســـانٍ لاعيـــي ولا هـــذْر

وخلاصة القول : إن موضوع شعر المعاناة الشخصية بمختلف صورها عند شعراء نجران هو من أصدق الموضوعات الشعرية عند هؤلاء الشعراء ؛ وذلك لتصويره لحالا م النفسية التي أكسبتها الفجيعة والحزن صدقًا في التعبير ، وبعدا عن الغرابة والتعقيد .

❒ ❒ ❒

---

(١) الثأي : الإفساد والجراح والقتل .

(٢) أثأى : أفسد .

٨) شعر الوصف :

يعد الوصف من أكثر وأبرز الفنون الشعرية التي برع فيها شعراء نجران ، إلا أ ـم لم يخصوه بقصائد مستقلة ، بل خالط العديد من الأغراض الشعرية الأخرى التي نظموا فيها ، كالمدح ، والرثاء ، والهجاء ، والحماسة ، والحرب .. حتى لا نكاد نرى غرضا من هذه الأغراض الشعرية إلا وقد آزرت أفكاره ا ـردة ، وأظهر ا يد الوصف والتصوير .

فجاء نتاجهم الشعري زاخرا ـذا الغرض الذي عده ابن رشيق نواة الشعر التي يرجع لها جميع أغراضه : " الشعر إلا أقله راجع إلى باب الوصف ، ولا سبيل إلى حصره واستقصائه "[(١)].

وبيئة نجران تعد من أخصب البيئات وأغناها بالمناظر الجميلة الخلابة ، وأثراها بالحيوانات ، وأكثرها تنوعا في المناخ ، فكانت هذه البيئة من أكثر البيئات التي ألهمت الشعراء في وصف كافة أنماطها وصورها المتحركة والساكنة ، فتوافر لنا ذلك كله في شعرهم الذي وصفوا فيه مختلف أنماط الطبيعة المحيطة ـم ؛ من سماءٍ ، ونبات ، وحيوان ، وديارٍ ، وجماد .. فهذا جندل بن المثنى الحارثي يصف سرابا رآه في أرضٍ واسعة جرداء مستوية بأنه كالقطن الحسن في أيدي الغزل ، وهذا من دقيق الوصف ، فيقول[(٢)]:

كأنه بالصحصحان الأنجل[(٣)]　　قُطْن سخام بأيادي غُزل[(٤)]

ووصف الأفوه الأودي الرعد والمطر والخصب في هذه البيئة ، فقال[(٥)]:

له هيدب دانٍ ورعد ولُجةٌ　　وبرق تراه ساطعا يتبلج[(٦)]

فَباتت كلاب الحي ينبحن مزنه　　وأضحت بنات الماء فيها تمعج[(٧)]

فقدم من خلال هذا الوصف الدقيق الذي تتناغم فيه مكونات الطبيعة من رعد ، ومطرٍ ، وكلاب ، وضفادع ، لوحة حية لهذه البيئة الطبيعية الخلابة .

ووصف جعفر بن علبة كذلك جانبا من طبيعة نجران الممتعة ، التي حن إليها وإلى أصحابه فيها

---

(١) العمدة ، لابن رشيق ٢٩٤/٢ .

(٢) لسان العرب ، لابن منظور ، مادة (غزل) ٤٩١/١١ .

(٣) الصحصحان الأنجل : هي الأرض المستوية الجرداء من النبات ، والواسعة . انظر : لسان العرب ، لابن منظور ، مادة (نجل) ٦٤٩/١١ ، ومادة (صحح) ٥٠٨/٢ .

(٤) سخام : أي لين ناعم وحسن . انظر : المصدر السابق ، مادة (سخم) ٢٨٣/١٢ .

(٥) الطرائف الأدبية ، ص٩ .

(٦) الهيدب : هو السحاب يقترب من الأرض فيتدلى ويدنو منها . انظر : لسان العرب ، مادة (هدب) ٧٨٠/١ .

(٧) تمعج : تتقلب فيه يمينا وشمالاً . انظر : لسان العرب ، مادة (معج) ٣٦٨/٢ .

وهو في سجنه ، فقال مصورا مياه أوديتها الصافية الباردة[(١)]:

ألا هــل إلى فتيــان لهــوٍ ولــذةٍ سـبيلٌ وتهتــاف الحمــام المطــوق
وشــربة مــاءٍ مــن خــدوراءَ بــاردٍ[(٢)] جــرى تحــت أظــلال الأراك المُســوق

كما كانت نجران من أبرز البيئات الحضارية التي استقطبت جملة من الشـعراء فوفـدوا إليهـا ، ووصفوا مظاهرها الراقية ، ومباهجها الفاتنة ، ومن هؤلاء الشعراء الذين استقطبتهم هذه البيئة : الأعشى ، الذي كان يفد إليها في كل عام فيمدح سادا ، ويقيم عندهم فينادمهم الشراب في مجالسهم المترفـة ، فتأثر الأعشى كثيرا ذه البيئة الحضارية التي اعتنق ساد ا الديانة المسيحية ، هذه الديانة التي أثرت كثيرا في شعر الأعشى ، حيث عرف الكثير من تعاليمها ، ومبادئها ، وإن لم يدن ا[(٣)]، فنراه يذكر كعبـة نجران في شعره ، وهي من أهم معاقل الديانة المسيحية في جنوب الجزيرة العربية ، فيقول[(٤)]:

وكعبــةُ نجــرانَ حــتم علــ ـــك حتــى تنــاخي بأبوابهــا

كما يصف الأعشى مبلغ الثراء والنعيم الذي بلغه أرباب هذه الكعبة ، فهم أُناس أثرياء ، لباسهم الحبرات اليمنية الغالية الثمن ، التي أسبغوها فجروا أسافلها فخرا وتكبرا ، فيقول واصفًا هـذا اللبـاس وهذه الهيئة التي يظهر ا هؤلاء السادة[(٥)]:

نــزور يزيــد وعبــد المَسيــح وقيســـًا هــم خيــر أربابهــا
إذا الحَبــرات تلــوت بهــم وجــروا أســافلَ هــدابها[(٦)]

أما مجالس الشراب التي نادم فيها الأعشى سادة نجران ، فهي ليست كا الس التي اعتادها في دياره نجد ، بل هي مجالس يغلب عليها طابع التأثر بمجالس الفرس والحضارة الفارسية ، التي ألقت بظلالهـا على كثيرٍ من حواضر العالم العربي القديم ، فمجالس الشرب عند بني عبد المدان هي مجالس في غـرف عالية محاطة بشتى أنواع الزهور والورود والياسمين ، ويختلف إليها وجه آخر من وجوه اللذة والجمـال عند الأعشى وغيره من رواد هذه ا الس ، حيث يكتنفها المغنيات الفارسيات والروميات يعزفن علـى الآلا ن المختلفة ؛ ليطربن الحاضرين ، فتتردد أصداء ألحا ن وألفاظهن إلى رواد هذه ا الس ، المتـأثرين

---

(١) الأغاني ٤٠/١٣ .

(٢) خدوراء : موضع في بلاد بني الحارث بن كعب . انظر : معجم البلدان ، رسم (خدوراء) ٣٤٨/٢ .

(٣) انظر : الأغاني ٢٦٥/١٢ ، السمات الحضارية في شعر الأعشى (دراسة لغوية وحضارية) ، زينب عبد العزيز العمري ، مطبوعـات دارة الملك عبد العزيز - الرياض ، ط : ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ، ص١١١ ، ١١٢ ، ١١٣ .

(٤) ديوان الأعشى الكبير ، محمد حسين ، ص١٧٣ .

(٥) المصدر السابق .

(٦) الهداب : طرف الثوب . انظر : لسان العرب ، مادة (هدب) ٧٨٠/١ .

ذا الجمال الوافد وهذه الحضارة العجيبة[1]، فيقول الأعشى واصفًا هذه ا الس التي تعجـب العيـون وتروقها ؛ لعجيب صنعتها ، ولما فيها من مظاهر اللذة والجمال المتمثلة في الخمرة ، والخضرة ، والقيان المغنيات الجميلات ، اللاتي اكتملت بهن مظاهر الجمال في هذه ا الس[2]:

وكـ ـأس شـ ـربت علـ ـى لـ ـذةٍ	**وأخـ ـرى تـ ـداويت منهـ ـا بهـ ـا**
لكـ ـي يعلـ ـم النـ ـاس أنـ ـي امـ ـرؤ	**أتيـ ـت المَعيشـ ـةَ مـ ـن بـا ـ ـا**
وشـ ـاهدنا الـ ـورد والياسميـ ـ ـ	**ـ ـ ـن والمُسـ ـمعات بِقُصـ ـابِها**
ومزهرنـ ـ ـا معمـ ـ ـلُ دائـ ـ ـم	**فَـ ـ ـأي الثلاثـ ـ ـة أزرى بهـ ـ ـا**
تـ ـرى الصـ ـنج يبكـ ـي لـ ـه شـ ـجوه	**مخافَـ ـةَ أنْ سـ ـوف يـ ـدعى بهـ ـا**
لهـ ـم مشـ ـربات لهـ ـا بهجـ ـةٌ	**تـ ـ ـروق العيـ ـ ـونَ بتعجابهـ ـ ـا**

كما يصف الأعشى ندماءَه الذين يعاقرهم الشراب في هذه البيئة المترفة ، وهم ليسوا من العامة من الناس ، بل هم صفوة القوم ، تميزوا بالجمال وبياض الوجوه ، وهم أهل الخصب والسماحة والنجدة ، ذَوو بيان وفصاحة ، لا يسامون الذل ، وأحلامهم راجحة ، كأ م الأسود في قو م ، ثم إ م أهل غنى وثراء ، يلبسون ناعم الملبس ، ورقيق الثياب ، فيقول[3]:

ونـ ـدامى بِـ ـيض الوجـ ـوه كـ ـأن الـ ـ	**ـ ـشرب مـ ـنهم مصـ ـاعب أفْنـ ـاق**
فـ ـيهم الخصـ ـب والسـ ـماحةُ والنجـ ـ	**ـ ـدةُ فـ ـيهم والخَاطـ ـب المصـ ـلاق**
وأبِيـ ـونَ مـ ـا يسـ ـامونَ ضـ ـيما	**ومكيثُـ ـونَ والحُلُـ ـوم وثـ ـاق**
وتـ ـرى مجلسـ ـا يغـ ـص بِـ ـه المحـ ـ	**ـ ـراب كالأسـ ـد والثيـ ـاب رِقَـ ـاق**

أما الطعام في هذه البيئة المترفة - وبخاصة عند ساد م من بني عبد المدان - ، فهو طعام آخر لم يعهده كثير من العرب ، فجاء وصفه عند أمية بن أبي الصلت ، هذا الشاعر الذي برزت في شعره أصناف وألوان متعددة للطعام والشراب[4]، فيقول أمية مادحا وواصفًا هذا الطعام ، الذي نال استحسانه[5]:

ورأيـ ـت مـ ـن عبـ ـد المَـ ـدان خلائقـ ـاً	**فَضـ ـلَ الأنـ ـام بِهـ ـن عبـ ـد مـ ـدان**
البـ ـر يلْبـ ـك بالشـ ـهاد طعامـ ـه	**لا مـ ـا يعللنـ ـا بنـ ـو جـ ـدعان**

---

(١) انظر : الأعشى الكبير ميمون بن قيس ، مصطفى الجوزو ، دار الطليعة للطباعة والنشـر - بـيروت ، ط١ ، ١٩٧٧م ، ص٩٩ ، وانظر : السمات الحضارية في شعر الأعشى ، زينب العمري ، ص١٢٤-١٢٥-١٣٧ وما بعدها .

(٢) ديوان الأعشى الكبير ، محمد حسين ، ص١٧٣ .

(٣) المرجع السابق ، ص٢١٥ .

(٤) انظر : ديوان أمية بن أبي الصلت ، سجيع الجبيلي ، ص٣٠-٣٤-٤٩-٦٣-٦٥-٦٦-١٠٦-١١٨ .

(٥) أمية بن أبي الصلت ، جة عبد الغفور ، ص٣١٠ ، ديوان أمية بن أبي الصلت ، سجيع الجبيلي ، ص١٤٦-١٤٧ .

ومن طعامهم الذي بذلوه - كذلك - لضيوفهم : القمح الأبيض المطبوخ في صباحهم ، واللحم المطبوخ مع الخمر في صباحهم ومسائهم ، فيقول الأعشى مثنيا على طعامهم الـذي جعلـوه قـرى للأضياف(١):

درمــك غُــدوةً ونشــيلٌ ... وصــبوح مبــاكر واغْتبــاق(٢)

وفي مقابل هذه الصورة الجميلة والمترفة التي وصفها الشعراء في نجران عن هذه البيئة الوادعة والمستقرة ، تظهر صورة أخرى من صور القوة وعدم الاستقرار والحرب وما فيها من آلات وقتال ، فقد كانـت الروح الحربية تسيطر على الحياة في نجران ، فكانوا - لذا - حريصين على اقتناء آلات الحرب وأدوا ـا ؛ من خيولٍ ضامرة ، وسيوف قاطعة ، ورماحٍ قاتلة ، ودروعٍ سابغة ، فحياة الحرب الـتي عاشـوها ، وخبر م بأساليبها وآلا ا ، إضافة إلى الطابع العام لحياة العرب في الجاهلية ، والتي كانت تعتمد علـى القوة والغلبة ، كل هذه الأمور دعتهم إلى الحديث عن الحرب وأدوا ا وآلا ا ، ووصفها وصفًا دقيقًـا برعوا فيه بالتشبيه والتصوير .

فوصفوا من آلات الحرب : الدروع التي تسربلوها ؛ لحمايتهم من ضربات سيوف العدو ورشـق سهامه ، فيصف يزيد بن عبد المدان درعه وصفًا اتسم بالدقة والطرافة ، حيث شـبه رؤوس مسـامير الدرع التي انتظمت فيه بأعين الجراد ، فيقول(٣):

ولســت يشــاوي عليــه دمامــه ... إذا مــا غــدا يغــدو بقــوسٍ وأســهم

ولكنــي أغــدو علــي مفاضــةٌ ... دلاص كأعيــان الجــراد المنظّـــم

ووصف شعراء نجران الخيل - كما مر بنا - التي أعدوها للحرب وصفًا دقيقًا في عدوها ، وكرها وفرها ، وصولتها في ساحات المعارك ، فأضفوا عليها كلّ وصف جميل يرفع من شأ ا ، فهي عظيمـة مرتفعة ، سريعة العدو والحركة ، ضامرة الأحشاء ، يقول الأفوه الأودي(٤):

وقَــد غَــدوت أمــام الحَــي يحملُــني ... والقَضــلتين وســعي محنــق شــيف

مضــبرٍ مثْــلَ ركــن الطــود تحملُــه ... يــدا مهــاة ورجــلا خاضــبٍ يجــف

أغَر أســقف ســامي الطّــرف نظرتــه ... لــين أصــابعه فــي بطنــه هيــف

وفي وفرة حديث شعراء نجران عن خيل الحرب ، يظهر مدى تعلقهم وإعجا م ا ، حتى إ ـم

---

(١) ديوان الأعشى الكبير ، شرح محمد حسين ، ص٢١٥ .

(٢) الدرمك : الدقيق الأبيض من لباب القمح . انظر : لسان العرب ، مادة (درمك) ٤٣٣/١٠ .

النشيل : هو اللحم المنشول من القدر باليد لا بالمغرفة . انظر : لسان العرب ، مادة (نشل) ٦٦٢/١١ .

(٣) شرح أبيات سيبويه ، للسيرافي ٢٦٨/٢ .

(٤) الطرائف الأدبية ، ص٢٠-٢١ .

أسبغوا عليها أوصافًا كثيرة يطول المقام بإيرادها هنا[1].

ووصف شعراء نجران - أيضا - النوق والجمال ، وهما من أبرز حيوانات البيئة العربية ، التي طالما استعملوهما في حلّهم وترحالهم ، وجميع شؤون حيا م الأخرى ، لذا كانت من أعلق الحيوانات لصوقًا بحيا م وذكريا م ، فيصف جعفر بن علبة بعد أن سجن ناقة له وجملاً في دياره كان يركبهما فيبـاري ما أصدقاءه ، فحن إليهما فوصفهما بقوله[2]:

وسـيري مـع الفتيـان كُـل عشـية أبـاري مطايـاهم بصـهباءَ سـيلق
إذَا كَلحت عـن نابهـا مـج شـدقُها لُغامـا كمـج البيضـة المُترقـرق[3]
وأصـهب جـوني كـأن بغامـه تـبغم مطـرودٍ مـن الـوحش مرهـق
برى لحم دفيـه وأدمـى أظلـه أجـ ـتيابي القيـافي سـملقًا بعـد سـملق

كما كان للديار ورسومها وآثار الأحبة الباقية من ذكريات سالفة ، ودمنٍ دارسة تعاقبت عليهـا الرياح السافية ، والأمطار الساقية ، نصيب من شعر الوصف عند شعراء نجران ، فنيار بن عبد العزيـز يذكر ديار محبوبته سلمى ، التي رحلت عنها وخلّفت ورآها هذه الأطلال والذكريات التي جمعتهما معا ، فيصف هذه الديار التي وصل إليها بعد رحلة شاقة أضنتهم ، وأتعبت خيولهم حتى وقفـوا بأطلالهـا ، فيقول[4]:

عرفْـت لسـلْمى رسـم دارٍ وملْعـبٍ عفته السـوافي مـن شـمالٍ وأرنـبِ
قَعـدنا إليهـا الأعوجيـةُ ترتمـي بِفُرسـانِها فـود القَـرين المُجنـبِ
فَلَمـا بلغنـا رأس ميـدانِها الـذي هـو العلَـم الأقْصـى إلى رأسِ أكْثَـبِ
تبـادرت الشـد الجيـاد فَلَـم يكُـن كَطَرفَـة عـينٍ أو كضـربة مقْضـبِ
بعيد طلوع الشـمسِ حتـى رمـى بِهـا وقُلنـا ألا نفْـديك بـالأمِ والأبِ
قُـويرح أعـلامٍ كـأنّ ضـلُوعه صـفَائح مـن قُطْـرٍ ببـابٍ مضـببِ
ويفْـتح كالغـادين في عدوانِـه وشـدقٍ كحجـرِ الذئبـة المُتجـوبِ

ووصف شعراء نجران - كذلك - بعض حالات النفس التي قد تعتريها ؛ من هـم ، وضـيق ، ورهبة ، وتجلّد ، وصبرٍ على المكاره . من ذلك : وصف جعفر بن علبة للسجن ، وما بـه مـن هـم

---

(١) الأغاني ٢٧٦/١٢ ، الطرائف الأدبية ، ص٢٠-٢١ ، منتهى الطلب من أشعار العرب ، لابن المبارك ٣٣٢/٨ ، المفضـليات ، ص٣١٦ ، شرح القصيدة الدامغة ، للهمداني ، ص٢٦١ ، أنساب الخيل في الجاهلية والإسلام وأخبارها ، لابن الكلبي ، ص٩٤ .

(٢) الأغاني ٤٠/١٣ .

(٣) كلحت : كشرت في عبوس .

(٤) شعر قبيلة مذحج في الجاهلية والإسلام ، محمد آل منور ١١٨٢/٣-١١٨٣ .

ورهبة وقيود وأغلال ، وظلام مطبق ، وحارسٍ جلف ، فيقول[1]:

إذَا بــاب دوران تــرنم فــي الــدجى — **وشـــد بـــأغلاقٍ علينـــا وأقْفَـــالِ**
وأظْلَــم ليــلٌ قَــام علــج بِجلْجــلٍ — **يــدور بــه حتــى الصــباح بإعمــالِ**
وحــراس ســوءٍ مــا ينــامون حولــه — **فكيـــف لمظلـــومٍ بحيلـــة محتـــالِ**
ويصــبر فيــه ذُو الشــجاعة والنــدى — **على الذّل للمـأمور والعلْـجِ والـوالي**

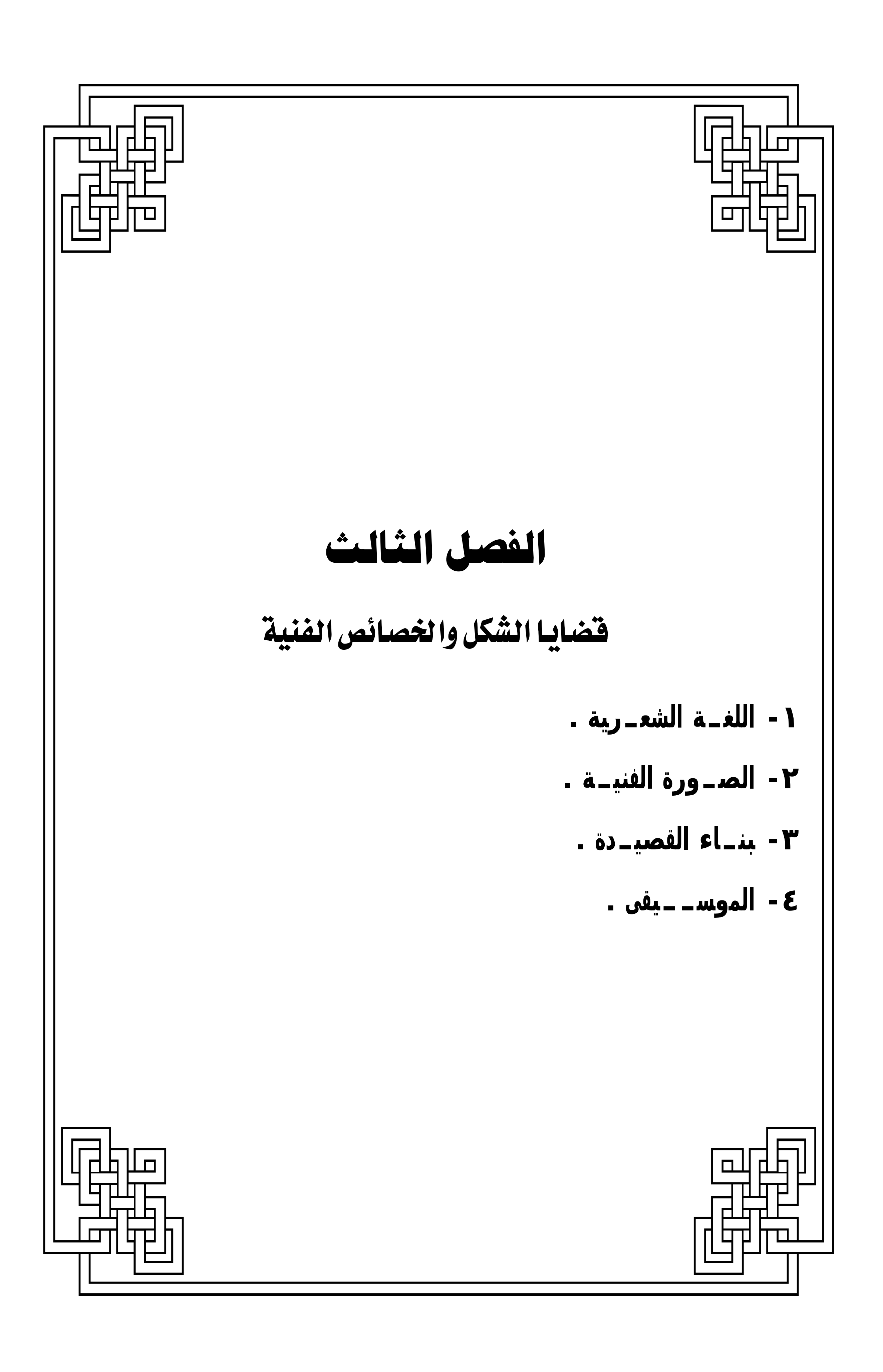
ولم يقف وصف شعراء نجران على ما ذكرت ، بل إ م اتخذوا من كل مكونات الطبيعـة مـادةً لوصفهم ، الذي اتسم بالشمول والدقة في التصوير والعناية بالجزيئات ، وتشبيه مكونات الطبيعة مـن حولهم بعضها ببعض ، واستغلال معرفتهم بخصائص هذه الكائنات وإحاطتهم بصفا ا ؛ لتشبيه غيرهـا ا ، للاستعانة بذلك في توضيح معنى ، أو دقة في الوصف ، ومن ذلك : وصف عبد المدان الحـارثي لدرعه المصقولة من حديد به تعرجات بعضها فوق بعض ، تشبه في تموجها الغدير الرقـراق ، الـذي أثارته ريح الشمال ، يقول[2]:

وزغْــف مــن المــاذي بــيض كأ ــا — **نِهــاءٌ مرتهــا بالعشــيات شــمألُ**

❒ ❒ ❒

---

(١) الأغاني ٣٣/١٣-٣٤ .
(٢) الأغاني ٢٧٦/١٢ .



الفصل الثالث

قضايا الشكل والخصائص الفنية

١- اللغـة الشعـرية .

٢- الصـورة الفنيـة .

٣- بنـاء القصيـدة .

٤- الموسـيقى .

الفصل الثالث

قضايا الشكل والخصائص الفنية

١) اللغـة الشعـرية :

اصطلح كثير من المؤرخين ودارسي اللغة والأدب على رجع اللغات التي ظهرت في جزيرة العرب إلى أصلين : أصل شمالي : يقال للغة التي تعود إليه اللغة العربية الشمالية ، وأصل جنوبي : يقال للغة التي تعود إليه اللغة العربية الجنوبية[١] .

ولا شك أن هذا التقسيم التقليدي للغات العرب إنما جاء مستندا على النظرية العربية الإسـلامية التي ترجع العرب إلى أصلين : أصل عدناني ، وأصل قحطاني[٢] .

كما أكد على صحة هذا التقسيم عثورهم على نقوش قديمة في العربية الجنوبية تحمـل كتابـات عربية تختلف في لغتها وخطها عن العربية الشمالية التي نزل ا القرآن[٣] ، فلذا رسخ في أذها م صـحة هذا التقسيم ، فقسموا لغات العرب إلى هاتين ا موعتين التي تحوي كل منهما العديد من اللـهجات ، وبين هاتين العربيتين - بل ولهجا ما - تباين واختلاف ، ليس في ذلك شك ، حيث نص على كـثير من هذه الفروق والاختلافات كثير من الباحثين القدامى والمحدثين[٤] ، يقول الطبري : " كانت العـرب وإن جمع جميعها اسم أ م عرب ، فهم مختلفو الألسن بالبيان ، متباينو المنطق والكلام "[٥] .

كما تكلم أبناء هذه اللغات بلغا م تلك ، حتى شاعت وعرفت عنهم ؛ يقول أبو عمرو ابن العلاء : " ما لسان حمير وأقاصي اليمن اليوم بلساننا ، ولا عربيتهم بعربيتنا "[٦] .

ولكنني أجد - وأنا أقف على شعر شعراء نجران الذين تعددت وتباينت قبائلهم وأوطا م ، حيث

---

(١) انظر : المفصل في تاريخ العرب ، جواد علي ٦٧٣/٨ .

(٢) انظر : جمهرة أنساب العرب ، لابن حزم ، ص٧ ، وانظر : قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان ، للقلقشندي ، تحقيـق : إبراهيم الأبياري ، ص٣٦ وما بعدها ، تاريخ ابن خلدون ٢٢/١ .

(٣) انظر : نجران منطلق القوافل ، عبد الرحمن الأنصاري ، وانظر : نجران الآثار والتاريخ ، فلاح شيبان ، ص٢٩ ، وانظر : علم الآثار ، جمال عبد الهادي ووفاء محمد رفعت ، ص٥٦ وما بعدها .

(٤) انظر : الخصائص ، لأبي الفتح عثمان بن جني ، تحقيق : محمد علي النجار ، عالم الكتب - بيروت ، د.ت ، ٣٧٠/١ وما بعـدها ، وانظر : الصاحبي ، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، تحقيق : السيد أحمد صقر ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه ، ط٢ ، د.ت ، ص٢٨ وما بعدها ، وانظر : المفصل في تاريخ العرب ، لجواد علي ٥٦٧/٨ وما بعدها ، وانظر : العصر الجاهلي ، شـوقي ضيف ، ص١٢١ وما بعدها .

(٥) تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) ، لمحمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبي جعفر ، دار الفكـر - بـيروت ، ط : ١٤٠٥هـ ، ١١/١ .

(٦) طبقات فحول الشعراء ، لابن سلام الجمحي ١١/١ .

منهم العدناني والقحطاني - لغةً عربيةً واحدة ، هي الفصحى ، التي نزل ا القرآن .

ولا شك أنّ هذا الاتحاد لم يكن خاصا بشعراء نجران وحدهم ، بل بجميـع شـعراء العربيـة في الجاهلية ، حيث لم يعهد عن هذا الشعر الجاهلي عند شعراء نجران وشعراء العربية عامة هذا الاختلاف والتباين بين عربية الشمال وعربية الجنوب ، التي أظهر ا نقوشهم وكتابا م القديمة ، فبرزت من خلال هذه الوحدة اللغوية التي جاء عليها شعر الجاهلية أخطر القضايا التي حاولت نسف الشـعر الجـاهلي وتدميره ، حيث زعم نفر من المحدثين من مستشرقين وعرب أنّ هذا الشعر الذي ينسب لشعراء الجاهلية ، والذي نظم بلغة عربية واحدة هي لغة الشمال التي نزل ا القرآن ، إنما هو شعر زائف منحول ، كان قد نظم في العصور الإسلامية ، ثم نحله هؤلاء الوضاعون المزيفون لشعراء جاهليين ، وكان مـن أبـرز هؤلاء المشككين في صحة الشعر الجاهلي : المستشرق مرجوليوث ، الذي نظر للغة هذا الشـعر عنـد شعراء قبائل الشمال وشعراء قبائل الجنوب ، فلما جاءت أشعارهم بلغة مشتركة - وهي لغة القرآن - بنى شكّه في صحة هذا الشعر ، كما شكك في وجود شعراء في جنوب بلاد العرب[١] .

وسار الدكتور طه حسين على طريقة مرجوليوث في إنكار صحة هذا الشعر الجاهلي[٢] .

وقد فند كثير من الباحثين العرب والمستشرقين هذه المزاعم بما لا يترك للشك مجالاً في صحة هذا الشعر الجاهلي ، وصحة هذه الأشعار المنسوبة إلى القبائل العربية الجنوبية ، فعلى الرغم من وجود هـذا الاختلاف بين لغة عرب الشمال وعرب الجنوب الذي أكّد على صحته الآثار والنقوش الخالدة ، إلا أن هذا الاختلاف كان لا شك في عهد يتقدم ظهور الإسلام بزمن طويل كان قد خف فيه هذا الاختلاف ، وزال منه جانب من الفوارق ، فلم تعد لغة الجنوب بمنأى عن لغة الشمال . ويؤكد صحة هذا الـرأي اتحاد اللغة الجنوبية مع لغة الشمال بعد ظهور الإسلام ، فقد تأثرت القبائل الجنوبية ا ـاورة للقبائـل العدنانية بلغتهم[٣]، وقد نبه على صحة ذلك - أيضاً - النقاد القدامى ؛ يقول ابن سلام نقلاً عـن أبي عمر بن العلاء : " ما لسان حمير وأقاصي اليمن اليوم بلساننا ، ولا عربيتهم بعربيتنا "[٤].

فقد استثنى القبائل الجنوبية التي تخالط القبائل العدنانية وتجاورها ، كقبائل مذحج بفروعها المتعددة ، كبني الحارث بن كعب ، وزبيد ، ومراد ، وجنب ، وسعد العشيرة من هذا الحكم ، وقصد حمير والقبائل التي تسكن في أقاصي اليمن من الداخل ، والتي تخالط حمير وتجاورها وتتأثر بلغتها ، ولا شك أنه قـول

(١) نقلاً عن مصادر الشعر الجاهلي ، ناصر الدين الأسد ، ص٣٥٣ .

(٢) انظر : في الأدب الجاهلي ، طه حسين ، دار المعارف - مصر ، ط٤ ، ص٨٧-٨٨ .

(٣) انظر : نقض كتاب في الشعر الجاهلي ، محمد الخضر ، المكتبة العلمية - بيروت ، د.ت ، ص٧٠ وما بعـدها ، وانظـر : العصـر الجاهلي ، شوقي ضيف ، ص١٢٠ .

(٤) طبقات فحول الشعراء ، لابن سلام الجمحي ١١/١ .

يجب علينا أن نتحفظ في الحكم على عربية أصحا ا واستقامة ألسنتهم .

فلا شك إذن أن شعراء الجنوب وشعراء الشمال كانوا قد نظموا أشعارهم على لغة شمالية واحدة كانت قد تقاربت فيها لهجات قبائل الشمال ، وهي لهجة قريش التي غدت لغتهم الفصحى التي فرضت نفسها بقوة على قبائل الشمال والجنوب ، حتى غدت لغتهم الأدبية الأولى التي نظموا ا أشعارهم على اختلاف أصقاعهم وقبائلهم[1]، لذا خصها الله تعالى بنزول القرآن الكريم عليها حجة ومعجزة لكافـة العرب .

كما كان من أبرز الأدلة على توحيد هذه اللغة : قصة وفود أهل نجران على الرسول ﷺ وحديثه معهم ، فلو كانت اللغتان مختلفتين لَما سهل على الرسول ﷺ فَهم لغتهم ، كما لم يسهل على هـؤلاء القحطانيين فهم لغة الرسول وأصحابه العدنانيين[2]، وفي هذا ما لا يدع مجالاً للشك في عربية شعر قبائل مذحج في الجاهلية والإسلام ، ولذا فحين أستعرض اللغة عند شعراء نجران ، ومنهم - كما أسلفت - العدناني والقحطاني ، فأنا أقصد من هذا التناول طريقة هؤلاء الشعراء في انتخاب مفردا م ، وانتقـاء الألفاظ التي تكونت منها جملهم وعبارا م التي قد يشترك في كثير من صفا ا العديد منهم ، بينما قـد يتفرد ويتميز شاعر منهم بخصوصية ما ، فلن أتوانى وأنا أستعرض هذا كله في الإشادة به من خلال تتبع هذه اللغة الشعرية المكونة من عنصرين :

١- الألفــاظ :

تمتلك الألفاظ المفردة طاقات إيحائية خاصة يمكن - إذا فطن إليها الشاعر ونجح في استغلالها مـن خلال النظم - أن تقوي من إيحاء الوسائل والأدوات الشعرية الأخرى وتثريها[3]، فقد تتقارب الألفاظ من حيث المعنى ، ولكن الشاعر الموفّق هو من يدرك بحسه اللغوي الدقيق أن بعضها أدل من بعـض ، وأقدر على نقل المراد ، فلا يستعمل إلا ما كان منها صالحاً لذلك المقام[4]، ووفق شعراء نجران وبوحي من إدراكهم الفطري لطبيعة لغتهم العربية وأسرارها أن يقعوا على الألفاظ الأكثر ملاءمة لمعانيهم الـتي طرقوها ، حيث لم يكن استخدامهم للألفاظ استخداما يخلو من الانتقاء والاختيار ، فقد عني هـؤلاء الشعراء بانتخاب الألفاظ المكافئة لمعانيهم التي طرقوها ، وهم في ذلك هدفوا لإبراز قيمة هذه الألفـاظ

---

(١) العصر الجاهلي ، شوقي ضيف ، ص١٣٧ .

(٢) انظر : السيرة النبوية ، لابن هشام ٥٠١/٤ ، وانظر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب ١٥٧٨/٤ ، وانظر : الطبقات الكبرى ، لابن سعد ٥٢٨/٥ .

(٣) انظر : دلائل الإعجاز ، للإمام عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني ، تعليق : محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني - القاهرة ودار المدني - جدة ، ط٣ ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م ، ص٣٦٥-٣٨٦-٤٨٨ ، وانظر : عن بناء القصيدة العربية الحديثـة ، علـي عشري زايد ، مكتبة الرشد - الرياض ، ط٤ ، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٣م ، ص٥١ .

(٤) المدينة في العصر الجاهلي ، محمد الخطراوي ، ص٢٢٩ .

وما تقدمه من ظلال إيحائية مهمة للمعنى العام ، ومن خلال استعراض نتاج هؤلاء الشعراء أجد أ ـم تأثروا بعاملين مهمين عند اختيارهم للألفاظ :

أ / البيئـ ـ ـة :

لقد كان للبيئة وما ا من خواص طبيعية واجتماعية دور كبير في ألفاظ هؤلاء الشـعراء ، فقـد تباينت بيئا م التي عاشوا فيها من حواضر وبوادي ، فضلاً عن اتصال بعض منهم ببيئات وحضـارات متعددة ، كالأعشى ، ويزيد بن عبد المدان ، وفرق واضح بين حياة البادية التي يغلب عليها القسـاوة والخشونة وعدم الاستقرار ، وبين حياة الحاضرة التي تتسم بالاستقرار والترف وأسباب المدنية[١] ، فأثرت فأثرت بيئا م هذه على ألفاظهم التي تتسم بالغرابة والحوشية والإغراق في البداوة عند شعراء البادية من (أهل الوبر) الذين لم يألفوا حياة الحواضر أو العيش في القرى (أهل المدر) ، بل ألفوا حيـاة البـداوة وتأثروا بالصحراء وطبيعتها الخشنة التي أثرت في ألفاظهم[٢] ، ومن ذلك قول الأفوه الأودي[٣]:

هـ ـابٍ هبِـ ـل مـ ـدل يعمـ ـلٌ هـ ـزج طَفْطَاْفُـ ـه ذو عفـ ـاء نِقْنِـ ـق جنِـ ـف[٤]

فالأفوه - وهو من أهل البادية - كثرت في شعره هذه الألفاظ الحوشية الغريبة ، التي تحتـاج إلى تنقيب لمعرفة معانيها[٥] .

ومن ذلك أيضا : قول عبد المدان بن الديان[٦]:

وزغْـ ـف مـ ـن المَـ ـاذي بِـ ـيض كأنهـ ـا نِهـ ـاءٌ مرتهـ ـا بالعشـ ـيات شـ ـمألُ[٧]

وكذلك قول الأجدع بن مالك عند مناقضته لدريد بن الصمة[٨]:

وأزيـ ـد المخـ ـلاةَ منـ ـه عنجـ ـدا وشـ ـعيرا ثُـ ـم أُقْفِـ ـت اللـ ـبن[٩]

بينما ترق ألفاظهم وتلين عند من عاش في الحواضر ، كعبد يغوث الحارثي الذي عاش في حاضرة

---

(١) انظر : أصول النقد الأدبي ، أحمد الشائب ، ص١٢٦-١٢٧ .

(٢) انظر : الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه ، يحيى الجبوري ، ص٢٧٤ .

(٣) الطرائف الأدبية ، ص٢١ .

(٤) هاب : بطيء . هبل : ضخم مسن ، طفطافه : الناعم الرطب من النبات ، ذو عفاء : كثرة النبات .

(٥) انظر : الطرائف الأدبية ، ص١٧-٢٠-٢٢ .

(٦) الأغاني للأصفهاني ٢٧٦/١٢ .

(٧) الزغف : الدروع اللينة الواسعة المحكمة أو الدقيقة حسنة السلاسل ، ويقال : درع : زغف وزغفة . لسان العرب ، مادة (زغف) ١٣٥/٩ .
والماذي : المراد ا هنا السلاح ، اء : الغدران ، واحد ا ي - بكسر أوله وفتحه - لسان العرب ، مادة (ي) ٣٤٥/١٥ .

(٨) القصيدة الدامغة ، للهمداني ، ص٢٦٤-٢٦٥ .

(٩) المخلاة : ما يجعل فيه الخلي ، وهو العشب الرطب ، لسان العرب ، مادة (خلا) ٢٤٣/١٤ .
والعنجد : الزبيب . لسان العرب ، مادة (عنجد) ٣١٠/٣ .

نجران المحصنة ، ويتضح هذا في قصيدته التي جاءت بأسلوبٍ سلس رصين لين ، حيث يقول[1]:

ألا لا تلومــانِي كفَــى اللــوم مــا بِيــا — وما لكُمــا فــي اللــومِ نفــع ولا ليــا

فَيــا راكبــاً إمّــا عرضــت فَــبلغن — نــداماي مــن نجــرانَ أنْ لا تلاقيــا

أبــا كــربٍ والأيهمــين كليهمــا — وقيســاً بِــأعلى حضــرموت اليمانِيــا

أقُــولُ وقَــد شــدوا لســانِي بِنِســعةٍ — أمعشــر تــيمٍ أطلقُــوا عــن لســانِيا

أمعشــر تــيمٍ قَــد ملكْــتم فَأســجِحوا — فَإِن أخــاكُم لــم يكُــن مــن بوائيــا

فَــإِنْ تقْتلــوني تقْتلُــوا بِــي ســيدا — وإِنْ تطلقُــوني تحربــوني بِماليــا

أحقــا عبــاد اللهِ أنْ لســت ســامعا — نشــيد الرعــاءِ المُعــزبِين المَتاليــا

فالألفاظ (كفى ، اللوم ، بلغن ، تطلقوني) كلها ألفاظ سهلة واضحة لا غرابة فيها ،

وكذلك عند الشعراء اللاجئين في نجران من أبناء قريش ، الذين ألفوا حياة الحواضـر في مكـة ، فجاء شعرهم بألفاظ واضحة سهلة ، لا غرابة فيها ولا تعقيد ، كقول عبد الله ابن الزبعرى[2]:

منــع الرقــاد بلابِــلٌ وهمــوم — والليــلُ معــتلج الــرواقِ بهــيم

ممــا أتــانِي أن أحمــد لامنِــي — فيــه فَبِــت كــأنني محمــوم

يا خير مــن حملــت علــى أوصــالها — عيرانــةٌ ســرح اليــدينِ غشــوم

إنــي لمعتــذر إليــك مــن الــذي — أسديت إذْ أنــا فــي الضــلالِ أهــيم

أيــام تــأمرنِي بِــأغْوى خطــةٍ — ســهم وتــأمرنِي بِهــا مخــزوم

وأمــد أســباب الــردى ويقــودنِي — أمــر الغــواة وأمــرهم مشــؤوم

فَــاليوم آمــن بِــالنبِي محمــدٍ — قَلْبِــي ومخطــيءُ هــذه محــروم

مضــت العــداوةُ وانقضــت أســبابها — ودعــت أواصــر بيننــا وحلُــوم

فَــاغْفر فــدى لــك والــدي كلاهمــا — زللــي فَإِنــك راحــم مرحــوم

ولقَــد شــهدت بــأن دينــك صــادق — حــق وأنــك فــي العبــاد جسِــيم

واللهُ يشــهد أن أحمــد مصــطفى — مســتقْبلٌ فــي الصــالحين كــريم

قَــرم عــلا بنيانــه مــن هاشــمٍ — فَــرع تمكــن فــي الــذرا وأروم

فالألفاظ (منع ، هموم ، لامني ،معتذر ، تأمرني ، الغواة ، اغفر ، الصالحين ، فرع) سهلة واضحة لا غرابة فيها ،

---

(١) المفضليات ، ص٣١٥-٣١٦-٣١٧-٣١٨ .

(٢) السيرة النبوية ٣٥٤/٤-٣٥٥ ، شعر عبد الله بن الزبعرى ، تحقيق : يحيى الجبوري ، ص٤٥-٤٦ .

على أن بيئة الحواضر والمدن لم يقف تأثيرها على سهولة ووضوح ألفاظ هؤلاء الشعراء فحسب ، بل على النقيض من ذلك ، فقد أعجمت شعر آخرين منهم ، حيث يأتي شعر الأعشى متأثرا بكثير من الألفاظ الأعجمية ، وخاصة الفارسية ؛ التي خالط أهلها وتأثر بلغتهم في كثير من حواضر العالم القديم ، التي كثروا فيها فأثروا بحضار م الوافدة في شعو ا ، وخاصة في بيئة نجران ، التي ألفت مجالسهم الـتي أعدوها للشراب طابعا حضاريا مترفًا فارسي السمات ، يغاير مجالس الأعشى التي ألفها في الحواضـر العربية ، كاليمامة ومكة والطائف ، فينصرف الأعشى بطاقاته الشعرية الجبارة لوصف هـذه ا ـالس الفارسية الطابع ، وما ا من طقوس ثابتة تعارفوا عليها ، تعج بشتى أنواع الجمال واللهو ، من مغـنين ومغنيات ، وآلات طرب ورياحين وشراب ، حيث افتتن الأعشى ذه الحضارة ، فانغمس في محاكـاة أهلها الذين تأثر بعادا م وألفاظهم[1] ، حيث يقول[2]:

وشـــاهدنا الـــورد والياسميــ ـــ ـــ	**ـــ ـــن والمُســــمعات بِقُصـــابِها**
ومزهرنــــــا معمـــــلٌ دائـــــم	**فَـــــأي الثلاثـــــة أزرى بِهــــا**
تــرى الصــنج يبكــي لـــه شــجوه	**مخافَــةَ أنْ ســوف يــدعى بِهــا**
لَهـــم مشـــربات لَهـــا بهجـــةٌ	**تــــروق العيــــونَ بِتعجابِهـــا**

فالمسمعات والياسمين : (نوع من الزهور) ، والصنج : (من آلات الموسـيقى) ، كلـها ألفـاظ فارسية[3] .

كما وردت في أشعار هؤلاء الشعراء ألفاظ دالة على حيا م الدينية ، والتي منها المسيحية ، كمـا جاءت في قول كوز بن علقمة[4]:

إلَيـــك تعـــدو قَلقًـــا وضـــينها	**معترضـــا فـــي بطْنِهـــا جنِينهـــا**

مخالفًــا ديــن النصــارى دينهــا

وكذلك في قول الأعشى[5]:

وكَعبــةُ نجــرانَ حــتم علَيـــ ـــ	**ـــ ـــك حتــى تنــاخي بِأبوابِهــا**
نــزور يزِيــد وعبــد المَسِــيح	**وقَيســـا هـــم خيـــر أربابِهـــا**

فـ (كعبة نجران ، وعبد المسيح) كلها ألفاظ دالة على الديانة المسيحية .

---

(١) انظر : السمات الحضارية في شعر الأعشى ، زينب العمري ، ص٣٤٤-٣٧٠-٣٧١ .

(٢) ديوان الأعشى الكبير ، محمد حسين ، ص١٧٣ .

(٣) السمات الحضارية في شعر الأعشى ، زينب العمري ، ص٣٤٠-٣٤٢ .

(٤) السيرة النبوية ، لابن هشام ، تحقيق : السقا وآخرين ٥١١/٢ .

(٥) ديوان الأعشى الكبير ، محمد حسين ، ص١٧٣ .

أما بعد ظهور الإسلام وانتشاره في نجران ، فتبرز في أشعارهم بعض الألفاظ الإسلامية ، كقـول عبد الحارث بن أنس[1]:

نحـــن بحمـــد الله هامـــةُ مـــذْحج   بنو الحَارث الخَيْـر الـذين هـم مـدر
ونحن على ديـن النبـي نـرى الـذي   نهانا حرامـا منـه والأمـر مـا أمـر

فالألفاظ (حمد الله ، دين النبي ، نهانا حرام) ألفاظ تشع بالمعاني الإسلامية التي استجدت علـى هؤلاء الشعراء .

وكذلك في قول النجاشي[2]:

ســتأتي اليهــوديين حســانَ وابنــه   قصــائد لم يخــتم علــيهن روشــم
لعِــين رســول الله مــا لــك ذمــةً   وما لك مــن ديــن ومــا لــك محــرم
أبــوك أبــو ســوءٍ وعمــك مثْلــه   وخالُــك شــر مــن أبيــك وألأم

فالألفاظ (رسول الله ، والذمة ، والدين ، ومحرم) كلها ألفاظ استجدت على هؤلاء الشعراء بعد الإسـلام ، وإن كان النجاشي - بلا شك - قد أوجدها في شعره لمعان هي أقرب إلى الروح الجاهلية ، حيث لم يراع حرمة حسان رضي الله عنه وحقه في التقدير ؛ لصحبته للرسول ﷺ ، فتعرض له فيها بالهجاء الموجع .

ب/ الغـرض الشـعري :

تختلف ألفاظ الشعراء رقةً وسهولة ، أو قوة وعنفًا ، باختلاف أغراضهم الشعرية ، فإن المفـردات التي يستخدمها الشاعر في غرضٍ معين تختلف عنها في غرض آخر[3]، فالغرض الشعري الذي يقصد إليه الشاعر هو المحرك الأول لانبعاث مجموعة من الألفاظ المناسبة له ، والتي تختلف في صحتها وشرفها ، وقوتها وضعفها باختلاف موضوعها .

قال بشر بن المعتمر[4]: " من أراد معنى كريما فليلتمس له لفظـًا كريمـًا ، فإن حق المعنى الشريف : اللفظ الشريف "[5].

وبتعدد هذه الأغراض الشعرية التي طرقها الشعراء في نجران تتعدد وتتباين ألفاظهم الشعرية رقـةً ولينـًا ، أو قوة وقساوة تبعا لهذه الأغراض[6].

---

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٩٤٣/٣ ، الإصابة في تمييز الصحابة ١٦٠/٤ .
(٢) الأخبار الموفقيات ، ص٢٣٣ .
(٣) انظر : الشعر وأيام العرب ، عفيف عبد الرحمن ، ص٣٣٢-٣٣٣ .
(٤) بشر بن المعتمر البصري ، يكنى بأبي سهل ، كان راوية ، شاعرا ، نسابة .. كان من رؤوس المعتزلة ، وإليه ينسب طائفـة البشـرية منهم ، توفي سنة عشر ومئتين . الوافي بالوفيات ٩٦/١٠-٩٧ .
(٥) البيان والتبيين ، للجاحظ ١٣٦/١ .
(٦) انظر : الشعر الجاهلي (خصائصه وفنونه) ، يحيى الجبوري ، ص٢٧٥ .

ولما كانت موضوعات الحماسة والحرب والفخر من أكثر الموضوعات التي طرقها شعراؤهم في الجاهلية والإسلام ، فقد سيطرت ألفاظ الحرب والقوة والعنف على معجمهم الشعري ، فبرزت في أشعارهم ألفاظ تتصل بالحرب وأدواتها وصفاتها ، كالقتل والموت ، والكر والفر ، والنزال ، والكلوم ، والنصر ، والهزيمة ، والفرار ، والسبي والأسر .. طاغية على شعرهم[١]، فمن ذلك قول عبد المدان بن الديان[٢]:

فيا رب خيلٍ قد هديت بشطبةٍ — يعارضها عبلُ الجُزارة هيكلُ
سبوح إذا جال الحزام كأنه — إذا انجاب عنه النقْع في الخيل أجدلُ
يواغلُ جردا كالقنا حارثيةً — عليها قنانٌ ، والحماس ، وزعبلُ
معاقلُهم في كل يوم كريهة — صدور العوالي والصفيح المُصقلُ
وزغْف من الماذي بيض كأنها — نِهاءٌ مرتها بالعشيات شمألُ
فما ذَر قَرنُ الشمس حتى تلاحقت — فَوارس يهديها عمير ومعقلُ
فجالت على الحي الكلابي جولةً — قَباكرهم ورد من الموت معجلُ
فغادرنَ وبرا تحجِلُ الطير حوله — ونجى طُفَيلاً في العجاجة قُرزلُ
فلم ينج إلا فارس من رجالهم — يخفف ركضا خشيةَ الموت أعزلُ

فالألفاظ (بشطبة ، سبوح ، القنا ، الصفيح المصقل ، الموت ، تحجل ، العجاجة ، أعزل) كلها ألفاظ مستمدة من ساحات المعارك والحروب .

وقول الأفوه الأودي[٣]:

وبروضة السلان منا مشهد — والخيْلُ شاحيةٌ وقد عظُم الثُبي
تحمي الجماجم والأكُف سيوفُنا — ورماحنا بالطّعن تنتظم الكُلى
في موقفٍ ذَربِ الشبا وكأنما — فيه الرجال على الأطائم واللّظى
وكأنما أسلاتهم مهنوأةٌ — بالمُهل من ندبِ الكلوم إذا جرى
عافوا الأتاوةَ واستقت أسلافُهم — حتى ارتووا علَلا بأذنبة الردى

(مشهد ، الخيل ، شاحية ، الجماجم ، سيوفنا ، رماحنا ، الكلى ، الكلوم) .

وكقول مخرم بن حزن[٤]:

---

(١) انظر : شعر قبيلة مذحج في الجاهلية والإسلام ، محمد آل مبارك ٢٨١/١ .
(٢) الأغاني ، للأصفهاني ٢٧٦/١٢ .
(٣) الطرائف الأدبية ، ص٦-٧ .
(٤) معجم الشعراء ، للمرزباني ، ص٤٤٢ .

وخيـــل قــد لبســتهم بخيـــلٍ	**تخـوض المـوت في يـوم عصـيبِ**
ملأنـا الأرض مـن قتلـى نمـيرٍ	**بـرغم كـانَ منـا في القُلـوبِ**
تركنـا فـيهم العقبـان ثُجـلاً	**وقوفـا بـين أضـلاع الجنـوبِ**

(خيل ، تخوض الموت ، قتلى ، العقبان ثجلاً) ، فهذه الألفاظ جاءت مصطبغة بأجواء الحرب وما فيها من شر وبلاء .

بينما تخير هؤلاء الشعراء في موضوعاتهم العاطفية التي منها الغزل ألفاظـًا تتسم بالرقة والسـهولة والعذوبة[(١)] ، فمن ذلك : قول عبد المدان الحارثي[(٢)]:

عفَا من سـليمى بطـن غَـولٍ فَيـذْبلُ	**فَغمـرةُ فَيـف الـريح فالمُتنخـلُ**
ديـار الّـتي صـاد الفُـؤاد دلالُهـا	**وأغرت بِها يوم النـوى حـين ترحـلُ**

فالشاعر اختار من الألفاظ ما يشع بإيحاءات هذا الشوق والحب الذي يعانيه ، وليس إلى وصله من سبيل ، فـ (عفا) توحي ببعد زمن الرحيل وطول فترته ، حتى محيت آثارهم عن هذه الأمكنة ، (صـاد الفؤاد) إصابة الحب له في مقتل لا انفكاك له منه ، (دلالها) تمنعها وتدلّلها وتعلّقـه بـها ، (النـوى) و (ترحل) ألم الفراق وهوله .

وكقول جعفر بن علبة[(٣)]:

أشـارت لنـا بِـالكف وهـي حزينـةٌ	**تودعنـا إذْ لَـم يـودع سـلامها**
وما أنسـى م الأشـياءِ لا أنـس قولَهـا	**وقَـد زلّ عـن غُـر الثنايـا لثَامهـا**
أما من فراقـي اليـوم بـد ولا النـوى	**بِمجتمـع إلا لشـحط لمامهـا**
فَلو كُنـت أبكـي مـن فـراقٍ صـبابةٍ	**لأذْريـت عـيني دمعـةً لا ألامهـا**
ولكـن لي عينـا كتومـا بِمائهـا	**جمـودا بِمـاءِ النـاظرين انسِـجامها**

فالألفاظ (أشارت ، حزينة ، تودعنا ، قولها ، الفراق ، أبكي ، صبابة ، دمعة) كلها ألفاظ رقيقـة توحي بجو الحزن والفراق ، وما فيه من ألمٍ ودموع .

كما ترق ألفاظ عائشة بنت عبد المدان في رثاء ابنيها ، وتقع على الألفاظ الـتي تـوحي بشـدة المصاب في قولها[(٤)]:

---

(١) انظر : الشعر الجاهلي (خصائصه وفنونه) ، يحيى الجبوري ، ص٢٧٥ .
(٢) الأغاني ٢٧٦/١٢ .
(٣) كتاب الأمالي ، لأبي عبد الله اليزيدي ، ص١١٠ .
(٤) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ١٦٠/١ ، الكامل في التاريخ ، لابن الأثير ٢٥١/٣ .

هـا مـن أحـس بـإبني اللـذين همـا كالـدرتين تشـظّي عنـهما الصـدف
هـا مـن أحـس بـإبني اللـذين همـا مخ العظـام فمخـي اليـوم مزدهـف
هـا مـن أحـس بـإبني اللـذين همـا قلبي وسمعي فقلـبي اليـوم مختطَـف
نبئت بسرا ومـا صـدقت مـا زعمـوا من إفكهم ومن القـول الـذي اقترفُـوا
أنحـى علـى ودجـي إبـني مرهفـةً مشـحوذةً وكـذاك الإثمُ يقْتـرف

فقد استخدمت الشاعرة من الألفاظ ما يشع بإيحاءات نفاسة وقيمة هذين المفقودين ، (فالدرتين) توحي بالنفاسة والقيمة الغالية ، والجمال (تشظى عنهما الصدف) صغر سنهما ، وحاجتـهما للعنايـة والرعاية ، وبراء هما من كل إثم ، (السمع ، القلب المختطف) هول المأساة الـتي أصـابت الشـاعرة فخطفت قلبها ، وهو لب العاطفة .

كما لم تخلُ ألفاظ هؤلاء الشعراء من أثر تلك اللهجات العربية التي شاعت بين قبائلهم ، والتي اختصت فيها بعض القبائل بخصائص لهجية ميز م عن غيرهم من القبائل ، فمـن هـذه اللهجات التي برزت في شعرهم : لزوم الألف عند التثنية في جميع الأحـوال الثلاثـة ؛ رفعـا ونصبا وجرا ، وهذه لهجة خاصة ببني الحارث بن كعب ، وقد جاء في القرآن الكريم على لغتهم هذه قولـه تعـالى : ﴿ قَالُوٓاْ إِنْ هَـٰذَٰنِ لَسَـٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ ﴾[1]، وقد صرح كثير من المفسرين والنحاة باختصاص هذه القراءة على لهجة بـني الحارث بن كعب ، فإ م قد شهر عنهم أ م يجعلون التثنية بالألف في كل وجه ، ولا يقلبو ـا لنصبٍ ولا لخفض[2]، فهم يقلبون كل ياء ساكنة إذا انفتح ما قبلها ألفًا[3]، ومن ذلـك قـول هوبر الحارثي[4]:

ألا هلَ أتـى التـيم بـن عبـد منـاءَة على الشـنء فيمـا بيننـا ابـن تمـيم
تـزود منـا بـين أذنـاه طعنـةً دعتـه إلى هـابي التـرابِ عقـيم

حيث جاءت كلمة (أذناه) بالألف على لغة بـني الحـارث بـن كعـب ، وكـان حقهـا لو جاءت على اللغة المشهورة عنـد العـرب أن تكـون باليـاء (أذنيـه) ؛ لأ ـا جـاءت في

(١) سورة طه : الآية (٦٣) .
(٢) انظر : الحجة في القراءات السبع ، الحسين بن أحمد بن خالويه ، تحقيق : عبد العال سالم مكرم ، دار الشروق - بـيروت ، ط٤ ، ١٤٠١هـ ، ٢٤٢/١ ، وانظر : مشكل إعراب القرآن ، مكي بن أبي طالب القيسي ، تحقيق : حاتم صالح الضـامن ، مؤسسـة الرسالة - بيروت ، ط٢ ، ١٤٠٥هـ ، ٤٦٦/٢ .
(٣) الصاحبي ، لأحمد بن فارس ، ص٢٩ .
(٤) غريب الحديث . ابن سلام الهروي ١ / ٣٣٤ – ٣٣٥ .

موضع المجرور بإضافة الظرف قبلها[1].

كما يظهر في لهجة شعراء نجران الجنوبيين اختلاف لهجي آخر عن بقية القبائل ، وهذا الاختلاف هو في صورة الجمع ، من ذلك : قول الأفوه الأودي يصف نصر قبيلته في إحدى معاركهم[2]:

قتلنـــا مــنهم أســلاف صــدقٍ وأبنـــا بالأســـارى والعقيـــب

فقد جاء جمع (أسير) بقوله (أسارى) ، وتجمع عند غيره من العرب (أسرى) ، ويعد هذا صـورة من صور اختلاف الجمع في لهجات العرب[3].

٢- التـــراكيب :

لا تعد الألفاظ في النص الشعري وحدات لغوية منعزلة ، بل متصلة أشد الاتصال في هذا البنـاء التام المكون للجملة والعبارة الشعرية ، ولذا أجد مجموعة من الظواهر التركيبية اللافتة في نتاج هـؤلاء الشعراء تتمثل في استعمالهم للأساليب التركيبية التالية :

أ/ الأساليب الإنشائية الطلبية :

الإنشاء الطلبي هو ما يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب[4]، ولقد شاع هذا الأسلوب عند شعراء نجران ، فترددت في أشعارهم أساليب الإنشاء الطلبي المتعددة وهي الأمر ، والاستفهام ، والنهي ، والنداء ، والتمني .. فجاء أسلوب الأمر في كثير من مطالعهم التي استخدموا فيها أفعالاً مشتقة مـن صيغ التبليغ ، وكأنهم بذلك يبررون إذاعة الخبر ، أو يطلبون من السامع أن يبلغه الناس[5]، كقول يزيد بن عبد المدان[6]:

ألا أبلغـــا همــدانَ والحـــي مـــذْحجا وكنـــدةَ والمـــروفين مـــن آل بـــارقِ
بـــأن ســـليما قضـــها وقضيضـــها ونصـــرا وحيـــي عـــامر في الفيـــالق
أتونـــا بجمـــع يضـــلع الأرض رزه لـــه لجـــب عـــالٍ كصـــلق الصـــواعق

(١) انظر : همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، تحقيق : عبد الحميد هنداوي ، دار المكتبة التوفيقية - مصر ، د.ت ، ١٤٥/١ ، وانظر : مختار الصحاح ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ٩٢/١ ، وانظر : شرح ابن عقيل ، للقاضي بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي الهمداني المصري ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصـرية - بيروت ، ط : ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م ، ٦٠/١ .

(٢) الطرائف الأدبية ، ص٨ .

(٣) انظر : الصاحبي ، لأحمد بن فارس ، ص٣٠ ، وانظر : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، جواد علي ٥٦٨/٨ .

(٤) الإيضاح في علوم البلاغة ، الخطيب القزويني ، تحقيق : بهيج غـزاوي ، دار إحيـاء العلـوم - بـيروت ، ط٤ ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م ، ١٣٠/١ .

(٥) الشعر وأيام العرب في العصر الجاهلي ، عفيف عبد الرحمن ، ص٣٣٤ .

(٦) شرح قصيدة الدامغة ، للهمداني ، ص٢٦١ .

فما وردوا نجـرانَ حـتى بـدت لهـم ... توابـع مـن نجـل الصـريع ولاحـق
ودارت رحانـا واسـتدارت رحـاهم ... ونادت أخـرى جشـموني مواثـق
فكـانوا كشـاءٍ غـاب عنـها رعاتهـا ... مروعـةٍ بـالجو مـن نعـق نـاعق
وكُنـا إذا مـا عـامر دلفَـت لنـا ... بنجـرانَ لم ننظُـر لهـا ضـوءَ شـارق

وقول يزيد بن مخرم[١]:

ألا أبلـغ بـني همـدان عـني ... رسـالةَ ماجـد واري الزنـاد
بـأن شـويعرا مـنكم أتـاني ... لـه قـولٌ يقـال بـلا سـداد
يسـامي معشـرا كثـروا وعـزوا ... وغـارات كمرسـلة الجـراد
فلسـت بقائـل هجـرا ولكـن ... سـتعلم أي مـردات تـرادى

فالشاعر يبدأ حديثه بـ(ألا) الاستفتاحية ؛ لإثارة الانتباه لما سيذكر ، ثم يعقـب هـذه الأداة بأسلوب الأمر (أبلغ) ، وفي جمعه بين هذين الأسلوبين يظهر مدى خطورة هذه الرسالة التي أراد تبليغها ، وهي هجاء أحد شعراء همدان له ، واستهانة هذا (الشويعر) - كما أطلق عليه يزيد محقرا من شأنه - به حتى عاداه ، واستجلب بذلك الشر والوعيد بالهجاء له ولقبيلته همدان ، التي أعلن الشاعر (يزيد) مـا سيلحقهم من وعيد وهجاء .

ومن الأساليب الطلبية الأخرى التي استخدموها : الاستفهام ، الذي جاء لأغراض متعددة ، منها : طلب التصديق ، كما في قول جعفر بن علبة[٢]:

أحقـا عبـاد الله أنْ لسـت رائيـا ... صـحاري نجـدٍ والريـاح الـذواريا

فالشاعر - بعد أن عظم لديه المصاب ، وأيقن بدنو أجله - راح يتساءل في هولٍ وعدم تصديق ، فصور هذا الإنكار بصيغة الاستفهام الذي اختار له الهمزة ، وهي كما في عرف البلاغيين يستفهم بها لطلب التصديق والتصور ، [٣] وقد أراد بها طلب التصديق كما هو مفهوم من السياق .

كما جاء الاستفهام في قول النجاشي في معرض مهاجاته مع عبد الرحمن بن حسان وحسـان ، مفيدا التقرير والتحقير من شأنهم[٤]:

وهـلْ أنـتم إلا كأبنـاءِ نهشـلٍ ... وآل فُقَـيم قُتلـوا ومجـا شـع
بـذنبِ سـويد وهـو مـن آل دارم ... لزيـد بـن عبـد اللهِ والأمـر جـامع

(١) معجم الشعراء ، للمرزباني ، ص٤٤٢ .
(٢) الأغاني ٣٤/١٣-٣٥ .
(٣) البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني) ، فضل حسن عباس ، دار الفرقان للنشر والتوزيع - عمان ، ط٧ ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م ، ص١٧٤ .
(٤) الأخبار الموفقيات ، للزبير بن بكار ، ص٢٣٦ .

في حين يتخذ هوبر من هذا الاستفهام وسيلةً لتقرير وتأكيد شجاعته وقومـه في الحـروب ، حيث يقول[1]:

ألا هلَ أتـى التـيم بـن عبـد منـاة	**على الشـنء فيمـا بيننـا ابـن تمـيم**
بمصـرعنا النعمـانَ يـوم تألبـت	**علينـا تمـيم مـن شـظى وصـميم**

فهوبر يبدأ قوله بـ (ألا) الاستفتاحية ، التي من شأ ا تشويق السامع واستثارة انتباهه لما سـيرد عليه من حديث ، ثم عقب ذلك بأسلوب الاستفهام الذي اختار له الأداة (هل) ، وهي - كما ذكـر البلاغيون - لطلب التصديق[2]، فاستخدمها الشاعر لإقرار هؤلاء الأعداء واعترافهم بصدق شجاعته في الحرب ، كما أن في هذا الإقرار من هؤلاء الأعداء على وجه الخصوص وسيلةً صادقة لإذاعة الأخبـار عن بطولا م في المعارك ، وانتصارهم على تميم وقتلهم للنعمان ، وهو يريد إيصال هذه الحقيقة للنـاس وتثبيتها عن طريق هذا الاستفهام التقريري[3].

بينما يجمع يزيد بن مخرم بين أداتين من أدوات الاستفهام في قوله[4]:

ألم تعلمـوا علمـا يقينـا بـأنني	**أخـو ثقـةٍ يشـقي بـه مـن يحاربـه**
وكم مـن كمـي قـد تركـت مجـدلا	**تنـوح وتبكـي معـولاتٍ قرائبـه**
وكم من أسـيرٍ قـد فككـت وعائـلٍ	**جبـرت وقـد أعيـت عليـه مذاهبـه**

فلقد جاء ذا الخطاب الاستفهامي المكثف والمنوع أسلوبيا ، والمقترن بمزيجٍ من المثل العليا للدلالة على تأكيد علمهم بشجاعته ، ومعروفه وكرمه الذي اشتهر به بين الناس .

كما استخدموا صيغ الأمر في مخاطبتهم للآخرين ، وكثيرا ما جمعوا بين أسلوب الأمر والأساليب الطلبية الأخرى ، فجمعوا بين الأمر والاستفهام التقريري ؛ وذلك للتأكيد على قو م وتذكير أعدائهم ذه القوة التي وجدوها منهم عند حر م ، فشهدوا ا قبل غيرهم ، ومن ذلك قول الأفوه الأودي[5]:

فسـائلْ جمعنـا عنـا وعنـهم	**غـداةَ السـيل بالأسـلِ الطويـل**
ألم نتـرك سـرا َم عيـامى	**جثومـ ًا تحـت أرجـاء الـذيول**
تبكّيهـا الأرامـل بالمـآلي	**بـدارات الصـفائح والنصـيل**
وقـد مـرت كُمـاةُ الحـرب منـا	**علـى مـاءِ الدفينـة والحَجيـل**

---

(١) غريب الحديث لابن سلام الهروي ١ / ٣٣٤ .

(٢) البلاغة فنو ا وأفنا ا (علم المعاني) ، فضل حسن عباس ، ص١٨٥ .

(٣) المرجع السابق ، ص٢٠٠ .

(٤) معجم الشعراء ، للمرزباني ، ص٤٨٠ .

(٥) الطرائف الأدبية ، للميمني ، ص٢٣ .

وكذلك قول الطفيل بن يزيد[1]:

سـائلْ بفيـف الـريح عنـا عـامرا	هـل بـات ذا سـهر بطعنـة مسـهر

فالطفيل يطلب من كل مشكك في قو م في الحرب أن يسأل عامر بن الطفيل عنهم وعن حقيقة الطعنة التي أرداه فيها مسهر في عينه ، فإصابتهم لعامر هي من أصدق الحجج على قو م في الحـرب ، وشدة بلائهم على العدو ، الذي لا مفر له من الإقرار ذه القوة التي قهرته وأصابته إصابة بالغة شاهدة للعيان على صدقهم .

كما جمعوا بين النداء و الأمر والنهي ، كقول يزيد بن عبد المدان مخاطبـًا قيس بن عاصم[2]:

يا قيس أرسل أسـيرا مـن بـني جشـمٍ	إني بِكُـلّ الـذّي تـأتي بـه جـازي
لا تـأمن الـدهر أن تشـجى بغصـته	فـاختر لنفسِـك إحمـادي وإعـزازي
فافكُكْ أخا منقـر عنـه وقُـلْ حسـنا	فيمـا سـئلت وعقّبـه بإنجّـاز

فيزيد سيد نجران وفارسها في الحروب ، رأس بني الحارث بن كعب جمرة مـذحج وعمادهـا ، يعرف قدره وقدر قبيلته بين العرب ، ولشعوره ذا العلو وهذه المكانة الرفيعة يستعمل في أسلوبه عنـد مخاطبته للآخرين أسلوب الأمر والنهي ، فكلمته مطاعة مجابة .

كما استعملوا أسلوب التمني ، كقول الخطيم المحرزي[3]:

ألا ليـت شـعري هـلْ أبِيـتن ليلـةً	بِأعلى بلـى ذي السـلامِ وذي السـدر
وهلْ أهبطن روض القَطـا غَـير خـائفٍ	وهلْ أصبحن الدهر وسطَ بنِـي صـخر
وهـلْ أسـمعن يومـا بكـاءَ حمامــةٍ	تنادي حماما في ذُرى تنضـبٍ خضـر
وهـلْ أريـن يومـا جِيـادي أقُودهـا	بِـذَات الشـقوق أو بِأنقائهـا العفْـر
وهـلْ تقْطَعـن الخَـرق بِـي عيدهيـةٌ	نجـاةٌ مـن العيـدي تمـرح للزجـر

فالخطيم يتمنى المبيت - ولو ليلة واحدة - في دياره البعيدة عن نجران ، ثم عـدل عـن الـتمني بـ (ليت) باستعمال أداة الاستفهام (هل) ، وهي في الأصل وضعت للاستفهام وطلب التصديق ، إلا أن الشاعر خرج ا عن هذا الأصل ؛ لغاية بلاغية أخرى هي التمني[4]، وهو الغرض الذي لف هذه الأبيات من بدايتها ، و السر البلاغي في عدوله عن التمني إلى الاستفهام بـ (هل) هو شدة رغبته في حصول هذه الأمنيات التي حالت قيود السجن دون تحقيقها ، أو كما يقول علماء البلاغـة : إبـراز

---

(١) نشوة الطرب ٢٣٩/١ .

(٢) الأغاني ، للأصفهاني ٢٧٤/١٢-٢٧٥ .

(٣) منتهى الطلب من أشعار العرب ، لابن المبارك ٢٤٨/٣-٢٤٩ ، أشعار اللصوص وأخبارهم ، عبد المعين ملوحي ، ص٦١ .

(٤) البلاغة فنو ا وأفنا ا ، فضل حسن عباس ، ص١٦٢ .

المتمنى لكمال العناية به في صورة الممكن ، وفي تكراره لهذه الأداة ست مرات على التوالي ما يوحي بعظم معاناته واغترابه وشدة رغبته في الخروج من الحبس ، والانطـلاق إلى أرض ذي السـلام وذي السدر لتحقيق هذه الأمنيات التي تاقت لها نفسه المثقلة بألم الغربة والحنين .

ومن هؤلاء الشعراء من يضيق به المقام ، وتعز عليه الدنيا عند دنو أجله ، فيحشد في شعره أساليب متعددة من الإنشاء الطلبي في دعوة أخيرة لتحقيق ما يريده فيها ، كقول عبد يغـوث الحـارثي[1]:

ألا لا تلومـاني كفَـى اللـوم مـا بيـا ... وما لكمـا فـي اللـوم نفـع ولا ليـا

فيـا راكبـا إمـا عرضـت فبلغن ... نـداماي مـن نجـرانَ أنْ لا تلاقيـا

فعبد يغوث ينهى من كانا يلومانه ويشمتان به عند أسره عن هذا اللوم الذي لا نفع منه مع مـا يرون من أسره وبلائه ، ثم يعقب هذا النهي بأسلوب إنشائي آخر هو النداء الذي خصه بحرف اليـاء ، وهي كما ذكرها البلاغيون لنداء البعيد ، وهو يوجه هذا النداء لآسريه ، وهم مع قربهم منه في المكان ، إلا أنه خصهم بنداء البعيد ؛ لإحساسه ببعدهم عنه ، ولغربته بينهم ، فنزلهم منزلة البعيد ، وطلب منهم أن يبلغوا متى ما مروا بدياره نديميه أن لا لقاء بينهم بعد اليوم .

ب/ الأسـاليب الخـبرية :

وهي الجمل الفعلية والاسمية ، وزاوجوا بينهما كثيرا ، حيث كثر استخدامهم للجمل الفعليـة في تصوير معاركهم الحربية وبطولاتهم في ساحاتها ؛ لأن الفعل حدث وحركة وزمـن ، فانتشـار هـذه الأفعال الحركية في شعرهم جاء تعبيرا صادقًا فيه دلالة على قوتهم وسيطرتهم على جوانب المعارك الـتي يخوضونها ، ويظهر ذلك في قول عبد المدان بن الديان[2]:

فما ذَر قَرنُ الشـمس حـتى تلاحقـت ... فـوارس يهـديها عميـر ومعقـلُ

فجالت علـى الحـي الكلابـي جولـةً ... فبـاكرهم ورد مـن المـوت معجـلُ

فغـادرنَ وبـرا تحجِـلُ الطـير حولـه ... ونجـى طُفَـيلاً في العجاجـة فُـرزلُ

فلـم يـنج إلا فـارس مـن رجـالهم ... يخفف ركضـا خشـيةَ المـوت أعـزلُ

فالتركيبات الفعلية (جالت ، باكرهم ، غادرن ، تحجل ، نجى ، يخفف) جميعها أفعال توحي بجو المعركة التي تضج بالحركة والاحتدام بين الفريقين ، في حين دل التركيب (ذر قرن الشمس) على دقـة تحديد وقت المعركة ببزوغ طلوع الشمس .

---

(١) المفضليات ، ص٣١٥ .

(٢) الأغاني ، للأصفهاني ٢٧٦/١٢ .

ومن ذلك أيضا : قول الديان بن قطن في وصف إحدى معاركهم[1]:

صبحنا تغلبا وسراةَ بكر ... بداهيةٍ يشيب لهَا الوليد
نخاوي يترك الأحزانَ قاعا ... لها في الشمس ما اتلقَت وقُود
كأن كُماَ ـا بزلٌ تخطى ... بأوساقٍ وقابلها سعود
فَأردينا سراةً ليس تحُصى ... لهَا فيهم إذَا حسِبت عديد
فَطاروا عن تهامتنا شعاعا ... وفلهم بحيثُ جرى شريد

فقد جاءت هذه الأفعال (صبحنا ، يشيب ، يترك ، تخطى ، أردينا ، فطاروا) دالة على وقت المعركة ، وكثرة الأعداد ، وكثرة الحركة في ساحة المعركة ، كما أوحت هذه الأفعال بإيحاءا ا المتعددة بجو الكر والفر ، والإقبال والإدبار ، في حين ألح هؤلاء الشعراء في استخدامهم لضمير الجمع المتصل والمنفصل (صبحنا ، أردينا ، امتنا) ، وذلك نابع من إحساسهم بعصبيتهم القبلية ، وبأ م شعراء القبيلة ، الناطقون بلسا ا .

أما استخدامهم لضمير المتكلم المفرد فيأتي لإبراز دور الفارس الشاعر في المعركة ، وتسجيلاً لحضوره القيم في أحداثها ، ومن ذلك : قول مسهر بن يزيد[2]:

وهصت بخرص الرمح مقْلة عامر ... فأضحى بخيصا في الفوارس أعورا
وغادر فينا رمحه وسلاحه ... وأدبر يدعو في الهوالك جعفرا
وكنا إذا قيسية دهيت بنا ... جرى دمعها من عينها فتحدرا
مخافةَ ما لاقت حليلةُ عامر ... من الشر إذ سربالُها قَد تعفرا

فقد استخدم الشاعر في حديثة عن المعركة أسلوب المتكلم لإبراز دوره في هذه المعركة (وهصت) ، فيأتي هذا التركيب الأسلوبي نتيجة لثقة الشاعر بنفسه وبما يقدمه لقبيلته ، فهو وإن كان جزءًا من هذا الكيان ، إلا أنه ذُو دورٍ كبير فيه ، ولإحساسه الذي لا ينفك بقيمة هذا الانتماء الكبير يرجع إليه فيعود إلى صيغة ضمير الجمع (فينا ، بنا) .

وقد يزاوج هؤلاء الشعراء بين الأساليب الإنشائية والخبرية ؛ ليأتي موافقًا لمرادهم ، من ذلك : قول المحجل بن حزن[3]:

يا مي لا تستنكري تحويلي ... ووضحا أوفى على خصيلي
فإن نعت القَرس الرجيل ... يكملُ بالغرة والتحجيل

فقد جاء البيت الأول أسلوبا طلبيا ينهى فيه صاحبته عن استنكار وضحه

(١) شرح قصيدة الدامغة ، للهمداني ، ص٢٦٧ .

(٢) العقد الفريد ، لابن عبد ربه ٢٢٢/٥ .

(٣) البرصان والعرجان والعميان والحولان ، للجاحظ ، تحقيق : محمد مرسي الخولي ، ص٢١ .

(البرص الذي أصابه) ، ثم قدم لها في البيت الثاني حقيقةً جاءت على الأسلوب الخبري الذي قدم فيه تعليلاً منطقيا ربط فيه تمام كماله الذي لا يعيبه هذا الوضح ، كما لا يعيب البياض غرة الفرس ، بل هي من مقومات جماله .

وكذلك يزاوج قس بن ساعدة بين هذه الأساليب الطلبية والخبرية حين يعجزه الصمت وهو يقف على قبري صديقَين له قد ماتا ، فيسأل ويجيب في محاولة منه لعدم تصديق هذا الرحيل الأبدي لهما[1]:

خليلي هبا طالما قد رقدتما	**أجدكما لا تقضيان كراكما**
أرى النوم بين الجلد والعظم منكما	**كأن الذي يسقي العقار سقاكما**
أمن طول نوم لا تجيبان داعيا	**خليلي ماهذا الذي قد دهاكما**
ألم تعلما أني بنجران مفْرد	**ومالي فيه من حبيبٍ سواكما**
مقيم على قبريكما لست بارحا	**إياب الليالي أو يجيب صداكما**
أأبكيكما طولَ الحياة وما الَّذي	**يرد على ذي لوعةٍ أنَ بكاكما**
فلو جعلت نفس لنفسٍ وقايةً	**لجدت بنفسي أنَ تكونَ فداكما**
كأنكما والموت أقرب غائبٍ	**بروحي في قبريكما قد أتاكما**

جـ – التكرار :

يعد من الوسائل اللغوية التي يمكن أن تؤدي في القصيدة دورا تعبيريا واضحا ، فتكرار لفظة ما ، أو عبارة ما ، يوحي بشكلٍ أولي بسيطرة هذا العنصر المكرر ، وإلحاحه على فكر الشاعر ، أو شعوره أو لا شعوره ، ومن ثَم فهو لا يفتأ ينبثق في أفق رؤياه من لحظة لأخرى[2]، فضلاً عما يقدمه هذا التكرار من وظيفة موسيقية في القصيدة ، فإن لترداد بعض الحروف أو الكلمات ما يكسب الشطر لونا من الموسيقى تستريح له الآذان وتقبل عليه[3]، وقد نبه ابن رشيق إلى أن للتكرار مواضع يحسن فيها ، وأخرى يقبح فيها ، فمن هذه المواضع التي يحسن تكرارها : ما جاء على سبيل التنويه والإشادة في المدح ، والتعظيم للمحكي عنه ، أو التشوق في الغزل ، أو التوجع في الرثاء[4].. فمن التكرار في المدح : قول أمية بن أبي الصلت في مدح بني الديان[5]:

---

(١) البداية والنهاية ٢٣٥/١ ، خزانة الأدب ، للبغدادي ٧١/١-٧٢ ، قس بن ساعدة الإيادي (حياته - خطبه - شعره) ، أحمد الربيعي ، ص ٣٩٦ .

(٢) عن بناء القصيدة العربية الحديثة ، علي عشري زايد ، ص٥٨ .

(٣) موسيقى الشعر ، إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية - مصر ، ط٤ ، ١٩٦٥م ، ص٤١ .

(٤) انظر : العمدة ، لابن رشيق ٧٤/٢-٧٧ .

(٥) أمية بن أبي الصلت ، بهجة عبد الغفور ، ص٣١٠ ، ديوان أمية بن أبي الصلت ، سجيع الجبيلي ، ص١٤٦-١٤٧ .

ولقد رأيت القائلين وفعلهم ... فرأيت أكرمهم بني الديان
ورأيت من عبد المدان خلائقًا ... فضل الأنام بهن عبد مدان
البر يلبس بالشهاد طعامه ... لا ما يعللنا بنو جدعان

ففي تكرار اسم الممدوح (عبد المدان) تعظيم له ، وتفخيم من شأنه .

وكذلك قول دريد بن الصمة يمدح يزيد بن عبد المدان[(١)]:

مدحت يزيد بن عبد المدانْ ... فأكرم به من فتى ممتدح
إذا المدح زانَ فتى معشر ... فإن يزيد يزين المدح
حللت به دون أصحابه ... فأورى زنادي لما قدح
ورد النساءَ بأطهارها ... ولو كان غير يزيد فضح
وفكَّ الرجالَ وكُلُّ امرئٍ ... إذا أصلح اللهُ يوما صلح
وقُلت له بعد عتق النسا ... وفكّ الرجال ورد اللقح

فقد كرر الشاعر اسم الممدوح (يزيد) تنويها به ، وإشارةً بذكره ، وإشادةً بفعله ، وتفخيما له في القلوب والأسماع ، وثناءً وعرفانا بفضله وقدره .

ومثل ذلك أيضا قول الأعشى في مدح سادة نجران[(٢)]:

أيا سيدي نجرانَ لا أوصينكُما ... بنجرانَ فيما نابها واعتراكُما
فإنْ تفْعلا خيرا وترتديا به ... فإنكما أهلٌ لذَاك كلاكُما
وإنْ تكْفيا نجران أمر عظيمةٍ ... فقبلكُما ما سادها أبواكما
وإنْ أجلبت صهيونُ يوما عليكُما ... فإن رحى الحَرب الدكوك رحاكُما

فقد كرر اسم ديار الممدوحين (نجران) ؛ إشادةً وتعظيما لشأنها ، وهي التي كان يفد إليها في كلّ عام ، فيعيش فيها في عز ورخاء ، ويسير منها في أمن وغناء .

وكذلك قول جعفر بن علبة[(٣)]:

ألا لا أبالي بعد يومٍ بسحبلٍ ... إذا لم أعذب أن يجيء حماميا
تركت بأعلى سحبلٍ ومضيقه ... مراق دمٍ لا يبرح الدهر ثاويا

---

(١) الأغاني ٢٦٦/١٠ ، ديوان دريد بن الصمة ، تحقيق : عمر عبد الرسول ، ص٥١-٥٢ ، دريد بن الصمة (حياته وشعره) ، مناحي القثامي ، ص٥١ .

(٢) المرجع السابق ، ص٢٦٣ .

(٣) الأغاني ٣٤/١٣ ، حماسة أبي تمام ، تحقيق : عسيلان ٢٠٨/١ ، معاهد التنصيص ، ص٦٠ .

كـأنّ بنـي القـرعـاء يـوم لقيـتهم ... فـراخ القطـا لاقـين صـقرا يمانيـا
فـإن يقْـرى سـحبلٍ لأمـارة ... ونضـح دمـاءٍ منـهم ومحابيـا

فقد كرر كلمة (سحبل) تعظيما لوقع هذا اليوم على الأعداء ، وتخليدا لعزة نصره الذي شفى فيه غليله منهم .

ومن التكرار في موضوع الغزل : قول جبر بن الأسود[1]:

أجـدك لـم تعـرف أثـافي دمنـةٍ ... مـررت علـى أطلالهـا لا تعـرج
ليـالي ليلـى لا تـزالُ كأنهـا ... هميج بـذي الـدثين غـراءُ غـوهج
تذكر ا مـن بعـد مـا حـالَ دونهـا ... من النـأي طلـح بالحجـاز وعوسـج
فإني بليلـى جيـر أنْ تسـعف النـوى ... ومن دونهـا غـولُ البطـاح فمـنعج

فقد كرر اسم محبوبته (ليلى) على سبيل التشوق والاستعذاب من جراء هذا التكرار الذي ش له نفسه ، وتطرب حين ذكراه .

ومن التكرار في الرثاء وتصوير الفجيعة : قول عائشة بنت عبد المدان[2]:

هـا مـن أحـس بـإبني اللـذين همـا ... كالـدرتين تشـظّي عنـهما الصـدف
هـا مـن أحـس بـإبني اللـذين همـا ... مخ العظـام فمخـي اليـوم مزدهـف
هـا مـن أحـس بـإبني اللـذين همـا ... قلبي وسمعي فقلـبي اليـوم مختطـف
نبئت بسرا ومـا صـدقت مـا زعمـوا ... من إفكهم ومن القـول الـذي اقترفُـوا
أنحـى علـي ودجـي إبـني مرهفـةً ... مشـحوذةً وكـذاك الإثمُ يقْتـرف

فقد كررت الشطر الأول من البيت الأول ثلاث مرات ، وفي هذا التكرار ما يوحي بعظم الرزية وجلل المصاب الذي رزئت به ، وكثيرا ما نجد في شعر الرثاء مثل هذا النوع مـن التكـرار ؛ لمكـان الفجيعة وشدة القرحة التي يجدها المتفجع الذي يشغله المصاب عن الابتكار والتفكر في المعاني[3] .

د – الأسـلوب القصصـي :

في هذا الأسلوب تظهر روح القصة ؛ من حدث ، وشخصيات ، وحوار .. ويمكن أن نـتلمس هذه العناصر من خلال قول عتبة بن بجير[4]:

---

(١) منتهى الطلب من أشعار العرب ، لابن المبارك ٣٣٥/٨-٣٣٦ .

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ١٦٠/١ ، الكامل في التاريخ ٢٥١/٣ .

(٣) انظر : العمدة ، لابن رشيق ٧٦/٢ .

(٤) ديوان الحماسة بشرح التبريزي ٥٨/٤ وما بعدها ، وبتحقيق : عسيلان ٢٤٥/٢-٢٤٦ .

ومســتنبحٍ بــات الصــدى يســتتيهه **إلى كُل صوتٍ فَهو في الرحـل جـانِح**
فَقُلْــت لأهلــي مــا بغــام مطيــةٍ **وســار أضــافَته الكــلاب النــوابِح**
فَقَـالُوا غَرِيــب طَـارق طَوحـت بِـه **متـونُ الفَيـافي والخُطُـوب الطـوائح**
فَقُمت ولَم أجـثم مكَـانِي ولَـم تقُـم **مع النفْس عـلات البخيـل القَواضـح**
ونادیــت شــبلاً فَاســتجاب وربمــا **ضمنا قـرى عشـر لمـن لا نصـافح**
فَقَــام أبــو ضــيفٍ كَــرِيمٍ كَأنــه **وقَد جد مـن فَـرط الفُكَاهـة مـازح**
إلى جِـذْمِ مـالٍ قَـد نهكْنـا سـوامه **وأعراضــنا فیــه بــواقٍ صــحائح**
جعلْنــاه دونَ الــذم حتــى كَأنــه **إذَا عــد مــالُ المُكْثــرِين المَنــائح**
لَنــا حمــد أربــابِ المــئين ولا يــرى **إلَــى بيتنــا مــالٌ مــع الليــل رائــح**

فالشاعر يتحدث في هذه (القصيدة - القصة) عن ضيف مستنبح ، أضله صدى الصوت لـيلاً ، فسمع بجير وهو (أبو الأضياف) - كما رأى أن يسمي نفسه - رغاء ناقة هذا الساري التائه ، وسمـع نباح كلاب الحي التي تعودت استضافة هؤلاء الأضياف ، فسأل بجير أهله عن الصوت ، فقالوا : سارٍ غريب طوحت به الصحراء ، فينهض بجير للقائه ونجدته ، ولم تقعده معاذير البخيل والشحيح ، ونادى ابنه شبلاً ، فلبى الابن النداء ، فالكرم سجية فيهما ، وربما أكرما من يعاديان ، فينهض أبو الأضـياف متهللاً لينحر من نوقه الباقيات التي أفنى كثيرا منها في كرمه الذي به صون لعرضه ، وثناء لكرمه ، على الرغم من الخصاصة والقلة ، وهذا غاية الكرم ، فيقـري أبـو الأضـياف هـذا السـاري التائـه . ولا شك أن هذا الحوار المتفاعل بين الشاعر وأهل بيته في هذه القصة الشيقة التي أبدع الشاعر في رصد أحداثها ورسم شخصيا ا يوحي إلى مشاركتهم له في كرمه ، وأن هذه السجية طبع توارثوه ، ولـيس بجديد عليهم .

أما في وصف المعركة ، وتصوير بطولة الشاعر فيتخذ شعراء نجران في أسلو م القصصي الإطناب ، ورصد الأحداث ، والحوار المكثف الذي يشعرنا بجو المعركة ، ومن ذلك قول جعفر بن علبة[1]:

وســائلةٍ عنــا بغيــب وســائلٍ **بمصــدقنا في الحــرب كيــف نحــاول**
يقُــولُ العقَيليــونَ إذْ لحقُــوا بِنــا **ســترجع مقرونــا بأحــدى الرواحــل**
عشــيةَ قُــرى ســحبلٍ إذْ تعطّفَــت **علينــا الســرايا والعــدو المُباســلُ**
فَفَــرج عنــا االلهُ مرحــى عــدونا **وضــرب ببِــيضِ المشــرفية خابِــل**
إذا ما قَـرى هـام الـرؤوس اعترامهـا **تعاورهــا منــهم أكُــف وكَاهــلُ**

(١) الأغاني ٣٥/١٣-٣٦ ، حماسة أبي تمام ، تحقيق : عسيلان ٦٣/١ .

إذا ما رصدنا مرصدا فرجت لنا ... بأيماننا بيض جلتها الصياقلُ
ولما أبوا إلا المُضي وقد رأوا ... بأنْ ليس منا خشيةَ الموت ناكل
حلفْت يميناً برةً لم أرد بها ... مقالةَ تسميع ولا قولَ باطل
ليختضبن من الهُندواني منهم ... معاقد يخشاها الطبيب المزاولُ
وقالوا لنا : ثنتان لا بد منهما ... صدور رماحٍ أشرعت أو سلاسلُ
فقلنا لهم : تلكُم إذًا بعد كرةٍ ... تغادر صرعى نهضها متخاذلُ
وتأبى نفوسٍ في حياةٍ زهيدةٍ ... إذا اشتجر الخَطي والموت نازلُ
نراجعهم في قالةٍ بدؤوا بها ... كما راجع الخصم البذي المُناقلُ
ولم ندر إن جِضنا من الموت جيضةً ... كم العمر باقٍ والمدى متطاولُ
لهم صدر سيفي يوم بطحاءَ سحبلٍ ... ولي منه ما ضمت عليه الأناملُ

فجعفر يفخر بشجاعته وشجاعة قومه ، فيقدم دليلاً على هذه الشجاعة ، فيقص بدقة قصة أحداث يوم سحبل لكل سائلة وسائل ، فيوجه حديثه للنساء قبل الرجال ، ولعله أراد من ذلك إظهار شجاعته وانتقامه لمن فضح لديهن لما مثّل به العقيليون ، وربما كان ذلك لكلفه وتعلقه بالنساء ، فوجه الحديث إليهن قبل الرجال ، فيبدأ في رصد أحداث هذا اليوم من خلال هذا الحوار المتفاعل والمتنامي بينه وبين بني عقيل وتهديدهم له بتقييده ، فتثور حماسته ، فيحتدم معهم بالقتال الذي لا يعرف فيه الفرار ولا الهزيمة ، فكلما رصدوا له مرصدا نجا منهم بشجاعة وجسارة ليس فيها خوف ، ولكنها على حذر من تفاقم المعركة وخروجها عن السيطرة بين الحيين ، إلا أنه لما رأى منهم المضي فيها - وكان حريصا على السلم دون الحرب - حلف يمينًا برة بإسعارها والمضي في إهلاكهم فيها ، فترتفع أصوات بني عقيل فيها : ثنتان لا بد لنا منهما ؛ إما أسركم ، أو قتلكم . وترتفع في الطرف الآخر من المعركة أصوات جعفر وصحبه ويردون بأن هذا محال عليهم ، فهم لا يهابون الموت في إزاء الأسر والحياة الزهيدة فيه ، فيعمل جعفر سيفه فيهم ، ويقسمه فيهم شر قسمة ، فله منه ما ضمت أنامله ، ولهم منه صدره المسلط على أجسامهم .

كما اشتملت تركيبات شعراء نجران على أساليب أخرى لا تقلّ أهمية عما أسلفنا ؛ منها : الطباق والمقابلة ، فهما فضلاً عما تكسبه من جرس موسيقي للقول الشعري ، إلا أنهما جاءتا في أشعارهم متصلة بالمعنى أكثر من اتصالهما باللفظ ، فوقعتا في أشعارهم حسنة غير مكرهة ولا مجبرة للصنعة المتكلفة ، بل جاءتا للتعبير عن تجربة فنية يقتضيها التركيب ، ومن ذلك : قول عمرو بن مالك الحارثي[1]:

---

(١) حماسة البحتري ، ص١٩٩ .

الحرص للـنفْس فَقْـر والقُنـوع غـنى   **والقُوت إنْ قَنِعـت بـالقوت مجزيهـا**
والنفْس لَو أن ما في الأرض حيـز لَهـا   **ما كَـانَ إنْ هـي لَـم تقْنـع يكَافيهـا**

فقد قابل بين (فقر ، وغنى) ، وهما ضدان معروفان لا يجتمعان ، كما لا يجتمع في المرء الحـرص الشديد - الذي هو شدة التقتير على النفس - مع القناعة .

بينما يتضح جمال المقابلة في قول يزيد بن عبد المدان[1]:

تمـالا علـى النعمـان قـوم إلـيهم   **مـ ـوارده في ملكـ ـه ومصـ ـادره**
علـى غـير ذنـبٍ كـانَ منـه إلـيهم   **سوى أنـه جـادت علـيهم مـواطره**
فباعـدهم مـن كـل شـر يخافُـه   **وقَـربهم مـن كـل خـير يبـادره**

حيث جاءت المقابلة في البيت الثالث لتبرز أخلاق الملك النعمان ، التي أظهرت عطفه وكرمه مع هؤلاء القوم ، الذين جاءوا على نقيضه بذمه والنقص منه .

ومن أساليبهم التركيبية : التفصيل بعد الإجمال ، حيث يجمل الشاعر في الشطر الأول للتشـويق والإثارة ، ثم يعقب ذلك بالشرح والتوضيح ، ومن ذلك : قول جعفر بن علبة[2]:

نقاسـمهم أسـيافَنا شـر قسـمةٍ   **فَفينـا غَواشـيها وفـيهم صـدورها**

كما يتفرد جعفر بن علبة في استخدامه لأدوات الربط بمزية خاصة تدلّ على شاعريته المتمكنـة ، تظهر في قوله[3]:

لا يكْشـف الغمـاءَ إلا ابـن حـرةٍ   **يـرى غَمـرات المـوت ثُـم يزورهـا**

حيث عطف بـ(ثُم) بين رؤيته لغمرات الموت وزيارته وخوضه لها ، وثم هنا لا تفيد التراخـي الزمني ، وهو معناها الذي ذكره النحاة ، بل خرجت إلى معنى دقيقٍ دل عليه السياق ، حيث لو قلت : إن (ثُم) هنا تفيد التباعد الزمني ، لكان ذلك إفسادا للمعنى ؛ لأنه يعني أنه يزور الغمـرات ويخـوض الحروب بعد رؤيتها بزمن متراخٍ ، وكأنه متردد في ذلك ، وهذه ليست أوصاف الشجاع الباسل ، وإنما (ثُم) هنا للاستبعاد ، أي الإشارة إلى أنّ خوض الغمرات وزيار ا بعد رؤية أهوالها أمر بعيد إلا على هذه القلوب الجسورة[4].

---

(١) الأغاني ٢٧٢/١٢-٢٧٣ .
(٢) ديوان حماسة أبي تمام بشرح التبريزي ٢٥/١ ، الحماسة البصرية ٤٦/١ .
(٣) ديوان حماسة أبي تمام بشرح التبريزي ٢٥/١ ، الحماسة البصرية ٤٦/١ .
(٤) التصوير البياني ، محمد أبو موسى ، مكتبة وهبة - القاهرة ، ط٣ ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م ، ص٢٨ .

٢) الصـورة الفنيـة :

الصورة الفنية تعد سمة من سمات العمل الأدبي ، وركيزة أساسية من ركائز بناء القصيدة الشعرية ، فلا يخلو الشعر من التصوير ، وإلا فَقَدَ أهم مقوماته ، فالصورة الفنية للقصيدة هي جوهر البناء فيهـا ، ودلالة من أدلة براعة الشاعر في استخدام مفردات اللغة وتراكيبها المختلفة[١] .

ومصطلح الصورة الفنية يعد من المصطلحات النقدية التي دار حولها كثير من الجدل ، فقد اختلفت نظرة الدراسات النقدية المعاصرة إلى أصالة مصطلحها ، فرأى قسم منها أن الصورة الفنيـة مصـطلح حديث نشأ بتأثير النقد الغربي ومصطلحاته في نقدنا العربي الحديث[٢] .

بينما رأى قسم آخر منصف أن المصطلح حديث بدلالاته الجديدة ، وأبرزها الدلالـة النفسـية ، ولكنه قديم في أصله وجوهر حقيقته ، فالشعر قائم على التصوير منذ القدم ، فيلزم أن يكـون النقـاد القدماء قد عرفوا الصورة فتناولوها وأولوها عنايتهم[٣] .

وفي موروثنا النقدي القديم ما يثبت أن نقادنا القدامى كانوا من أوائل من حفلـوا بالصـورة في الشعر ، فأولوها عنايتهم ، وعالجوا كثيرا من قضاياها ؛ لأ ا ركيزة الشعر وجوهر بنائـه ، فليسـت الصورة الفنية في ذا ا شيئًا جديدا ليس لهم به علم ، بل إ ا قديمة قدم الإبداع الإنساني نفسـه ، فقـد يتغير مفهومها أو نظرة الناس إليها بتغير أزما م وثقافا م ، إلا أن جوهرها وحقيقتها التي تـبرز لنـا ا ردات في صور محسوسة من خلال أدوات اللغة بألفاظها الحقيقية وا ازية ودلالا ا المختلفة ، ومـا تلقيه من خلال تراكيبها من إيحاءات وظلال لمعان عدة هي ما جعلوه المعول عليه في الشعر[٤] . وتحدث كثير من نقادنا عن الصورة ، ولكنني سأكتفي باستعراض كلام ناقدين من كبار نقادنا القدامى :

يقول الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) : وهو من أوائل النقاد العرب الذين التفتوا إلى مفهـوم الصـورة ومهمتها الجمالية ، ودورها المهم بالنسبة للمضمون ، " فإنما الشعر صناعة ، وضرب مـن النسـج ، وجنس من التصوير "[٥] .

---

(١) انظر : الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ، جـابر عصـفور ، المركـز الثقـافي العـربي - بـيروت ، ط٣ ، ١٩٩٢م ، ص٨ وما بعدها .

(٢) انظر : الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث ، نصرت عبد الرحمن ، مكتبة الأقصى - عمـان ، ط : ١٩٧٦م ، ص٨ ، وانظر : الصورة الأدبية ، مصطفى ناصف ، مكتبة مصر - القاهرة ، ط١ ، ١٩٥٨م ، ص٨ .

(٣) انظر : الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ، جابر عصفور ، ص٩ .

(٤) انظر : التصوير البياني في شعر عدي بن الرقاع العاملي ، رسالة ماجستير في البلاغة والنقد ، مريم عواض الحارثي ، جامعة أم القرى - كلية اللغة العربية ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م ، ص٢٢ .

(٥) الحيوان ، للجاحظ ١٣٢/٣ .

كما تحدث الإمام عبد القاهر الجرجاني عن التصوير ، فبسط القول في الصورة مفهوما واصطلاحا ، فقال : " اعلم أن قولنا (الصورة) إنما هو تمثيل قياس لما نعلمه بعقولنا على الذي نراه بأبصارنا ، فلما رأينا البينونة بين آحاد الأجناس تكون من جهة الصورة ، فكان تبيين إنسان من إنسان ، وفرس من فرس بخصوصية تكون في صورة هذا لا تكون في صورة ذاك ، وكذلك كان الأمر في المصنوعات ، فكان تبيين خاتم من خاتم ، وسوار من سوار بذلك ، ثم وجدنا بين المعنى في أحد البيتين وبينه في الآخر بينونة في عقولنا وفرقًا ، عبرنا عن ذلك الفرق وتلك البينونة بأن قلنا للمعنى في هذا صورة غير صورته في ذلك . وليست العبارة في ذلك بالصورة شيئًا نحن ابتدأناه فينكره منكر ، بل هو مستعمل مشهور في كلام العلماء ، ويكفيك قول الجاحظ : وإنما الشعر صناعة وضرب من التصوير "[١] .

فعبد القاهر الجرجاني - وهو ناقد ذو حس نقدي مرهف وأصيل - يقدم من خلال نظره الثاقب والعميق ماهية الصورة ، فيبين لنا بالبراهين التي جهد لإيضاحها وتحليلها أن الصورة هي الشكل الذي تتشكل فيه المعاني ، سواء كانت حقيقية أم مجازية ، حيث إن تصوير المعاني عنده يعني أن يصوغها الأديب وينظمها ويشكلها على هيئات معينة ، هي أساس التفاضل والتمايز .

والحق أن عبد القاهر الجرجاني يعد من أكثر نقادنا القدامى الذين تناولوا قضية الصورة تناولاً ذا فهم عميق ، فبسطوا فيها القول مفهوما واصطلاحا .

ثم اتسع مفهوم الصورة الفنية وتطور في العصر الحديث بتطور العلوم وكثرتها ، فتناولها كثير من النقاد والدارسين ، فتعددت تعريفاتهم لها ، إلا أنهم لم يتفقوا على تعريف محدد لهذه الصورة ؛ وذلك لطبيعة الفنون الأدبية غير الخاضعة للحصر ، ولاختلاف ثقافة الأدباء والنقاد ، وتباين اتجاهاتهم الفكرية ، ولذلك فقد تعددت وتنوعت التعريفات ؛ لتحديد مفهوم هذه الصورة[٢] ، فمن هذه التعريفات ما ذكره الزيات بقوله : " والمراد بالصورة : إبراز المعنى العقلي - أو الحسي - في صورة محسة ، وهي خلق المعنى والأفكار المجردة ، أو الواقع الخارجي - من خلال النفس - خلقًا جديدا "[٣] .

ويعرفها علي صبح بقوله : " هي التركيب القائم على الإصابة في التنسيق الفني الحي لوسائل التعبير التي ينتقيها وجود الشاعر - أعني خواطره ومشاعره وعواطفه - المطلق من عالم المحسات ؛ ليكشف عن حقيقة المشهد أو المعنى في إطارٍ قوي نامٍ محس مؤثّر ، على نحوٍ يوقظ الخواطر والمشاعر عند الآخرين "[٤] .

---

(١) دلائل الإعجاز ، للإمام الجرجاني ، ص٥٠٨ .

(٢) انظر : الصورة الفنية في الشعر الإسلامي عند المرأة العربية في العصر الحديث ، صالح الخضيري ، مكتبة التوبة - الرياض ، ط١ ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م ، ص١٥ .

(٣) دفاع عن البلاغة ، أحمد حسن الزيات ، عالم الكتب - القاهرة ، ط٢ ، ١٩٦٧م ، ص٦٢-٦٣ .

(٤) البناء الفني للصورة الأدبية في الشعر ، علي علي صبح ، المكتبة الأزهرية للتراث - القاهرة ، ط : ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م ، ص١١ .

وأرى أن من أفضل وأجمع التعريفات التي قدمها المحدثون ما ذكره عبد القادر القط ، الذي جمـع في تعريفه هذا مكونات الصورة كما جاءت عند القدماء ، ومكونا ا كما جاءت عند أكثر المحدثين ، حيث يعرفها على أ ا : " الشكل الفني الذي تتخذه الألفاظ والعبارات بعد أن ينظمها الشاعر في سياق بياني خاص ؛ ليعبر عن جانبٍ من جوانب التجربة الكاملة في القصيدة ، مسـتخدما طاقـات اللغـة وإمكانيا ا في الدلالة والتركيب والإيقاع ، والحقيقة وا از ، والترادف والتضاد ، والمقابلة والتجانس ، وغيرها من وسائل التعبير الفني "(١) .

فالشعر تصوير مادته المعاني المحسوسة التي تفيض بالحركة والحياة ؛ لذا فهو ينفر من ا ـردات ، ويرتاح إلى التشبيه والاستعارة والتمثيل (الصور الجزئية) ، فهي أدواته التي ندرك من خلالهـا الصـور المتعددة للحواس ؛ من نظرية ، وسمعية ، وشمية ، ولمسية ، وذوقية ومتحركة ، والتي لا يحفل ا بذا ا ، بل حين تتتابع وتتماسك في دلالات فنية كلية ، فالصورة الجزئية القائمة على التشبيه ، أو الاستعارة ، أو الكناية ، أو غيرها من أشكال التصوير ، قد تعطي بذا ا حسا جماليـًا حين تجسـم المعقـولات ، لكنها - لا شك - تخبط في إعطاء الحس البنائي المتكامل ، والذي لا يمكن أن يتحقق لها إلا من خلال تآزر الصور ودخولها معا في علاقات ووشائج بنائية متعددة تضفي بظلها النهائي على القصيدة(٢) .

وفي بيئة نجران أبدع الشعراء في رسم لوحات فنية متكاملة صورت هذه البيئـة بكافـة أنماطهـا الزمانية والمكانية ، والطبيعية المتحركة والساكنة ، فقد سيطرت هذه البيئة على صورهم التي اسـتمدوا فيها من كل ما وقعت عليه حواسهم مادةً لتشبيها م وصورهم ، التي تعددت بتعدد المدركات الحسية ، فقد رصدوا من خلال هذه الحواس المختلفة كثيرا من مظاهر الطبيعة والحياة ، فجاءت صورهم الفنيـة لوحات متكاملة تعيد لنا خلق هذه الأجواء وهذه الطبيعة التي عاشوها ، وتأتي البيئة الطبيعية وما فيهـا من كائنات ساكنة أو متحركة في مقدمة لوحا م الفنية التي رسموها ، فلم يخرج شعراء نجران كغيرهم من شعراء العربية عن سلطان البيئة ودوره المهيمن على نظمهم ، وبخاصة صورهم الفنية التي اتكـأت كثيرا على طبيعة بيئتهم وما ا من حيوان أو نبات ألفوه فيها .

فالأفوه الأودي يقدم لوحة فنية رائعة لهذه البيئة من خلال تصويرها وتعانق عناصر هذا التصوير ؛ من زمانية ومكانية ، وحركية ، وصوتية ، ولونية ، حيث يصف مطرا أصا م فامتد من المساء إلى وقت الضحى ، فيقول(٣):

---

(١) الاتجاه الوجداني في الشعر المعاصر ، عبد القادر القط ، مكتبة الشباب ، ط : ١٩٧٨م ، ص٤٣٥ .

(٢) انظر : النقد الجمالي وأثره في النقد العربي ، روز غريب ، دار العلم للملايين - بيروت ، ط : ١٩٥٢م ، ص٩٥-٩٦ .

(٣) الطرائف الأدبية ، ص٩ .

أَـه هيـدب دانٍ ورعـد ولُجـةٌ وبـرق تـراه سـاطعا يتـبلج[1]

فَباتـت كـلاب الحـي ينـبحن مزنـه وأضحت بنات الماء فيهـا تمعـج[2]

فقد صور - ببراعة - هذه البيئة التي نكاد نرى أبعادها المتمثلة في زمانها (الذي تساقط المطر فيـه من ليل مظلم امتد حتى وقت الضحى) ، ومكانية (من سماء مليئة بالغيوم الممطرة ، ولمعان البرق والرعد ، وأرض مليئة بسكان الحي وكلابهم ، وضفادع رتعت في مساقط هذا المطـر) ، وحركيـة تجلـت في (ضجيج الكلاب ونباحهم ، وحركة الضفادع في الماء ، وهطول الأمطار ، وتحرك المـزن والغيـوم ، ووميض البرق والرعد ، وحركة أهل الحي) ، والصوتية في (صوت الأمطار والرعد ، ونباح الكلاب ، ونقيق الضفادع) ، ولونية (وميض البرق ، لون الأرض ، الليل ، لون الناس و الكلاب والضفادع).

كما أطلق جندل بن المثنى حواسه في هذه البيئة التي رأى في صحرائها الواسعة سـرابا ، فشـبهه بالقطن الحسن في أيدي الغزل[3]:

كأنـه بالصحصـحان الأنجـل قُطْـن سـخام بأيـادي غُـزل

وقد أكثروا من تشبيه الدروع اللامعة المتعرجة بصفحة الغدير اللامع المتعرج ، ومن ذلك تشـبيه عبد المدان الحارثي درعه اللينة الواسعة ، وما عليها من حديد متعرج متجعد بعضه فوق بعض بالغـدير الرقراق الذي يعلو بعضه بعضا في تعرجات وتجعدات من أثر ريح الشمال التي مرت به ، فيقول[4]:

وزغْـف مـن الماذي بـيض كأنهـا نِهـاءٌ مرتهـا بالعشـيات شـمألُ

فقد قدم صورة لونية شكلية استمدها من بيئته وضحت لنا لونَ هذه الدرع وشكلها المتموج .

أما جبر بن المعاوي فيقدم صورةً أخرى لهذا الدرع ، استمدها من بيئته كشأن أغلب الشـعراء ، إلا أنه أضفى عليها حاسته الفنية المرهفة ودقته في التصوير ، حيث قال[5]:

وأبـيض فَضـفاض كنهـي تبسـمت له تحت ذَيل الصبح في القاع نيـرج[6]

فالشاعر يقدم صورةً دقيقة وخاصة لهذا الدرع ، فهو يشبهه في صفائه ولمعان حديـده وتجعـده الواسع بعضه فوق بعض بسطح صفحة الغدير الرقراق عند الصباح الباكر ، وخص سطح الغدير هنـا

---

(١) الهيدب : هو السحاب يقترب من الأرض فيتدلى ويدنو منها . انظر : لسان العرب ، مادة (هدب) ٧٨٠/١ .

(٢) تمعج : تتقلب فيه يمينا وشمالاً . انظر : لسان العرب ، مادة (معج) ٣٦٨/٢ .

(٣) لسان العرب ، مادة (غزل) ٤٩١/١١ .

(٤) الأغاني ٢٧٦/١٢ .

(٥) منتهى الطلب من أشعار العرب ، لابن المبارك ٣٣٨/٨ .

(٦) نيرج : الحركة التي لا تردد . انظر : لسان العرب ، مادة (نرج) ٣٧٦/٢ .

بوقت الصباح الباكر ؛ لما فيه من مزية خاصة أرادها لهذا المشبه - الدرع - ، حيث يكـون سـطح الغدير في هذا الوقت هادئًا وادعا ساكنا قليل التجعدات ، واضح اللمعان ، وهي الصفة الخاصة الـتي أرادها لوصفه لمعان درعه ، ولا شك أ ا لقطة دقيقة وذكية لا يوفق لها من الشعراء إلا من كان ذا نظرٍ ثاقبٍ لماح ، وخيالٍ خصب .

واستمد يزيد بن عبد المدان من بيئته البدوية مادة لتشبيهاته ، فقد رسم للحرب لوحة متكاملة تعج بالحركة والأصوات ، حيث شبه جيوش العدو وما تحدثه من أصوات عالية وضجيج أثناء تقدمها نحوهم بأصوات الصواعق ، كما شبه شدة الحرب واحتدامها وسحقها لمن بداخلها بالرحى التي تدور فتطحن كلّ ما بداخلها ، و شبه أعداءه في المعركة - وقت ا زامهم من ساحة الحرب في ذلة وذعر - بالشـاة التي تاهت في صحراء فقدت فيها راعيها وحاميها ، فهي في ذعرٍ وخوف من كل صوت تسمعه ؛ مخافة النهب والافتراس(١):

أتونـــا بجمـــعٍ يضـــلع الأرض رزة	**لـــه لجـــب عـــالٍ كصـــلق الصـــواعق**
ودارت رحانـــا واســـتدارت رحـــاهم	**ونـاديـــت أخـــرى جشـــموني مواثـــق**
فكـــانوا كشـــاةٍ غـــاب عنـــها رعاتهـــا	**مروعـــةٍ بـــالجو مـــن نعـــق نـــاعق**

كما تأتي الحيوانات التي ألفوها في بيئتهم كذلك في مقدمة مشاهد البيئة التي تأثروا ا ، فعقـدوا عليها كثيرا من صورهم ، فقد شبهوا بالأسود والنعام ، فهذا الأفوه الأودي يصور معركة وقعت بـين قومه - وفيهم بنو كعب بن أود - مع بني عامر بن صعصعة ، فيظهر لقومه الشجاعة ، حيث شـبههم بالآساد الشجاعة ، وشبه بني عامر عند ا زامهم بالنعام ، وهما حيوانٌ وطائر من البيئة ، فيقول(٢):

ألا يـــا لهـــف لـــو شـــدت قنـــاتي	**قَبائـــلُ عـــامر يـــوم الصـــبيب**
غَـــداةَ تجمعـــت كعـــب إلينـــا	**جلائـــب بـــين أبنـــاء الحَريـــب**
فلمـــا أن رأونـــا فـــي وغاهـــا	**كآســـاد العرينـــة والحجيـــب**
تـــداعوا ثُـــم مـــالُوا فـــي ذُراهـــا	**كفعـــل معانـــتٍ أمـــن الرجيـــب**
وطـــاروا كالنعـــام بـــبطن قـــو	**مواءلـــةً علـــى حـــذر الرقيـــب**

فالصورة الكلية هنا وضحت شجاعة الأفوه وقومه ، وذلة بني عامر وجبنهم ، فقومه شـجعان ، فهم في شجاعتهم كالآساد ، وليست أي آساد ، بل هي الآساد المتحفزة والمتوثبة حول عرينها ، فهي تستميت حوله للدفاع عنه ، فتبدو في شجاعة وجسارة وإقدام زائد عن المألوف منها مـن شـجاعة

(١) شرح قصيدة الدامغة ، للهمداني ، ص٢٦١ .

(٢) الطرائف الأدبية ، ص٨ .

شهرتها ، كما بالغ في تصوير أعدائهم ووصفهم بالذلّ والجبن والانهزام ، فاختار لهم من طير البيئة ما شهر بالخوف والفرق مما يخشاه ، حتى إنه من شدة خوفه قد يدفن رأسه في التراب إذا ما أعجزه الفرار ، فشبههم بالنعام في خوفهم وعدوهم الملتفت يمنة ويسرة ؛ حذرا من اللحاق والهلاك ، وتعد هذه الصورة الكلية لوحة فنية قدم الأفوه من خلالها صورة هذه المعركة ، وحركة قومه وأعدائهم الذين تداعوا فيها ، ثم طاروا بخفة وسرعة مخافة الهلاك فيها .

كما اتخذوا - كذلك - من الجمال صورةً استمدوا منها تشبيهاتهم ، فيشبه الديان الحارثي مشية فرسان قومه الكُماة بمشية الجمال الشابة القوية التي تسير في قوة وثبات ، وتحمل فوق ظهورها أوساق الطعام ، فيقول(١):

صبحنا تغلبا وسراةَ بكر بداهيةٍ يشيب لها الوليد

كأن كُماتَنا بُزلٌ تخطّى بأوساقٍ وقَابلُها سعود

ومن هذه الصور المستقاة كذلك من كائنات البيئة : استعمال الجراد في تصويرهم ، ومن ذلك قول يزيد بن عبد المدان في تصوير درعه البراق الذي صقلته مسامير منتظمة كأنها أعين الجراد(٢):

ولكنني أغدو علي مفاضةٌ دلاص كأعيان الجراد المنظّم

فقد قدم الشاعر صورة رائعة دلّت على براعة الملاحظة ودقّة التصوير في الجمع بين الأشياء المتباعدة ، حيث شبه رؤوس مسامير الدرع التي أحكمت صناعتها فانتظمت فيها رؤوس متعددة لهذه المسامير بعيون الجراد .

وكذلك شبه عبد يغوث الحارثي كثرة جيش العدو وانتشاره بجماعة الجراد ، فيقول(٣):

وعاديةٍ سوم الجراد وزعتها بكفي وقد أنحوا علي العواليا

فالصورة توضح - بجلاء - كثرة هذه العادية وهذه الكتيبة المقاتلة ، وانتشارها وحركتها السريعة المهلكة لكل ما أتت عليه في طريقها ، فهي كجماعات الجراد المنتشرة والمهلكة في طريقها لكل ما أتت عليه .

ولطبيعة بيئة نجران التي شهدت أرضها الكثير من الحروب والمعارك ، فقد تأثر شعراؤها بهذه الظروف البيئية ، حيث سيطرت الصور الحربية على أخيلة شعرائها ، فقد قدموا صورا متعددة لهذه الحروب التي عاشوا تفاصيلها ، فأمعنوا في وصف صورة المعركة ورسم بداياتها وأحداثها المتلاحقة ،

---

(١) شرح قصيدة الدامغة ، للهمداني ، ص٢٦٧ .

(٢) شرح أبيات سيبويه ، للسيرافي ٢٦٨/٢ .

(٣) المفضليات ، ص٣١٩ .

وما تسفر عنه من نصرٍ أو هلاك ، فرسموا للحرب لوحات متكاملة تصور قعقعة السيوف والرمـاح ، وعدو الخيل والرجال ، وجثث القتلى ، وأنات الثكالى ، فهذا الأفوه الأودي يصور عظم جيش العدو الذي اتجه إليهم في إحدى المعارك ، فيقول[١]:

إذ عـــابنوا بالخَبْـــت رجراجـــة	**تمشـي ازدلافـا كـازدلاف العـروس**

فهو يقدم من خلال هذا البيت صورة كاملة لمشهد هذا الجيش العظيم الذي تباطأت خطواتـه ، فسارت - لكثرة أعداده - بشكل بطيء متهاد تكثر فيه الأصوات والمشاهد الحركية والصوتية ؛ مـن حركة الفرسان والخيول ، وأصوات المقاتلين ، وأصوات أدواتهم التي يحملونها ، ويشـبهها بـازدلاف العروس وسيرها المتباطئ بين أصوات الدفوف والمزاهر ، وضجيج النساء من حولها ، ولا شك أنّ هذه الصورة دلّت على براعة الشاعر في تسجيل هذه الصورة الكلية التي جمعت أطرافها من متباعدين أشـد البعد ، فهي صورة مركبة ذات جانبين ؛ جانب تبرز فيه صورة الجيش العظيم الكثير العدد والعتـاد ، الذي يمشي في تباطؤ وصخب ، وضجيج يثير الرعب والهلاك لناظريه من الأعداء ، وهـذه الصـورة يقابلها في الطرف الآخر صورة العروس التي تمشي في خيلاء وتباطؤ بين صخب النساء وأصوات المزاهر ، وجموع النساء وضحكات المهنين ، وقد جمع الشاعر في براعة بين هاتين الصورتين المتباعدتين اللتين لا يمكن أن يلمح وجه الشبه بينهما إلا لذي الخيال البعيد ، ولا شك أن هذه الصورة الفريدة التي قـدمها الأفوه - والتي جمعت في عناصرها المتلاحمة الحركة والصوت واللون - تعد من أكثر الصور براعةً ؛ لأن الشاعر قرنَ فيها بين صورتين ، بينهما كثير من التباعد .

ويقدم عبد المدان بن الديان لوحةً متكاملة للحرب ، فيقول[٢]:

فما ذَر قَرنُ الشـمس حـتى تلاحقـت	**فَـــوارس يهـــديها عميـــر ومعقـــلُ**
فجالت علـى الحـي الكلابِـي جولـةً	**فَبـاكرهم ورد مـن المـوت معجـلُ**
فغـادرنَ وبـرا تحجِـلُ الطـير حولـه	**ونجـى طُفَـيلاً في العجاجـة فُـرزلُ**
فلـم يـنج إلا فَـارس مـن رجـالهم	**يخفف ركضـا خشـيةَ المـوت أعـزلُ**

ويتضح جمال هذه الصورة في دقتها ، فالصورة توضح عناصر هذه اللوحة ، فزمانها وقت إشراق الشمس في الصباح الباكر (فما ذر قرن الشمس) ، ومكانها (ساحة الحي الكلابي) ، كما أن الصـورة وضحت الحركة - حركة الفرسان - في المعركة ؛ من مباغتة ، وعدو ، وتعجيل ، وهروب ، وعجاجة أحدثتها إثارة الأرض تحت أقدام المتحاربين ، واقتيات الطيور على جثث القتلى ، وتحليقها ونزولها على

---

(١) الطرائف الأدبية ، ص١٧ .

(٢) الأغاني ٢٧٦/١٢ .

هذه الجثث التي وقعت في ساحة المعركة ، وما يصاحب هذه الحركة المستمرة من صـوت وضـجيجٍ وصياحٍ ونداء ، كما نقلت لنا اللون (لون إشراق الشمس عند بدء المعركة ، ولمعان السيوف ، ولـون الحرب الدامي الذي صبغ الجثث بلون الدم) .

وقد قدم شعراء نجران صورا دقيقة لنهايات الحرب التي تفردوا فيها بالقوة والشجاعة والنصـر ، حيث تركوا أعداءهم صرعى تعج م ساحة المعركة ، وتقتات م طيور الصحراء ، فمن ذلك قـول الأفوه ، فيقول[1]:

وتـــرى الطـــير علـــى آثارنـــا رأي عـــينٍ ثقـــةً أنْ ســـتمار

فقدم الأفوه في هذا البيت صورةً رائعة لشجاعته وقومه ، وكثرة قتلاهم ، فالطير قريبـة منـهم ، سائرة على آثارهم ؛ لتوقعها الفريسة على أيديهم ، فهي واثقة من تتبعها لهم أ ا ستمتار الطعام مـن جثث قتلاهم .

وقد أشاد الجرجاني وغيره من النقاد ببراعة وابتكار الأفوه الأودي لهذا المعنى وهذه الصورة الـتي تجمع بين صورة الجيش المقاتل وتتبع الطير له ، والتي طرقها بعده كثير من الشعراء ، حيث أخذ النابغة الذبياني هذا المعنى في قوله :

إذَا مــا غَــزو بِــالجَيشِ حلــق فــوقَهم عصــائب طَــيرٍ تهتــدي بِعصــائب

وكذلك يتأثر أبو نواس بقول الأفوه ، فيأخذ هذه الصورة المبتكرة التي أبقى فيها على بعض ألفاظ الأفوه ، فيقول :

تـــأتي الطَيـــر غَدرتـــه ثقَـــةً بِالشـــبع مـــن جـــزره

ثم مسلم بن الوليد :

قَد عودوا الطَـير عـاداتٍ وثقـن بِهـا فَهـن يتبعنـه فـي كُـلّ مرتحـل

وكذلك أبو تمام :

و قَـد ظُللـت عقبـانُ أعلامـه بِعقبـان طَـيرٍ في الـدماء نواهـلُ
أقامـت علـى الرايـات حـتى كأ ـا مـن الجـيش إلا أ ـا لا تقاتـلُ

فيقدم الجرجاني صورة الأفوه على صور هؤلاء الشعراء ، ويعلل سر هذا التقديم والتقدير لقـول الأفوه بأنه سبق هؤلاء الشعراء بأمور ؛ منها السبق والابتكار للمعنى ، وهي الفضيلة العظمى ، وكذلك زاد عليهم الأفوه في قوله : " رأي عين " ، والذي خبر به عن قر ا الذي يرى بالعين ؛ لتوقعها الفريسة ،

---

(١) الطرائف الأدبية ، ص١٢ .

وقوله : " ثقة أن ستمار " ، فجعلها واثقة من الميرة ، وهذه الأوصاف لم يجمعها غيره[(١)].

كما كان للأدوات التي استعملوها في الحرب نصيب كبير من صورهم وتشبيهاتهم ، وقد جاءت الخيل التي أعدوها للحرب في مقدمة هذه الأدوات ، فوقفوا طويلاً على صور الخيل ، فأسبغوا عليها كل معاني القوة والصلابة ، فرسموا لها صورا فنية متعددة تظهر فيها قوتها وسرعة حركتها في الغارات وساحات القتال ، ومن ذلك : قول عبد المدان بن الديان الحارثي[(٢)]:

سبوح إذا جال الحزام كأنه إذا انجاب عنه النقْع في الخيل أجدلُ

وكذلك قول يزيد بن مخرم[(٣)]:

وقد روعتهم قدما بخيل جوانف في الأعنة كالسراح

كذلك شبه الأفوه الأودي فرسه بالجبل العظيم في الضخامة والقوة والصلابة ، وشبه يديه بيدي المهاة ، ورِجليه برجلي الظّليم من النعام ، أو رِجلي بقر الوحش ، فيقول[(٤)]:

مضبر مثلَ ركن الطّود تحملُه يدا مهاةٍ ورجلا خاضبٍ يجف

كما صوروا كذلك الأسلحة المستعملة لديهم ، فشبهوها في صقلها وحدتها وصفائها ولمعانها وتشابكها بكل ما وافق وصفهم من موجودات ألفوها ، فمن تشبيهاتهم الكلية لأسلحة الحرب : قول جبر بن الأسود[(٥)]:

معي مشرفي كالعقيقة صارم به أثر بالمتنتين مدرج
وأسمر خطي كأن اهتزازه مقاطُ قَليبٍ مسه الماءُ مدمج

فهو يقدم لسيفه المخضب بدم الأعداء صورةً واضحة تدل على المضي والإقدام فهو يشبهه في مضيه وتصميمه على النيل من الأعداء وعدم قبول الهدنة معهم بالعقيقة وهو سهم الإعتذار الذي يطلقه أهل القتيل اعتذارا عن قبول الدية فحين يرجع مخضبا بالدم فلا مجال لقبول الدية بل الحكم للسيف وأخذ الثأر من القاتل[(٦)] فسيفه صارم يرجع إليه مخضبا بدمائهم متعطشا للمزيد منها – وفي هذا لاشك ما يرمز إلى قوته وقومه ومكانتهم العالية التي يرتقون بها عن قبول الدية فلا بد لهم من الأخذ بثأرهم ممن كان وإن عز جانبه - ، أما رمحه فرشيق قوي كرشا الدلو في سرعته واهتزازه .

---

(١) انظر : الوساطة بين المتنبي وخصومه ، للقاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني ، تحقيق وشرح : محمد أبي الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي ، دار إحياء الكتب العربية - مصر ، ط٣ ، ص٢٧٤ .

(٢) الأغاني ، للأصفهاني ٢٧٦/١٢ .

(٣) منتهى الطلب في أشعار العرب ، لابن المبارك ١٣٢/٨ .

(٤) الطرائف الأدبية ، ص٢١ .

(٥) منتهى الطلب في أشعار العرب ، لابن المبارك ٣٣٨/٨ .

(٦) انظر لسان العرب مادة (عقق) ١٠ / ٢٦٠ .

وفي مقابل الصورة البدوية التي رسمها الشعراء في نجران للبيئة تبرز صورة أخرى لجانبٍ آخر مـن جوانب هذه البيئة ، حيث تبرز في هذا الجانب صورة بيئية يغلب عليها طابع المدنية والتحضر ، فيقـدم الأعشى لهذه البيئة الحضرية لوحة فنية متكاملة ، يصور من خلالها مجالس سادة نجران الـتي أعـدوها للشراب والمنادمة ، وهي مجالس فيها ما تشتهيه أنفس روادها من أزهار وورود وياسمين ، كما يشـيع فيها جو من الأنس ساحر تتردد فيه أصوات المغنين وآلا م التي يشخصها الأعشى في هذا الجو البـهيج المرح ، فيجعل بعضها يجيب بعض في تأثر وإعجاب ، فيعمل المزهر دوما بلا انقطاع ، ويبكي الصنج له في حزن وتأثر ، فيقول مصورا لهذه ا الس(١):

وكـأسٍ شـربت علـى لـذةٍ	**وأخـرى تـداويت منهـا بِهـا**
لكـي يعلـم النـاس أنـي امـرؤ	**أتيـت المَعيشـةَ مـن بـا ـا**
وشـاهدنا الـورد والياسميـ ـ	**ـ ـن والمُسـمعات بِقُصـابِها**
ومزهرنـا معمـلٌ دائـم	**فَـأي الثلاثَـة أزرى بِهـا**
تـرى الصـنج يبكـي لَـه شـجوه	**مخافَـةَ أنْ سـوف يـدعى بِهـا**
لَهـم مشـربات لَهـا بهجـةٌ	**تـروق العيـونَ بِتعجابِهـا**

فيقدم الأعشى لوحة فنية متكاملة تشمل المكان والزمان ، فمكا ا (مجالس مترفة ذات شرف عالية تكتنفها الورود والياسمين) ، أما زما ا (فوقت الربيع ، حيث أينعت الورود والياسمين) ، كما تظهر هذه الصورة طبيعة هذه ا الس التي نقل فيها الأعشى القارئ أو السامع إلى أجواء هذه ا الس من خـلال هذه اللوحة الرائعة التي قدم فيها وصفًا تفصيليا دقيقًا شخص الأشياء ، وناغم بين معطيات هذه اللوحة من خلال مدركات الإحساس التي تعددت وتلاحمت في هذه اللوحة المتكاملة ، فتظهر الألـوان مـن خلال (الخضرة التي تكتنف المكان ، والورود والياسمين الذي يشيع حوله) ، ويعبق المكـان بالرائحـة الزكية من خلال (الورود والياسمين ، ورائحة الخمر التي تعج ا كؤوس الشاربين) ، كما ينقل السمع لوحته التي تتعالى فيها ، وتتمازج أصوات المغنين والمغنيات الموقعة على أنغام آلا م المتعددة ، بينما يشع المكان بالحركة والبهجة (فالمغنون لا تنقطع أنغامهم ، فالمزهر دائم العزف ، وكذلك الصنج) .

ولقد حظيت المرأة عند شعراء نجران بصورٍ غزلية غاية في الجمال والرقة ، فتعددت صورهم لها ، حيث أمعنوا في كل ما تمتلكه المرأة من سمات حسية خارجية ، وسمات نفسية داخلية ، فراحوا يصورون كل هذه السمات في شعرهم ، فاختاروا من مكونات الطبيعة في أشكالها المتعـددة - مـن متحركـة وساكنة - أجملها وألطفها وأرقّها وأغلاها ، فوصفوا المرأة من خلاله ، فظهرت المرأة في شعرهم حيـة تنبض بالحياة والحركة ، فقد أخذ هؤلاء الشعراء من بيئتهم الخيال الذي صوروا به عواطفهم ، فكـانوا صادقين في تجاو م مع ما في هذه البيئة من حيوان ونبات وجماد ؛ لأ م أحسوا بجماله ، فتخيروا مـن

(١) ديوان الأعشى الكبير ، محمد حسين ، ص١٧٣ .

صفاته صفة بارزة تَمُت إليها الحبيبة بسبب ، فشبهوها به ، يريدون من ذلك أن يصوروا مقدار جمالها به ؛ لأن هذا الذي يشبهون به متعارف الجمال بينهم ، مسلم بتميزه في هذه الناحية ، لذا يلحقون الحبيبة به ؛ ليدلوا على تفوقها في جمالها . ولو كان عندهم أجمل مما شبهوا به لألحقوا الحبيبة به أيضــًا ، ولكــن بحسبهم أ م التفتوا إلى ما في البيئة من جمال منوع ، فعقدوا بينه وبين المرأة الحسناء صلةً أو صلات عدة ، مع علمهم أن جمال المرأة أقوى فتونا ، وأحلى فنونا[1] .

فالأفوه الأودي يقدم صورة حسية كاملة للجمال عند المرأة من خلال تشبيهها بالظبية ، وهو تشــبيه مألوف في الشعر الجاهلي[2] ، فيقدم من خلال هذا التشبيه أبعاد هذا الجمال وهذه الصورة التي تظهر المرأة في في إطارٍ آخذ من الحسن والرقة ، فالعيون تتصف بالحور ، أما البشرة فبيضاء صافية ، فيقول[3] :

فأبنـــا بحـــور كالظبـــاء وجامـــل ... ولم يمنـــع البيـض الحســان بعولهـا

كما يقدم لها صورة أخرى أكثر فتنةً وجمالاً[4] :

ســود غــدائرها ، بلـــج محاجرهـــا ... كأن أطرافهـــا لمـــا اجتلـى الطنـف[5]

والأبيات تظهر إلحاح الأفوه على إبراز الصورة اللونية والشكلية لهذه المرأة ، التي تتصف بطول الشعر وسواده ، وبياض البشرة ، وسعة العيون ، وحمرة أطراف أناملها بفعل الخضاب ، وهي - لا شك - صورة توافر كثير من شعراء الجاهلية على تصويرها ، وعدها النموذج الجميل والفاتن من النساء[6] .

أما جبر بن المعاوي فيقدم لصاحبته (ليلى) صورة أكثر ترفًا وجمالاً في قوله[7] :

ليــالي ليلــى لا تــزالُ كأنهــا ... هميج بِــذي الــدثين غَــراءُ عــوهج
ربيبــةُ خــدرٍ لــم تكشــف ســجوفُه ... وفــارةُ مســكٍ آخــر الليــل تــارج
كــأن ثناياهــا وبــرد رضــابها ... هــدؤا نِطــاف بالمَسِــيلة حشــرج[8]
تشــج بِــه رقْراقَــةٌ صــرخدية ... عقيلــةُ محــذُوفٍ يغــص وينشــج[9]

---

(١) الغزل في العصر الجاهلي ، أحمد الحوفي ، ص٣٦٤-٣٦٥ .

(٢) الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث ، نصرت عبد الرحمن ، ص٨٣ .

(٣) الطرائف الأدبية ، ص٢٢ .

(٤) المصدر السابق ، ص٢٠ .

(٥) الطنف : الجلود الحمر ، وقيل : شجر أحمر يشبه العنم . لسان العرب ، مادة (طنف) ٢٢٤/٩ .

(٦) انظر : الغزل في العصر الجاهلي ، أحمد الحوفي ، ص٣٦ وما بعدها .

(٧) منتهى الطلب في أشعار العرب ، لابن المبارك ٣٣٥/٨-٣٣٦ .

(٨) المسيلة : مسيلة الماء ، حشرج : الماء العذب من ماء الحســي الــذي يتميــز بالصــفاء والرقــة . انظــر : لســان العــرب ، مادة (حشرج) ٢٣٧/٢ .

(٩) المحذوف : زق الخمر . انظر : لسان العرب ، مادة (حذف) ٤٠/٩ .

فالشاعر يرسم لصاحبته (ليلى) صورة غاية في الجمال والترف ، فيشبهها في بياضها وطول جيدها بالظبية البيضاء العوهج[1] ، إلا أنه لم يقف عند حدود هذا الجمال ، بل وضعها في إطار تتسم فيه بالعفة والدلال ، فهي كريمة ربيت في خدر لم تكشف حرمته على أحد ، تميزت بمزيد من بالحُسن والجمال ، الذي أضفَت فيه على جمال الشكل طيب الرائحة ، وهو بعد آخر للجاذبية والجمال تلمسه الرجال في النساء ، فأثنى عليه الشعراء كثيرا[2] ، ثم أعقب ذلك بوصف حلاوة ريقها وبرودته حين يتخلل ثناياها ، فشبهه بالماء العذب الصافي الذي أسقطته المزن في آخر الليل ، فاستقر في مكان يحفـظ لـه صـفوه وبرودته ، فمزج بالخمر الصرخدية - وهي أفضل أنواع الخمور صنعا - المعتقة ، فهذه الخمـرة المعتقـة الكريمة الممزوجة بالماء الصافي العذب هي ألذّ ما تكون عند شار ا ، كما أنّ ريق ليلى ألذّ ما يكـون لديه عند الظفر به من هذه الخمرة التي أتقن صنعها من أجود ما في الطبيعة .

ولا شك أن هذه الصورة التي قدمها الشاعر لمحبوبته هي صورة تتعدد فيها مـدركات الحـس ؛ من بصرية ، وذوقية ، وشمية .. إلا أ ا تعانقت بعضها ببعض في إخراج هذه الصورة الكليـة لجمـال ليلى .

أما الأعشى فيقدم لصاحبته (قُتيلة) صورة تتعدد فيها مشاهد الطبيعة التي شبهها ا ، فهو يشبهها بأجمل مكونات هذه الطبيعة ، فـ (قُتيلة) جميلة تتزين بالأطواق ، وأسنا ا بيضاء براقة كزهر الأقحوان الذي جلاه الطل ، وشعرها كثيف قد نما غزيرا ، وهي كريمة العنصر ، بضة الأنامل ، جميلة كالدميـة في استوائها وتناسق جسمها ، فيقول[3] :

يـوم أبـدت لنـا قُتيلـة عـن جيـ ـ ـ ـدٍ تليـ ـعٍ تزينـ ـه الأطْـ ـواق
وشـ ـتيتٍ كـ ـالأقْحوان جـ ـلاه الـ ـ ـ ـ ـطل فيـ ـه عذُوبـ ـةٌ واتسـ ـاق
وأثيـ ـثٍ جثْـ ـلِ النبـ ـات ترويـ ـ ـ ـ ـه لعـ ـوب غَريـ ـرةٌ مفْنـ ـاق
حـ ـرةٌ طَفْلَـ ـةُ الأنامـ ـلِ كالدمـ ـ ـ ـ ـية لا عـ ـابِس ولا مهـ ـزاق

ولم يكتف شعراء نجران في تصويرهم للنساء على وصف الهيئة الخارجية لهن ؛ إنما نفذوا إلى أعماق الروح ودخائل النفس ، فالأعشى - بعد أن وصف محبوبته بالرقة والبياض - شبهها بالظبية شكلاً على أن هذه الصورة وهذا التشبيه قد قدم لنا صورة شكلية ولونية وحركية لهذه المرأة ، إلا أنـه لم يكتـف بذلك ؛ بل نفذ إلى عمق النفس ، فقدم لنا المشبه ، وذكر المشبه به بصورة قصصية عفويه ، فهو يشـبه صاحبته (قتيلة) بالظبية في هيئتها الجميلة وبياضها ، ثم يركز بعد ذلك على الجانب النفسـي في هـذه

(١) العوهج : الظبية حسنة اللون طويلة العنق . لسان العرب ، مادة (عهج) ٣٣١/٢ .
(٢) انظر : الغزل في العصر الجاهلي ، أحمد الحوفي ، ص١٣٤ .
(٣) ديوان الأعشى الكبير ، تحقيق : محمد حسين ، ص٢٠٩ .

الصورة التي يقدمها ، فهي ليست ظبية مفردة ؛ بل هي أم رؤوم لها غزال صغير ترعاه ، فهي تتنقل في مهبط الوادي وتأكل من نباته ، وترعى غزالها الضئيل الذي ما زال في حاجة لرعايتها ، فهي ترعاه بحذرٍ عليه ، وخوف من أن تفترسه السباع ، إلا أ ا مع ذلك - وعلى الرغم من خوفها عليـه وحرصـها لحمايته - لم تمنع القدر عنه ، فقد افترسته السباع ، فيطلب منها الأعشى أن تصبر ، فلـيس لصـدع الزجاجة التئام ، ولعلّ الأعشى أراد من هذه الصورة الشجية - التي قدمها في تصـويره لقُتيلـة - أن يسقط مشاعره - بل وشخصيته المفارقة لها - من خلال هذه الصورة المألوفة في الطبيعة ، ولا شك أن مثل هذا الإسقاط وجد كثيرا في شعر الأعشى ، بل وكثيرٍ من شعراء الجاهلية والإسلام[1]، فيقول[2]:

كخذولٍ ترعـى النواصـف مـن تثْـ	**ـلثَ قَفْـرا خـلا لهـا الأسـلاق**
تـنقُض المَـرد والكبـاثَ بِحمـلا	**جِ لطيـفٍ فـي جانِبيـه انفـراق**
فـي أراكٍ مـن مـردٍ يكـاد إذَا	**مـا ذَرت الشـمس سـاعة يهـرق**
وهـي تتلـو رخـص العظـام ضـئيلا	**فَـاتر الطـرف فـي قُـواه انسِـراق**
مـا تعـادى عنـه النهـار ولا تعـ	**ـجوه إلا عفَاقَـةٌ أو فـواق**
مشـفقًا قلبهـا عليـه فمـا تعـ	**ـدوه قَـد شـف جِسـمها الإشـفَاق**
وإذا خافَـت السـباع مـن الغيـ	**ـلِ وأمسـت وحـانَ منهـا انطـلاق**
روحتـه جيـداءُ ذَاهبـةُ المَـر	**تـع لا خبـةٌ ولا مغـلاق**
فاصـبِري الـنفْس إن مـا حـم حـق	**ليس للصـدعِ فـي الزجـاجِ اتفَـاق**

ومن هذه الصور الغزلية الروحية التي تكاملت عناصرها الفنية في توضيح أحاسيس شعراء نجـران تجاه المرأة : قول جعفر بن علبة[3]:

أشـارت لنـا بِـالكف وهـي حزينـةٌ	**تودعنـا إذْ لـم يـودع سـلامها**
وما أنسـى م الأشـياءِ لا أنـس قولهَـا	**وقَـد زلّ عـن غُـر الثنايـا لثَامهـا**
أما من فراقـي اليـوم بـد ولا النـوى	**بِمجتمـعٍ إلا لشـحط لمامهـا**
فَلو كُنـت أبكـي مـن فـراقٍ صـبابةٍ	**لأذْريـت عـيني دمعـةً لا ألامهـا**
ولكـن لي عينـا كتومـا بِمائهـا	**جمـودا بِمـاءِ النـاظرين انسِـجامها**

فجعفر يقدم من خلال هذه الأبيات صورة فنية غاية في الجمـال والدقـة ، توضـح مشـاعره

---

(1) انظر : الأعشى الكبير ، مصطفى الجوزو ، ص١٧٩-١٨٠ .

(2) ديوان الأعشى الكبير ، ص٢٠٩-٢١٠ .

(3) كتاب الأمالي ، لأبي عبد الله محمد اليزيدي ، ص١١٠ .

وأحاسيسه وعواطفه تجاه هذه المحبوبة التي أثقل حزن الفراق قواها ، فأشارت له بالكف مودعة حزينة ، كما أن عناصر الصورة توحي لنا بالحالة النفسية لكلا العاشقين ، فهي (حزينة) وقد شغلتها حالة الحزن هذه عن تفقد حجا ا ، فـ (زل عنها لثامها) ، وفي إسناد سقوط لثامها عن نصف وجهها للثام نفسه تظهر مدى عفتها وحيائها ، فهي لم تسقطه عن قصد وتعمد ، ولكن الفراق والحزن قد هالها ، وما أشعرها ذا الحجاب حين زلّ ، أما هو فتشغله لحظات الوداع الحرجة عن كل ما حوله ، فيستجمع كلّ حواسه لتسجيل هذه اللحظات ، فيقبل بسمعه ونظره على حديثها ، فيعلق النظر عند حديثها على أسنا ا البيضاء ، ويستمع إلى حديثها في أسى وتجلد غالب فيه البكاء ، وكان حقًّا عليه ؛ لشدة حزنه ، إلا أنه غالبه تجلدا وصبرا ، وهي صورة نفسية أحب الفرسانُ الظهور ا أمام محبوبا م[1] .

وقد برز في شعر كثير من شعراء نجران تصوير خبايا الروح ، وخلجات النفس ، وما يعتريها من أحاسيس ومشاعر متباينة ؛ منها : الفرح ، والحزن ، والحب ، والبغض ، والغضب ، والرضا ، فقد صوروا حالات النفس بمختلف اتجاها ا ، فرسموا من خلال التصوير الدقيق الذي تتآزر فيه عناصر المكان ، والحركة ، واللون ، والصوت ، واللمس ، ما عاشوه من حالات نفسية متباينة ، فيجمع عطارد بن قران في لوحة شعرية بين هذه العناصر ؛ ليصور حاله المهين والذليل في السجن ، فيقول[2]:

يطُولُ علي الليل حتى أمله	**فَأجلس والنهدي عندي جالس**
كلانا به كبلان يرسف فيهما	**ومستحكم الأقْفال أسمر يابس**
له حلقات فيه سمر يحبها الـ	**ـعناة كما حب الظماءِ الخَوامس**
إذَا ما ابن صباح أرنت كُبوله	**لَهن على ساقي وهنا وساوس**

فالشاعر ينقل لنا الصورة اللونية والزمانية بقوله : (الليل) ، والصورة الصوتيه بقوله : (لهن وساوس) ، والصورة الحركية بقوله : (فاجلس) و (وهنا وساوس) ، وما تثيره من إزعاج وعدم الهدوء ، و (كبلان) ، والحسية بقوله : (له حلقات سمر يحبها العناة) ، حيث صور شدة حر هذا المكان حتى أصبح يتلمس حلقات هذا القيد الباردة ليستشعر البرودة ، كما تحب الإبل ورود الماء ، وهذه الصور الجزئية المنتظمة في إطار واحد تصور لنا تلك الوحشة الرهيبة ، وشدة الحر ، والإزعاج في هذا السجن الشديد .

ومن هذه الصور الكاملة التي تصور حالات الحزن والشقاء عند الإنسان : ما نجده عند الخطيم المحرزي ، حيث صور ما يلم به في سجن نجران من همومٍ وأحزان ، فقال مشخصًا هذه الهموم الكثيرة

---

(١) انظر : الغزل في العصر الجاهلي ، أحمد الحوفي ، ص٣٢٠ .

(٢) معجم البلدان ، للحموي ، رسم (نجران) ٢٧٠/٥ .

في صورة أناس يعودونه ويزورونه ليلاً في سجنه ، ثم إن هذه الهموم تقري وتستضيف - بما فيها من لوعة وألم - كل سجينٍ في هذا السجن البعيد عن دياره وديار كثير ممن زج به[1]:

أتيح لذي بث طريدٍ تعوده ... هموم إذا ما بات طارقُها يسري

بنجرانَ يقري الهَم كُل غريبةٍ ... بعيدة شأو الكلْم باقيةَ الأثر

ويصور علبة الحارثي حالته النفسية الحزينة القلقة التي جافى عينه فيها النوم ، فعاشت الهم والقلق في ليلٍ طويلٍ ترقب فيه مصير ابنه جعفر ، فيقول[2]:

لعمرك إن الليل يا أم جعفر ... علي وإنْ عللتني لطويلُ

أحاذر أنباء من القوم قد دنت ... وأوبة أنقاض لهن زليل

لعمرك إن ابني غداة تقوده ... عقَيل لنأي الناصرين ذليل

وكذلك صور هبيرة بن أبي وهب حالته الحزينة في نجران حين فارق الديار والأحباب ، فتشوق إليهم في ليلة أثقلت عليه وطأتها الهموم ، وأرقته زوجه هند بعد أن زاره طيفها بعد طول فراق ، فيقول[3]:

أشاقتك هند أم أتاك سؤالُها ... كذاكَ النوى أسبابها وانفتالُها

وقَد أرقَت في رأس حصنٍ ممنع ... بنجرانَ يسري بعد ليلٍ خيالُها

أما عبد الله بن الزبعرى فيصور ليله بصورة أخرى تضج بالهموم والظلام ، والإعياء الجسدي ؛ لتوحي بشدة قلقه وتنازعه بين وطأة الغربة عن الديار ، والخوف من العودة إليها ؛ لما توقع من شر وبلاءٍ حين أهدر النبي ﷺ دمه ، فيقول مصورا هذه الأفكار التي طرقته ليلاً ، وهذه الحيرة التي جعلته يهذي كالمحموم[4]:

منع الرقاد بلابلٌ وهموم ... والليلُ معتلج الرواق بهيم

مما أتاني أن أحمد لامني ... فيه فَبِت كأنني محموم

وكذلك تعددت الصور الهجائية في شعر شعراء نجران ، التي صوروا فيها خصومهم بصور ذليلة وضعيفة ، فحقروا من شأنهم ، وصوروا انهزامهم الذليل عنهم في الحرب ، ومن ذلك : قول عبد الله بن عبد المدان لدريد بن الصمة حين هددهم بالحرب ، فرد عليه عبد الله بأبيات حقر فيها من شأنه ،

---

(1) منتهى الطلب في أشعار العرب ، لابن المبارك ٢٤٧/٣ ، أشعار اللصوص وأخبارهم ، عبد المعين ملوحي ، ص٥٩ .

(2) الأغاني ٣٩/١٣ .

(3) السيرة النبوية ٣٥٦/٤ ، الاستيعاب ١٩٢٢/٤ ، أسد الغابة ٤٤٣/٧ .

(4) السيرة النبوية ٣٥٤/٤-٣٥٥ ، شعر عبد الله بن الزبعرى ، تحقيق : يحيى الجبوري ، ص٤٥-٤٦ .

وصوره بصورة هجائية غاية في الإذلال ، حيث شبهه بالكلب الذي يعوي ويثير الأصوات والضجيج بنباحه في صحراء مقفرة لا حياة فيها ، فليس لصوته فيها مستمع ، فهو ضجيج دون فعل ، فيقول[1]:

نبئـــت أنَ دريـــدا ظـــل معترضـــا يهدي الوعيد إلى نجـرانَ مـن حضـن
كالكلـب يعـوي إلـى بيـداء مقْفـرةٍ من ذَا يواعـدنا بـالحَربِ لـم يحـن

وصور جعفر بن علبة شجاعته ، وضعف وجبن أعدائه من بني عقَيل حين لاقاهم يوم سـحبل ، فقال هاجيا لهم ومشبها إياهم بفراخ القطا ، وهي أضعف الطيور وأودعها ، فيقول[2]:

كـأن بنـي القَرعـاء يـوم لَقيـتهم فـراخ القَطـا لاقَـين صـقرا يمانِيـا

فالبيت - كما نراه - يصور شجاعة جعفر وقوته ، حيث قرن في هذه الصورة بين طائرين مـن طيور البيئة بينهما شديد التباعد والاختلاف في الصفات ، فيشبه نفسه بطائر الصقر ، وهو من طيـور البيئة ، وقد عرف بدقّته وقوته في الفتك بفريسته ، كما يشبه بني عقيل عند لقائه م بفراخ القطـا[3] ، وقد أراد لهم من هذا التشبيه المبالغة في وصفهم بالضعف وعدم قدر م على حماية أنفسهم منه ، فاختار (فراخ القطا) للزيادة في إيضاح ضعفهم ، فعلى الرغم من أنّ القطا - وهي من طيور البيئة التي عرفت بالصغر والضعف - لا تداني الصقر في القوة والفتك ، بل هي من أضعف الطيور عن حماية نفسـها ، وأكثرها وداعة واستسلاما ، إلا أنه زاد من تحقيرهم وإضعاف شأ م حين شبههم بأفراخها التي هـي أشد ضعفًا واستسلاما .

وبالغ النجاشي في هجائه لبني النجار ، حيث صور هؤلاء القوم بصورة هجائية قبيحة ، حيث يقول[4]:

بـنى اللـؤم بيتـا فَاسـتقر عمـاده علـيكم بـني النجـار ضـربةَ لازم

فلقد استطاع النجاشي أن يرسم لوحته الهجائية بدقّة عالية ، حيث صور اللؤم في هيئة إنسان يبني بيتا ، فجعل أساس بيته وعماده الذي عليه ركازه عند بني النجار ، فهم أكثر الناس ارتباطـًا ببيـت اللؤم ؛ لأ م أساسه وعماده ، فالصورة هنا تبين لنا شمول هذا اللؤم لهؤلاء القوم ، كشـمول البيـت وهيمنة سقفه وعلوه على ساكنيه ، إضافةً إلى ارتباطهم الوثيق ذا اللؤم ؛ لأ م أساس بنائه .

وبجانب هذه الدقة في التصوير ، فإن لشعراء نجران نظرةَ تقدير من كثير من النقـاد ؛ لسـبقهم

(١) الأغاني ٢٦٤/١٠ .

(٢) ديوان حماسة أبي تمام بشرح التبريزي ١٨٥/١ ، الأغاني ٣٤/١٣ ، معاهد التنصيص ، ص٦٠ .

(٣) القطا - بفتح القاف - : هو طائر معروف ، واحده قطاة ، وهي نوع من الحمام ، ويجمع على قطوات وقطيات ، وأكثر ما يبـيض ثلاث بيضات ، ويسمى قطا ؛ لحكاية صوته ؛ لأنه يصيح قطا قطا ، ولذلك تصفها العرب بالصدق . انظر : صـبح الأعشـى في صناعة الإنشا ٧٩/٢-٨٠ .

(٤) الأخبار الموفقيات ، ص٢٣٦ .

وابتكارهم لكثيرٍ من الصور الفنية التي تفردوا ا دون سائر الشعراء ، فوقف عليها من بعدهم الكثير من الشعراء لتقليدها ، فمن هذه الصور المبتكرة : قول الأعشى[1]:

وكَـــأسٍ شَــــربت علَـــــى لَـــــذةٍ وأخـــــرى تـــــداويت منهــــا بِهـــــا

فقد ألهمت مجالس بني عبد المدان - التي أعدوها لشرب الخمرة وبذلها في كل حـين - شـاعرية الأعشى ، الذي جاء بصورة فنية خاصة لكأس الخمر حين جعلها لذةً وداءً ودواءً ؛ ليعبر عن استمراره في شر ا بلا انقطاع ، فعبر عن هذه المداومة وهذا المعنى في إزالة الخمرة بمعاودة الشراب بصورة فنيـة مبتكرة كان له السبق فيها على عشاق الخمرة ، كأبي نواس الذي شا ه في الافتتان ا ، فحاكـاه في هذه الصورة ، حيث قال :

دع عنــك لــومي فــإنّ اللــوم إغــراءُ وداوني بــالتي كانــت هــي الــداءُ

إلا أنه لم يبلغ مبلغ قول الأعشى ، حيث حشا الكلام بما لا وجه له ، وهو قوله : كانت هي الداء ، فقصر عنه في العبارة والصورة المبتكرة[2] .

ومن صورهم المبتكرة كذلك : قول الأفوه الأودي[3]:

إنمَـــا نِعمـــةُ قـــومٍ متعـــة وحيـــاة المَـــرء ثـــوب مســـتعار

فهذه الصورة التي يشبه فيها الأفوه الأودي الحياة وما فيها بالثوب المستعار تعد من أوائل الصـور المبتكرة التي كان للأفوه فيها فضلُ السبق ، فيأتي الجرجاني ليوازن بين هذا المعنى الذي جاء به الأفـوه وبين قول لبيد بن ربيعة :

ومـــا المـــال والأهلـــون إلا ودائـــع ولا بـــد يومـــا أن تـــرد الودائـــع

ولا شك أن الأفوه - برغم اشتراكه مع لبيد في هذا المعنى - إلا أنه كانت له مزية السبق والتقدم في معالجة المعنى والوقوع عليه ، فإن لبيدا جاء بعد الأفوه زمنيا ؛ مما يرجح تأثره بالأفوه ، ومزية أخرى اختص ا الأفوه ، وهي تصويره الحياة وما فيها من متاع بالثوب المستعار ، فلهذا التصوير بلاغـةٌ في التعبير ووقع في النفس أكثر من تشبيه لبيد الذي خص فيه المال والولد ، فشبهها بالودائع ؛ لأن في إعادة الثوب جد حاجة ، وشدة في الإسقاط والألم ؛ لما فيه من التجرد والتعري ، أما إعادة الودائـع فـلا

---

(١) ديوان الأعشى الكبير ، محمد حسين ، ص١٧٣ .

(٢) ديوان المعاني ، لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن مهران العسكري ، دار الجيل - بيروت ، د.ت ، ٣٢٨/١-٣٢٩ ، العقد الفريد ٣٠١/٥ ، خزانة الأدب ٤٦٠/١١ .

(٣) الطرائف الأدبية ، للميمني ، ص١١ .

تؤدي للحاجة والعوز الذي أفاده التجرد من الثوب[1] .

(١) الوساطة بين المتنبي وخصومه ، للقاضي الجرجاني ، ص٢٠١ ، وانظر : شعر قبيلة مذحج في الجاهلية والإسلام ، محمد آل مبارك ٣٧٥/١ .

٣) بنـاء القصيـدة :

في الشعر الجاهلي ضربان من القصائد ؛ قصائد طويلة كاملة تعالج في غالبها أكثر من موضـوع واحد ، أي أن فيها مجموعة تجارب مجزأة إلى مراحل وموضوعات ، كالمعلقات ، وقصـائد قصـار ، ومقطعات تتميز بوحدة الموضوع غالبا[1] ..

وقد جاء نتاج شعراء نجران الذي وصل إلينا في جاهليتهم وإسلامهم على هذين الضربين ، حيث يمكن تقسيمه إلى شكلين فنيين ؛ هما :

١/ القصائد[2] **:** وهي قليلة محدودة في شعرهم ، لم تخرج الطوال منها في بنائها الفني عن هيكـل القصيدة العربية ونموذجها المحتذى ، الذي تتعدد فيه الموضوعات وتسير فيه على نظامٍ معينٍ ونسـقٍ موروث سنه القدماء منذ عهد متقدمٍ في الجاهلية ، وتميز هذا النظام غالبا بالترتيب والترابط ، فلـم تكن موضوعات القصيدة أو أجزاؤها مرتجلة على غير نظام ، بل إن الشاعر كان يمهد للموضـوع الذي يختاره من خلال تتابع هذه الموضوعات والربط بين بعضها بعضا ؛ يقول ابن قتيبة : " سمعت بعض أهل الأدب يذكر أن مقصد القصيد إنما ابتداء فيها بذكر الديار والدمن والآثار ، فبكى وشكا ، وخاطب الربع ، واستوقف الرفيق ؛ ليجعل ذلك سببا لذكر الظاعنين عنها ؛ إذ كان نازلة العمد في الحلول والظعن على خلاف ما عليه نازلة المدر ؛ لانتقالهم عن ماء إلى ماء ، وانتجـاعهم الكـلأ ، وتتبعهم مساقط الغيث حيث كان . ثم وصل ذلك بالنسيب ، فشكا شدة الوجـد وألم الفـراق ، وفرط الصبابة والشوق ؛ ليميل نحوه القلوب ، ويصرف إليه الوجوه ، وليستدعي به إصغاء الأسماع إليه ؛ لأن التشبيب قريب من النفوس ، لائط بالقلوب ؛ لما قد جعل الله في تركيب العباد من محبـة الغزل ، وإلف النساء ، فليس يكاد أحد يخلو من أن يكون متعلقًا منه بسبب ، وضاربا فيه بسهم ، حلالاً أو حراما . فإذا علم أنه قد استوثق من الإصغاء إليه والاستماع له ، عقب بإيجاب الحقوق ، فرحل في شعره ، وشكا النصب والسهر ، وسرى الليل وحر الهجير ، وإنضاء الراحلـة والـبعير ، فإذا علم أنه قد أوجب على صاحبه حق الرجاء ، وذمامة التأميل ، وقرر عنده ما ناله من المكـاره في المسير ، بدأ في المديح ، فبعثه على المكافأة ، وهزه للسماح ، وفضله على الأشباه ، وصـغر في قدره الجزيل "[3].

والحق أنّ قول ابن قتيبة السابق يصدق على شعر المديح والتكسب ، حيث يقدم الشاعر بين يدي

---

(١) الشعر الجاهلي ، يحيى الجبوري ، ص٢٤١ .

(٢) وهي ما اتفق العلماء على تسميتها بالقصيدة إذا ما تراوحت أبياتها فوق الخمسة عشر فأكثر . الشـعر وأيـام العـرب ، عفيـف عبد الرحمن ، ص٤٠٠ .

(٣) الشعر والشعراء ، لابن قتيبة ٧٤/١-٧٥ .

ممدوحه هذه المقدمات والموضوعات المتعددة ؛ ليصل بعد ذلك لوصف ما لاقاه من مكاره ، وما تجشم من صعاب في سبيل الوصول إليه ، حتى يرق له الممدوح فيجزل له العطاء ، ولا أظن أن جل القصائد التي قيلت في عصر الجاهلية والإسلام ، وفيها ما فيها من تعدد للأغراض ؛ من مقدمات مختلفة ، ووصف ، وفخر ، وهجاء ، مما يمكن أن يصدق عليه قول ابن قتيبة(١) ، وفي نتاج شعراء نجران ما يبرهن على ذلك ، وسوف يتضح ذلك من خلال تتبع البناء الفني لقصائدهم .

وأول ما يطالعنا في هذه القصائد مطالعها ، ولقد انصرفت عناية الشعراء منذ القديم إلى الاهتمام بمطالع قصائدهم ؛ لأنها أول ما تفاجئ السامع ، فلا بد أن يكون لها وقع حسن ؛ يقول ابن رشيق : " الشعر قُفْل أوله مفتاحه ، وينبغي للشاعر أن يجود ابتداء شعره ، فإنه أول ما يقرع السمع ، وبه يستدلّ على ما عنده من أول وهلة ... وليجعله حلوا سهلاً ، وفخما جزلاً "(٢) .

وقد سن الشعراء الجاهليون أنواعا من المطالع والمقدمات ، وفي حرصهم على البدء بها ومراعاتها والمحافظة عليها أرسوا بذلك أعرق الظواهر الفنية في بناء القصيدة العربية(٣) ، وأكثر هذه المقدمات انتشارا وأعرقها : المقدمة الطللية(٤) ، ويحرص الشاعر فيها على ذكر الأطلال ووصف آثار الأحبة الراحلين عنها ، وما أحلّ بها وأحال حالها ، وما تثيره في نفسه من ذكريات ، وعلى هذه الصورة جاءت مقدمة قصيدة جبر بن الأسود ، والتي مطلعها(٥) :

أجدك لم تعرف أثافي دمنةٍ ... مررت على أطلالها لا تعرج
بلى فتداعى الدمع حتى كأنما ... جفونك سمطٌ خانه السلك ممرج

فالشاعر يبدأ قصيدته بمقدمة طللية يقف فيها على أطلال ديار ليلى ، ثم يبكي عند هذه الأطلال على الذكريات الماضية التي جمعته مع أحبته الراحلين عنها .

غير أن من هؤلاء الشعراء في نجران من عدل عن المقدمة الطللية بمقدمة الشيب والشباب ، التي يتحدث فيها الشاعر عما ألم به من شيب ، فيتحسر على الشباب ، ومن ذلك : قول الأعشى في قصيدته التي مدح بها بني عبد المدان بن الديان(٦) :

---

(١) الشعر الجاهلي ، يحيى الجبوري ، ص٢٤٩ ، وانظر : الوقوف على الأطلال بين شعراء الجاهلية والإسلام حتى القرن الخامس الهجري ، مصطفى عبد الواحد ، مطبوعات نادي مكة الثقافي ، ط١ ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م ، ص٦١ .

(٢) العمدة ، لابن رشيق ٢١٨/١ .

(٣) الشعر وأيام العرب ، عفيف عبد الرحمن ، ص٤١٠ .

(٤) مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي ، حسين عطوان ، دار المعارف - مصر ، ط : ١٩٧٤م ، ص١١٦ .

(٥) منتهى الطلب في أشعار العرب ، لابن المبارك ٣٣٥/٨-٣٣٦ .

(٦) ديوان الأعشى الكبير ، محمد حسين ، ص١٧١ .

ألـــم تنـــه نفْســـك عمـــا بهـــا	**بلــــى عادهــــا بعـــض أطرابهــــا**
لجارتنــــــــــا إذ رأت لمتــــــــــي	**تقُـــولُ أـــك الويـــلُ أنـــى بهـــا**
فَـــــإنْ تعهـــــديني ولي لمـــــةٌ	**فَـــإن الحَـــوادثَ ألْـــوى بهـــا**

فالأعشى يستهلّ قصيدته ـذه المقدمة التي يتحدث فيها عن اضطرابه وذهابه كل مذهب في طلب النساء ، وأنه لا زال يحن إلى التصابي وا ـون بعد أن شاب وكاد ينهى النفس عنهما ؛ لعلو سنه ، وزهد النساء فيه ، حيث سخرت منه صاحبته حين رأت شيبه ؛ إذ كانت تعرفه شابا جميلاً ، فيجيبـها بـأن الحوادث والأرزاء هي التي ذهبت بشبابه فأبدلته شيبا .

وبرز كذلك في مقدما م : تصوير مناظر التحمل والارتحال للأحبة ، ومن أمثلة ذلـك : قـول الأعشى مستهلا قصيدته التي قالها في نجران ، فاستهلّها بتصوير مشهد رحيل القوم وتجمع إبلهم وعليها هوادجهم وأمتعتهم ، فجعلوا أرض اليمامة عن شمالهم ، وانطلقوا مسرعين في رحلتـهم ، ومفـارقين لموطن الأصدقاء والأحباب(1):

يـــوم قَفـــت حمـــولُهم فَتولـــوا	**قَطعـــوا معهـــد الخَلـــيط فَشـــاقُوا**
جعـــلاتٍ جـــوز اليمامـــة بالأشـــ	**ـــــمل ســـيرا يحـــثهن انطـــلاق**
جزعـــاتٍ بطْـــن العتيـــقِ كَمـــا تمـــ	**ـــــضي رفَـــاق أمـــامهن رفَـــاق**
بعـــد قُـــربٍ مـــن دارهـــم وائْـــتلافٍ	**صـــرموا حبلَـــك الغـــداةَ وســـاقُوا**

وهناك أيضا مقدمات أخرى شاعت عند شعراء نجران ، وهي جانب آخر من جوانب الحيـاة في الجاهلية غير تلك الجوانب التي صور ا المقدمة الطللية والمقدمة الغزلية ، أو مقدمة الشباب والشـيب ، أو وصف مناظر التحمل والارتحال ، فعلى الرغم من محافظة شعراء نجران على بناء القصيدة العربية - الجاهلي منها والإسلامي - ، غير أن هذا المألوف الفني في بناء القصيدة - وإن كان آسرا قويا عند كثير مـن شعراء العربية - إلا أنّ شعراء نجران كانوا قد استطاعوا التخلص من قبضته ، فجاء نتاجهم الشـعري يحمل خصوصية فنية ميز م عن غيرهم من شعراء البيئات الأخرى ، وتأتي مقدما م الشعرية كشـاهد على ذلك ، حيث ارتبطت هذه المقدمات في قصائدهم ببيئتهم الحربية ذات القوة والمنعة والعصـبية ، فجاءت قصائد لهم تخلو من المقدمات السابقة التي سيطرت على كثيرٍ من معاصريهم من شعراء البيئات الأخرى ، فبرزت في قصائدهم مقدمة الفروسية بدل مقدمة الطلل ووصف الـديار أو غيرهـا مـن المقدمات السابقة ، ولا عجب في أن يظهر هذا النوع من المقدمات عند شعراء نجران ، فهـم فرسـان حرب غلبت على حيا م النزعة الحربية ، وسيطرت على نفوسهم غريزة الأخذ بالثأر والانتقـام ، أو

---

(1) المرجع السابق ، ص٢٠٩ .

الغزو ، وهم فرسان تجردوا للقتال ، إما للإغارة على غيرهم ، وإما لصد العدوان عن أرضهم ، فجاءت قصائدهم هذه تصويرا لأيامهم التي عاشوها ، فالتزموا في كثير منها الأسلوب الإعلامي المعبر عنه بصيغة التبليغ ومشتقاته ، أو أدوات الاستفتاح ، ويعد هذا اللون من المطالع أبرز صور مقدمـة الفروسـية[(١)] ، فيبدأ يزيد بن عبد المدان قصيدته بصيغة التبليغ[(٢)]:

ألا أبلغـا همـدانَ والحـي مـذْحجا ... وكنـدةَ والـروقَين مـن آل بـارقِ
بِـأن سـليما قَضـها وقَضيضـها ... ونصـرا وحيـي عـامر في القَيـالقِ
أتونـا بجمـعٍ يضـلع الأرض رزه ... لـه لجـب عـالٍ كصـلق الصـواعقِ

وكذلك يبدأ عبد يغوث الحارثي قصيدته بأداة الاستفتاح (ألا) ، و ي صاحبيه عن لومـه ، حيث يقول[(٣)]:

ألا لا تلُومـانِي كفَى اللـوم مـا بِيـا ... وما لَكُمـا فـي اللـومِ نفـع ولا لِيـا

ولا شك أن قلة وجود مقدمة الطيف والطلل والمقدمات السابقة الذكر عند هـؤلاء الشـعراء - وهي من التقاليد الثابتة عند كثير من أضرا م من شعراء العربية - لا ترجع إلى تمردهم عن المألوف ؛ بل ترجع إلى طبيعة بيئتهم الحربية ، وكذلك إلى الموقف الذي قيلت فيه ، فهؤلاء الشعراء الفرسان استوت قصائدهم أعمالاً فنية رائعة من فورها ووقتها ، فأسرعوا للتعبير عن نشوة النصر والعـزة ، أو الهزيمـة والأسر في أعقاب معاركهم وحرو م ، وأمام هذه الظروف المتسارعة لم يكن أمام الشاعر متسع مـن الوقت كي يتذكر الأحبة الراحلين ، بل لم يكن له مجال لينقح قصيدته[(٤)] .

كما لا تضيق دائرة الفروسية التي صوروها في مقدما م على الطعن والتمرس بـالنزال وسـحق المعتدين فحسب ، بل تتسع هذه الفروسية لتشمل كلّ المعاني التي قامت عليها المروءة العربية من بلاءٍ في المعركة ، وعفّة عند توزيع الغنائم ، وإطعامٍ للضعيف ، وحماية للمستجير ، ومنعة للقبيلـة[(٥)] ، وتـبرز ملامح هذه الفروسية المتسمة بمكارم الأخلاق عند الخطيم المحرزي في قوله[(٦)]:

---

(١) انظر : شعر الأيام عند العرب في العصر الجاهلي ، عفيف عبد الرحمن ، ص٣٣٤ ، وانظر : مقدمـة القصـيدة العربيـة ، حسـين عطوان ، ص١٥٧ وما بعدها .

(٢) شرح قصيدة الدامغة ، للهمداني ص٢٦١ .

(٣) المفضليات ، ص٣١٥-٣١٦-٣١٧-٣١٨ .

(٤) انظر : مقدمة القصيدة العربية ، حسين عطوان ، ص١٠٩-١١٠ ، وانظر : الشعر وأيام العـرب في العصـر الجـاهلي ، عفيـف عبد الرحمن ، ص٤١٢ .

(٥) مقدمة القصيدة العربية ، حسين عطوان ، ص١٥٧ ، وانظر : الفروسية في الشعر الجاهلي ، نوري حمودي القيسي ، مكتبة النهضـة بغداد ، ط : ١٩٦٤م ، ص٢٩ .

(٦) منتهى الطلب في أشعار العرب ، لابن المبارك ٢٤٥/٣ وما بعدها .

أبـت لـي سـعد أنْ أضـام ومالـك　　　وحي الربـابِ والقبائـلُ مـن عمـرو
وإنْ أدع فـي القيسيـة الشـم تـأتني　　　قُـروم تسـامى كلهـم بـاذخ القـدر
وإنْ تلـق نـدماني يخبـرك أنـني　　　ضعيف وكاءِ الكيس لـم أغْـذَ بِـالفقْر
وتشـهد لـي العـوذُ المطافيـلُ أنـني　　　أبو الضيف أقْري حين لا أحـد يقْـري

ويبدأ يزيد بن مخرم في مقدمته بالاعتذار والفخر[1]:

تعجـب جـارتي لمـا رأتـني　　　كـذات النـوط مخـدرتي جراحـي
كأنـك لم تـري قبلـي أسـيرا　　　يقـاد بـه علـى جمـلٍ رداحِ

ويلي المطلع والمقدمة في القصيدة الانتقال من المقدمة إلى الغرض الأول في القصيدة ، وهـو مـا يعرف بالتخلص[2]، والشاعر المجيد هو الذي يحسن الانتقال ، فيغادر موضوعه الأول إلى الذي يليه دون خللٍ أو انقطاع ، فيجعل معانيه تنساب إلى الموضوع الآخر انسيابا بحيث لا يشعر قارئه بالنقلة ، بـل يجد نفسه في موضوع جديد هو استمرار للأول وامتداد له ، وبين الموضوعين تمازج والتئام وانسجام[3].

وللشعراء في تخلصهم صور وأساليب عدة ، منها : قول الشاعر : دع ذا ، ومن ذلك : قول جبر ابن الأسود وهو خارج من مقدمته الغزلية إلى حديثه عن التهديد والحرب[4]:

فَدع ذَا ولكن هـلْ تـرى رأي كاشـحٍ　　　يخـب إلينـا بالوعيـد ويهـدج

وكذلك استخدم شعراء نجران من صور التخلص بعض الحروف ، كالفاء والواو ، ومن ذلـك : قول الأعشى بعد أن تغزل بصاحبته (قُتيلة) ، ثم بدأ في وصف الصحراء وما لاقى فيها من مشقة وعناءٍ حتى وصل إلى بني عبد المدان[5]:

وفَـلاةٍ كأنهـا ظهـر تـرسٍ　　　لـيس إلا الرجيـع فيهـا عـلاق
قَـد تجاوزتهـا وتحتـي مـروح　　　عنتـريس نعابـةٌ معنـاق

ويأتي بعد التخلص موضوع القصيدة الذي من أجله أنشأها الشاعر ، وهو أحد أهم أركان بنائها الفني ، وفي هذه المرحلة يطيل الشاعر ما شاء له أن يطيل ، فيمدح ويمزج المدح بوصف الجيش أو التغني بالمآثر ، أو يفخر فيشوب فخره بأيام القبيلة المشهودة .

---

(١) المصدر السابق ١٣١/٨-١٣٢-١٣٣ .
(٢) العمدة ٢٣٦/١ .
(٣) انظر : العمدة ٢٣٤/١ ، الشعر الجاهلي ، يحيى الجبوري ، ص٢٥٣ .
(٤) منتهى الطلب في أشعار العرب ، لابن المبارك ٣٣٦/٨ .
(٥) ديوان الأعشى ، تحقيق : محمد حسين ، ص٢١١ .

وتأتي الخاتمة أو نهاية القصيدة آخر أركان هذا البناء الفني ، فحفلت بعناية الشعراء واهتمامهم ، ويعلل ابن رشيق سر هذه الأهمية والحفاوة بقوله : " الانتهاء هو قاعدة القصيدة ، وآخر ما يبقى منها في الأسماع ، وسبيله أن يكون محكما لا تمكن الزيادة عليه ، ولا يأتي بعده أحسن منه ، فإذا كان أول الشعر مفتاحا له وجب أن يكون الآخر قفلاً عليه "[1] .

ومن الخواتيم الحسنة التي أجاد شعراء نجران قفل قصائدهم بها : قول عبد يغوث :

كأني لم أركب جوادا ولم أقُلْ	**لخيلي كُري نفسي عن رجاليا**
ولم أسبأ الزق الروي ولم أقُلْ	**لأيسار صدقٍ أعظموا ضوءَ ناريا**

فموضوع القصيدة فخر الشاعر بنفسه ورثاؤها حين أيقن دنو أجله ، فختم القصيدة بهذين البيتين اللّذين يعبران عن جماع صفاته التي تميز بها .

ومن الخواتيم الحسنة كذلك : قول الخطيم المحرزي[2]:

بني محرزٍ أن تكْنس الوحش بينكم	**وبيني ويبعد من قبوركم قبري**
فقد كُنت أنهى عنكم كُل ظالمٍ	**وأدفع عنكم باليدين وبالنحر**
معنى ، إذَا خصم أدل عليكُم	**بني محرز يوما شددت له أزري**
بحد سنانٍ يستعد لمثْله	**ورقم لسانٍ لاعيي ولا هذْر**

فالخطيم يطلق قصيدته هذه من سجن نجران ، ويتحدث فيها عن غربته وسجنه ، وما لاقاه فيه من ذُل وهوان ، ثم يفخر بنفسه ويعدد مآثره على قبيلته التي فداها بنفسه وحريته ، فيختم هذه القصيدة بحقه على قبيلته التي لا بد أن تجيره وتعمل على إطلاق سراحه من السجن وأغلال القيود .

وعلى الرغم من تعدد الأغراض في قصائد شعراء نجران ، إلا أنها اتسمت غالبًا بوجود الوحدة الموضوعية ، فالشاعر حينما ينتقل من موضوعٍ إلى آخر ، أو من فكرة إلى فكرة أخرى في القصيدة ، فإنه يراعي التجانس بين أبيات القصيدة وتنمية أجزائها ، بحيث ينشأ كلّ قسم فيها من سابقه نشوءًا طبيعيا مقنعا ، ويستدعي الجزء الذي يليه استدعاءً حتميا ، حتى تتكامل أجزاء القصيدة وتشملها عاطفة موحدة[3] .

فالقصيدة العربية لم تكن مفككة الأوصال ، مفتقرة إلى الوحدة ، لا رابط يربط بين أبياتها كما أشاع عنها بعض النقاد قديمًا وحديثًا ، بل لقد سبق من نقادنا القدامى من نبه على وجود الوحدة في كثيرٍ من القصائد العربية الجاهلية والإسلامية ، ومن أوائل هؤلاء النقاد : ابن طباطبا العلوي (ت ٣٢٢هـ) ،

---

(١) العمدة ، لابن رشيق ٢٣٩/١ .

(٢) منتهى الطلب في أشعار العرب ، لابن المبارك ٢٥٢/٣ ، أشعار اللصوص وأخبارهم ، عبد المعين ملوحي ، ص٦٤ .

(٣) انظر : الشعر الجاهلي ، يحيى الجبوري ، ص٢٦٤ .

حيث قال : " وأحسن الشعر ما ينتظم القول فيه انتظاما يتسق أوله مع آخره على ما ينسقه قائله ، فإن قُدم بيت على بيت دخله الخلل كما يدخل الرسائل والخطب إذا نقض تأليفها ، فإن الشعر إذا أسـس تأسيس فصول الرسالة القائمة بأنفسها وكلمات الحكمة المستقلة بذا ا ، والأمثلة السـائرة الموسـومة باختصارها ، لم يحسن نظمه ؛ بل يجب أن تكون القصيدة كلها ككلمة واحدة في اشتباه أولها بآخرها نسجا ، وحسنا ، وفصاحةً ، وجزالةَ ألفاظ ، ودقّة معان ، وصواب تأليف ، ويكون خروج الشـاعر من كلّ معنى يصنعه إلى غيره من المعاني خروجا لطيفًا .. حتى تخرج القصيدة كأ ا مفرغة إفراغـًا .... لا تناقض في معانيها ، ولا وهي في مبانيها ، ولا تكلف في نسجها "(١) .

وقد تحققت هذه الوحدة في قصائد شعراءِ نجران ، وخير ما يمثل ذلك : قصيدة عبد يغوث الـتي يبدأها بقوله(٢) :

ألا لا تلُومـانِي كَفَـى اللـوم مـا بِيـا   وما لَكُمـا فـي اللـومِ نفـع ولا ليـا
ألـم تعلمـا أن المَلامـة نفْعهـا   قَليلٌ ومـا لَـومي أخـي مـن شماليا

ثم رجا من يأتي العروض أن يبلغ أصحابه أن لا لقاء بعد اليوم ، فقال :

فَيـا راكبـًا إمّـا عرضـت فَبلغن   نـداماي مـن نجـرانَ أنْ لا تلاقيـا
أبـا كـربٍ والأيهمـين كليهمـا   وقَيسـا بِـأعلى حضـرموت اليمانِيـا

وبعد ذاك انتقل إلى لوم قومه لا زامهم ، فقال :

جـزى اللهُ قَـومي بِـالكُلابِ ملامـةً   صـريحهم والآخـرين المَواليـا

وبعد ذلك بين أنه لو شاء لهرب ونجا ، ولكنه ثبت ليحمي الذمار ، فقال :

ولَو شئْت نجتنِـي مـن الخَيـلِ نهـدةٌ   تـرى خلْفَهـا الحُـو الجيـاد تواليـا
ولكننِـي أحمـي ذمـار أبِـيكُم   وكَـانَ الرمـاح يخـتطفْن المُحاميـا

ثم ينتقل بعد ذلك إلى قص قصة أسرِه وشد لسانه ، وما لقي من هزء نساء تميم به ، فقال :

أقُـولُ وقَـد شـدوا لسـانِي بِنِسـعةٍ   أَمعشـر تـيمٍ أطْلقُـوا عـن لسـانِيا
أمعشـر تـيمٍ قَـد ملكْـتم فَأسـجِحوا   فإن أخـاكُم لَـم يكُـن مـن بواِئِيـا
فَـإنْ تقْتلُـونِي تقْتلُـوا بِـي سـيدا   وإنْ تطْلقُـونِي تحربـونِي بِماليـا
أحقًـا عبـاد اللهِ أنْ لَسـت سـامعا   نشـيد الرعـاءِ المُعـزِبِين المَتاليـا

(١) عيار الشعر ، أبو الحسن محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي ، تحقيق : عبد العزيز بن ناصر المانع ، مكتبة الخانجي - القاهرة ، د.ت ، ٢١٣/١ .
(٢) المفضليات ، ص٣١٥ وما بعدها .

وتضــحك منــي شــيخةٌ عبشــميةٌ ... كأنْ لــم تــرى قبلــي أســيرا يمانِيــا
وظــل نِســاءُ الحَــي حــولي ركــدا ... يــراودنَ منــي مــا تريــد نِســائيا
وقــد علمــت عرســي مليكــةُ أننِــي ... أنــا الليــثُ معــدوا علــي وعاديــا

ثم فخر بما عرف عنه من شجاعة وكرم ، ومهارة في القتال ، فقال :

وقد كُنت نحار الجَــزورِ ومعمــلَ الــ ... ــمطي وأمضي حيــثُ لاحــي ماضــيا
وأنحـــر للشـــربِ الكـــرامِ مطيتـــي ... وأصـــدع بـــين القينتـــين ردائيـــا
وكُنت إذَا مــا الخَيــلُ شمصــها القَنــا ... لَبيقــاً بتصــريف القَنــاة بنانِيـــا
وعاديـــةٍ ســـوم الجَـــراد وزعتهـــا ... بِكَفــي وقــد أنحــوا إلــي العواليــا

وأخيرا يختتم قصيدته بالأسف على لذائذه الماضيات ، حيث يقول :

كأني لــم أركــب جــوادا ولــم أقُــلْ ... لخيلــي كُــري نفّســي عــن رجاليــا
ولم أســبأ الــزق الــروي ولــم أقُــلْ ... لأيسارِ صدقٍ : أعظمــوا ضــوءَ ناريــا

فعلى الرغم من تعدد الأغراض في هذه القصيدة ، إلا أنه يلفّها رابط قوي يجمع بينها ، حيث إ ا مثلت حياة الشاعر في ماضيه وحاضره ، ومن ثَم مصيره الذي ينتظره[1] .

كما لعبت مقدما م المختلفة في قصائدهم دورا بارزا في إيجاد الوحدة الموضوعية في هـذا البنـاء الفني ، حيث جعلوها مدخلاً لتهيئة النفوس ؛ لتذوق جمال الشعر ، والتعبير عن خلجـات أنفسـهم ، وتصوير عواطفهم وأحاسيسهم ، وهي بعد ليست - كما قال ابن قتيبة في حديثه السابق عن بعـض أهل الأدب - ذات غاية نفعية هدفها هز السامعين للعطاء والنوال ؛ بل هي ذات صلة وثيقة بموضـوع القصيدة غالبا عند كثير من شعراء نجران ، بل وشعراء العربية عامة[2] .

ولقد نبه نقّادنا القدامى إلى هذه الصلة وهذه العلاقة والترابط بين المقدمة وموضوع القصـيدة ؛ يقول ابن رشيق نقلاً عن الحاتمي : " من حكم النسيب الذي يفتتح به الشاعر كلامه أن يكون ممزوجا بما بعده من مدحٍ أو ذم ، متصلاً به غير منفصلٍ عنه ، فإن القصيدة مثلها مثل خلق الإنسان في اتصال بعض أعضائه ببعض ، فمتى انفصل واحد عن الآخر وباينه في صحة التركيب ، غادر بالجسـم عاهـة تتخون محاسنه ، وتعفي معالم جماله "[3] .

ونلمح في مقدمات شعراء نجران هذه الصلة وهذا الترابط بين مطالعهم وموضوعا م الشعرية التي

---

(١) انظر : الشعر وأيام العرب ، عفيف عبد الرحمن ، ص٤٠٧ .
(٢) انظر : الوقوف على الأطلال ، مصطفى عبد الواحد ، ص٦٨ .
(٣) العمدة ، لابن رشيق ١١٧/٢ .

لعبت بيئتهم الحربية دورا بارزا في اشتمالها على سمات الحرب والفخر أكثر من غيرها من السمات ، ومن أبرز الأمثلة على ذلك : قول جبر بن الأسود الحارثي[1]:

أجدك لم تعرف أثافي دمنةٍ … مررت على أطلالها لا تعرج
بلى فتداعى الدمع حتى كأنما … جفونك سمطٌ خانه السلك ممرج
ليالي ليلى لا تزالُ كأنها … هميج بذي الدثين غَرَّاءُ عوهج
ربيبةُ خدرٍ لم تكشف سجوفُه … وقَارةُ مسكٍ آخر الليل تارج
كأن ثَناياها وبرد رضابها … هدوا نِطَاف بالمَسِيلة حشرج
تشج به رقْراقَةٌ صرخديةٌ … عقيلةُ محذُوفٍ يغص وينشج
تذكرا من بعد ما حالَ دونها … من النأي طَلْح بالحجاز وعوسج
فإني بليلى جيرٍ أنْ تسعف النوى … ومن دونها غَولُ البطاحِ فَمنعج
فَدع ذَا ولكن هلْ ترى رأي كاشحٍ … يخب إلينا بالوعيد ويهدج
كذَبتم وبيت اللهِ لا تأخذُونها … بني عانسٍ حتى تروحوا وتدلجوا
وحتى ترى الحو الطوال متونها … على ضوءِ نارٍ أو مع الصبحِ تسرج
وحتى ترى النجد البسِيلَ كأنما … يضرجه بالزعفَرانِ مضرج
وحتى ترى اللابس الكُماةَ كأنما … تصلوا ذَكًا يلوي القُلوب فَيهرج
كَبت كُرةُ الأبدان فَوق جلودهم … إذَا لبِسوا ما كانَ داوود ينسِج
هنالك إنْ تغلب تكُن أنت ربها … وإنْ تنهكُم عنها الحواجِز تعنجوا
حواجِز رحمٍ أو قتالُ عشيرةٍ … وعادةُ بعضِ الظلْمِ بالظلْمِ تلْهج
وما خلت أني نِلْت مالَ عشيرةٍ … ولا حيبةً إن الأمور تفَرج
فَلست بِمولى باطلٍ إنْ طَلَبته … ومالك عندي بِالظلامة مدلَج
متى تلْقَنِي لا تلْق شكة واحدٍ … إذَا افْتر يوما عن لظًى يتأجج
معي مشرفي كَالعقيقَة صارم … بِه أثَر بالمَتنتين مدرج
وأسمر خطي كأن اهتزازه … مقاطُ قَليبٍ مسه المَاءُ مدمج
وأبيض فَضفاض كَنِهيٍ تبسمت … لَه تحت ذَيلِ الصبحِ في القَاعِ نيرج
فَيالك من بز امرئ ذي حفيظَةٍ … يخب بِه عبلُ المَعاقم مهرج
وقَد علمت إني وإنك في الوغَى … إذَا اعتكَرت أصغى إلى السلْمِ مذْحج

(١) منتهى الطلب من أشعار العرب ، لابن المبارك ٣٣٥/٨ وما بعدها .

وقد ألف شخصينا سرادق هبوةٍ — فخانك صبر يوم ذلك مخدج
فحاذر هداياها فإني زعيمها — وأشنع ما يبتنى الكلام الملجلج

فهذه هي قصيدة جبر بتمامها ، عدة موضوعات تسير في تسلسلٍ وانتظام ، يبدأها بمقدمة طللية يذكر فيها ديار ليلى التي رحلت عنها ، فتركتها من بعدها دارسة موحشة ، ثم يتغزل بليلى غزلاً لطيفًا ذكرها فيه بالجمال والرفعة والعفة ، ثم تخلص من هذا الموضوع وانتقل إلى حديث التهديد والحرب والفخر بالذات ، ولا شك أن ثمّة رابطًا وثيقًا بين هذه المقدمة وموضوع القصيدة ، نلمحه في هذه المقدمة التي نشم فيها رائحة الفخر ، فهو لم يذكر المرأة إلا على سبيل حمايتها والافتخار أمامها بما يذكره بعد ذلك في باقي القصيدة ، وبذلك تلتحم بدايات القصيدة مع باقيها في وحدة عضوية يشكل الفخر لحمتها وسداها[1] .

ويغلب على النتاج الفني لشعراء نجران صفةُ الموضوعية ، حيث تتسم أكثر قصائدهم بوحدة الغرض الشعري ، فتكاد كلّ قصيدة من بدايتها إلى نهايتها تدور حول موضوعٍ واحد تعالجه ، كالفخر ، أو الحرب . وخير ما يمثل ذلك قول عبد المدان بن الديان[2] :

ألا أبلغا همدانَ والحيَّ مذْحجا — وكندةَ والمعروفَين من آل بارق
بأن سليما قضها وقضيضها — ونصرا وحيي عامر في الفيالق
أتونا بجمع يضلع الأرض رزه — له لجب عالٍ كصلق الصواعق
فما وردوا نجرانَ حتى بدت لهم — توابع من نجل الصريع ولاحق
مجربةُ الألبابِ مجلوزةُ الشوا — معاودةُ الإقدامِ في كل مأزق
يسومها الديان للغزو بعدنا — وترجع أمثال السيوف الذّوالق
تنادوا فقالت عامر يا لعامر — هو اليوم فارموا جمعهم بالبوارق
فناديت : يا حار بن كعبٍ فأقبلت — عرانين أمثال المحال المحانق
وحسرت عن رأسي القناع وقلّ ما — يحسر إلا في نزول البوائق
فأوروا شرار البيض بالبيض وانتموا — إلى الحارث البهلول حار الغرانق
ودارت رحانا واستدارت رحاهم — ونادت أخرى جشموني مواثق
فكانوا كشاةٍ غاب عنها رعاتها — مروعةٍ بالجو من نعق ناعق
وكنا إذا ما عامر دلفت لنا — بنجرانَ لم ننظر لها ضوءَ شارق
نعد الجهم رد المنية بالقنا — وبالبيض في أيماننا كالعقائق

(١) انظر : الوقوف على الأطلال ، مصطفى عبد الواحد ، ص٦٠-٦١-٦٨ ، وانظر : الغزل في العصر الجاهلي ، أحمد الحوفي ، ص٢٩٣ .
(٢) شرح قصيدة الدامغة ، للهمداني ، ص٢٦١ .

فالشاعر يروي قصة الحرب ، ويسرد أحداثها وما دار فيها من حوارٍ وصدامٍ وقتـال ، فأفكـاره متداعية مترابطة يفضي بعضها إلى بعضٍ في تسلسلٍ وانتظام ، وفي هذا التركيز الفكري حول موضوعٍ واحد تظهر هذه الوحدة وهذا التماسك بين أجزاء القول فيها .

٢/ المقطعات : وتأتي المقطعات الشعرية - التي يتراوح عدد أبيا ا بين الثلاثـة إلى العشـرة[١]- مهيمنة على أكثر نتاجهم الذي وصلنا ، في حين يقلّ نتاج بعضهم ، حتى لا نكاد نجد لـه إلا البيـت المفرد ، كقول الحصين بن يزيد الحارثي[٢]:

أغَـرنَ قلْـم يـدعن لآلِ زحـنٍ	**ولابـن جنـادرٍ فـيسٍ بعـيرا**

وقول الطفيل بن يزيد[٣]:

سـائلْ بفيـف الـريح عنـا عـامرا	**هـل بـات ذا سـهرٍ بطعنـة مسـهر**

والبيتين ، كقول المحجل بن حزن[٤]:

يـا مـي لا تسـتنكري تحـويلي	**ووضـحا أوفَـى علـى خصـيلي**
فـإن نعـت الفَـرس الرجيـل	**يكمـلُ بـالغرة والتحجيـل**

وكذلك قول عبد الحارث بن أنس[٥]:

نحـن بحمـد الله هامـةُ مـذْحجٍ	**بنو الحَارث الخَيـر الـذين هـم مـدر**
ونحن على ديـنِ النبـي نـرى الّـذي	**نهانا حرامـا منـه والأمـر مـا أمـر**

بينما تأتي سيطرة هذه المقطعات الشعرية ظاهرة عامة على نتاج شعراء نجران ، فمن هذه المقطعات المكونة من ثلاثة أبيات : قول الحارث بن كعب[٦]:

أبـني إن أبـاك يومـا هالـك	**فـاحفظْ أبـاك رياسـةً وتقلبـا**
وإذا لقيـت كتيبـةً فتقـدما	**إن المُقـدم لايكـون الأخيبـا**
تلقـى الرياسـة أو تمـوت بطعنـةٍ	**والمـوت يـأتي مـن نـأى وتجنبـا**

---

(١) الشعر وأيام العرب ، عفيف عبد الرحمن ، ص٤٠٦ .

(٢) الإكليل ، للهمداني ١٦١/١٠ .

(٣) نشوة الطرب ٢٣٩/١ .

(٤) البرصان والعرجان والعميان والحولان ، للجاحظ ، ص٢١ .

(٥) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٩٤٣/٣ ، الإصابة في تمييز الصحابة ١٦٠/٤ .

(٦) المعمرون والوصايا ، لأبي حاتم السجستاني ، ص١٢٢-١٢٣ .

وكذلك قول ابنة مرة بن عاهان[1]:

إنـــا وباهلـــةُ بـــن أعصـــر بيننـــا — داءُ الضـــرائرِ بغضـــةٌ وتقـــافي
مـــن نـــثْقفَن منـــهم فَلَـــيس بآيـــبٍ — أبـــدا وقتـــلُ بـــني قُتيبـــةَ شـــافي
ذَهبـــت قُتيبـــةَ في اللّقـــاءِ بِفـــارسٍ — لا طـــائشٍ رعشـــن ولا وقّـــاف

وقول سويد الحارثي[2]:

إنـــي إذَا مـــا الأمـــر بـــين شـــكه — وبـــدت بصـــائره لمـــن يتأمـــلُ
وتـــبرأ الضـــعفَاءُ مـــن إخـــوانِهم — وألح مـــن حـــر الصـــميم الكلكـــلُ
أدع الـــتي هـــي أرفـــق الخـــلات بِـــي — عنـــد الحفيظـــة للتـــي هـــي أجمـــلُ

وقول هوبر الحارثي[3]:

ألا هل أتـى التـيم بـن عبـد منـاءَة — على الشـنء فيمـا بيننـا ابـن تمـيم
بِمصـــرعنا النعمـــانَ يـــوم تألبـــت — علينـا تمـيم مـن شـظًى وصـميم
تـــزود منـــا بـــين أذْنـــاه طَعنـــةً — دعتـــه إلى هـــابِي التـــرابِ عقـــيم

وقول مزلج الزيادي الحارثي[4]:

أجـــد لبانـــات الهـــوى لم تخلّـــج — وساعة مـا اسـتودعت وصـلا فـزلج
صددتم ولـو شـئتم للاقـى سـوامكم — سواما غدا مـن عنـدكم غـير مـدلج
ولكـن علمـتم أن دون اكتفالـه — دروءًا مـتى مـا تلقـه الـريح تعـنج

ومن الأربعة قول مسهر[5]:

وهصت بخـرص الـرمح مقْلـة عـامر — فأضحى بخيصـًا في الفـوارس أعـورا
وغـادر فينـا رمحـه وسـلاحه — وأدبـر يـدعو في الهوالـك جعفـرا
وكنـا إذا قيسـية دهيـت بِنـا — جـرى دمعهـا مـن عينـها فتحـدرا
مخافـةَ مـا لاقـت حليلـةُ عـامر — مـن الشـر إذ سـربالُها قـد تعفـرا

ولا شك أن لظاهرة كثرة هذه المقطعات الشعرية في نتاج شعراء نجران أسبابـًا معقولة تفسر سر

---

(١) المصدر السابق ، خزانة الأدب ، للبغدادي ٣٩٩/١١ ، ١٨٩/١ ، فُرحة الأديب ، للغندجاني ، ص١٤١ .
(٢) البيان والتبيين ، للجاحظ ٢٤١/٣-٣٣٦ .
(٣) غريب الحديث لابن سلام الهروي ١ / ٣٣٤ – ٣٣٥ .
(٤) معجم الشعراء ، للمرزباني ، ص٤٤ .
(٥) العقد الفريد ، لابن عبد ربه ٢٢٢/٥ .

شيوعها ، قد يكون من أهمها : تخير الرواة للبيت والبيتين والثلاثة من مجموع القصيدة الكاملة مما لـه صلة بأخبارهم وتركهم لباقي القصيدة ، حتى عدا الزمان على تلك البقية الباقية من القصيدة فضيعها ، فلم يبق منها إلا هذه الأجزاء المقتطعة منها ، وليس ذلك غريبا عليهم[1] .

وقد يكون خير مثال على ذلك : أبيات أمية بن الصلت في مدح بني عبد المدان ، التي يقول فيها[2] :

ولقـــد رأيــت القــائلين وفعلهـــم	**فرأيـــت أكـــرمهم بـــني الـــديان**
ورأيــت مــن عبــد المَــدان خلائقًــا	**فَضــلَ الأنــام بهــن عبــد مــدان**
البــر يلبــك بالشــهاد طعامــه	**لا مــا يعللنــا بنــو جــدعان**

فشاعر مثل أمية يغلب على الظن أن يكون قد مدحهم ضمن قصيدة كاملـة ، وليسـت أبياتـا مقتضبة يفتتح ا المدح مباشرة ، بل أرجح أن تكون هذه الأبيات التي حفظت ووصلت إلينا كانت من تخير الرواة ؛ لاتصالها بقصة أول من صنع الفالوذج بمكة وأطعمه لأهلها ، ففي هذه الأبيات يهمز أمية - ثري مكة - عبد الله بن جدعان ويتعرض لكرمه بطرف خفي حين يفضل كرم وطعام بني عبد المدان على كرمه وطعامه الذي كان يطعمه لأهل مكة ، حيث كان ابن جدعان يطعمهم التمـر والسـويق واللبن ، فما أن وصلته هذه الأبيات حتى ثارت غيرته ، فأرسل لليمن ليحضر من يصنع له الفـالوذج ، فكان أول من أدخله لمكة ودعا الناس لصحافه[3] .

كما أن كثيرا من هؤلاء الرواة على اختلافهم ؛ من نحويين ، ولغويين ، وبلاغيين ، كـانوا قـد شغلوا أنفسهم بالتفتيش عن البيت المفرد ، والتنقير عن المثل والشاهد وما يتفق مع موضوعا م[4] ، وقد لاحظ الجاحظ هذا الصنيع من الرواة ، فيقول : " لم أر غاية النحويين إلا كل شعر فيه إعراب ، ولم أر غاية رواة الأشعار إلا كلّ شعر فيه غريب أو معنى يحتاج إلى استخراج "[5] .

كما يقول : " طلبت علم الشعر عند الأصمعي فوجدته لا يحسن إلا غريبه ، فرجعت إلى الأخفش فوجدته لا يتقن إلا إعرابه ، فعطفت على أبي عبيدة فوجدته لا ينقل إلا ما اتصل بالأخبار ، وتعلق بالأيام والأنساب "[6] .

فمعنى هذا كله أ م وإن وصلتهم القصائد كاملة ، فإ م لم يهتموا بروايتها كاملة ، وإنما كـانوا

---

(١) انظر : مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي ، حسين عطوان ، ص٢١٠ .

(٢) ذيل الأمالي والنوادر ، للقالي ، ص٣٨ ، أمية بن أبي الصلت ، جة عبد الغفور ، ص٣١٠ ، ديوان أمية بن أبي الصـلت ، سـجيع الجبيلي ، ص١٤٦-١٤٧ .

(٣) انظر : البداية والنهاية ، لابن كثير ٢١٨/١ ، وانظر : الروض الأنف ، للسهيلي ، تحقيق : عبد الرحمن الوكيل ، ص٧٧-٧٨ .

(٤) انظر : مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي ، حسين عطوان ، ص٢١٠ .

(٥) البيان والتبيين ، للجاحظ ٢٤/٤ .

(٦) العمدة ، لابن رشيق ١٠٥/٢ .

يتخيرون منها ما له صلة بصناعتهم ، وما حفلوا به من أبيات استجادوها[١] ، وفي هذا ما يفسر سبب رجوعي لكثيرٍ من مصادر اللغة ومعاجمها ؛ لاستخراج أشعار هؤلاء الشعراء الذين تخير الرواة أشعارهم[٢] ، بل حتى إن نتاج وشعر هؤلاء الشعراء لم يسلم من هذا التخير والانتقاء ، وإلا فأين شعر عبد يغوث الذي تعرض له الجاحظ بالنقد ، فحكم بجودة شعره في الأمن والخوف[٣] ، فقال : " ما قرأت في الشعر كشعر عبد يغوث بن صلاءة الحارثي ، وطرفة بن العبد ، وهدبة هذا ، فإن شعرهم في الخوف لا يقصر عن شعرهم في الأمن ، وهذا قليل جدا "[٤] ، في حين وصفه بعض الباحثين بأنه من أصحاب الواحدة ؛ ؛ نظرا لما وصلنا من شعره[٥] ، ويغلب على الظن أن قصيدته المرثية التي حفظها الرواة كانت قد حفظت ؛ لصلتها بيوم الكلاب الثاني ، وهو من أيام العرب العظيمة ، وهذا كثير في شعر الأيام[٦] .

في حين تدلّ بدايات كثير من هذه المقطعات على أ ا جزء من قصيدة ، ويتضح ذلك من خلال ابتدائها بحروف الربط التي تدلّ على أن للبيت صلة بما قبله[٧] ، كقول عبد الله بن عبد المدان[٨] :

وما شعروا بالجمع حتى تبينوا	**لدى شعبة القرنين رب المُزنم**
يخب بي العطاس رافع طَرْفه	**له ذَمرات في الخميس العرمرم**

وكذلك قول يزيد بن عبد المدان[٩] :

ولست يشاوي عليه دماءه	**إذا ما غدا يغدو بقوس وأسهم**
ولكنني أغدو علي مفاضةٌ	**دلاص كأعيان الجراد المنظّم**

وكقول النجاشي[١٠] :

وهلْ أنتم إلا كأبناءِ نهشلٍ	**وآل فُقَيم قُتلوا ومجاشع**
بذنبِ سويد وهو من آل دارم	**لزيد بن عبد اللهِ والأمر جامع**

(١) انظر : الشعر وأيام العرب في العصر الجاهلي ، عفيف عبد الرحمن ، ص٤٠٣-٤٠٤ .
(٢) انظر : شرح أبيات سيبويه ، للسيرافي ٢٦٨/٢ ، انظر : لسان العرب ، مادة (غزل) ٤٩١/١١ .
(٣) وأظن الجاحظ قد أراد بشعره في الخوف : قصيدته الوحيدة التي وصلت إلينا ، وهي المرثية التي قالها قبل موته عند أسره بعد يوم الكُلاب الثاني .
(٤) الحيوان ، للجاحظ ١٥٧/٧ .
(٥) شعر قبيلة مذحج في الجاهلية والإسلام ، محمد آل مبارك ٣٢٧/١ .
(٦) انظر : الشعر وأيام العرب في العصر الجاهلي ، عفيف عبد الرحمن ، ص٢١٨-٤٠٣ .
(٧) المرجع السابق ، ص٤٠٤-٤٠٥ .
(٨) أنساب الخيل في الجاهلية والإسلام وأخبارها ، لابن الكلبي ، تحقيق : أحمد زكي ، ص٩٤ .
(٩) شرح أبيات سيبويه ، للسيرافي ٢٦٨/٢ .
(١٠) الأخبار الموفقيات ، للزبير بن بكار ، ص٢٣٦ .

فهذه المقطعات جاءت بدايات مطالعها بحرف الواو ، وهو من حروف العطف التي تربط سـابقًا بلاحق ، كما يوحي السياق فيها بأنها بقية باقية من قصيدة .

وكذلك قول طفيل الغنوي في وصف حاله ونعيمه عند مجاورة بني عبد المدان[1]:

إذا مـا دعـاهن ارعـوين لصـوته	**كما يرعوي عيـد إلى صـوت مسـمع**
تبيـت أواليهـا عواكـف حولـه	**عكُوف العذارى حـولَ ميـتٍ مفجـع**
وقَـد سـمنت حـتى كـأن مخاضـها	**تفَشـغها ظلْـع وليسـت بظلْـع**
مجـاورةً عبـد المَـدان ومـن يكُـن	**مجـاورهم يـ القَهر لا يتظلـع**

فهو من بداية هذه المقطوعة يتحدث عن التفاف أنعامه حول الفحل إذا ما دعاهن .

إلا أن من هذه المقطوعات ما جاء مكتمل المعنى ؛ مما يدلّ على أنها وضعت أساسا علـى هـذا الأسلوب ، وأكثر ما يكون ذلك في موضوعات شعر الحرب ، ولا شك أن هذا اللـون مـن الشـعر يتطلب سرعةً في القول ، وسرعةً في الإيصال ، وعدم المبالغة ، والإسـراف في الوصـف ، وإيصـال المعلومات التي يريد الشاعر نشرها بين القبائل بأوجز عبارة[2] ، كما تكثـر المقطوعـات كـذلك في موضوع الرثاء ، حيث ينصرف الشاعر إلى أداء المعنى بعبارات موجزة متلائمة مع عظم الموقف الـذي قيلت فيه ، وخاصة أن أكثر المقطوعات الرثائية كانت قد قيلت في أعقاب المعارك الحربية حين تكـون المشاعر مضطربة ، والانفعالات النفسية متأججة ، وفي هذا ما يشغل الشاعر عن الإطالة أو تنقيح شعره ، كما أن من شعر الرثاء ما قيل وقت المصيبة والهلع ، فتأثر بهذا الانفعال النفسي الثائر على الواقع ، ومن ذلك : قول عائشة بنت عبد المدان[3]:

هـا مـن أحـس بـإبني اللـذين همـا	**كالـدرتين تشـظّي عنـهما الصـدف**
هـا مـن أحـس بـإبني اللـذين همـا	**مخ العظـام فمخـي اليـوم مزدهـف**
هـا مـن أحـس بـإبني اللـذين همـا	**قلبي وسمعي فقلـبي اليـوم مختطـف**
نبئت بسرا ومـا صـدقت مـا زعمـوا	**من إفكهم ومن القـول الـذي اقترفُـوا**
أنحـى علـي ودجـي إبـني مرهفـةً	**مشـحوذةً وكـذاك الإثمُ يقْتـرف**

ولقد تحققت في هذه المقطوعات - التي تدور حول موضوعٍ واحـد - الوحـدة الموضـوعية ؛ لانصرافها لتصوير تجربة نفسية واحدة ، ومحورٍ فكري واحد .

---

(١) ديوان الطُفَيل الغنوي ، تحقيق : محمد عبد القادر أحمد ، ص٥٢-٥٣-٥٤ .

(٢) الشعر وأيام العرب في العصر الجاهلي ، عفيف عبد الرحمن ، ص٤٠١ .

(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ١٦٠/١ ، الكامل في التاريخ ، لابن الأثير ٢٥١/٣ .

٤) الموسـيقى :

الموسيقى هي أداة من أبرز الأدوات التي يستخدمها الشاعر في بناء قصيدته ، وهي عنصر أسـاس من عناصر صنعة الشعر ، بالإضافة إلى هذا فهي فارق جوهري من فوارق الشعر عن النثر ، كمـا أنّ موسيقى الشعر تعد وسيلة من أقوى وسائل الإيحاء للتعبير عن كل ما هو عميق وخفي في النفس مما لا يستطيع الكلام التعبير عنه[١]، فهي ليست حلية خارجية تضاف للشعر دونما أثر لوجودها ؛ بل هي التي تمكننا من تلحينه وإظهار جماله ، وتوضيح أوزانه[٢]، ولا تتحقق هذه الموسيقى في النص الشعري بمحض الإيقاع العام الذي يحدده البحر والقافية ، بل يحققها أيضا الإيقاع الخاص لكل كلمة ، أي كل وحدة لغوية لها تفعيلة عروضية للبيت ، كذلك تتحقق بالجرس الخاص لكل كلمة من الكلمات المستعملة ، ثم الجرس المؤتلف الذي تصدره في اجتماعها في البيت كله ، ثم من تتابعها في البيـت تلـو البيـت[٣]، فموسيقى الشعر تتحقق من خلال إطارين ؛ هما : الموسيقى الخارجية ، والموسيقى الداخلية .

١| الموسـيقى الخارجيـة :

وتتألف هذه الموسيقى من ركنين أساسيين ؛ هما : الوزن والقافية . فهذان الركنان في الشعر همـا حجر الأساس التي يقيسها العروض وحده ، وهما : حد بنائه ، وتمييزه عن النثر[٤]، والوزن أعظم هذين الركنين ، بينما تأتي القافية تماما له[٥].

أ- الـوزن :

لقد حافظ شعراء نجران عند نظمهم للشعر على الأوزان الشعرية التي نظم عليها أسـلافهم مـن شعراء العرب شعرهم في جاهليتهم وإسلامهم ، فلم يحدث لما نظموه فيها من شعر حتى ايـة الفتـرة الإسلامية التي تقف عندها حدود هذه الدراسة أي نوع من التجديد عما كان لدى سابقيهم ، فقـد جاءت أشعارهم موقعة على البحور الشعرية الرائجة عند العرب ، كما أ م لم يركنوا لبحرٍ واحـد أو وزن معين ، بل تعددت أوزا م وبحورهم الشعرية ؛ من طويل ، ووافر ، وبسيط ، وكامل ، ومتقارب ، وخفيف ، وبسيط ، ورمل ، ورجز ، وسريع ، وهزج ، ومنسرح .. فجاءت أشعارهم المختلفة موقعة على هذه البحور الشعرية المتعددة .

ولقد حاول بعض من الباحثين القدامى والمحدثين أن يسِم كل بحر من البحور الشعرية بسـمات

---

(١) انظر : عن بناء القصيدة العربية الحديثة ، علي عشري زايد ، ص١٥٤ .

(٢) انظر : المرجع السابق ، وأصول النقد الأدبي ، أحمد الشائب ، ص٣٢١ .

(٣) انظر : الشعر الجاهلي منهج في دراسته وتقويمه ، محمد النويهي ، الدار القومية للطباعة والنشر - القاهرة ، د.ت ، ٣٩/١ .

(٤) انظر : نقد الشعر ، قدامة بن جعفر ، ص١٧ ، وانظر : أصول النقد الأدبي ، أحمد الشائب ، ص٢٩٦ .

(٥) المرجع السابق ، ص٣٠٠ .

معينة تحدد ماهيته وطبيعته ، ومن ثم يصبح ملائما لغرضٍ دون آخر[1]، يقول حازم القرطاجني : " ولما كانت أغراض الشعر شتى ، وكان منها ما يقصد به الجد والرصانة ، وما يقصد به الهزل والرشـاقة ، ومنها ما يقصد به البهاء والتفخيم ، وما يقصد به الصغار والتحقير ، وجب أن تحاكي تلك المقاصد بما يناسبها من الأوزان ويخيلها للنفوس . فإذا قصد الشاعر الفخر حاكى غرضه بالأوزان الفخمة الباهيـة الرصينة ، وإذا قصد في موضع قصدا هزليـًا أو استخفافيا ، وقصد تحقير الشيء أو العبث به حـاكى ذلك بما يناسبه من الأوزان الطائشة القليلة البهاء ، وكذلك في كل مقصد .. وكانت شعراء اليونانيين تلتزم لكل غرض وزنـًا يليق به ، ولا تتعداه فيه لغيره "[2].

ولم يخف على كثير من النقاد مجانبة مثل هذه المحولات للصواب ، حيث إن في استعراض كثير من القصائد القديمة وموضوعا ا ما يشعرنا بعدم وجود هذا التخير ، أو الربط بين موضوع القصيدة ووز ا ، فإ م كانوا يمدحون ويفاخرون ، أو يتغزلون في كل بحور الشعر التي شاعت عندهم ، حتى إن المراثـي كانت قد جاءت على الطويل والبسيط والخفيف والوافر والكامل[3]، بل إن القصيدة الواحدة كانـت تشتمل على أكثر من غرض واحد ، كالغزل ، والوصف ، والمدح ، والرثاء ، وبالتالي فنحن لا نستطيع أن نقرر الغرض الذي لاءمه الوزن[4].

كما أنه من العسير جدا تحديد بحر معين لكل غرض شعري ، فإن ذلك يحد من حرية الشاعر بمـا يفرض عليه من حدود وقيود تعيق إيصال تجربته الشعرية ، ومعلوم أن الشاعر في ظلّ تمتعه بحرية النظم لا يحدد لنفسه بحرا معينا ؛ بل يرخي لذوقه الفني العنان تحت انفعاله النفسي ؛ ليقع شعره على الـوزن الذي يصدف له من الأوزان الملائمة لعاطفته[5].

ولذا نبه كثير من النقاد إلى علاقة أصدق وأصوب ، وهي علاقة عاطفة الشـاعر بـالوزن الذي ينظم عليه قصيدته ، وقد ربط الغربيون كذلك بين الوزن والعاطفة من خلال الدراسـة النفسية والصوتية ، حيث ربطوا بين وزن الشعر وبين نبضات القلب ، فوجدوا صلة وثيقة بين نبضة القلب وما يقوم به الجهاز الصوتي وقدرته على النطق بعدد من المقاطع ، فـإن نبضـات القلب تزداد كثيرا مع الانفعالات النفسية ، تلك الانفعالات التي قد يتعرض لها الشاعر في أثناء نظمه ،

---

(١) انظر : المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها ، عبد الله الطيب ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٧٠م ، ٨٩/١ ، وانظر : منهاج البلغـاء وسـراج الأدباء ، للقرطاجني ، ص٢٦٨ ، وانظر : تاريخ آداب اللغة العربية ، جورجي زيدان ٦٢/١ .

(٢) منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، للقرطاجني ، ص٢٦٦ .

(٣) موسيقى الشـعر ، إبـراهيم أنـيس ، ص١٧٧ ، موسـيقى الشـعر العـربي ، شـكري عيـاد ، دار المعرفـة - القـاهرة ، ط : ١٩٦٨م ، ص١٨-١٩ .

(٤) انظر : الشعر وأيام العرب في العصر الجاهلي ، عفيف عبد الرحمن ، ص٣٥٤ .

(٥) انظر : الأسس الجمالية في النقد العربي ، عز الدين إسماعيل ، وزارة الثقافة والإعلام - بغداد ، ط٣ ، ١٩٨٦م ، ص٣٧٥-٣٧٦ .

والتي تتباين هي الأخرى من شاعرٍ لآخر[1].

ويؤكد إبراهيم أنيس على صحة هذه العلاقة ، فيقول : " نستطيع ونحن مطمئنـون أن نقـرر أن الشاعر في حالة اليأس والجزع يتخير عادة وزنا طويلاً كثير المقاطع ، يصب فيه من أشجانه ما يـنفس عنه حزنه وجزعه ، فإذا قيل : الشعر وقت المصيبة والهلع تأثر بالانفعال النفسي ، وتطلب بحرا قصـيرا يتلاءم وسرعة التنفس وازدياد النبضات القلبية "[2].

ومن خلال استعراض هذا النتاج الشعري للشعراء في نجران يظهر هذا التنوع في أوزا م الشـعرية التي نظموا عليها ، وإن كان بحر الطويل قد جاء في مقدمة الأوزان التي نظموا عليها ، فلقد سيطر هذا البحر على كثيرٍ من شعر شعراء نجران ، وفي كثرة مقاطعه وتفعيلاته ، وتعدد وتنوع أضربه التي ناسبت كثيرا من أغراض الشعر العربي منذ القدم ، ما يفسر سر هذا الشيوع ليس علـى الشـعراء في نجـران فحسب ؛ بل على شعراء العربية كافة ، وشيوع بحر الطويل على الشعر العربي القديم ظـاهرة ليسـت بجديدة ، فقد تنبه لها أبو العلاء المعري ، حيث قال : " إن أكثر أشعار العرب من الطويل والبسـيط ، ومن تصفح أشعارهم وقف على صحة ذلك "[3]. وأكد على صحة ذلك الدكتور إبراهيم أنيس ، الذي وقف على كثيرٍ من شعر العرب ، فوجد أنّ ما يقرب من ثلث الشعر العربي كان قد نظم عليه[4].

ولقد ناسب هذا البحر العديد من الأغراض الشعرية الجدية الجليلة الشأن ، التي عني ا الشـعراء كثيرا ، كالحماسة والحرب ، والفخر والمدح والهجاء[5]، وهذه كلها معان راجت في بيئة نجران ، بـل انسجمت انسجاما تاما مع هذه البيئة التي عاشت الكثير من الحروب والمعارك التي ارتبطت ا حيـاة أبنائها وفرسا ا الذين بدورهم ألفوا التعبير عن أيامهم وحرو م وحيا م بأوزان شعرية يكـاد يغلـب عليها نمط واحد ألفته آذا م أكثر من غيره[6]، فجاء بحر الطويل أبرز هذه الأوزان التي ألفتها آذا ـم ، فقد ناسبت أوزانه المتدفقة والمتعددة مواضيع الحماسة والحرب ، وما فيها من معان متدفّقة بالقـوة ، والحماسة ، والحرب ، والتغني بعزة الانتصار .. وهذه كلها معان قوية ثائرة ذات رنة عنيفة واضـحة مقتبسة من قرع الطبول التي يدق ا للحرب[7]، فنجدها بارزة في قول يزيد بن عبد المدان الثائر علـى

---

(1) انظر : موسيقى الشعر ، إبراهيم أنيس ، ص175-177 .

(2) المرجع السابق ، ص177-178 .

(3) الفصول والغايـات ، أبـو العـلاء المعـري ، تحقيـق : محمـد زينـاتي ، الهيئـة المصـرية العامـة للكتـاب - القـاهرة ، ط : 1977م ، 212/1 .

(4) موسيقى الشعر ، إبراهيم أنيس ، ص190 .

(5) انظر : المرجع السابق ، ص191 .

(6) انظر : المرجع السابق ، ص187-188 .

(7) انظر : المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها ، عبد الله الطيب 89/1 .

الأعداء ، المنتشي بعزة النصر ، حيث يقول[1]:

ألا أبلغــا همــدانَ والحــي مــذْحجا وكنــدةَ والــروقَين مــن آل بــارق
بِــأن ســليما فَضــها وقَضيضــها ونصــرا وحيــي عــامر في القَيــالق
أتونــا بجمــع يضــلع الأرض رزه لــه لجــب عــالٍ كصــلق الصــواعق
فما وردوا نجــرانَ حــتى بــدت لهــم توابــع مــن نجــل الصــريع ولاحــق
محرجــةُ الألبــابِ مجلــوزةُ الشــوا معــاودةُ الإقــدامِ في كــل مــازق
يســومها الــديان للغــزو بــدنا وترجــع أمثــال الســيوف الــذّوالق

كما ناسبت أوزان هذا البحر معاني الفخر[2]، وما فيها من تعظيمٍ وتداعٍ لكريم الصفات ، يقـول يزيد بن مخرم[3]:

ألم تعلمــوا علمــا يقينــا بــأنني أخــو ثقــةٍ يشــقي بــه مــن يحاربــه
وقــد أبقــت الأيــام مــني بقيــة كخــيرٍ حســام لم تخنــه مضــاربه
وكم مــن كمــي قــد تركــت مجــدلاً تنــوح وتبكــي معــولاتٍ قرائبــه
وكم من أســيرٍ قــد فككــت وعائــلٍ جبــرت وقــد أعيــت عليــه مذاهبــه

كما وجد المداحون في بحر الطويل مناسبة لمعاني المدح التي تشع بالعظمة والإجـلال والمهابـة ، وإسباغ معاني التقدير والكمال على الممدوح ؛ يقول طفيل الغنوي مادحا بني عبد المدان[4]:

مجــاورةً عبــد المَــدان ومــن يكُــن مجــاورهم بِــالقَهر لا يتطلّــع
أنــاس إذا مــا أنكــر الكلْــب أهلــه حموا جارهم من كُــل شــنعاءَ مضــلع
وإنْ شــلت الأحيــاءُ بــات ثــويهم علــى خيــر حــالٍ آمنــا لــم يفــزعِ

وعلى نغمات هذا البحر نظم الخطيم المحرزي قصيدته التي بلغت ثلاثة وستين بيتـًا ، والـتي يقول فيها[5]:

أبــت لــي ســعد أنْ أضــام ومالــك وحي الربــابِ والقَبائــلُ مــن عمــرو
وإنْ تلــق نــدماني يخبــرك أنــني ضعيف وكاءِ الكيس لــم أغْــذَ بِــالفَقْر

(١) شرح قصيدة الدامغة ، للهمداني ، ص٢٦١ .
(٢) موسيقى الشعر ، إبراهيم أنيس ، ص١٩١ .
(٣) معجم الشعراء ، للمرزباني ، ص٤٨٠ .
(٤) ديوان الطُفَيل الغنوي ، تحقيق : محمد عبد القادر أحمد ، ص٥٢-٥٣-٥٤ .
(٥) منتهى الطلب في أشعار العرب ، لابن المبارك ٢٤٥/٣ وما بعدها .

سمتْ لي بالبين اليماني صبابةٌ   وأنت بعيد قد نأيت عن المصر
أتيح لذي بثٍّ طريدٍ تعوده   هموم إذا ما بات طارقُها يسري
بنجرانَ يفري الهَمَّ كُلَّ غريبةٍ   بعيدة شأو الكلام باقيةَ الأثر
ألا ليت شعري هلْ أبيتن ليلةً   بأعلى بلى ذي السلامِ وذي السدر

فقد ناسب هذا البحر مشاعر الخطيم المنفعلة والثائرة ، التي انتظمت في معاني الفخر والحزن ، والثورة على هوان السجن ، واستنصار قبيلته لفك أسره ، فهذه المعاني العديدة التي بثّ الخطيم من خلالها معان عدة تكالبت عليه في سجنه وغربته ، منها فخره بذاته ، وحنينه للديار والأحبة ، واستنهاض قومه لإخراجه من سجنه ، وهي لا شك معان جليلة قوية تدفقت بسلاسة وسهولة على وزن هذا البحر الذي تميز بالبهاء والقوة ، والإيقاع البطيء الهادئ نسبيا ، الذي تناسب مع العاطفة المعتدلة الممتزجة بالتفكير(١) .

ويأتي بحر الوافر كذلك في طليعة الأوزان التي نظموا عليها شعرهم ، فقد ناسب هذا البحر الذي تميز بسرعة النغمات وتلاحقها ، والوقفات القوية التي سرعان ما يتبعها إسراع وتلاحق أشعارهم التي شاعت فيها معاني القوة والحماسة والحرب ، وإظهار الغضب في معرض الهجاء والفخر ، والتفخيم في معرض المدح(٢) ، فنظم الديان بن قطن الحارثي عليه شعرا حماسيا تغنى فيه بعزة النصر وهزيمة الأعداء ، يقول(٣) :

صبحنا تغلبا وسراةَ بكرٍ   بداهيةٍ يشيب لها الوليد
نخاوي يترك الأحزانَ قاعًا   لها في الشمس ما ائتلقت وقُود
كأن كُماتَنا بزلٌ تخطى   بأوساقٍ وقابلها سعود
فأردينا سراةً ليس تحصى   لها فيهم إذا حسبت عديد
فطاروا عن تهامتنا شعاعا   وفلهم بحيثُ جرى شريد

ونظم عليه كذلك مخرم بن حزن ، ذاكرا نصرهم المبين على بني نمير(٤) :

وخيلٍ قد لبستهم بخيلٍ   تخوض الموت في يومٍ عصيبِ
ملأنا الأرض من قتلى نميرٍ   برغمٍ كانَ منا في القلوبِ
تركنا فيهم العقبان تُجلا   وقوفا بين أضلاع الجنوبِ

---

(١) انظر : دراسة الشعر الجاهلي ، محمد النويهي ٦١/١ ، وانظر : موسيقى الشعر ، إبراهيم أنيس ، ص١٧٨ .
(٢) انظر : الشعر وأيام العرب في العصر الجاهلي ، عفيف عبد الرحمن ، ص٣٥٧ .
(٣) شرح قصيدة الدامغة ، للهمداني ، ص٢٦٧ .
(٤) معجم الشعراء ، للمرزباني ، ص٤٤٢ .

وعلى هذه النغمات المتلاحقة نظم يزيد بن مخرم نقيضته التي رد فيها على مالك بن حريم فخره ، فهجاه ورد عليه فخره[1]:

ألا أبلــغ بــني همــدان عــني	**رســالةَ ماجــد واري الزنــاد**
بــأن شــويعرا مــنكم أتــاني	**لــه قــولٌ يقــال بــلا ســداد**
يســامي معشــرا كثــروا وعــزوا	**وغــارات كمرســلة الجــراد**
فلســت بقائــلٍ هجــرا ولكــن	**ســتعلم أي مــردإٍ تــرادي**
مــتى مــا تلقــني تعلــم بــأني	**شــديد الأســر طــلاع النجــاد**

ونظموا على الرجز ، هذا البحر الذي تميزت أوزانه بالخفة وسرعة الحركة ، فلذا عد مـن أكثـر الأوزان الشعرية شيوعا عند العرب ؛ إذ كان يجري على لسان العربي بديهة فيرتجله الشاعر ارتجـالاً في مواقف عديدة من حياته ، وخاصة في ساحات الفخر التي تتطلب السرعة والارتجال[2]، فقد نظم عليـه يزيد بن عبد المدان مفاخرا عامر بن الطفيل ، حيث قال[3]:

أمــي يــابن الأســكر بــن مــدلج	**لا تجعلــن هوازنــا كمــذْحج**
إنــك إن تلْهــج بــأمر تلْجــج	**مــا النبــع في مغرســه كالعوســج**

ولا الصريــح المَحــض كالمُمــزج

كما استعمله النجاشي في معرض هجائه مع حسان بن ثابت وابنه عبد الرحمن ، حيث عمد إليه من فوره حينما وصله هجاء حسان له فكأنما أعجزه الوقت عن التفكير والتأمل الذي لا يلائم مشاعره المنفعلة بالغضب والهيجان[4]، فيطلق حينها الرد بالهجاء من فوره لحسان ، ومن ذلك قوله بعد أن بلغـه هجاء حسان[5]:

يــا أيهــا الراكــب ذو المتــاع	**ذو الرحــل والبــردين والأقْطــاع**
آذن بنِــي النجــار بالوقــاع	**مــن شــاعر لــيس بمســتطاع**
لــيس مــن الهَرهــي ولا الجــزاع	**لا يقْتــلُ الأقــوام بالخْــداع**
إلا صــميم النفْــر والمَصــاع	**يســبق شــأو النجــب الســراع**

---

(١) المصدر السابق .

(٢) تـاريخ الأدب العـربي ، عمـر فـروخ ٣٦٩/١ ، وانظـر : الشـعر وأيـام العـرب في العصـر الجـاهلي ، عفيـف عبد الرحمن ، ص٣٦٨-٣٦٩ .

(٣) الأغاني ٢٦٩/١٢ .

(٤) انظر : الشعر وأيام العرب ، عفيف عبد الرحمن ، ص٣٧٣-٣٧٤ .

(٥) الأخبار الموفقيات ، للزبير بن بكار ، ص٢٤٤-٢٤٥ .

جاءَ على نجّيبةٍ وساع ... في موكبٍ عرمرم قضاع

مثل أتي السيل ذي الدفاع ... إني امرؤ أوفى على يفاع

في جلبات المَجد والجُماع

وناسب بحر المتقارب الذي تميز بالرنة والنغم المطرب والحركة والسير[1]، سير الأعشى الحثيث للوصول لسادة نجران ومدحهم ، حيث يقول[2]:

وكعبةُ نجرانَ حتم عليـ ... ـك حتى تناخي بأبوابها

نزور يزيد وعبد المسيح ... وقيسا هم خير أربابها

إذا الحبَرات تلوت بهم ... وجروا أسافلَ هدابها

كما نظموا على بحر الكامل هذا الوزن الذي اتسع بتفعيلاته المتعددة لكثير من الأغراض الشعرية ، التي يغلب عليها طابع الجدية[3]، كالمدح ، كما في قول أمية بن أبي الصلت[4]:

ولقد رأيت القائلين وفعلهم ... فرأيت أكرمهم بني الديان

ورأيت من عبد المدان خلائقًا ... فضلَ الأنام بهن عبد مدان

البر يلبك بالشهاد طعامه ... لا ما يعللنا بنو جدعان

وعلى مجزوء الكامل أنشأ قس بن ساعدة حكمته الشهيرة التي أودعها ثمرة تجاربه الطويلة في الحياة ، فاستخلصها في مقطوعة شعرية سريعة استعمل فيها هذا الضرب المجزوء المرفل (متفاعلُن / متفاعلُن / متفاعلُن / متفاعلان)[5]، فناسب هذا الإيقاع السريع الهادي هذه الحكمة الموجزة[6]:

في الذاهبين الأوليـ ... ـن من القُرون لنا بصائر

لما رأيت مواردا ... للموت ليس لها مصادر

ورأيت قومي نحوها ... تمضي الأكابر والأصاغر

---

(١) انظر : أصول النقد الأدبي ، أحمد الشائب ، ص٣٢٢ .

(٢) ديوان الأعشى الكبير ، محمد حسين ، ص١٧٣ .

(٣) الشعر وأيام العرب في العصر الجاهلي ، ص٣٥٩ .

(٤) ذيل الأمالي والنوادر ، للقالي ، ص٣٨ ، أمية بن أبي الصلت ، بهجة عبد الغفور ، ص٣١٠ ، ديوان أمية بن أبي الصلت ، سجيع الجبيلي ، ص١٤٦-١٤٧ .

(٥) إرواء الغليل في تيسير علمي الخليل ، عبد الرحمن بن محمد إسماعيل ، مطابع العامري للنشر والتوزيع - المملكة العربية السعودية ، ط١ ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م ، ص٤١ .

(٦) الحماسة المغربية ٢/١٤٠٠-١٤٠١ ، العقد الفريد ١١٨/٤ ، معجم الشعراء ، للمرزباني ، ص٢٢٢ .

لا يرجِع الماضي ولا … يبقى من الباقين غابر
أيقنت أني لا محا … لةَ حيثُ صار القَوم صائر

كما نظموا على بحر البسيط الذي تميز بالرقة والجزالة[1] التي ناسبت الحكمة ، كما في قول الأفوه الأودي[2]:

والبيت لا يبتنى إلا له عمد … ولا عماد إذا لم ترس أوتاد
لا يصلح الناس فَوضى لا سراة لهم … ولا سراة إذا جهالُهم سادوا
إنّ النجاةَ إذا ما كُنت ذَا بصر … من أجة الغي إبعاد فإبعاد
والخير تزداد منه ما لقيت به … والشر يكفيك منه قلّ ما زاد

أما بحر الخفيف - وهو من أخف البحور على الطبع ، وأطلاها للسمع ، وأسهلها في النظم ، وبرغم تميزه بالخفّة والعذوبة والسلاسة[3]- فقد ندر نظمهم عليه ، باستثناء قصيدة الأعشى ، التي تشوق فيها - وهو بنجران - لعشيرته وصاحبته (قُتيلة) التي تغزل ا بقوله[4]:

يوم أبدت لنا قُتيلة عن جيـ … ـدٍ تليع تزينه الأطواق
وشتيتٍ كالأقْحوان جلاه الـ … ـطل فيه عذُوبةٌ واتساق
وأثيثٍ جثْلِ النبات ترويـ … ـه لعوب غَريرةٌ مِفْناق
حرةٌ طَفْلةُ الأنامل كالدمـ … ـية لا عابس ولا مهزاق

وعليه كذلك جاء مدحه في نفس القصيدة لبني عبد المدان[5]:

وندامى بيض الوجوه كأن الـ … ـشرب منهم مصاعب أفْناق
فيهم الخصب والسماحةُ والنجـ … ـدةُ فيهم والخَاطب المصلاق
وأبِيونَ ما يسامونَ ضيما … ومكيثُونَ والحُلُوم وثاق
وترى مجلسا يغص به المحـ … ـراب كالأسد والثياب رقَاق

فعلى الرغم من تعدد الأغراض في هذه القصيدة ، إلا أنه - وبفضل موهبته الشعرية - استطاع أن يخرجها عذبة شجية في هذا الإطار الموسيقي على بحر الخفيف الذي ناسب معاني غزله ومدحه .

---

(١) انظر : أصول النقد الأدبي ، أحمد الشائب ، ص٣٢٢-٣٢٣ .
(٢) الطرائف الأدبية ، ص١٠ .
(٣) انظر : أصول النقد الأدبي ، أحمد الشائب ، ص٣٢٣ .
(٤) ديوان الأعشى الكبير ، ص٢٠٩ .
(٥) المرجع السابق ، ص٢١٥ .

٢- القـــافية :

هي شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر ، فلا يسمى الشعر شعرا حتى يكون له وزن وقافيــة[1] ، فهي الركن الثاني من ركني الموسيقى الخارجية التي تحقق من تكرارها وقعا موسيقيا يمتع السامع عنــد ترداده[2] .

ولإحساس الشاعر بقوة تمثيل القافية لحالته النفسية ، وتعبيرها عن خلجات نفسه بما تلقيــه مــن ظلالٍ وإيحاءٍ موسيقي من جرس حرفها ، فقد تنوعت قوافيهم التي عبروا ا عن معانيهم المتعددة ، وفي نتاج شعراء نجران جاءت القوافي بما فيها من حروف ومقاطع صوتية متناسبة مع أوزا م الشعرية الــتي اتخذوها في نظمهم ، فعبرت بموسيقاها عن معانيهم التي سكبوها في أشعارهم ، ففي قصيدة عبد يغوث الحارثي التي قالها يرثي ا نفسه ، ويودع فيها آخر رمق من الحياة ، يطلق لنفسه الفضاء ، فينظم شعره على قافية الياء الممدودة ، فيقول[3] :

ألا لا تلُومــانِي كفَــى اللــوم مــا بِيــا	**وما لكُمــا فــي اللــومِ نفــع ولا ليــا**
فَيــا راكبــا إِمــا عرضــت فَــبلغن	**نــداماي مــن نجــرانَ أنْ لا تلاقيــا**
أقُــولُ وقَــد شــدوا لســانِي بِنِســعةٍ	**أَمعشــر تــيمٍ أطْلقُــوا عــن لســانِيا**
أحقــا عبــاد اللهِ أنْ لَســت ســامعا	**نشــيد الرعــاءِ المُعــزِبين المَتاليــا**

فالشاعر يطلق لمشاعره العنان بالتنفيس عما يشعر به من أسى وحزن ، فينفس عن هذه المشاعر من خلال هذه القافية التي يمتد فيها الألف ، وفي تكرار هذه القافية ما يساعده في إخراج هذا الألم المتــدفق من جوانحه وأعماقه .

كما تنسجم القافية الممتدة بالألف مع بحر الطويل في تصوير معاناة قس بــن ســاعدة ورثائــه لصديقين له ، حيث يقول[4] :

خليلــي هبــا طالمــا قــد رقَــدتما	**أجِــدكُما لا تقضِــيان كَراكُمــا**
أرى النوم بين الجلــد والعظــم منكمــا	**كأن الــذي يســقي العقــار ســقاكُما**
أمــن طُــول نــومٍ لا تجيبــان داعيــا	**خليلــي ماهــذا الــذي قَــد دهاكُمــا**
ألَــم تعلمــا أنــي بِنجــرانَ مفْــرد	**ومــالي فيــه مــن حبِيــبٍ ســواكُما**

---

(١) العمدة ، لابن رشيق ١٥١/١ .

(٢) انظر : موسيقى الشعر ، إبراهيم أنيس ، ص٢٤٦ .

(٣) المفضليات ، ص٣١٥ وما بعدها .

(٤) البداية والنهاية ٢٣٥/١ ، خزانة الأدب ، للبغدادي ٧١/١-٧٢ ، قس بن ساعدة الإيادي (حياته - خطبه - شعره) ، أحمــد الربيعي ، ص٣٩٦-٣٦٩ .

فتتضح معالم هذه المعاناة التي تلاءمت فيها القافية مع البحر الممتد الذي أتاح للشـاعر أن يبـثّ حزنه الطويل ، فقد ناسبت كثرة المدات المتتالية حالة الإعياء وتحطّم قوى النفس أمام جلـل المصـاب الذي حطم القوى وأوهن النفس ، التي لهثت بأنفاس خائرة ممتدة في صوت ممتد ؛ ليخرج أعماق الألم الكامن في أعماقها .

كما عبرت عائشة بنت عبد المدان عن ألمها الفاجع وحزنها العميق لفقد ولديها بحروف صـورت هذا الألم ، فتقول[1]:

هـا مـن أحـس بـإبني اللـذين همـا	**كالـدرتين تشـظّى عنـهما الصـدف**
هـا مـن أحـس بـإبني اللـذين همـا	**مخ العظـام فمخـي اليـوم مزدهـف**
هـا مـن أحـس بـإبني اللـذين همـا	**قلبي وسمعي فقلـبي اليـوم مختطَـف**
نبئت بسرا ومـا صـدقت مـا زعمـوا	**من إفكهم ومن القـول الـذي اقترفُـوا**
أنحـى علـي ودجـي إبـني مرهفـةً	**مشـحوذةً وكـذاك الإثمُ يقْتـرف**

فناسب حرف (الهاء) في أول الأبيات حرف القافية (الفاء) ، حيث بدأت هذه الأبيات بالتنهـد والألم الذي نفست عنه بالهاء المتصلة بالألف الممدودة ، التي استوعبت بامتدادها هذا الألم الممتـد ، ثم أعقبت ذلك بالفاء المعبرة عن صدق هذا الألم والزفرات الحزينة .

وكذلك جاءت قافية جعفر بن علبة على حرف (القاف) ؛ لتبثّ وتوحي بمعاناتـه في سـجنه ، حيث يقول[2]:

هواي مـع الركْـبِ اليمـانِين مصـعد	**جنيـب وجثْمـانِي بمكـة موثَـق**
عجِبـت لمسـراها وأنـى تخلصـت	**إلـي وبـاب السـجن بالقُفـل مغلَـق**

فحرف القاف هو حـرف مجهـور انفجـاري ؛ لأنـه يحتجـز الهـواء الخـارج مـن الرئتين حبسا كلـيا مدةً من الزمن ، ثم يطلقه ليندفع الهواء بشـدة ، وهـو مـن حـروف الاستعلاء التي يرتفع اللسان عند نطقها حتى أعلى الحنك[3] ، ففي تكرار نطقـه مـا يوضـح حالة الحزن المطبقة على الشاعر ، والتي ناسبت القافيـة في التعـبير عنـها ، ففـي ارتفـاع اللسان ، ومن ثَم انفتاحه لهذا الحرف ، تعبير صادق بمعاناته في السـجن ، وإيحـاء بـأجواء

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ١٦٠/١ ، الكامل في التاريخ ٢٥١/٣ .

(٢) الأغاني ٣٧/١٣ ، حماسة أبي تمام ، بتحقيق : عسيلان ٦٥/١ .

(٣) انظر : علم اللغة ، مقدمة للقارئ العربي : محمود السعران ، دار النهضة العربية - بيروت ، ط١ ، د.ت ، ص١٥٦ ، وانظر : علـم الأصوات ، محمد أحمد محمود ، دار إشبيليا - الرياض ، ط١ ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م ، ص١٢٠ .

السجن المغـلقة والمطبقـة بالهـم[1] .

ونظم الديان حماسته على قافية حرف (الدال) ، وهي من أكثر القوافي مناسبةً لمعاني الحماسـة[2] ، فيقول[3] :

صـبحنا تغلبـًا وسـراةَ بكـر	**بداهيـةٍ يشـيب لهـا الوليـد**
نخـاوي بتـرك الأحـزانَ فاءـا	**لهـا في الشـمس مـا اتلقـت وقُـود**
كـأن كماةَ ـا بـزلٌ تخطـى	**بأوسـاقٍ وقابلهـا سـعود**
فأردينـا سـراةً لـيس تحصـى	**لهـا فـيهم إذا حسِـبت عديـد**
فطـاروا عـن تهامتنـا شـعاعا	**وفلـهم بحيـثُ جـرى شـريد**
فقـالوا والحديـد غـداة يعنـى	**فلـيس يفلـه إلا الحديـد**

فالدال صوت مجهور شديد قوي[4] ، فناسب نطقه معاني القوة والشدة التي تغنـى ـا الـديان في حماسته .

إلا أن القوافي في شعر شعراء نجران لم تخلُ من كثيرٍ من العيوب التي لم تظهر في شعر شعراء نجران وحدهم ، بل برزت عند كثير من شعراء العربية ، ومن أبرز هذه العيوب النغمية :

الإقواء : وهو اختلاف حركة الروي[5] ، ومن ذلك : قول جعفر بن علبة[6] :

وسـائلةٍ عنـا بغيـب وسـائلٍ	**بمصـدقنا في الحـرب كيـف نحـاولُ**
يقـولُ العقيليـونَ إذْ لحقُـوا بنـا	**سـترجع مقرونـا بأحـدى الرواحـلِ**
عشـيةَ قُـرى سـحبلٍ إذْ تعطّفَـت	**علينـا السـرايا والعـدو المُباسـلُ**
ففـرج عنـا اللهُ مرحـى عـدونا	**وضـرب ببـيض المشـرفية خايـلُ**
إذا ما رصـدنا مرصـدا فرجـت لنـا	**بأيمانِنـا بـيض جلتهـا الصـيافلُ**
حلفْـت يمينـا بـرةً لم أرد بهـا	**مقالـةَ تسـميع ولا قـولَ باطـلِ**

ففي قوله : (الرواحل) - بالكسر - و (باطل) - بالكسر أيضا - يظهر هذا الإقواء ، الذي شـذّ عن إيقاع ونغم روي القصيدة الموقعة جميع أبيا ا بالضم .

---

(١) انظر : أصول النقد الأدبي ، أحمد الشائب ، ص٣٢٦ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) شرح قصيدة الدامغة ، للهمداني ، ص٢٦٧ .

(٤) انظر : علم الأصوات ، محمد أحمد محمود ، ص١٢٥ .

(٥) انظر : علم العروض والقافية ، عبد العزيز عتيق ، دار النهضة العربية - بيروت ، ط : ١٩٧٤م ، ص١٦٦ .

(٦) الأغاني ٣٥/١٣-٣٦ ، حماسة أبي تمام بشرح المرزوقي ٤٤/١ وما بعدها ، ديوان حماسة أبي تمام بشرح التبريزي ٢٢/١ وما بعدها .

والإيطاء : وهو أن يتكرر لفظ القافية ومعناها[1]، كقول علي بن جعجب[2]:

أمخترمـي ريـب المنـون ولم أسـق **مخاض ابن عيسى في فوارس أو ركْـبِ**
ولمـا أقُـد خـيلاً بخيـل ولم أجـلْ **بأغباش ليـلٍ عـرج ـبٍ إلى نهـبِ**
أظنّـن عقـيلاً بالوعيـد تروضـني **فما يثْبت الكفل الضعيف على الصعبِ**
ألم أك قـد لاقيـتكُم يـوم سـحبلٍ **فلم ينجكم سـهلٌ ولا جبـلٌ صـعب**

فقد تكررت كلمة (صعب) مع اتفاق في معناها ، حيث وردت في كلا البيتين - الثالث والرابـع - لتدلّ على خلاف السهل .

ب/ الموسـيقى الداخليـة :

هي الموسيقى الخفية التي تنبع من هذا الانسجام الصوتي الداخلي الذي ينبع بـدوره مـن هذا التوافق الموسيقي بين الكلمات ودلالا ا ، أو بين بعض الكلمات مع بعضها الآخـر ، ولا شك أن هذه الموسيقى الداخلية تتآزر وتتلاحم مع الموسيقى الخارجية ؛ لتكثيف النغم وتتابعه ، وجعله أكثر تأثيرا في آذان سامعيه ووجدا م ، ودور الإيقاع في هذه الموسيقى لا يقلّ عن دوره في الخارجية[3].

وتبرز هذه الموسيقى الداخلية في أنواع عدة :

١ - التقسـيم :

ويظهـر في :

أ / الترصـيع :

وهو ما يتوخى فيه تصيير مقاطع الأجزاء في البيت على سجع أو شبيه به ، أو من جنسٍ واحد في التصريف[4].

وقد أضفى الترصيع على إيقاع شعرهم موسيقى متدفقة راقصة تطرب لها الأسماع ، من ذلـك : قول الأفوه الأودي[5]:

سـود غـدائرها ، بلـج محاجرهـا **كـأن أطرافهـا لمـا اجتلـى الطنـف**

---

(١) انظر : نقد الشعر ، قدامة بن جعفر ، ص١٨٧ ، العمدة ، لابن رشيق ١٦٩/١ .
(٢) معجم الشعراء ، للمرزباني ، ص١٣٣-١٣٤ .
(٣) انظر : في النقد الأدبي ، شوقي ضيف ، دار المعارف - مصر ، ط٥ ، ١٩٧٧م ، ص٩٧ .
(٤) نقد الشعر ، لقدامة بن جعفر ، ص٤٠ .
(٥) الطرائف الأدبية ، ص٢٠ .

وكذلك قول جعفر بن علبة الحارثي[1]:

ألمت ، فَحيـت ، ثُـم قامـت فَودعـت   فَلما تولـت ، كـادت الـنفس تزهـق

ب/ التصـريع :

وهو تصيير مقطع المصراع الأول في البيت الأول مثل قافيتها[2]، فتكون عروض البيت فيه تابعـة لضربه ؛ تنقص بنقصه ، وتزيد بزيادته[3]، وللتصريع قيمة نغمية بالغة في القصيدة ؛ يقول القرطـاجني : " للتصريع في أوائل القصائد طلاوة وموقع من النفس لاستدلالها به على القافية قبل الانتـهاء إليهـا ، ولمناسبة تحصل لها بازدواج صيغتي العروض والضرب "[4].

وفي ما وصلنا من شعر شعراء نجران ما يؤكّد على استخدامهم للتصريع ، مـن ذلـك : قـول المحجل بن حزن[5]:

يـا مـي لا تسـتنكري تحـويلي   ووضـحا أوفَـى علـى خصـيلي
فـإن نعـت الفَـرس الرجِيـل   يكمـلُ بِـالغرة والتحجِيـل

٢- الجنـاس :

الجناس بين اللفظين ، وهو تشا بهما في اللفظ واختلافهما في المعنى ، والتام منـه : أن يتفقـا في أنواع الحروف وأعدادها وهيئا ا وترتيبها[6]، ومنه قول الأفوه الأودي[7]:

وأقْطَـع الهَوجـل مستأنِسـاً   بِهوجـلٍ عيرانـةٍ عنتـريس

فلفظة الهوجل في هذا البيت واحدة ، إلا أ ا دلّت على معنيين ؛ لأن الأولى يـراد ـا الأرض ، والثانية الناقة ، وهذا النوع من الجناس سماه قدامة بن جعفر (المتطابق)[8].

---

(١) الأغاني ٣٧/١٣ ، حماسة أبي تمام ، بتحقيق : عسيلان ٦٥/١ .
(٢) نقد الشعر ، لقدامة بن جعفر ، ص٥١ .
(٣) العمدة ، لابن رشيق ١٧٣/١ .
(٤) منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، للقرطاجني ، ص٢٨٣ .
(٥) البرصان والعرجان والعميان والحولان ، للجاحظ ، ص٢١ .
(٦) الإيضاح في علوم البلاغة ٣٥٤/١ .
(٧) الطرائف الأدبية ، ص١٦ .
(٨) نقد الشعر ، قدامة بن جعفر ، ص١٦٢-١٦٣ .

٣- الطباق :

المطابقة : وتسمى الطباق ، والتضاد أيضا ، وهي الجمع بين المتضادين ، أي معنيين متقابلين في الجملة[(١)]، ومنه قول يزيد بن أنس[(٢)]:

إني امرؤ أعطي حقيقي حقه ... فلست بمظلوم ولست بظالم

ففي (مظلوم ، وظالم) يتضح الطباق والتضاد بين المعنيين .

وكذلك قول عبد الله بن عبد المدان[(٣)]:

ألم تعلما يا ابني أمامة إنما ... يهيج كبيرات الأمور صغارها

فـ (كبيرات الأمور ، وصغارها) تضاد في معنييهما .

٤- المحاكاة الصوتية :

تمثل الحركة والتنظيم الأساس الذي يتولد منه الإيقاع ، وإذا كانت الضربة والسكون يمثلان جانبا مهما من الإيقاع في الموسيقى ، فإن مادة الإيقاع في الشعر تتحدد بطبيعة الوحدة الصوتية (الحرف والحركة) ؛ إذ تشتمل الوحدات الصوتية على إمكانات إيقاعية كامنة يتم تفجيرها في سياقٍ إيقاعي يشتمل على عنصري الحركة والتنظيم معا ، حيث إن الشعر يستمد موسيقاه من مادة صياغته ، وهي اللغة[(٤)]، ويتحقق من خلال ترداد ومحاكاة هذه الوحدات الصوتية نغم موسيقي موسيقي داخلي .

ولا شك أن هذا النوع من الموسيقى عهده كثير من شعراء العربية الذين أرهفت الأمية والبداوة أسماعهم ، فاكتسبت المران وعادة التمييز بين الفروق الصوتية الدقيقة للغة ، فأصبحت مرهفة تستريح إلى كلامٍ لحسن وقعه وإيقاعه ، وتنفر من آخر ؛ لنبوه ونشازه[(٥)].

ورغم اشتراك شعراء العربية في هذه الموسيقى اللفظية ، إلا أنّ حظ الشعراء المكفوفين منها كبير ، فالأعشى قد عوض عن ضعف بصره بسمعٍ مرهف ، وأُذن أكثر حساسية جعلته يتجه كثيرا نحو هذه الموسيقية اللفظية التي ميزت شعره بصلاحيته للغناء أكثر من غيره ، حتى سمي

---

(١) الإيضاح في علوم البلاغة ٣١٧/١ .

(٢) حماسة البحتري ، ص٢٤٤ .

(٣) المصدر السابق ، ص٢٠٨ .

(٤) الأدب وفنونه ، محمد مندور ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي - القاهرة ط : ١٩٦٣م ، ص٢٩ .

(٥) انظر : دلالة الألفاظ ، إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية - مصر ، ط٤ ، ١٩٨٠م ، ص١٩٥-١٩٦ .

بصناجة العرب[1].

فتظهر هذه الموسيقية في شعر الأعشى من تكرير عدة أصوات تنتمي إلى مجموعة صوتية واحدة ، كما في قوله[2]:

وكــأسٍ شــربت علــى لــذةٍ	**وأخــرى تــداويت منهــا بهــا**
لكــي يعلــم النــاس أنــي امــرؤ	**أتيــت المَعيشــةَ مــن بــا ــا**
وشــاهدنا الــورد والياسميــ ــ	**ــ ــن والمُســمعات بِقُصــابِها**
ومزهرنــ ــا معمــ ــلٌ دائــ ــم	**فَــ ــأي الثلاثــ ــة أزرى بهــ ــا**
تــرى الصــنج يبكــي لــه شــجوه	**مخافَــةَ أنْ ســوف يــدعى بهــا**
لهــم مشــربات لهــا بهجــةٌ	**تــ ــروق العيــ ــونَ بتعجابهــ ــا**

فقد كرر الأعشى (حرف التاء ، والسين ، والدال) ، وهي تنتمي إلى مجموعة الأصوات الأسنانية اللثوية[3].

وكذلك من هذه المحاكاة : تكرير صوت واحد في بيت أو عدة أبيات ، مثل : تكريــر حــرف السين في قول عطار بن قران[4]:

يطُــولُ علــي الليــل حتــى أملــه	**فَــاجلس والنهــدي عنــدي جــالس**
كلانــا بِــه كــبلان يرســف فيهمــا	**ومســتحكم الأقْفــال أسمــر يــابس**
له حلقــات فيــه ســمر يحبــها الــ ــ	**ــعناة كما حــب الظمــاءِ الخَــوامس**
إذَا مــا ابــن صــباح أرنــت كُبولــه	**لهــن علــى ســافي وهنــا وســاوس**
تذكرت هــلْ لــي مــن حمــيم يهمــه	**بنجــرانَ كــبلاي اللــذان أمــارس**
فَأمــا بنــو عبــد المَــدان فَــإنهم	**وإني مــن خــيرِ الحُصــين لبــائس**

فقد تكرر حرف السين ثلاث عشرة مرة ، والسين حرف مهموس[5]، يصور من خلالــه حالــة الحزن والسكون التي يفرضها حراس السجن على السجناء ، فيهمس مصورا ألمه وهوانه من خلال هذه المناجاة التي ينفس ا عن نفسه .

---

(١) المرجع السابق ، ص١٩٨-١٩٩ ، وانظر : شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائها ، للشنقيطي ، ص٣٩ .

(٢) ديوان الأعشى الكبير ، محمد حسين ، ص١٧٣ .

(٣) علم الأصوات ، محمد أحمد محمود ، ص١٢٥ وما بعدها .

(٤) معجم البلدان ، للحموي ، رسم (نجران) ٢٧٠/٥ .

(٥) علم الأصوات ، محمد أحمد محمود ، ص١٢٩ .

كما تظهر المحاكاةُ الصوتيةُ التي يتكرر فيها عدة أصوات لحروف متتابعة إيقاعا موسيقيا تنساب فيه النغمات المتناغمة التي تطرب لها الآذان لوقعها الجميل ، ومن ذلك : قول راشد السلمي[1]:

صحا القلب عن سلمى وأقْصر شأوه ... وردت عليه تبتغيه تماضر
وحلمه شيب القَذَال عن الصبا ... ولَلْشيب عن بعض الغواية زاجِر
فأقصر جهلي اليوم وارتد باطلي ... عن اللهو لما ابيض مني الغدائر
على أنه قد هاجه بعد صحوةٍ ... بمعرض ذي الآجام عيس بواكر
ولما دنت من جانب الغوط أخصبت ... وحلت فلاقاها سليم وعامر
وخبرها الركبان أن ليس بينها ... وبين قرى بصرى ونجران كافر
فألقت عصاها واستقرت ـا النوى ... كما قر عينا بالإياب المسافر

فلقد أعطى جرس هذه الحروف المكررة على حرف (الصاد) و (القاف) و (الراء) للعبارة الشعرية جمالاً موسيقيا رائعا ، كما أوحت عند تكرارها بروح العبارة الشعرية والجو العام للنص الشعري ، وعاطفة الشاعر فيه ، فالصاد صوت مهموس[2] يوحي بمناجاة النفس ومحاسبتها ، والقاف ناسب لهمسه وانفجاره عند النطق به[3] حالة القوة التي اتخذ فيها القرار ، والراء صوت مجهور تكراري[4]، فناسب في جهره وتكراره ما عزم عليه الشاعر من ترك أسباب الغواية وملاذ الهوى .

كذلك من أنواع المحاكاة الصوتية التي لجأ إليها شعراء نجران : تكرار إحدى الحركات بصورة واضحة ، فقد أعطى هذا التكرار للبيت نبرات موسيقيةً متناغمةً توحي بجو النص العام ، ومن ذلك : قول قس بن ساعدة[5]:

في الذاهبين الأولين ... ن من القُرون لنا بصائر
لما رأيت مواردا ... للموت ليس لها مصادر
ورأيت قَومي نحوها ... تمضي الأكابر والأصاغر
لا يرجِع الماضي ولا ... يبقَى من الباقين غابر
أيقنت أني لا محا ... لـةَ حيثُ صار القَوم صائر

---

(١) العقد الفريد ، لابن عبد ربه ١٢٥/٥-١٢٦ .
(٢) انظر : علم الأصوات ، محمد أحمد محمود ، ص١٢٩ .
(٣) انظر : المرجع السابق ، ص١٢٠ .
(٤) انظر : المرجع السابق ، ص١٢٤ .
(٥) الحماسة المغربية ١٤٠٠/٢-١٤٠١ ، العقد الفريد ١١٨/٤ ، معجم الشعراء ، للمرزباني ، ص٢٢٢ .

فقد تكررت وتوالت الحركات الطويلة (الألف والياء)[1]، وهي حركات بينها تضـاد في العلـو والانخفاض ؛ لتوحي بجو القدوم والرحيل وعدم الاستقرار ، وقد ناسبت هذه الحكمة المتأملة في الحيـاة التي أخرجها الشاعر بعد تفكّر وتمعن في سيرة الكون من حوله .

❒ ❒ ❒

---

(١) انظر : موسيقى الشعر ، إبراهيم أنيس ، ص١٤٦ .

الخاتمة

وبعد أن أتممت - بحمد الله تعالى - هذه الرسالة التي وقفت فيها على (حركة الشعر في نجـران) في الجاهلية وصدر الإسلام ، يطيب لي أن أسجل أبرز النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسـة ، الـتي جاءت في تمهيد وثلاثة فصولٍ تضمنت كل منها عددا من المباحث ، فقد عني الفصـل الأول بتـراجم الشعراء ، أما الفصل الثاني فقد خصص لأبرز موضوعات الشعر في نجران ، وجاء الفصل الثالث لدراسة قضايا الشكل والخصائص الفنية .

وأهم هذه النتائج التي هي في - اعتقادي - قد تضيف ما هو جديد للدراسة الأدبية :

* إبراز مكانة نجران والتعريف ا من حيث أصل التسمية ، والموقع ، والتضاريس .. والوقـوف على تاريخها الموغل في القدم ، وتعدد الديانات ا ، وتنوع القبائل العربية التي سكنتها .
* قدمت الدراسة كما كبيرا من أسماء الشعراء الذين أسهموا في إثراء الحركة الشعرية في نجران ، وقد ورد الكثير من أسمائهم وأسماء قبائلهم محققة الضبط ، في حين تتبعت الدراسة في بعـض تراجم هؤلاء الشعراء - وخاصة المغمورين منهم - سلسلة أنسا م ، حتى قبيلتهم الأم ، وقد جر لذلك ما وقع من بعض الدارسين المعاصرين من خطأ في أنسا م ، فتمكنت هذه الدراسة - بحمد الله وفضله - من استدراك هذه الأخطاء ، مع الاعتراف بفضل هـؤلاء الدارسـين وتقدير جهودهم .
* جمعت هذه الدراسة كما شعريا هائلاً زاد عن خمسمائة بيت ، فلمت شـتات شـعر هـؤلاء الشعراء من كتب التراث المتناثرة هنا وهناك .
* طرق شعراء نجران العديد من الموضوعات الشعرية الرائجة عند العرب ، إلا أن شعر الحماسـة والحرب ، وكذلك شعر الفخر كان من أبرز الموضوعات التي كان لها سهم وافر في نتـاجهم الشعري ، وذلك أثر ناتج عن بيئتهم التي شهدت الكثير من الحروب والمعارك التي يزدهـر في أحضا ا هذان النوعان من الشعر .
* شكل شعر النقائض (جاهلية وإسلامية) جانبا كبيرا من شعر شعراء نجران ، وفي هذا دليل ملموس على أنّ نجران كانت سباقة إلى ميلاد هذا الفن واحتضان جذوره الأولى ، إلا أ ا - ولظـروفٍ نجهل أسبا ا ودوافعها - لم تأخذ في الشهرة مكا ا اللائق ا كفن شعري جـاهلي أصـيل ساعدت هذه البيئة الخصبة على إيجاده وتطوره .

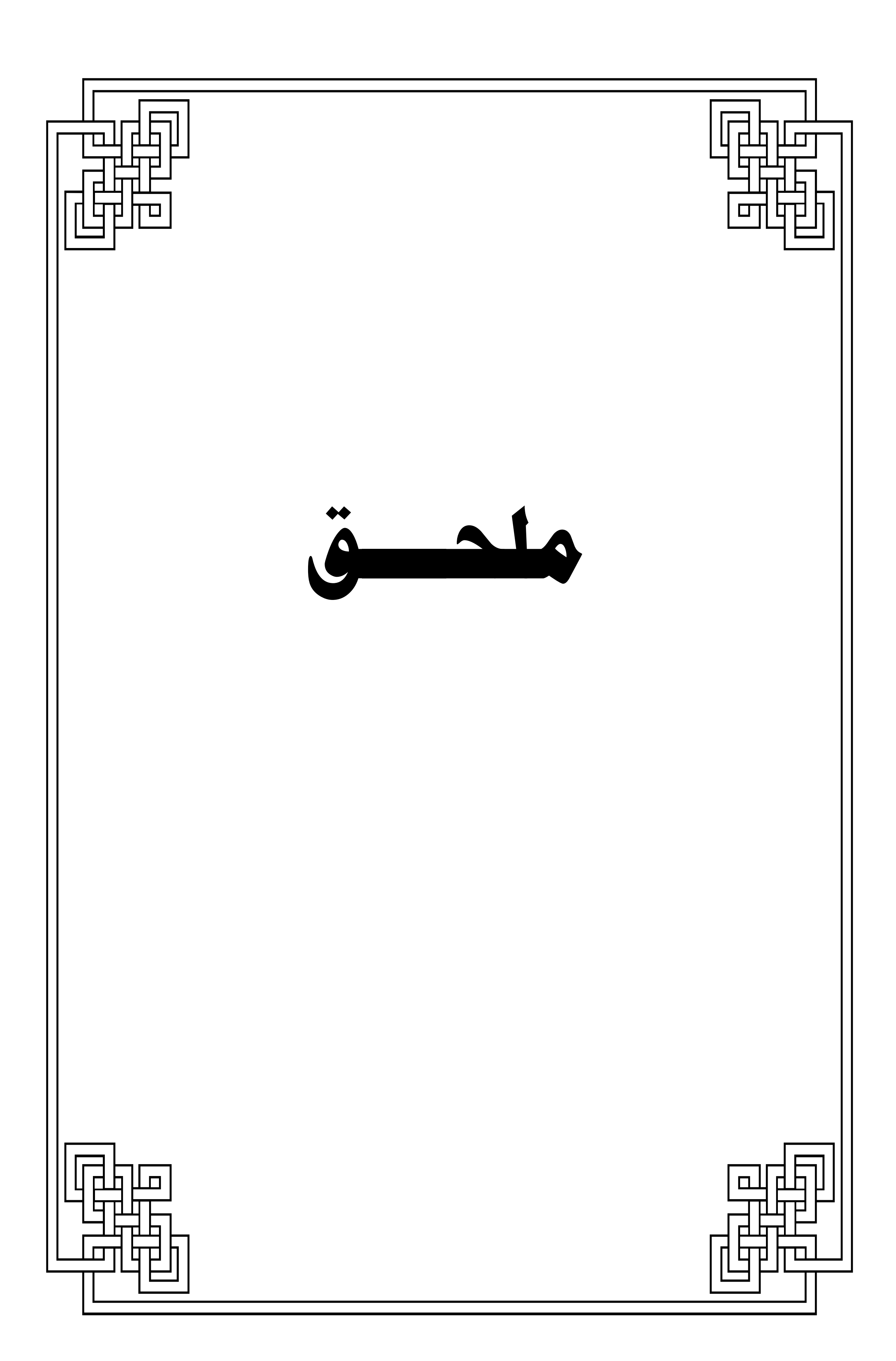
* تميز شعراء نجران بخصائص فنية في مقدما م الشعرية ، حيث قلّت في قصائدهم المقدمة الطللية ، ومقدمة الغزل ، وهي من المقدمات الشائعة عند غيرهم من شعراء العربية ، وبرزت بدلاً منها مقدمة الفروسية ، كما أن جلّ نتاج هؤلاء الشعراء جاء على صورة مقطعات شعرية .
* أكدت الدراسة على أن بيئة نجران في الجاهلية وصدر الإسلام لم تكن مغلقة أو متقوقعة علـى نفسها ، فعلى الرغم من أ ا من أقدم المدن الحضارية في الجزيرة العربية ، وأشد المدن تحصينا ، إلا أ ا كانت من أكثر المدن حركة ونشاطًا وتنوعا ، وفي كثرة شعرائها وتعدد قبائلهم الـتي ينتمون إليها ، وتنوع نتاجهم الشعري ما يعطي دليلاً على هذه الحركة الدائمة والزاهرة الـتي عاشتها تلك المنطقة .

وأخيرا ، وبعد هذه الجولة مع (حركة الشعر في نجران) وما أسفرت عنه من نتائج ، أوصي بما يلي :

* دراسة شعر البيئات والحواضر العربية ، فعلى الرغم من تنبيه ابن سلام لهذه البيئات ، إلا أن بعضا مما نبه إليه - كالبحرين واليمامة - لم تحظَ باهتمام الباحثين والدارسين ، لذلك أُود أن أُوجه اهتمام الباحثين إلى هذه البيئات التي لم تنل نصيبها من العناية ، بل إني أوصي باستمرار هـذا التقليد الأصيل لدراسة ما أغفله القدامى من بيئات وحواضر شبه الجزيرة العربية .
* سجل الخطيم المحرزي في حبسه بسجن نجران قصيدة طويلة بلغت ثلاثة وستين بيتا ، أنشأها في غياهب هذا السجن ، وبثّ فيها عواطفه وآماله ، وأرى أ ا قصيدة تستحق النظـر فيهـا ، والوقوف عليها بدراسة مستقلّة تبرز جماليا ا ومكانتها في الشعر العربي .
* عمل دراسة موازنة للغة الشعرية عند شعراء نجران وشعراء البيئات الأخرى ، فعلى الرغم ممـا أشرت إليه من تأثر اللغة الشعرية عند الأعشى ببيئة نجران ، إلا أن الموضوع يستحق دراسـة موازنة مستقلة تبرز تأثر لغة شعراء نجران بشعراء البيئات الأخرى ، أو تأثر لغة شعراء البيئات الأخرى بلغة شعراء نجران .

وبعد :

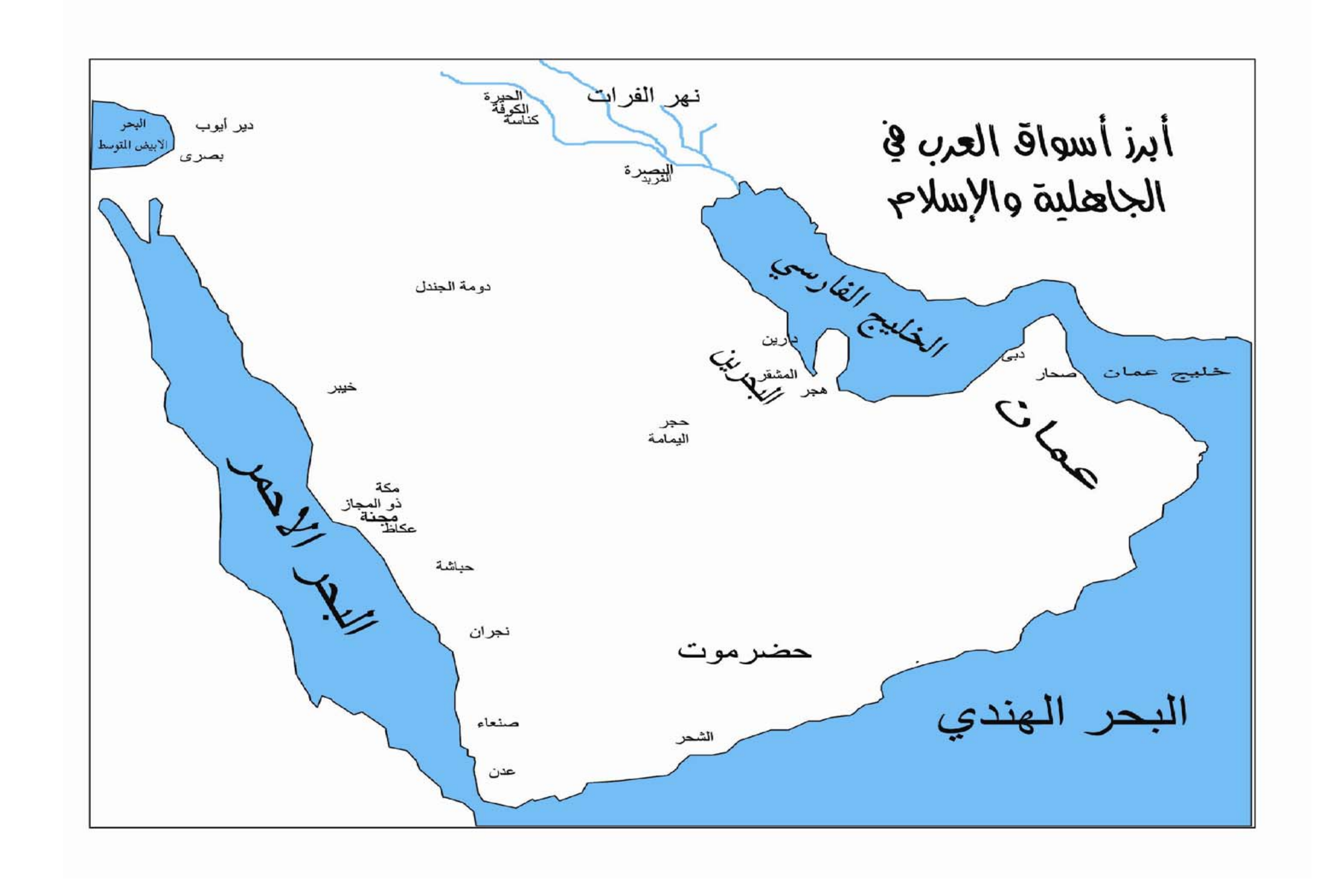
هذا عملي في هذا البحث ، ولا أزعم له التمام والكمال ، وحسبي فيه ما بذلت من جهد تشـهد به بيض الأيام وسود الليالي ، وما أنفقت من صحة ومال ، فإن نال الرضا والاستحسان فهذا ما تطمح له الآمال ، وإن كانت الثانية ، فحسبي أنه جهد وعمل بشر حاول ما وسعه الاجتهاد والكمال ، هذا ، وسبحان ربي رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

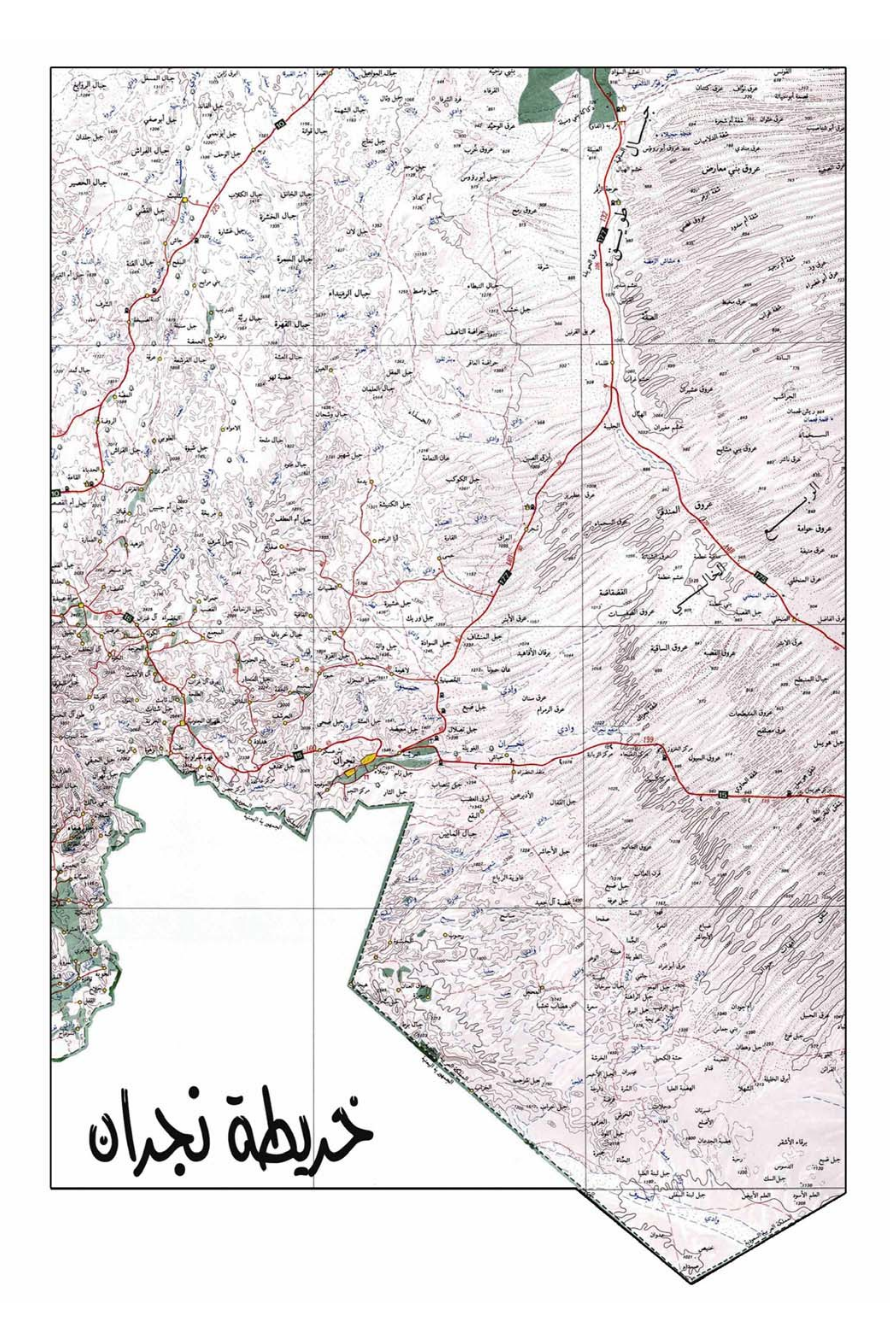


ملحـــق

خريطة المملكة العربية السعودية




أبرز أسواق العرب في
الجاهلية والإسلام
نهر الفرات
الحيرة
الكوفة
كناسة
البصرة
المربد
البحر
الأبيض المتوسط
دير أيوب
بصرى
دومة الجندل
خيبر
الخليج الفارسي
دارين
المشقر
هجر
البحرين
دبى
صحار
خليج عمان
عمان
حجر
اليمامة
البحر الأحمر
مكة
ذو المجاز
مجنة
عكاظ
حباشة
نجران
حضرموت
صنعاء
عدن
الشحر
البحر الهندي


خريطة نجران
جبال طويق
الربع الخالي



الفهـــارس

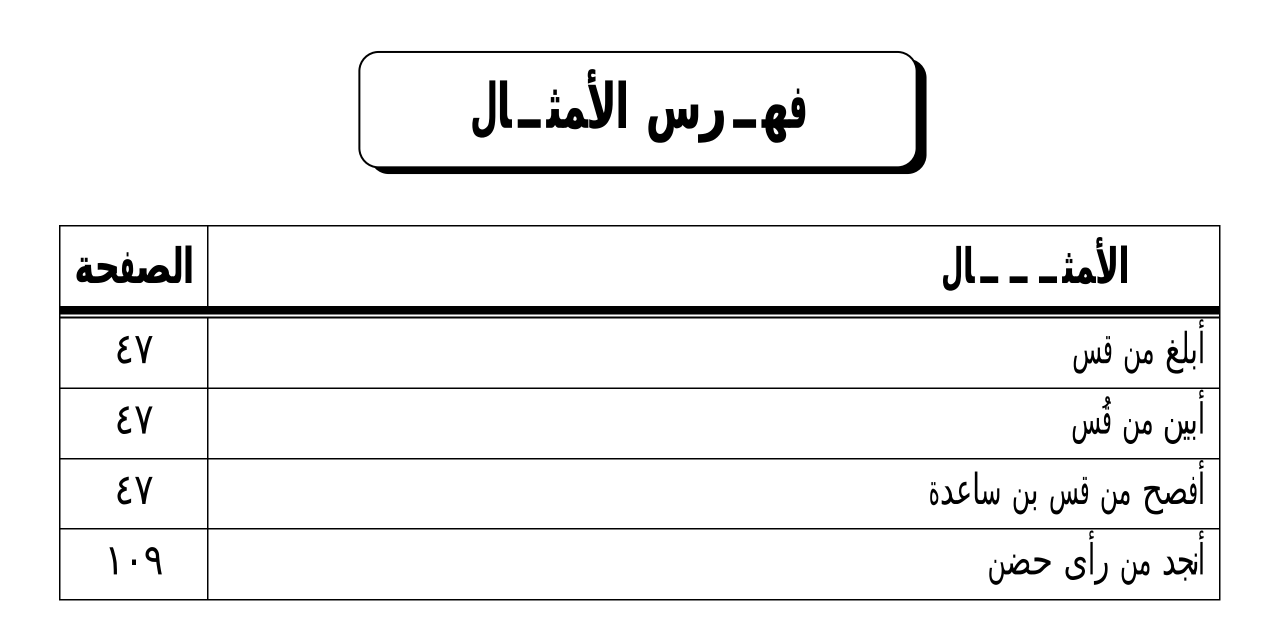
- فهرس الآيات القرآنية .
- فهرس الأحاديث النبوية .
- فهرس الأمثـال .
- فهرس المصادر والمراجع .
- فهرس الموضوعات .

فهـرس الآيـات القرآنيـة

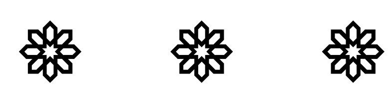
❁ ❁ ❁

فهـرس الأحـاديث النبـوية

طـرف الحـديث	الصفحة
« أنت عبد الله	٥٣
« أنتم الذين إذا زجروا استقدموا » ؟	٢٩ ، ٥٢
« إن من الشعر لحُكْما	١٣١
« إن من الشعر لَحكْمةً	١٣١
« أيكم يعرف القس بن ساعدة الإيادي » ؟	٤٩
« بلى ، قد كنتم تغلبون من قاتلكم	٢٩
« بِم كنتم تغلبون من قاتلكم في الجاهلية » ؟	٢٩
(قدم وفد عبد القيس على رسول الله فقال	٤٦
« لئن عشت لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب	١٩
« لا يجتمع في جزيرة العرب دينان	١٩
« لو أن خالدا لم يكتب إلي أنكم أسلمتم ولم تقاتلوا	٥٢
« ليس هو منكم ، هذا رجل من إياد تحنف في الجاهلية	٤٩
« ما اسمك » ؟	٧٠
« ما فعل حليف لكم يقال له قُس	٤٩
« ما فعل قُس بن ساعدة ؟	٤٩
« من أنت » ؟	٥٣
« من هؤلاء القوم الذين كأ م رجال من الهند ؟	١٧ ، ٥٢
« هذا ابن الزبعرى ، ومعه وجه فيه نور الإسلام	٧٣
« وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله	٥٢
« وكاد أمية بن أبي الصلت أن يسلم	٦٥



فهـرس الأمثـال



فهرس المصادر والمراجع والرسائل العلمية

أولاً : **المصادر** :

- **القـرآن الكريم .**
- الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغـدادي الماوردي ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط : ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .
- أحكام أهل الذمة ، لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سـعد الزراعـي الدمشقي (ابن قيم الجوزية) ، تحقيق : يوسف أحمد البكري ، شاكر توفيق العـاروري ، دار رمادى للنشر - دار ابن حزم ، الدمام - بيروت ، ط١ ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م .
- الأخبار الموفقيات ، الزبير بن بكار ، تحقيق : سامي مكي العاني ، دار منشـورات الشـريف الرضي - إيران ، ط١ ، ١٤١٦هـ .
- أدب الكاتب ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة السكوفي ، المروزي ، الدينوري ، تحقيـق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، مكتبة السعادة - مصر ، ط٤ ، ١٩٦٣م .
- الأزمنة والأمكنة ، لأبي علي المرزوقي الأصفهاني ، دار الكتاب الإسلامي - القاهرة ، ط : د.ت .
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دارالجيل – بيروت ، ط ١ : ١٤١٢هـ - ١٩٩٢ م .
- أُسد الغابة في معرفة الصحابة ، عز الدين بن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري ، تحقيـق : عادل الرفاعي ، دار إحياء التراث العربي ، ط١ ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م .
- الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين الجاهليين والمخضرمين للخالدين ، لأبي بكر محمـد وأبي عثمان سعيد بن هاشم ، حققه وعلق عليه : السيد محمد يوسف ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة ، ط : ١٣٥٤هـ - ١٩٣٦م .

- الاشتقاق ، لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد ، تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هـارون ، مطبعة السنة المحمدية - مصر ، ط : ١٣٧٨هـ - ١٩٥٨م .
- الإصابة في تمييز الصحابة ، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي ، تحقيـق : علي محمد البجاوي ، دار الجيل – بيروت ، ط١ :١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م .
- الأصنام ، لأبي المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي ، تحقيق : أحمد زكي باشا ، مطبعة دار الكتب المصرية - مصر ، ط٢ ، ١٣٤٣هـ - ١٩٢٤م .
- الأغاني ، لأبي الفرج علي بن الحسين ، إعداد : مكتب تحقيق دار إحياء التراث العـربي ، دار إحياء التراث العربي - لبنان ، ط١ .
- الإكليل ، لأبي محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني ، تحقيق : محمد بن علي الأكوع الحوالي ، دار الحرية - بغداد ، ط : ١٩٨٠م .
- الإكليل من أخبار اليمن وأنساب حمير ، الكتاب العاشر ، في معارف همدان وأنسا ا وعيـون أخبارها ، لسان اليمن أبي محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني ، الدار اليمنيـة للنشـر والتوزيع ، ط٢ ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .
- إكمال الأعلام بتثليث الكلام ، محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني ، تحقيق : سعد بـن حمدان الغامدي ، جامعة أم القرى - مكة ، ط١ ، ١٤٠٤هـ .
- الأمالي ، لأبي عبد الله محمد بن العباس بن محمد بن أبي محمد يحيى بن المبارك اليزيدي ، طباعة جمعية دائرة المعارف بحيدر آباد الدكن (الهند) ، ط١ ، ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م .
- أمالي المرتضي (غرر الفوائد ودرر القلائد) ، للشريف علي بن الحسين الموسوي العلوي ، تحقيق : محمد أبي الفضل إبراهيم ، طبع عيسى البابي الحلبي ، ط : ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م .
- أنساب الأشراف ، أحمد بن يحيى البلاذري ، تحقيق : محمد حميد الله ، دار المعارف - مصر ، ١٩٥٩م .
- أنساب الأشراف ، أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري ، تحقيق : إحسان عباس ، طبـع المطبعـة الكاثوليكية ، بيروت ، ط : ١٤٠٠هـ - ١٩٧٩م .
- أنساب الخيل في الجاهلية والإسلام وأخبارها ، لابن الكلبي ، تحقيق : أحمد زكـي ، نسـخة مصورة عن طبعة دار الكتب ، سنة ١٩٤٦م ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٧م .

- أيام العرب قبل الإسلام ، لأبي عبيدة ، القسم الأول ، عادل جاسم البياتي ، مطبعة دار الجاحظ للطباعة والنشر - بغداد ، ط : ١٩٧٦م .
- الإيضاح في علوم البلاغة ، الخطيب القزويني ، تحقيق : يج غزاوي ، دار إحيـاء العلـوم - بيروت ، ط٤ ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م .
- الإيناس في علم الأنساب ، للحسين بن علي بن الحسين الوزير المغربي ، إعداد : حمد الجاسر ، النادي الأدبي بالرياض ، ط١ ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .
- البدء والتاريخ ، للمطهر بن طاهر المقدسي ، مكتبة الثقافة الدينية - بور سعيد ، د.ت .
- البداية والنهاية ، لأبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي ، دار المعارف - بيروت ، ط : ١٩٧٧م .
- البرصان والعرجان والعميان والحولان ، لأبي عثمان عمرو بن بحر بن محبوب (الجاحظ) ، تحقيق : محمد مرسي الخولي ، دار الاعتصام - القاهرة ، ط : ١٣٩٢هـ .
- البصائر والذخائر ، لأبي حيان التوحيدي ، عني بتحقيقه والتعليق عليه : إبـراهيم الكـيلاني ، مكتبة أطلس ومطبعة الإنشاء - دمشق ، ط : ١٩٦٤م .
- بلاغات النساء وطرائف كلامهن وملح نوادرهن وأخبار ذوات الرأي منـهن وأشـعارهن في الجاهلية وصدر الإسلام ، لأبي الفضل أحمد بن أبي طاهر ، صححه وشرحه : أحمد الألفـي ، مطبعة مدرسة والدة عباس الأول - القاهرة ، ط : ١٣٢٦هـ - ١٩٠٨م .
- بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، محمود شكري الألوسي ، شرح وتصـحيح وضـبط : محمد جة الأثري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٣١٤هـ .
- البيان والتبيين ، لأبي عثمان عمرو بن بحر الكناني ، تحقيق : عبد السـلام هـارون ، مكتبـة الخانجي بالقاهرة ، ط٧ ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م .
- تاج العروس من جواهر القاموس ، للسيد : محمد مرتضى الحسيني الزبيدي ، تحقيق : مصطفى حجازي ، راجعه : عبد الستار أحمد فراج ، طباعة وزارة الإعلام بالكويت .
- تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الطبري) ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، دار الكتب العلمية - بيروت ، د.ت .
- تاريخ اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضـح ، الكاتـب العباسـي المعروف باليعقوبي ، دار صادر - بيروت ، د.ت .

- تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأوائل ، لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي ، تحقيق : محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري ، دار الفكر - بيروت ، ط : ١٩٩٥م .
- التعريف في الأنساب والتنويه لذوي الأحساب ، محمد بن أحمد بن إبراهيم الأشعري ، تحقيق : سعيد عبد المقصود ظلام ، نشر نادي أ ا الأدبي ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م .
- التعليقات والنوادر ، لأبي علي هارون بن زكريا الهجري ، دراسة وتحقيق : حمود عبد الأمير الحمادي ، دار الرشيد للنشر - العراق ، ط : ١٩٨٠م .
- تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) ، لمحمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبي جعفر ، دار الفكر - بيروت ، ط : ١٤٠٥هـ .
- تفسير القرآن العظيم ، للإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ، قدم له : يوسف عبد الرحمن المرعشلي ، دار المعرفة - بيروت ، ط٦ ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م .
- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب ، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط١ ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .
- ذيب التهذيب ، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ، دار الفكر - بيروت ، ط١ ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .
- الجامع الصحيح المختصر ، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي ، تحقيق : مصطفى ديب ، دار ابن كثير ، ودار اليمامة - بيروت ، ط٣ ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .
- الجامع الصحيح سنن الترمذي ، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، دار إحياء التراث العربي - بيروت .
- جمهرة اللغة ، لابن دريد ، تحقيق : رمزي منير البعلبكي ، دار العلم للملايين - بيروت ، ط١ ، ١٩٨٧م .
- جمهرة النسب ، لأبي المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي ، تحقيق : ناجي حسن ، عالم الكتب - بيروت ، ط١ ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م .
- جمهرة الأمثال ، الشيخ الأديب أبو هلال العسكري ، دار الفكر - بيروت ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .
- جمهرة أنساب العرب ، لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط١ ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

- جوهر الكنز ، لنجم الدين أحمد بن إسماعيل بن الأثير الحلبي ، تحقيق : محمد زغلول سلام ، دار منشأة المعارف - مصر ، ط١ .
- الحجة في القراءات السبع ، الحسين بن أحمد بن خالويه ، تحقيق : عبد العال سالم مكرم ، دار الشروق - بيروت ، ط٤ ، ١٤٠١هـ .
- الحماسة ، لأبي تمام حبيب بن أوس الطائي ، تحقيق : عبـد الله عبـد الـرحيم عسـيلان ، دار الهلال للأوفست - الرياض ، أشرفت على طباعته ونشره : إدارة الثقافة والنشر بجامعـة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .
- الحماسة ، لأبي عبادة الوليد بن عبيد البحتري ، نقله وضبطه وعلّق على حواشـيه : كمـال مصطفى ، المطبعة الرحمانية - مصر ، ط١ ، ١٩٢٩م .
- الحماسة البصرية ، لصدر الدين علي بن الحسن البصري ، تحقيق : مختار الدين أحمـد ، عـالم الكتب - بيروت ، ط : ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .
- الحماسة المغربية ، مختصر كتاب صفوة الأدب ونخبة ديوان العرب ، أبو العباس أحمد بن عبد السلام الجراوي التادلي ، تحقيق : محمد رضوان الداية ، دار الفكر المعاصر - بيروت ، ط١ ، ١٩٩١م .
- الحيوان ، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق وشرح : عبد السلام هارون ، دار الجيل - لبنان ، ط : ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م .
- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، عبد القادر بن عمر البغدادي ، تحقيق وشرح : عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي - مصر ، ط٢ ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨١م .
- الخصائص ، لأبي الفتح عثمان بن جني ، تحقيق : محمد علي النجار ، عالم الكتب - بيروت ، د.ت .
- الخيل ، لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي ، رواية أبي حاتم سهل بن محمد السجستاني ، ط١ ، ١٣٥٨هـ ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد - الدكن .
- دائرة المعارف ، بطرس البستاني ، مؤسسة مطبوعاتي إسماعيليان - بيروت ، د.ت .
- دلائل الإعجاز ، للإمام عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني ، تعليق : محمود محمـد شاكر ، مطبعة المدني - القاهرة ودار المدني - جدة ، ط٣ ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م .
- ديوان الطفيل الغنوي ، تحقيق : محمد عبد القادر أحمد ، دار الكتاب الجديد ، ط١ ، ١٩٦٨م .

- ديوان المعاني ، لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن مهران العسكري ، دار الجيل - بيروت ، د.ت .
- ديوان المفضليات ، اختارها الراوية أبو العباس المفضل بن محمد الضبي ، شرح : أبي محمد القاسم ابن محمد بن بشار الأنصاري ، مكتبة الثقافة الدينية - مصر ، ط١ ، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م .
- ديوان عامر بن الطفيل ، بشرح الأنباري ، تحقيق ودراسة : أنور أبي سويلم ، دار الجيل - بيروت ، ط١ ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م .
- ديوان لقيط بن يعمر الإيادي ، رواية أبي المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي ، تحقيق : خليل إبراهيم العطية ، عالم الكتب - بيروت ، ط٢ ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م .
- ذيل الأمالي والنوادر ، لأبي علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي ، دار الفكر ، د.ت .
- الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام ، لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أبي الحسن الخثعمي السهيلي ، تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد ، دار الفكر - بيروت ، ط : ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م .
- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام ، للإمام عبد الرحمن السهيلي ، تحقيق : عبد الرحمن الوكيل ، دار الكتب الحديثة - مصر ، ط : ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م .
- سمط اللآلي ، للوزير أبي عبيد البكري ، تحقيق : عبد العزيز الميمني ، مطبعة لجنة التأليف والنشر ، ط : ١٣٥٤هـ - ١٩٣٦م .
- سنن ابن ماجه ، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر - بيروت ، د.ت .
- سنن أبي داود ، لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الفكر ، د.ت .
- سنن البيهقي الكبرى ، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي ، تحقيق : عبد الغفار سليمان البنداي ، وسيد كسروي حسن ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط١ ، ١٤١١هـ - ١٩٩١م .
- السيرة الحلبية في سيرة الأمين والمأمون ، تأليف : علي بن برهان الدين الحلبي ، دار المعرفة - بيروت ، ط : ١٤٠٠هـ .

- السيرة النبوية ، لابن هشام ، تحقيق وضبط وشرح : مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفـيظ شلبي ، دار المعرفة - بيروت ، ط٤ ، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م .
- شرح ابن عقيل ، للقاضي اء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي الهمداني المصري ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية - بيروت ، ط : ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م .
- شرح أبيات سيبويه ، لأبي محمد يوسف بن أبي سعيد السيرافي - تحقيق : محمد علي سلطاني ، دار المأمون - دمشق ، ط : ١٩٧٩م .
- شرح ديوان حماسة أبي تمام ، لأبي علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي ، تحقيق : أحمد أمين وعبد السلام محمد هارون ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - مصر ، ط٢ ، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٨م .
- شرح ديوان حماسة أبي تمام ، لأبي زكريا يحيى بن علي التبريزي ، المعروف بـابن الخطيـب ، بيروت ، عالم الكتب ، ط١ ، د.ت .
- شرح القصائد العشر ، لأبي زكريا يحيى بن علي بن محمد بن الحسن بن محمـد بـن موسـى الشيباني ، المعروف بالخطيب التبريزي ، حقق أصوله وضبطه وعلّق على حواشيه : محمد محيي الدين عبد الحميد ، مكتبة السعادة - مصر ، ط٢ ، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م .
- شرح قصيدة الدامغة ، لأبي محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني ، تحقيق : محمد بن علي الأكوع ، المكتبة اليمنية ، د.ت .
- شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائها ، عني بجمع ذلك وتحقيقه وتصحيحه للمرة الأولى : أحمد بن الأمين الشنقيطي ، دار الكتب العلمية - بيروت ، د.ت .
- شرح ج البلاغة ، عبد الحميد بن هبة الله بن أبي حديد ، تحقيق : محمد أبي الفضل إبراهيم ، دار الكتب العربية - مصر ، ط : ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م .
- الشعر والشعراء ، لابن قتيبة ، تحقيق وشرح : أحمد محمد شاكر دار الحديث - القـاهرة . ط٢ ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م .
- شعراء النصرانية في الجاهلية ، جمعه ووقف على تصحيح طبعته الأولى : الأب لويس شـيخو ، وضبة تحريف من الناسخ لمنبه ، مكتبة الآداب - القاهرة ، ط : ١٩٨٢م .
- الصاحبي ، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، تحقيق : السيد أحمد صقر ، مطبعة عيسـى البابي الحلبي وشركاؤه ، ط٢ ، د.ت .

- صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، أحمد بن علي القلقشندي ، شرح وتعليق : نبيل خالد الطيب ، دار الكتب العلمية - لبنان ، ط١ .
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، لإسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين - بيروت ، ط٢ ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .
- الصحاح في اللغة والعلوم ، تجديد صحاح العلامة الجوهري ، عبـد الله العلايلـي ، إعـداد وتصنيف : نديم مرعشلي وأسامة مرعشلي ، دار الحضارة العربية - بيروت ، ط١ ، ١٩٧٤م .
- صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار ، محمد بن عبد الله بن بليهد ، دار عبد العزيز بن محمد آل حسين للنشر والتوزيع - الرياض ، ط١ .
- صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النسابوري ، تحقيق : محمد فؤاد عبـد الباقي ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، د.ت .
- صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز ، المسماة : تأريخ المستبصر لابن ا اور ، راجعه ووضع هوامشه : ممدوح حسن محمد ، مكتبة الثقافة الدينية - مصر ، ط : ١٩٩٦م .
- صفة جزيرة العرب ، لسان اليمن الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني ، تحقيق : محمد بن علي الأكوع ، دار الآفاق العربية - القاهرة ، ط : ١٤٣٢هـ - ٢٠٠٣م .
- الضرائر (وما يسوغ للشاعر دون الناثر) محمود شكري الآلوسي ، مكتبة دار البيان – بغداد د . ت .
- الطبقات الكبرى ، محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله البصـري الزهـري ، دار صـادر - بيروت ، د.ت .
- طبقات فحول الشعراء ، محمد بن سلام الجمحي ، قرأه وشرحه : محمود محمد شـاكر ، دار المدني - جدة ، ط : د.ت .
- الطرائف الأدبية ، جمع وتحقيق : عبد العزيز الميمني ، دار الكتب العلمية - لبنان .
- العصا ، أسامة بن منقذ ، تحقيق : حسن عباس ، تقديم : محمد مصطفى هدارة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر ، ط : تاريخ المقدمة : ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .
- العقد الفريد ، لأبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي ، شرح وضبط : أحمـد أمـين وإبراهيم الأبياري وعبد السلام هارون ، قدم له : عمر عبد السلام تـدمري ، دار الكتـاب العربي ، د.ت .

- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الجيل - بيروت ، ط٤ ، ١٦٢٧م .
- عيار الشعر ، أبو الحسن محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي ، تحقيق : عبد العزيز بن ناصر المـانع ، مكتبة الخانجي - القاهرة ، د.ت .
- غريب الحديث : أبو عبيد القاسم بن سلاّم الهروي ، تحقيق : محمد عبد المعيـد خـان ، دار الكتاب العربي – بيروت ، ط١ : ١٣٩٦ هـ .
- فتوح البلدان ، أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري ، تحقيق : رضوان محمد رضوان ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط : ١٤٠٣هـ .
- فُرحة الأديب في الرد على ابن السيرافي في شرح أبيات سيبويه ، لأبي محمد الأعـرابي الملقـب بالأسود الغندجاني ، حققه وقدم لـه : محمـد علـي سـلطاني ، مطبعـة دار الكتـاب ، ط : ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .
- الفصول والغايات ، أبو العلاء المعري ، تحقيق : محمد زيناتي ، الهيئة المصرية العامة للكتـاب - القاهرة ، ط : ١٩٧٧م .
- الفهرست ، لابن النديم ، محمد إسحاق النديم ، تحقيق : ناهد عثمان عباس ، دار قطري بـن الفجاءة ، ط١ ، ١٩٨٥م .
- فهرسة ابن خير الأشبيلي ، أبو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة الأموي ، تحقيق : محمـد فؤاد منصور ، دار الكتب العلمية - بيروت : لبنان ، ط١ ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م .
- قلائد الجمان في العريف بقبائل عرب الزمان ، لأبي العباس أحمد بن علي القلقشندي ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، دار الكتب الحديثة - القاهرة ، ط١ ، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م .
- الكامل في التاريخ ، عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبـد الكـريم الشيباني ، المعروف بابن الأثير ، تحقيق : عبد الله القاضي ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط٢ ، ١٤١٥هـ .
- لسان العرب ، للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصـر ، دار صادر - بيروت ، ط١ .
- المؤتلف والمختلف ، لأبي القاسم الحسن بن بشر بن يحيى الآمدي ، تحقيق : عبد الستار أحمـد فراج ، دار إحياء الكتب العربية - مصر ، ط : ١٣٨١هـ - ١٩٦١م .

- مجمع الأمثال ، أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني النسابوري ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار المعرفة - بيروت ، د.ت .
- المحبر ، أبو جعفر محمد بن حبيب ، رواية أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري ، عنيت بتصحيحه : ايلزة ليختن شتيتر ، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت ، د.ت .
- مختار الصحاح ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ، تحقيق : محمود خاطر ، مكتبة لبنان للنشر - بيروت ، ط : ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م .
- مختلف القبائل ومؤتلفها ، أبو جعفر محمد بن حبيب ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، دار الكتب الإسلامية ، ط : ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .
- المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها ، عبد الله الطيب ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٧٠م .
- مروج الذهب ومعادن الجوهر ، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، دار السعادة - مصر ، ط٤ ، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م .
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، للعلامة عبد الرحمن جلال الدين السيوطي ، شرحه وضبطه وصححه : محمد أحمد جاد المولى وعلي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الجيل ودار الفكر - بيروت ، د.ت .
- المسالك والممالك ، ابن اسحق إبراهيم بن محمد الفارسي الإصطخري ، مراجعة : محمد شفيق غربال ، تحقيق : محمد جابر عبد العال الحسيني ، وزارة الثقافة والإرشاد - الجمهورية العربية المصرية ، ط : ١٣٨١هـ - ١٩٦١م .
- المسالك والممالك ، لأبي القاسم عبيد الله بن عبد الله المعروف بابن خرداذبه ، وضع مقدمته وهوامشه : محمد مخزوم ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ط١ ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .
- المستدرك على الصحيحين ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الحاكم النيسابوري ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط١ ، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م .
- مسند أحمد بن حنبل ، أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني ، مؤسسة دار قرطبة - مصر ، د.ت .
- مشكل إعراب القرآن ، مكي بن أبي طالب القيسي ، تحقيق : حاتم صالح الضامن ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، ط٢ ، ١٤٠٥هـ .

- المعارف ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، تحقيق : ثروت عكاشة ، دار المعارف - القاهرة ، د.ت .
- معاهد التنصيص على شواهد التلخيص ، الشيخ عبد الرحيم بن أحمد العباسي ، حققه وعلّق على حواشيه وصنع فهارسه : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار عالم الكتب - بيروت .
- معجم البلدان ، للإمام شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي ، دار صادر ، ودار بيروت - بيروت ، ط : ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م .
- معجم الشعراء ، لأبي عبيد محمد بن عمران بن موسى المرزباني ، تحقيق : عبد الستار أحمد فراج ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ط : ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م .
- المعجم الكبير ، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني ، تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي ، نشر : مكتبة الزهراء - الموصل ، ط٢ ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م .
- المعجم الوسيط ، تأليف : إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد النجار ، تحقيق : مجمع اللغة العربية ، دار الدعوة ، د.ت .
- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، لأبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي ، تحقيق وضبط : مصطفى السقا ، مكتبة الخانجي - القاهرة ، ط٢ ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م .
- المعمرون والوصايا ، لأبي حاتم السجستاني ، تحقيق : عبد المنعم عامر ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ط : ١٩٦١م .
- المغازي ، محمد بن عمر بن واقد الواقدي ، تحقيق : مارسدن جونس ، عالم الكتب ، ط٣ ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .
- من اسمه عمرو من الشعراء ، لأبي عبد الله محمد بن داود بن الجراح ، تحقيق : عبد العزيز بن ناصر المانع ، مكتبة الخانجي - مصر ، ط١ ، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م .
- المنازل والديار ، أسامة بن منقذ ، تحقيق : مصطفى حجازي ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، لجنة إحياء التراث - مصر ، ط : ١٣٨٧هـ - ١٩٦٨م .
- مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي ، تحقيق : زينب إبراهيم القاروط ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط٣ ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

- منتهى الطلب من أشعار العرب ، جمع : محمد بن المبارك بن محمد بن ميمون ، تحقيق وشرح : محمد نبيل طريفي ، دار صادر ، ط١ ، ١٩٩٩م .
- المنمق في أخبار قريش ، محمد بن حبيب البغدادي ، تصحيح وتعليق : خورشيد أحمد فارق ، طبع وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية ، ط١ ، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م .
- منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، لأبي الحسن حازم القرطاجني ، تحقيق : محمد الحبيب ابن الخوجة ، دار الكتب الشرقية - تونس ، ط : ١٩٦٦م .
- نسب قريش ، لأبي عبد الله المصعب بن عبد الله بن المصعب الزبيري ، عني بنشره لأول مرة وتصحيحه والتعليق عليه : ليفلي بروفنيسال ، دار المعارف - مصر ، ط٣ .
- نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب ، ابن سعيد الأندلسي ، تحقيق : نصرت عبد الرحمن ، مكتبة الأقصى - عمان ، الأردن ، ط١ .
- النقائض بين جرير والفرزدق ، لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي ، وقف على طبعها وتصحيحها : محمد إسماعيل عبد الله الصاوي ، مطبعة الصاوي ، د.ت .
- نقد الشعر ، قدامة بن جعفر ، تحقيق : كمال مصطفى ، مكتبة الخانجي - مصر ، ط : ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م .
- نهاية الأرب في فنون الأدب ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري ، نسخة مصورة عن دار الكتب مع استدراكات وفهارس جامعة ، وزارة الثقافة والإرشاد - مصر . ط : ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م .
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، تحقيق : عبد الحميد هنداوي ، دار المكتبة التوفيقية - مصر ، د.ت .
- الوافي بالوفيات ، صلاح الدين خليل بن إيبك الصفدي ، تحقيق : أحمد الأرناؤوط ، وتركي مصطفى ، دار إحياء التراث - بيروت ، ط : ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م .
- الوساطة بين المتنبي وخصومه ، للقاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني ، تحقيق وشرح : محمد أبي الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي ، دار إحياء الكتب العربية - مصر ، ط٣ .

ثانياً : **المراجع** :

- الآثار والتاريخ ، فلاح شيبان ، مؤسسة المدينة للصحافة - جدة ، المملكة العربية السـعودية ، ط١ ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م .
- الاتجاه الوجداني في الشعر المعاصر ، عبد القادر القط ، مكتبة الشباب ، ط : ١٩٧٨م .
- الأدب وفنونه ، محمد مندور ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي - القاهرة ط : ١٩٦٣م .
- الأدب الجاهلي ، غازي طليمات و عرفان الأشقر ، دار الفكر – دمشق ، ط١ : ١٤٢٢ هـ .
- إرواء الغليل في تيسير علمي الخليل ، عبد الرحمن بن محمد إسماعيل ، مطابع العـامري للنشـر والتوزيع - المملكة العربية السعودية ، ط١ ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م .
- الأسر والسجن في شعر العرب ، أحمد مختار البزرة ، مؤسسة علوم القـرآن - دمشـق ، ط١ ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .
- الأسس الجمالية في النقد العربي ، عز الدين إسماعيل ، وزارة الثقافة والإعـلام - بغـداد ، ط٣ ، ١٩٨٦م .
- أشعار اللصوص وأخبارهم ، جمع وتحقيق : عبد المعين ملوحي ، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر - دمشق ، ط١ ، ١٩٨٨م .
- أصول النقد الأدبي ، أحمد الشائب ، مكتبة النهضة المصرية ، ط٧ ، ١٩٦٤م .
- الأعشى الكبير ميمون بن قيس ، مصطفى الجوزو ، دار الطليعة للطباعة والنشر - بـيروت ، ط١ ، ١٩٧٧م .
- الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين - بيروت ، ط٥ ، ١٩٨٠م .
- أيام العرب في الجاهلية ، محمد أحمد جاد المولى بك و علي محمد البجاوي و محمد أبو الفضـل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، ط١ ، ١٣٦١هـ - ١٩٤٢م .
- البلاغة فنو ا وأفنا ا (علم المعاني) ، فضل حسن عباس ، دار الفرقان للنشر والتوزيع - عمان ، ط٧ ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .

- البناء الفني للصورة الأدبية في الشعر ، علي علي صبح ، المكتبة الأزهرية للتراث - القـاهرة ، ط : ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م .
- البيان في تاريخ جازان وعسير ونجران ، عبد الواحد محمد راغـب دلال ، القـاهرة ، ط١ ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م .
- بين مكة وحضرموت رحلات ومشاهد ، عاتق البلادي ، دار مكة للنشر ، ط١ ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .
- تاريخ آداب اللغة العربية ، جرجي زيدان ، دار الهلال - مصر ، ١٩١١م .
- تاريخ الأدب العربي ، أحمد حسن الزيات ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، ط٢٥ .
- تاريخ الأدب العربي ، عمر فروخ ، دار العلم للملايين - بيروت ، ط٤ ، ١٩٨١م .
- تاريخ الأدب العربي ، كارل بروكلمان ، دار المعارف - مصر ، ط : ١٩٥٩م .
- تاريخ التراث العربي ، فؤاد سزكين ، نقله للعربية محمود فهمي حجازي . راجع الترجمـة عرفـة مصطفى وسعيد عبد الرحيم ، أشرفت على طباعته ونشره : إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ط : ١٤١١هـ - ١٩٩١م .
- تاريخ العرب القديم وعصر الرسول ، نبيه عاقل ، دار الفكر - بيروت ، ط٣ ، ١٩٧٥م .
- تاريخ المخلاف السليماني ، محمد أحمد العقيلي ، دار اليمامة ، المملكة العربية السـعودية ، ط٢ ، ١٣٠٢هـ - ١٩٨٢م .
- تاريخ النقائض في الشعر العربي ، أحمد الشائب ، مكتبة النهضة المصـرية - مصـر ، ط٣ ، ١٩٩٨م .
- التصوير البياني ، محمد أبو موسى ، مكتبة وهبة - القاهرة ، ط٣ ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م .
- جغرافية المملكة العربية السعودية ، إقليم جنوب غرب المملكة ، عبد الرحمن صادق الشريف ، دار المريخ - الرياض ، ط : ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .
- جغرافية شبه الجزيرة العربية ، عمر رضا كحالة ، راجعه وعلق عليه : أحمد علـي ، مكتبـة النهضة الحديثة - مصر ، ط٢ ، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م .
- دراسة في تاريخ تهامة والسراة خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة ، غيثان بن علي بـن جريس ، مطابع العبيكان - الرياض ، ط : ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م .

- دريد بن الصمة حياته وشعره ، مناحي ضاوي القثامي ، مطبوعات نـادي الطـائف الأدبي ، ط١ ، د.ت .
- دفاع عن البلاغة ، أحمد حسن الزيات ، عالم الكتب - القاهرة ، ط٢ ، ١٩٦٧م .
- دلالة الألفاظ ، إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية - مصر ، ط٤ ، ١٩٨٠م .
- ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس ، شرح وتعليق : محمد حسين ، مكتبة الآداب والمطبعـة النموذجية - مصر ، د.ت .
- ديوان أمية بن أبي الصلت ، جمعه وحققه وشرحه : سجيع جميل الجبيلي ، دار صادر - بيروت ، ط١ ، ١٩٩٨م .
- ديوان جرير بن عطية الخطفى ، تقديم : كرم البستاني ، دار بيروت للطباعة والنشر - بيروت : لبنان ، ط١ ، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .
- ديوان دريد بن الصمة ، تحقيق : عمر عبد الرسول ، دار المعارف - مصر ، ط : ١٩٧٥م .
- ذاكرة الأرض ، أحمد بن صالح السياري ، ط١ ، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م .
- السمات الحضارية في شعر الأعشى (دراسة لغوية وحضارية) ، زينب عبد العزيز العمـري ، مطبوعات دارة الملك عبد العزيز - الرياض ، ط : ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .
- شاعرات العرب ، جمع وتحقيق : عبد البديع صقر ، دار نشـر المكتـب الإسـلامي ، ط١ ، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م .
- الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه ، يحيى الجبـوري ، مؤسسـة الرسـالة - بـيروت ، ط٧ ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م .
- الشعر الجاهلي منهج في دراسته وتقويمه ، محمد النويهي ، الدار القومية للطباعـة والنشـر - القاهرة ، د.ت .
- شعر النابغة الجعدي ، جمع وتحقيق : عبد العزيز رباح ، منشورات المكتب الإسلامي- دمشق ، ط١ ، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م .
- شعر عبد الرحمن بن حسان الأنصاري ، جمع وتحقيق : سامي مكي العاني ، مطبعة دار المعارف - بغداد ، ط : ١٩٧١م .

- شعر عبد الله بن الزبعرى ، تحقيق : يحيى الجبوري ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، ط٢ ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .
- شعر قبيلة أسد في الجاهلية والإسلام ، وفاء فهمي السنديوني ، النشر العلمي والمطابع - جامعة الملك سعود - الرياض ، ط١ ، ١٤١٢هـ .
- شعر قبيلة مذحج في الجاهلية والإسلام ، محمد بن عبد الله بن مبارك ، نشر نادي جازان الأدبي ، ط١ ، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م .
- الشعر وأيام العرب في العصر الجاهلي ، عفيف عبد الرحمن ، دار الأندلس - بيروت ، ط١ ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .
- الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ، يوسف خليف ، دار المعارف - مصر ، ط٢ .
- شعراء بني عقَيل وشعرهم في الجاهلية والإسلام حتى آخر العصر الأموي ، جمعا وتحقيقًا ودراسة ، عبد العزيز بن محمد الفيصل ، طباعة شركة العبيكان للطباعة والنشر - الرياض ، ط١ ، ١٤٠٨هـ .
- الصورة الأدبية ، مصطفى ناصف ، مكتبة مصر - القاهرة ، ط١ ، ١٩٥٨م .
- الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ، جابر عصفور ، المركز الثقافي العربي - بيروت ، ط٣ ، ١٩٩٢م .
- الصورة الفنية في الشعر الإسلامي عند المرأة العربية في العصر الحديث ، صالح الخضيري ، مكتبة التوبة - الرياض ، ط١ ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م .
- الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث ، نصرت عبد الرحمن ، مكتبة الأقصى - عمان ، ط : ١٩٧٦م .
- العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي ، إحسان النص ، دار الفكر - بيروت ، ط٢ ، ١٩٧٣م .
- العصر الجاهلي ، شوقي ضيف ، دار المعارف - مصر ، ط٢٥ .
- علم الآثار ، جمال عبد الهادي ووفاء محمد رفعت ، دار الشروق - جدة ، ط١ .
- علم الأصوات ، محمد أحمد محمود ، دار إشبيليا - الرياض ، ط١ ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م .
- علم العروض والقافية ، عبد العزيز عتيق ، دار النهضة العربية - بيروت ، ط : ١٩٧٤م .

- علم اللغة ، مقدمة للقارئ العربي : محمود السعران ، دار النهضة العربية - بـيروت ، ط١ ، د.ت .
- عن بناء القصيدة العربية الحديثة ، علي عشري زايد ، مكتبـة الرشـد - الريـاض ، ط٤ ، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٣م .
- الغزل في العصر الجاهلي ، أحمد مختار الحوفي ، دار القلم - بـيروت ، ط : ١٣٨١هـ - ١٩٦١م .
- الفروسية في الشعر الجاهلي ، نوري حمودي القيسي ، مكتبة النهضة بغداد ، ط : ١٩٦٤م .
- في الأدب الجاهلي ، طه حسين ، دار المعارف - مصر ، ط٤ .
- في النقد الأدبي ، شوقي ضيف ، دار المعارف - مصر ، ط٥ ، ١٩٧٧م .
- في بلاد عسير ، فؤاد حمزة ، مكتبة النصر الحديثـة - المملكـة العربيـة السـعودية ، ط٢ ، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م .
- القاموس المحيط ، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، د.ت .
- قس بن ساعدة (حياته - خطبه - شعره) ، أحمد الربيعـي ، مطبعـة النعمـان ، بغـداد ، ط : ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م .
- قضايا الشعر الجاهلي ، علي العتوم ، طباعة جامعة اليرموك ، ط : ١٩٨٢م .
- لمحات من تاريخ الحجاز قبل الإسلام ، محمد علي المغربي ، مطبعة المدني - مصر ، والمؤسسـة السعودية - المملكة العربية السعودية ، ط١ ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م .
- المدينة في العصر الجاهلي ، محمد العيد الخطراوي ، مؤسسة علوم القـرآن - دمشـق ، ط١ ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .
- مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية ، ناصر الـدين الأسـد ، دار المعـارف - مصـر ، ط٧ ، ١٩٨٨م .
- المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية المنطقة الشرقية (البحرين قديما) ، القسم الرابع ، حمـد الجاسر ، دار اليمامة - المملكة العربية السعودية ، د.ت .
- معجم الشعراء الجاهليين ، عزيزة فوال بابتي ، دار صادر - بيروت ، ط١ ، ١٩٩٨م .

- معجم الشعراء من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي ، عفيف عبد الرحمن ، دار المناهل ، ط١ ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م .
- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، جواد علي ، طباعة جامعة بغداد ، ط٢ ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م .
- مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي ، حسين عطوان ، دار المعارف - مصر ، ط : ١٩٧٤م .
- موسوعة الشعر العربي ، اختارها وشرحها وقدم لها : مطاع صفدي وايلياء حاوي ، أشرف عليها : خليل حاوي ، شركة خياط للكتب والنشر - لبنان ، ط : ١٩٧٤م .
- موسيقى الشعر ، إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية - مصر ، ط٤ ، ١٩٦٥م .
- موسيقى الشعر العربي ، شكري عياد ، دار المعرفة - القاهرة ، ط : ١٩٦٨م .
- نجران دراسة تاريخية حضارية ، غيثان بن علي بن جريس ، مكتبة الملك فهد الوطنية - الرياض ، ط١ ، ١٤٢٥هـ .
- نجران في أطوار التاريخ ، محمد بن أحمد العقيلي ، مطابع دار البلاد ، ط١ ، ١٤٠٤هـ .
- نجران في العصر الجاهلي وفي عصر النبوة ، فاطمة مصطفى عامر ، دار الاعتصام ، ط١ ، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .
- نجران منطلق القوافل ، عبد الرحمن الطيب الأنصاري ، وصالح بن محمد آل مريح ، دار القوافل للنشر - الرياض ، ط : ١٤٢٤هـ .
- النقد الجمالي وأثره في النقد العربي ، روز غريب ، دار العلم للملايين - بيروت ، ط : ١٩٥٢م .
- نقض كتاب في الشعر الجاهلي ، محمد الخضر ، المكتبة العلمية - بيروت ، د.ت .
- الوقوف على الأطلال بين شعراء الجاهلية والإسلام حتى القرن الخامس الهجري ، مصطفى عبد الواحد ، مطبوعات نادي مكة الثقافي ، ط١ ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م .
- اليمن الخضراء مهد الحضارة ، محمد بن علي الأكوع ، مكتبة الجيل الجديد ، ط٢ ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .

ثالثاً : الرسائل العلمية :

- التصوير البياني في شعر عدي بن الرقاع العاملي ، رسالة ماجستير في البلاغة والنقـد ، مـريم عواض الحارثي ، جامعة أم القرى - كلية اللغة العربية ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م .
- النشاط التجاري في اليمن منذ مطلع القرن الثالث الهجري حتى اية العصر الأيوبي ، رسـالة مقدمة من : علي بن علي بن حسين لنيل شهادة الدكتوراه في الحضارة والنظم الإسـلامية - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية ، الفصل الأول : ١٤٢٣هـ ، جامعة أم القرى - مكة المكرمة .
- النقد في القرن الأول الهجري (بيئاته واتجاهاته وقضاياه) ، حمود محمد منصور الصميلي ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه لكلية اللغة العربية - فرع النقد ، جامعة أم القرى ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م .

فهـرس الموضوعـات

الموضوعـــات	الصفحة

الموضوعـــات	الصفحة

